إلى الأخ الغالي

أبو فهد مع التحية

وجعله الله في ميزان حسناتك ....

مَوْسُوعَة

الكَلِمَة وأَخَوَاتِهَا

فِي القُرْآنِ الكَرِيم

أ - ب

آدم - بلى

الشّيخ الدكتور أحمد عُبيد الكبيسي

المُجلّد الأوّل

1

دار المعرفة

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى 1438 هـ - 2017 م

ISBN : 9953-85-369-X

دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع
DAR AL-MAREFAH
Printing & Publishing

جسر المطار شارع البرجاوي * هاتف: 834301 - 834332
فاكس: 835614 * ص.ب: 7876 ـ بيروت ـ لبنان
Airport Bridge Birjawi Str. * Tel: 834301 - 834332
Fax: 835614 * P.O.Box: 7876 Beirut - Lebanon
Email: info@marefah.com * www.marefah.com

مَوْسُوعَةُ

الكَلِمَةُ وَأَخَوَاتُهَا

فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

1

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أنزل القرآن على رسوله الأمين و بعثه للعالمين رحمة وهدى، ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، ورضي عن آله الأطهار وصحابته الأبرار منارات العلم والخير والتقى.

إن معجزة القرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب وأعجزهم عن الإتيان بمثله، لها وجوه عدة، أولها البلاغة، وكونه فصيحاً بلسان عربي مبين، قال تعالى: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: 28]، وقال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: 195].. وقد عجزت العرب رغم فصاحتهم بالإتيان بمثله لما فيه من حسن بلاغة وقوة في المعاني، وبراعة في الألفاظ، ودقة التشبيه، وحسن ترابط وتسلسل. وقد عجز الفصحاء عن معارضته، وخرس البلغاء عن مشاكلته، فقد خاطبهم رسول الله مراراً بآيات التحدي فقال تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: 38].

والتحدي في الإعجاز لم يكن للعرب فقط، ولم يكن في فترة الرسالة فحسب، وإنما استمر التحدي حتى يرث الله الأرض بمن عليها.

ويمكن إدراك الإعجاز القرآني من خلال معرفة العربي وغير العربي للوجوه الأخرى للإعجاز التي اقتضتها حكمة الله ورحمته، لأن هذه الوجوه تعود إلى ضوابط موضوعية ملزمة لكل عاقل، فالمعجزة قائمة في كل حين، وتَسَعُ الناس

جميعاً، عالمهم وجاهلهم، إنها تسعهم بكل لغاتهم عربيهم وأعجميهم، ولا تقتصر على الإنس وحدهم، بل تسع الجن أيضاً.

ولو كان القرآن كلام بشر لما رأينا فيه مثل هذه التناسقات والتدرجات اللغوية والبيانية، فقد أمرنا الله تعالى أن نتدبره فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

وبعد: فهذا السِّفر في (**موسوعة الكلمة وأخواتها في القرآن الكريم**) يضم من المعاني الدقيقة والأسرار والفوائد البليغة التي تتعلق بلغة القرآن وبلاغته من أصول لغوية، وأساليب قرآنية.. فهو يُعنى بالكلمة القرآنية تأملاً وتدبراً بأسلوب مرتب ونمط معجمي فيما يتعلق بغريبها ووجوهها وقراءاتها، وأسلوب استعمالها في القرآن وإعجازها.. فهو موسوعة قرآنية، مادته الكلمة وأخواتها، فللكلمة القرآنية ولغتها فلسفة خاصة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بإعجازه. وقد كان القدماء يعبرون عن ذلك بـ(النظم القرآني)، والمتأخرون بـ(البيان القرآني) أو (الإعجاز القرآني)؛ ويقصد به تأليف حروفه وكلماته وجمله وسبكها مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب من الأغراض مع أخواتها في قالب محكم، وطريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض التي يتكلم عنها للدلالة على المعاني بأوضح عبارة في أجمل نظم.

والمتأمل في حروف القرآن الكريم وكلماته لا يجد فيها شيئاً خارجاً عن المألوف المتداول في لغة العرب قديماً وحديثاً؛ غير أن للعبارة القرآنية كياناً خاصًّا بنيت عليه تراكيبه ورسمت صور نظمه الفريد.. فقد بهر النظم القرآني العرب بحسن مبادئ الآي، والمقاطع، وتماسك الكلمات واتساقها مع التراكيب.. ومن مزاياه اهتمامه بالجملة القرآنية واختيار المكان المناسب فيها للكلمة المعبرة. إن هناك نوعاً من التناسق الرائع بين الكلمات في الجملة الواحدة وبين الحروف في الكلمة الواحدة، كما أن وضع الكلمة في الآية واختيار موقعها

والتئامها مع جاراتها له الأثر الكبير في إعطائها الجرس الخاص المؤثر في النفس. . ولا يقتصر وضع الكلمة في الآية على تأثيره في اللحن، وإنما لهذا الموقع والوضع المناسب تأثير على المعنى وإبرازه.

لقد كشفت جهود العلماء كالباقلاني ومن سبقه أو من جاء بعده إلى إبراز السمات الموضوعية للأسلوب القرآني التي وصلت به إلى درجة الإعجاز، فهم يرون أن السمات المميزة للأسلوب القرآني متعددة، منها مغايرة الأسلوب القرآني لجميع أنماط التعبير المعروفة عند العرب، وعدم التفاوت الفني في الأسلوب القرآني. . فالقرآن الكريم في جميع سوره وآياته على درجة واحدة من البلاغة، ولا يتدنى عن شيء، وتلك سمة لا طاقة للبشر بها.

إن مكانة الكلمة في النظم القرآني المعجز ليست ذاتية، وإنما تعود قيمتها إلى مكانها من النظم المعجز الأخاذ، ومعلوم أن التحدي لم يحصل بالكلمة بل أقل ما حصل بسورة.

ويظهر الإعجاز اللغوي في الكلمة القرآنية من عدة وجوه:

أولها: إن الكلمة في القرآن مسوقة في موقعها المناسب لتؤدي المعنى المراد وتتلاءم من الناحية اللفظية والمعنوية، مع ما قبلها وما بعدها.

وثانيها: إن الكلمة القرآنية مسوقة في موقعها المناسب بحيث تعطي بمدلولها ما تلقيه من ظلال المعنى المراد بكماله وتمامه مع ما فيه من إيحاءات، ولو استبدلت بغيرها ما أفيد المعنى المراد.

وقد نجد كلمة في القرآن الكريم تعبر عن معنى يعجز البشر عن التعبير عنه إلا بعدة كلمات. . فكلمة (استقاموا) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ [فصلت: 30]. جمعت هذه الكلمة الإتيان بالخير كله، والبعد عن الشر كله.

وثالث تلك الوجوه: أن هناك بعض الكلمات يظن القارئ أنها مترادفة، فلو

تأملنا استعمالاتها في القرآن لرأينا بعضها استعمل في موطن وبعضها الآخر في موطن آخر، وفي كل موضع يبلغ التعبير القرآني ذروته في حسن الصياغة ودقة التعبير. فكل لفظة في القرآن مقصودة لذاتها، ولهذا يدعونا القرآن للتأمل وإعمال الذهن في التفريق بين اللفظة وشبيهاتها.. فالحقيقة أن الكلمات القرآنية لها دور وضرورة في السياق للدلالة على المعنى، كما أن لها دوراً في تناسب الإيقاع.. وجميع كلمات القرآن رتبها عزّ وجل بتناسق وتدرج وإعجاز لغوي محكم، ويستطيع كل مؤمن أن يبحر في رحاب كلمات الله تعالى ويرى عجائبه التي لا تنقضي مستجيبين لنداء الحق تبارك وتعالى.

كما أن الترادف الذي يعني التقارب في المعنى له شاهده من القرآن، يقول تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل: 72] أي اقترب لكم بعض الذي تستعجلون.

فالقرآن الكريم يتناول من الكلمات المترادفة أدقها دلالة على المعنى، وأتمها تصويراً وتشخيصاً للصورة وأجملها وأحلاها إيقاعاً ووزناً بالنسبة لنظائرها. أما الأسلوب القرآني فيلاحظ فيه الانتقال في شتى الاتجاهات في لحظات متقاربة متتالية.. وتبقى للكلمة ونسقها أهمية فهي أصل الدقة في التعبير القرآني، ولها فلسفتها الخاصة في كل موضع. فالنكرة لها شأنها، والمعرفة لا تقل عن ذلك، والأفعال لها دلالاتها، ومثل ذلك اختيار المفرد أو الجمع وغيره من أنواع التصريفات؛ شرط أن يكون ذلك محكوماً بدقة المعنى، فضلاً عن تحديد المدلول، حتى تمسي الكلمة كأنها خلقت لهذا الموضع دون غيره وعلى وفق حاجته.. فهي دقيقة في الموضع تتسق مع المعنى المراد في الآية، بل مع السورة كلها أو القرآن الكريم، فضلاً عن دقتها في الوصف والانتقاء، وفي تحديد المعنى.

ولو فصلنا فيها القول لطال المقال، وحسبنا في ذلك الإشارة إلى توسع

الدرس اللغوي في الفروق وتناثر مصادره وتفرقها في كثير من المصنفات، ولقد كان هذا كله باعثاً لنا أن نتكفل بيان (الإعجاز القرآني) بدأنا به أول الأمر في برنامج تلفازي أذيع على الهواء مباشرة من قناة دبي منذ عام 2000 واستمر لمدة خمس سنوات، وكان لبعض الأخوة في توثيقه فيما بعد فضل جميل وخدمة جليلة.

أما في أثناء كتابة هذا الكتاب بشكل نهائي فقد كان الفضل للدكتور(رفد إياد عبد المجيد) الذي كان اليد الفعالة في جميع الجهود العضلية المطلوبة من نسخ النصوص المطلوبة من كتب التفسير واللغة وغيرهما، والنهوض بجهد الطبع والمراجعة والإشراف على الطبع النهائي في دار المعرفة في لبنان، فكان بذلك العمود الفقري الذي قام هذا الكتاب على أكتافه.. فجزاه الله خيراً..

وبذلك تعاضد كل ما قدم ليضم موسوعة (الكلمة وأخواتها في القرآن الكريم) ولعل اسم الكتاب يفصح عن محتواه ومغزاه، فهو معجم، مادته لغة القرآن الكريم من خلال الكلمة وسر بلاغتها، حيث أن للقرآن الكريم فقه لغة خاصاً به يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإعجازه، فهو كتاب لغة وبلاغة وإعجاز قرآني معاً.

لقد بدأنا بالكلمات حسب الترتيب المعجمي، ورتبناها ضمن منظومة خاصة، فلكل كلمة أخوات بيّنا من خلال التفسير اللغوي أن لكل كلمة دلالتها بدءاً من جذر اللفظ والمعنى الأصلي والمعاني المتفرعة منه والذي هو بمنزلة الأم لها، وجمعنا شتات الوجوه والنظائر لنوفر للباحث وقته وجهده في مراجعة كتب التفسير واللغة، مبينين سر الإعجاز القرآني من خلال الكلمات وطريقة مجيئها في القرآن الكريم، كما آثرنا أن نبيّن المشترك اللفظي للكلمة من حيث ورودها في القرآن الكريم ضمن كل منظومة، لأن المشترك اللفظي قضية دلالية تقابل قضية الترادف، وهي اشتمال لفظ واحد على عدة معانٍ، يطلق كل منها على طريق الحقيقة لا المجاز، والترادف والمشترك مبحثان ينتميان إلى موضوع واسع وكبير

وشامل في تراثنا العربي والإسلامي فيما يسمى غالباً بقضية اللفظ والمعنى. ولعلنا بهذا الجهد نكون قد فتحنا باباً جديداً لفهم القرآن وسر بلاغته وإعجازه في التنسيق يضاف إلى ما سبقنا به علماء اللغة على مرّ العصور. . .

وإذا ما تماثلت بعض النصوص أو تكررت لأن المنظومة أوجبت التكرار، فراعينا الأمانة ليقف الباحثون على متن النصوص بصورة تامة. . وقد بحثنا في كل الأصول اللغوية للمفردة الأصل في المنظومة، والمادة الأصلية للكلمة ثم عرجنا على تفضيل ذلك لأخواتها في مواضع منظومة أخرى حسب انشعابها لما يساعد الذوق اللغوي، ويوحّد الأصول اللغوية وهنا يكمن سر هذه الموسوعة حيث يقاس الاستعمال القرآني حجم الكلمات من كل مادة بمقدار الاهتمام بمفاهيمها في القرآن، وكذلك سر مجيء بعضها بلفظ واحد ومعانٍ مختلفة أو بألفاظ متعددة حسب وضع الآيات والسور، حتى يرى القارئ سر إعجاز الكلمة ورمز السياق القرآني.

وقد اهتمت الموسوعة من خلال شرح المعاني في بسط الحديث وتقريب الفهم والبيان للوصول إلى الغرض والهدف، وبيان سر وجودة الكلمة في القرآن، فذكرنا ما له علاقة بفقه لغة القرآن وتفسيره والغريب مع بيان الوجوه الأخرى - إن اقتضى الحال - للإعجاز حسب حاجة العصر، وبخاصة العصر الحاضر. . . واهتمت الموسوعة أيضا بإعجاز الكلمة، بل الحروف، والجملة، والآية، والسورة، وأخذتنا شجون الحديث أحياناً إلى نخبة من طرائف ولطائف سر البلاغة القرآنية التي هي هدف هذه الموسوعة لبيان الأساليب المتنوعة في الأمر والنهي والدعاء والتوبيخ والإنكار والحث والإرشاد، والاستفهام والسؤال، والإنشاء والإخبار، والشرط والتعليق، واكتفينا بالإشارة إلى هذه الأساليب لشدة العلاقة بين الأساليب والبلاغة القرآنية، وبخاصة حين يتغير السياق للكلمة في آيات القرآن عبر بيان معيار اختصاصها في الجملة وما إذا كانت تخص الفعل أو

الاسم والمصدر. ولعلنا بهذا العمل الذي نرجو فيه مرضاة الله سبحانه وتعالى نكون قد قدمنا للمستمع من قبل والقارئ الآن شيئاً يضاف إلى الدرس اللغوي في الفروق والإعجاز وأسرار الكلمة وأخواتها في القرآن الكريم الذي ينفك إعجازه يتجدد كل حين حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين.

الشيخ الدكتور

أحمد عبيد الكبيسي

15 اغسطس 2016 م

الموافق في 12 ذي العقدة 1437 هـ

ملاحظة: اعتمدنا في هوامش الموسوعة الإشارة إلى مصادر التفسير وأمهات كتب اللغة، دون تحديد الجزء ورقم الصفحة، وذلك لتعدد الطبعات واختلاف الصفحات.

وللعودة إلى المصادر يكفي مراجعة تفسير الآية المحددة في كتاب التفسير المشار إليه. والدخول إلى شرح الكلمة لكتب اللغة المشار إليها. والله المستعان.

حرف الألف

آدم

(آدم - إنسان - بشر)

■ **آدمُ:** أول مخلوق بشريّ ناطق ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [صٓ: 71] وأَسْجدَ له الملائكة.. ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحِجر: 29].

■ **إِنسانٌ:** عندما أكمل خَلْقَ جسده بخلق طاقته من العقل والعلم ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البَقَرَة: 31] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التِّين: 4].

■ **بَشَرٌ:** أول مخلوق حيواني عاقل بشرته ظاهرة بلا غطاء من صوف أو شعر أو ريش لتميز مادته وهي الصلصال ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ﴾ [الحِجر: 28].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الهمزة والدال والميم أصلٌ واحد، وهو الموافقة والملاءمة.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

والأَدَمَةُ: الوسيلة إلى الشيء، وذلك أنّ المخالِف لا يُتوسَّل به. فإن قال قائلٌ: فعلى أيِّ شيء تحمل الأدَمة وهي باطن الجلد؟ قيل له: الأدَمة أحسن ملاءمة للَّحْم من البشرة، ولذلك سُمّي آدم عليه السلام؛ لأنّه أخذ من أدَمة الأرض. ويقال: هي الطبقة الرابعة. والعرب تقول: مُؤْدَمٌ مُبْشَرٌ، أي: قد جمع لِينَ الأدَمة وخشونة البشَرة. فأما اللّون الآدَم فلأنّه الأغلبُ على بني آدم.

قال الجوهري(1): الأَدَمُ: جمع الأَديم، وقد يجمع على آدِمَةٍ وربما سُمِّي وجهُ الأرض أديماً. وفلانٌ مُؤْدَمٌ مُبْشَرٌ، أي: قد جمع لِينَ الأَدَمَةِ وخُشونة البشرة.

ويقال أيضاً: جعلتُ فلاناً أَدَمَةَ أهلي، أي: إسْوَتَهُمْ. والأُدْمَةُ بالضم: السُمرة. والأُدْمَةُ أيضاً: الوسيلة إلى الشيء. والآدَمُ من الناس: الأسمر، الجمع أُدْمانٌ.

قال الأصمعي(2): والأُدْمُ من الظباء بِيضٌ تعلوهنّ جُدَدٌ، فيهن غُبْرَةٌ، تسكن الجبال. قال: وهي على ألوان الجبال. يقال: ظبيةٌ أدماء.

قال الأزهري(3): الأُدْمَةُ: الوسيلة إلى الشيء. والأَيْدِيمَةُ: الأرض الصلبة.

وقال الزجاج(4): يقول أهل اللغة في آدمَ إن اشتقاقه من أَدِيمِ الأرض لأنه خلق من تراب.

قال الليث(5): والأُدْمةُ في الناس: شُرْبةٌ من سَواد، وفي الإِبِل والظِّباء بَياض. يقال: ظَبْيَة أَدْمَاءُ، قال: ولم أَسمع أَحداً يقول للذُّكور من الظِّباء أُدْمٌ، قال: وإن قيل كان قياساً.

قال الراغب(6): أبو البشر، قيل: سمي بذلك لكون جسده من أَدِيم الأرض، وقيل: لسمرة في لونه. يقال: رجل آدَمٌ: نحو أسمر، وقيل: سمي بذلك لكونه من عناصر مختلفة وقوى متفرقة، كما قال تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾

---

(1) الصحاح في اللغة.
(2) الأضداد.
(3) تهذيب اللغة.
(4) معاني القرآن.
(5) الكامل.
(6) مفردات الراغب.

[الإنسان: 2]. يقال: جعلت فلاناً أُدْمَةُ أهلي، أي: خلطته بهم (قال ابن فارس: وجعلت فلاناً أدمة أهلي، أي: أُسوتهم)، وقال الفراء: الأُدْمَةُ أيضاً: الوسيلة. وقيل: سمي بذلك لما طيب به من الروح المنفوخ فيه المذكور في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: 29]، وجعل له العقل والفهم والروية التي فضل بها على غيره، كما قال تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70]، وذلك من قولهم: الإِدَامُ، وهو ما يطيب به الطعام (انظر: المجمل 1/ 90)، وفي الحديث: «**لو نظرت إليها فإنه أحرى أن يُؤْدَمَ بينكما**» (الحديث عن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال النبي ﷺ: (**انظر إليها فإنه أحرى أن يُؤْدَمَ بينكما**) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن. أي: يؤلف ويطيب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [البَقَرَة: 34].

قال الفخر الرازي(1): اعلم أن هذا هو النعمة الرابعة من النعم العامة على جميع البشر، وهو أنه - سبحانه وتعالى - جعل أبانا مسجود الملائكة؛ وذلك لأنه - تعالى - ذكر تخصيص آدم بالخلافة أولاً، ثم تخصيصه بالعلم الكثير ثانياً، ثم بلوغه في العلم إلى أن صارت الملائكة عاجزين عن بلوغ درجته في العلم. وذكر الآن كونه مسجوداً للملائكة، وهٰهنا مسائل:

المسألة الأولى: الأمر بالسجود حصل قبل أن يسوِّي الله تعالى خلقة آدم عليه السلام بدليل قوله: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝﴾ [صٓ: 71-72] وظاهر هذه الآية يدل على أنه عليه السلام لما صار حيًّا صار مسجود الملائكة لأن الفاء في قوله: ﴿فَقَعُوا﴾

(1) التفسير الكبير.

للتعقيب وعلى هذا التقدير يكون تعليم الأسماء ومناظرته مع الملائكة في ذلك حصل بعد أن صار مسجود الملائكة.

المسألة الثانية: أجمع المسلمون على أن ذلك السجود ليس سجود عبادة لأن سجود العبادة لغير الله كفر، والأمر لا يرد بالكفر، ثم اختلفوا بعد ذلك على ثلاثة أقوال: الأول: أن ذلك السجود كان لله تعالى وآدم عليه السلام كان كالقبلة؛ ومن الناس من طعن في هذا القول من وجهين: الأول: أنه لا يقال: صليت للقبلة بل يقال: صليت إلى القبلة، فلو كان آدم عليه السلام قبلة لذلك السجود لوجب أن يقال: اسجدوا إلى آدم، فلما لم يرد الأمر هكذا بل قيل: اسجدوا لآدم علمنا أن آدم عليه السلام لم يكن قبلة. الثاني: أن إبليس قال: أرأيتك هذا الذي كرمت عليَّ، أي أن كونه مسجوداً يدل على أنه أعظم حالاً من الساجد ولو كان قبلة لما حصلت هذه الدرجة بدليل أن محمداً عليه الصلاة والسلام كان يصلي إلى الكعبة ولم يلزم أن تكون الكعبة أفضل من محمد ﷺ.

والجواب عن الأول: أنه كما لا يجوز أن يقال صليت إلى القبلة جاز أن يقال صليت للقبلة والدليل عليه القرآن والشعر، أما القرآن فقوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء: 78]. والصلاة لله لا للدلوك. فإذا جاز ذلك فلم لا يجوز أن يقال: صليت للقبلة مع أن الصلاة تكون لله تعالى لا للقبلة. فقوله: صلى لقبلتكم نص على المقصود. والجواب عن الثاني: أن إبليس شكا تكريمه وذلك التكريم لا نسلم أنه حصل بمجرد تلك المسجودية بل لعله حصل بذلك مع أمور أخر فهذا ما في القول الأول.

أما القول الثاني: فهو أن السجدة كانت لآدم عليه السلام تعظيماً له وتحية له كالسلام منهم عليه، وقد كانت الأمم السالفة تفعل ذلك كما يحيّي المسلمون بعضهم بعضاً بالسلام وقال قتادة في قوله: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾ [يوسف: 100]. كانت تحية الناس يومئذٍ سجود بعضهم لبعض. وعن صهيب أن معاذاً لما قدم من اليمن سجد للنبي ﷺ، فقال: **يا معاذ ما هذا**، قال: إن اليهود تسجد لعظمائها وعلمائها ورأيت النصارى تسجد لقسسها وبطارقتها، قلت: ما هذا قالوا تحية

الأنبياء. فقال ﷺ: «**كذبوا على أنبيائهم**». وعن الثوري عن سماك بن هاني قال: دخل الجاثليق على علي بن أبي طالب فأراد أن يسجد له فقال له عليّ: اسجد لله ولا تسجد لي. وقال عليه الصلاة والسلام: «**لو أمرت أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها**».

القول الثالث: أن السجود في أصل اللغة هو الانقياد والخضوع. منه قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ [الرحمٰن: 6] واعلم أن القول الأول ضعيف لأن المقصود من هذه القصة شرح تعظيم آدم ﷺ، وجعله مجرد القبلة لا يفيد تعظيم حاله، وأما القول الثالث فضعيف أيضاً؛ لأن السجود لا شك أنه في عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الأرض فوجب أن يكون في أصل اللغة كذلك؛ لأن الأصل عدم التغيير، فإن قيل السجود عبادة والعبادة لغير الله لا تجوز. قلنا: لا نسلم أنه عبادة، بيانه أن الفعل قد يصير بالمواضعة مفيداً كالقول، يبين ذلك أن قيام أحدنا للغير يفيد من الإعظام ما يفيده القول وما ذاك إلا للعبادة، وإذا ثبت ذلك لم يمتنع أن يكون في بعض الأوقات سقوط الإنسان على الأرض وإلصاقه الجبين بها مفيداً ضرباً من التعظيم وإن لم يكن ذلك عبادة، وإذا كان كذلك لم يمتنع أن يتعبد الله الملائكة بذلك إظهاراً لرفعته وكرامته.

قال البيضاوي[1]: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾ [البَقَرَة: 34] لما أنبأهم بأسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا أمرهم بالسجود له، اعترافاً بفضله، وأداءً لحقه واعتذاراً عما قالوا فيه، وقيل: أمرهم به قبل أن يسوِّي خَلْقَه لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [صٓ: 72] امتحاناً لهم وإظهاراً لفضله. والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق إن نصبته بمضمر، وإلا عطفه بما يقدر عاملاً فيه على الجملة المتقدمة، بل القصة بأسرها على القصة الأخرى، وهي نعمة رابعة عدها عليهم.

(1) أنوار التنزيل.

والسجود في الأصل تذلل مع تطامن. يعني البعير إذا طأطأ رأسه. وفي الشرع: وضع الجبهة على قصد العبادة، والمأمور به إما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى، وجعل آدم قبلة لسجودهم تفخيماً لشأنه، أو سبباً لوجوبه فكأنه تعالى لما خلقه بحيث يكون نموذجاً للمبدعات كلها بل الموجودات بأسرها، ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة إلى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات، ووصلة إلى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات، أمرهم بالسجود تذللاً لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته، وشكراً لما أنعم عليهم بواسطته.

أو في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء: 78] وأما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيماً له، كسجود إخوة يوسف له، أو التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم. والكلام في أن المأمورين بالسجود، الملائكة كلهم، أو طائفة منهم ما سبق.

● **قال تعالى:** ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ﴾ [البَقَرَة: 31].

قال ابن عطية(1): (آدم) أفعل مشتق من الأُدْمَة وهي حمرة تميل إلى السواد، وجمعه أُدَم وأَوَادِم كحمر وأحامر، ولا ينصرف بوجه، وقيل (آدم) وزنه فاعل مشتق من أَدِيمِ الأرض، كأن الملك آدمها وجمعه آدمون وأوادم، ويلزم قائل المقالة صرفه.

وآدم فعل رباعي سمي به، وروي عن النبي ﷺ قال:

«**خلق الله آدم من أديم الأرض كلها فخرجت ذريته على نحو ذلك منهم الأبيض والأسود والأسمر والسهل والحزن والطيب والخبيث**».

● **قال تعالى:** ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ

(1) المحرر الوجيز.

عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف: 19-20].

قال اليعقوبي(1): وكان لباس آدم وحواء ثياباً من نور. فلما ذاقا من الشجرة بدت لهما سوآتهما. وفي تاريخ دمشق: عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقول: «**أنا أشبه الناس بأبي آدم** عليه السلام «**وكان أبي إبراهيم أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً به خلقه الله** عز وجل بيده وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته واصطفاه. وكرم ذريته وعلمه جميع الأسماء وجعله أول الأنبياء وعلمه ما لم يعلمه الملائكة المقربين وجعل من نسله الأنبياء والمرسلين والأولياء والصديقين».

● **قال تعالى**: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه: 121].

قال البغوي(2): يجوز أن يقال عصى آدم، ولا يجوز أن يقال: آدم عاصٍ؛ لأنه إنما يقال عاصٍ لمن اعتاد فعل المعصية، كالرجل يخيط ثوبه يقال: خاط ثوبه، ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك ويعتاده. حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي، أخبرنا أبو معاذ الشاه بن عبد الرحمٰن المزني، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري ببغداد، أخبرنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي، أخبرنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن طاوس سمعَ أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**احتج آدم وموسى: فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده، أفتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحجَّ آدمُ موسى**» ورواه عبد الرحمٰن الأعرج عن أبي هريرة وزاد: «قال آدم ياموسى بكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً، قال آدم: فهل وجدت فيها: وعصى آدم ربَّه فغوى؟ قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت

(1) تفسير اليعقوبي. (2) معالم التنزيل.

عملاً كتبه الله عليَّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال رسول الله ﷺ: **فحج آدم موسى**».

● **قال تعالى:** ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعرَاف: 31].

قال الفخر الرازي[1]: اعلم أن الله تعالى لما أمر بالقسط في الآية الأولى، وكان من جملة القسط أمر اللباس وأمر المأكول والمشروب، لا جرم أتبعه بذكرهما، وأيضاً لما أمر بإقامة الصلاة في قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعرَاف: 29] وكان ستر العورة شرطاً لصحة الصلاة لا جرم أتبعه بذكر اللباس، وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: قال ابن عباس: إن أهل الجاهلية من قبائل العرب كانوا يطوفون بالبيت عُراةً، الرجال بالنهار والنساء بالليل، وكانوا إذا وصلوا إلى مسجد منى، طرحوا ثيابهم وأتوا المسجد عُراة. وقالوا: لا نطوف في ثياب أصبنا فيها الذنوب، ومنهم من يقول: نفعل ذلك تفاؤلاً حتى نتعرى عن الذنوب كما تعرينا عن الثياب، وكانت المرأة منهم تتخذ ستراً تعلقه على حقويها، لتستتر به عن الحمس، وهم قريش، فإنهم كانوا لا يفعلون ذلك، وكانوا يصلون في ثيابهم، ولا يأكلون من الطعام إلا قوتاً، ولا يأكلون دسماً، فقال المسلمون: يا رسول الله فنحن أحق أن نفعل ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، أي: «البسوا ثيابكم وكلوا اللحم والدسم واشربوا ولا تسرفوا».

المسألة الثانية: المراد من الزينة لبس الثياب، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النُّور: 31] يعني الثياب، وأيضاً فالزينة لا تحصل إلا بالستر التام للعورات، ولذلك صار التزيين بأجود الثياب في الجمع والأعياد سنة، وأيضاً أنه تعالى قال في الآية المتقدمة: ﴿قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ [الأعراف:

(1) التفسير الكبير.

26] فبين أن اللباس الذي يواري السوأة من قبيل الرياش والزينة، ثم إنه تعالى أمر بأخذ الزينة في هذه الآية، فوجب أن يكون المراد من هذه الزينة هو الذي تقدم ذكره في تلك الآية فوجب حمل هذه الزينة على ستر العورة، وأيضاً فقد أجمع المفسرون على أن المراد بالزينة هٰهنا لبس الثوب الذي يستر العورة، وأيضاً فقوله: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾ أمر والأمر للوجوب، فثبت أن أخذ الزينة واجب، وكل ما سوى اللبس فغير واجب، فوجب حمل الزينة على اللبس عملاً بالنص بقدر الإمكان.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمرَان: 33].

قال القشيري[1]: اتفق آدم وذريته في الطينة، وإنما الخصوصية بالاصطفاء الذي هو من قِبَلِه، لا بالنَّسَب ولا بالسبب.

(1) لطائف الإشارات.

أب

(أب - والد)

- **الأَبُ:** سبب ظهور الولد وإصلاحه وتغذيته وتربيته.
﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يُوسُف: 94].
- **الوَالِدُ:** سبب وجود الولد بالولادة فقط.
﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾ [لقمَان: 33].

* * *

شرح المعاني:

كلمة أب ووالد ومثلها كلمة أم ووالدة تدخل في نفس المعنى.

أبّ: كلمة أبّ في القرآن الكريم لها معناها الخاصّ بها والذي يؤدي المعنى المطلوب في الآيات القرآنية. وكلمة أبّ تدلّ على الأبوة بحكم تربية الأب لأولاده. والأبوّة هي باعتبار قدرة الإنسان على تربية أولاده ومسؤوليته عنهم ورعايته لهم. وكذلك الأم تُسمّى أماً باعتبار رعايتها لأولادها وتربيتها لهم وقيامها بواجباتها نحوهم. ولذا جاء في الحديث: **(الجنّة تحت أقدام الأمهات)** ولم يقل الوالدات. والأبوّة فيها اختلاف ولا يتساوى اثنين في أبوّتهم لأبنائهم فهناك الأب الحنون والأب الظالم والأب المتسامح والأب المفرّط والأب الفوضوي وغيرهم، إذن فالأبوة غير منضبطة وهي أمر خاص بكل إنسان. ويسمى كل من كان سبباً في إيجاد شيء أو صلاحه أو ظهوره أباً ولذلك سمّي النبي ﷺ أبا المؤمنين ولهذا قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾

[الأحزاب: 6] ويُقال: أبو الأضياف لتفقده لحالهم. ويُسمى العم مع الأب أبوين ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [البقرة: 133] وإسماعيل لم يكن من آبائهم وإنما كان عمّهم، وكذلك الأم مع الأب ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ [النساء: 11] والمقصود الأب والأم، وكذلك الجدّ مع الأب ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: 38]. وكذلك تطلق كلمة أبّ على معلّم الإنسان كما في قوله تعالى: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: 22] أي علماءنا الذين ربّونا بالعلم ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: 67]. وفي قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: 40] إنما هو نفي الولادة وتنبيه أن التبني لا يجري مجرى البنوة الحقيقية.

يقال في اللغة: أَبَوْتُ القوم: إذا كنت لهم أباً.

وكما يقال للأب يقال للأم، ولهذا قيل لحواء أمنا وإن كان بيننا وبينها أزمان وأجيال عديدة. واستعملت كلمة الأم في القرآن للوح المحفوظ ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الزخرف: 4] ولمكة المكرمة ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ﴾ [الأنعام: 92] وتُسمّى الفاتحة أم الكتاب. ومن لفظ الأم جاءت الأمّيّ أي: كما ولدته أمه لا يقرأ ولا يكتب.

والد: كلمة والد في القرآن الكريم تعني كل من هو قادر على الإنجاب. وهي إذن باعتبار قدرة الله تعالى في الإنسان بأنه سبحانه خلق في الإنسان القدرة على الإنجاب ولا يفعل ذلك إلا ربّ. وأي رجل قادر على الإنجاب يُسمّى والداً وأي امرأة قادرة على الإنجاب تُسمّى والدة. إذن الوالدية منضبطة وفيها يتساوى كل القادرين على الإنجاب والكل ينجب بنفس الطريقة والكل متساوون من حيث كونهم والدين. وليس كل والد أباً وليس كل والدة أماً. ومن هذا المعنى لكلمة الأب والأم والوالد والوالدة نفهم الآن الحكم الشرعي في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ

رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: 23-24]، لأن البرَّ يجب أن يكون للوالدين الذين أنجبا مهما حسنت تربيتهما لأولادهما أو ساءت، ولو قال تعالى: (بالأبوين إحساناً) لما استحق كل الآباء والأمهات البِرَّ. إذن الحكم الشرعي هو البِرُّ بالوالدين حتى لو لم يُحسنوا تربية الأولاد وحتى لو جاهدا أولادهم على الشرك والمعصية. وفي قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: 14] أنه عنى سبحانه الوالد الذي ولده، وفي القرآن آيات كثيرة وردت فيها كلمة والد وجاء الحثّ على رعاية الوالدين بعد الإيمان بالله والتوحيد لأنهما كانا سبباً في إيجاد الأولاد ولهم عليهم حق الطاعة وإن كانوا كافرين أو جاهدوا أبناءهم على الكفر بالله. وفي قصة مريم عليها السلام وعيسى عليه السلام قال تعالى في سورة مريم على لسان عيسى ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾ [مريم: 32] وجاء في آية أخرى ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: 75] في وصف مريم عليها السلام لأنها أحسنت تربية عيسى عليه السلام وكانت رائعة ومتفانية في تربيته فجاء بكلمة (أُمّ) للدلالة على ذلك. وفي قوله تعالى في سورة البلد: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾﴾ أقسم سبحانه بمطلق قدرته على جعل هذا المخلوق والداً يلد الأولاد وهذا يشمل كل من هو قادر على الإنجاب وهو لفظ أعمّ من الأبوة.

والوالدية مُطلقة وعليه يجب البر بالوالدين ولو كانوا مشركين، أما الأبوة فهي خاصة وكل أب وأم تختلف تربيتهما لأولادهما عن غيرهم.

ومما سبق نلاحظ أنه بدون التفريق بين الكلمات وأخواتها في القرآن الكريم لا يمكننا الوصول إلى حقيقة الحكم الشرعي.

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الهمزة والباء والواو تدلّ على التربية والغَذْو. أبَوْتُ الشيء آبُوه أبْواً: إذا غذوته. وبذلك سمّي الأب أباً.

قال الخليل[2]: أَبَوْتُ الرجل آبُوه: إذا كنت له أباً.

والأب: أبي، وتصغير الآباء على وجهين: فأجودهما: أبيون، والآخر أُبَيَاءُ.

والأُبُوّة: الفعل من الأب.

قال ابن الأعرابي: فلانٌ يَأْبُوك، أي: يكون لك أباً.

الجوهري[3]: الأبُ أصله: أبَوٌ بالتحريك، لأن جمعه: آباء.

العكبري[4]: أبَوْتُ الصبيّ أَبُوهُ: إذا صرت له أباً، وما له أب يأبوه أي: يغذوه، والأبوان: الأب والأم.

قال الراغب[5]: الأب: الوالد، ويسمى كل من كان سبباً في إيجاد شيء أو صلاحه أو ظهوره أباً، ولذلك يسمى النبي ﷺ أبا المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: 6] وفي بعض القراءات: (وهو أب لهم) (وبها قرأ ابن عباس، وأُبيّ بن كعب وهي في مصحفه، وهي قراءة شاذة منسوخة). وروى أنه ﷺ قال لعلي: **(أنا وأنت أَبَوَا هذه الأمة)** (الحديث لم أجده، ولعله من وضع الشيعة، والله أعلم. وقد نقله عنه الفيروز آبادي في البصائر، والسمين في عمدة الحفاظ مادة (أبي)، ولم يعلقا عليه).

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) المشوف المعلم.
(5) مفردات الراغب.

وإلى هذا أشار بقوله: «**وكل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي**» (الحديث أخرجه الطبراني). وسببه أن عمر بن الخطاب خطب إلى علي بن أبي طالب ابنته أم كلثوم، فاعتل عليه بصغرها، فقال: إني لم أرد الباه ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكره.

وقيل: أبو الأضياف لتفقده إياهم، وأبو الحرب لمهيجها، وأبو عذرتها لمفتضها.

ويسمى العم مع الأب أبوين، وكذلك الأم مع الأب، وكذلك الجد مع الأب، قال تعالى في قصة يعقوب: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [البقرة: **133**]، وإسماعيل لم يكن من آبائهم وإنما كان عمهم.

وسمي معلم الإنسان أباً لما تقدم ذكره.

وقد حمل قوله تعالى: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: **22**] على ذلك. أي: علماءنا الذين ربونا بالعلم بدلالة قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: **67**].

وقيل في قوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: **14**]: إنه عنى الأب الذي ولده، والمعلم الذي علمه.

وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: **40**]، إنما هو نفي الولادة، وتنبيه أن التبني لا يجري مجرى البنوة الحقيقية.

وجمع الأب آباء وأبوة نحو: بعولة وخؤولة.

وأصل (أب) فعل (قال شيخنا العلامة أحمد الحسيني الشنقيطي في هذا المعنى:

في أب اختلافهم هل فعل — أو هو بالسكون خلف نقلوا
فكوفة عندهم مسكن — وبصرة لعكس ذاك ركنوا)

وقد أجري مجرى قفا وعصا في قول الشاعر:

إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

ويقال: أَبَوْتُ القوم: كنت لهم أباً، أَأْبُوهُمْ، وفلان يَأَبُو بهمه أي: يتفقدها تفقد الأب.

وقولهم: بَأْبَأَ الصبي، فهو حكاية صوت الصبي إذا قال: بابا.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يُوسُف: 4].

قال البغوي[1]: (يَاأَبَتِ)، قرأ أبو جعفر وابن عامر (يا أبتَ) بفتح التاء في جميع القرآن على تقدير: يا أبتاه. وقرأ الآخرون: (يا أبتِ) بكسر التاء لأن أصله: يا أبتْ، والجزم يحرك إلى الكسر.

قال القرطبي[2]: بكسر التاء قراءة أبي عمرو وعاصم ونافع وحمزة والكسائي، وهي عند البصريين علامة التأنيث أدخلت على الأب في النداء خاصة بدلاً من ياء الإضافة، وقد تدخل علامة التأنيث على المذكر فيقال: رجل نُكَحَة وهُزأة؛ قال النحاس: إذا قلت «يَا أَبَتِ» بكسر التاء فالتاء عند سيبويه بدل من ياء الإضافة؛ ولا يجوز على قوله الوقف إلا بالهاء، وله على قوله دلائل: منها - أن قولك: «يا أبه» يؤدّي عن معنى «يا أبي»؛ وأنه لا يقال: «يا أبت» إلا في المعرفة؛ ولا يقال: جاءني أبت، ولا تستعمل العرب هذا إلا في النداء خاصة، ولا يقال: «يا أبتي» لأن التاء بدل من الياء فلا يُجمع بينهما. وزعم الفراء أنه إذا قال: «يَا

(1) معالم التنزيل.
(2) الجامع لأحكام القرآن.

أَبتِ» فكسر دلّ على الياء لا غير؛ لأن الياء في النية. وزعم أبو إسحاق أن هذا خطأ، والحق ما قال؛ كيف تكون الياء في النية وليس يقال: «يا أبتي»؟.

قال البيضاويّ(1): (يَا أَبَتِ) أصله يا أبي فعوّض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وكسرها لأنها عوض حرف يناسبها، وفتحها ابن عامر في كل القرآن لأنها حركة أصلها أو لأنه كان يا أبتا فحذف الألف وبقي الفتحة، وإنما جاز «يا أبتا» ولم يجز يا أبتي لأنه جمع بين العوض والمعوض. وقرىء بالضم إجراء لها مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض، وإنما لم تسكن كأصلها لأنها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب.

● **قال تعالى**: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحجّ: 78].

قال الألوسي(2): وجعله عليه السلام أباهم لأنه أبو رسول الله ﷺ، وهو كالأب لأمته. من حيث إنه سبب لحياتهم الأبدية، ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة. أو لأن أكثر العرب كانوا من ذريته عليه السلام فغلبوا على جميع أهل ملته ﷺ.

قال الفخر الرازي(3): ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ ولم يدخل في الخطاب المؤمنون الذين كانوا في زمن الرسول ﷺ ولم يكن من ولده؟ والجواب: من وجهين: أحدهما: لما كان أكثرهم من ولده كالرسول ورهطه وجميع العرب جاز ذلك وثانيهما: وهو قول الحسن أن الله تعالى جعل حرمة إبراهيم عليه السلام على المسلمين كحرمة الوالد على ولده، ومنه قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: 6] فجعل حرمته كحرمة الوالد على الولد، وحرمة نسائه كحرمة الوالدة، على ما قال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: 6].

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) روح المعاني.
(3) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ [النِّساء: 11].

قال النيسابوري[1]: والمراد بالأبوين الأب والأم. فغلب جانب الأب لشرفه، ومثله من التغليب في التثنية «القمران» و«العمران» و«الخافقان». / والضمير في (أبويه) يعود إلى الميت المعلوم من سياق الكلام في الميراث و(لكل واحد منهما) بدل من (لأبويه) بتكرير العامل. وفائدة هذا البدل أنه لو قيل: ولأبويه السدس لأوهم اشتراكهما فيه. ولو قيل: ولأبويه السدسان لأوهم قسمة السدسين عليهما بالتساوي أو بالتفاوت.

● قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ [يُوسُف: 99].

قال الطبري[2]: أبوه وخالته. وقال الذين قالوا هذا القول: كانت أمّ يوسف قد ماتت قبلُ. وإنما كانت عند يعقوب يومئذٍ خالته أخت أمه، كان نكحها بعد أمه.

وأولى القولين في ذلك بالصواب ما قاله ابن إسحاق لأن ذلك هو الأغلب في استعمال الناس والمتعارف بينهم في «أبوين»، إلا أن يصحّ ما يقال من أن أم يوسف كانت قد ماتت قبل ذلك بحجة يجب التسليم لها، فيسلَّم حينئذٍ لهم.

قال الزمخشري[3]: وقيل: هما أبوه وخالته. ماتت أمّه فتزوّجها وجعلها أحد الأبوين؛ لأنّ الخالة تدعى أمّاً، لقيامها مقام الأمّ، أو لأنّ الخالة أمّ كما أنّ العم أب. ومنه قوله: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: 133].

قال الفخر الرازي[4]: في المراد بقوله (أبويه) قولان: الأول: المراد أبوه وأمه، وعلى هذا القول قيل إن أمه كانت باقية حية إلى ذلك الوقت، وقيل إنها كانت قد ماتت، إلا أن الله تعالى أحياها وأنشرها من قبرها حتى سجدت له تحقيقاً لرؤية يوسف عليه السلام.

---

(1) غرائب القرآن.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.
(4) التفسير الكبير.

والقول الثاني: أن المراد أبوه وخالته، لأن أمه ماتت في النفاس بأخيه بنيامين، وقيل: بنيامين بالعبرانية ابن الوجع، ولما ماتت أمه تزوج أبوه بخالته فسماها الله تعالى بأحد الأبوين، لأن الرابة تدعى: إما لقيامها مقام الأم أو لأن الخالة أم كما أن العم أب.

● **قال تعالى**: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133].

قال الطبري(1): وقرأ بعض المتقدمين: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ ظنّاً منه أن إسماعيل إذ كان عمًّا ليعقوب، فلا يجوز أن يكون فيمن تُرْجم به عن الآباء وداخلاً في عدادهم. وذلك من قارئه كذلك قلة علم منه بمجاري كلام العرب. والعرب لا تمتنع من أن تجعل الأعمام بمعنى الآباء، والأخوال بمعنى الأمهات، فلذلك دخل إسماعيل فيمن ترجم به عن الآباء. وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ترجمة عن الآباء في موضع جرّ، ولكنهم نصبوا بأنهم لا يجرّون. والصواب من القراءة عندنا في ذلك: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ لإجماع القرّاء على تصويب ذلك وشذوذ من خالفه من القراء ممن قرأ خلاف ذلك، ونصب قوله إلٰهاً على الحال من قوله إلٰهك.

قال الزمخشري(2): ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ عطف بيان لآبائك. وجعل إسماعيل وهو عمه من جملة آبائه، لأنّ العمّ أب والخالة أمّ، لانخراطهما في سلك واحد وهو الأخوة لا تفاوت بينهما. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «**عمّ الرجل صنو أبيه**» أي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة. وقال عليه الصلاة والسلام في العباس: «**هذا بقية آبائي**» وقال: «**ردّوا عليّ أبي، فإني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود**» وقرأ أبيّ: و«إلٰه إبراهيم»،

---

(1) جامع القرآن. (2) الكشاف.

بطرح آبائك. وقرىء: «أبيك». وفيه وجهان: أن يكون واحداً وإبراهيم وحده عطف بيان له، وأن يكون جمعاً بالواو والنون.

قال أبو السعود[1]: حسبما كان مرادُ أبيهم بالسؤال أي: نعبدُ الإلٰهَ المتفَّقَ على وجوده وإلٰهيتِه ووجوبِ عبادته، وعَدُّ إسماعيلَ من آبائه تغليباً للأب والجد لقوله عليه الصلاة والسلام: «**عمُّ الرجل صِنْوُ أبيه**» وقولِه ﷺ في العباس: «**هذا بقيةُ آبائي**».

قال القرطبي[2]: وسمّى الله كلّ واحد من العمّ والجَدّ أباً، وبدأ بذكر الجَدّ ثم إسماعيل العَمّ لأنه أكبر من إسحاق.

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) الجامع لأحكام القرآن.

أبَّ

(أبَّ - أثل - خمط - سدر)

- **الأبُّ:** ما يكون معدًّا للجزّ مما ترعاه السوائم ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عَبَسَ: 31].
- **الخَمْطُ:** شجر لا شوك فيه يأكله الحيوان ﴿ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ [سبإ: 16].
- **الأثْلُ:** شجر ثابت الأصل ليس له طعم ﴿وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سَبَإ: 16].
- **السِّدْرُ:** شجر قليل الفائدة ثمره كالزيتون لونه أحمر ﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سَبَإ: 16].
- **ضَرِيعٌ:** شجر منتن الرائحة ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغَاشِيَة: 6].

* * *

شرح المعاني:

أبّ: تقال كلمة الأبُّ لفاكهة الحيوان. ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عَبَسَ: 31]. والأبُّ: هو المرعى المتهيء للرّعي والجزّ، ويقال: أبَّ لكذا بمعنى: تهيَّأَ له. وكذلك القول: أبَّ لسيفه: إذا تهيَّأَ لسلّه. ولم ترد هذه الكلمة في القرآن الكريم كله إلا في هذه الآية.

فاكهة: تطلق على فاكهة الإنسان. ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [المرسلات: 42]. وفي القرآن الكريم آيتين تدلان على الفرق بين معنى الكلمتين بوضوح شديد: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٢﴾ [عبس: 31-32]. فالفاكهة جاءت دلالتها في كلمة لكم، والأبُّ جاءت دلالتها في كلمة لأنعامكم. وهذا الأسلوب في القرآن الكريم

هو ما يُعرف في اللغة بأسلوب الطيّ والنشر. ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: 57]، ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ [الرحمن: 11]، ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور: 22]، ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: 19]، ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: 73]، والفرق بين هاتين الآيتين الأخيرتين حرف الواو في (ومنها) في آية المؤمنون لأن الكلام في السورة عن الحياة الدنيا ورزقها والإنسان يأكل من الفاكهة وقد يصنع منها شراباً أو حلويات أو غيرها، أما في آية سورة الزخرف فالكلام عن الجنة وما فيها من فاكهة وفاكهة الجنة تؤكل فقط.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: اعلم أن للهمزة والباء في المضاعف أصلين: أحدهما المرعَى، والآخر القَصْدَ والتهيُّؤ.

والأبّ: القصدُ، يقال أَبَبْتُ أَبَّه، وَأَمَمْتُ أَمَّهُ، وحَمَمْتُ حمَّهُ، وحرَدْتُ حردهُ، وصمَدتُ صَمْده.

وقال الخليل[2] وحدَه: أبَّ هذا الشيءُ: إذا تهيّأ واستقامت طريقته إبابةً.

الأبُّ: الكَلأَ، أو المَرْعَى، أو ما أَنْبَتَتِ الأرضُ، والخَضِرُ.

قال الجوهري[3]: الأبُّ: المرعى.

قال أبو إسحاق الزجَّاج: الأبُّ: جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية[4].

وقال ابن دُريد[5]: الأبُّ: مصدر أبَّ فلانٌ إلى سيفه: إذا ردَّ يدَه إليه ليستلّه.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) إعراب القرآن.
(5) الأضداد.

الأبُّ في قول ابن دريد: النزوع إلى الوطن، والأبُّ في روايتهما: التهيّؤ للمسير.

قال الراغب[1]: الأبُّ: المرعى المتهيئ للرعي والجز.

من قولهم: أبَّ لكذا أي: تهيَّأَ، أبًّا وإبابةً وإباباً، وأبَّ إلى وطنه: إذا نزع إلى وطنه نزوعاً تهيأ لقصده، وكذا أبَّ لسيفه: إذا تهيَّأَ لسلِّه.

وأبّان ذلك: فعلان منه، وهو الزمان المهيأ لفعله ومجيئه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عَبَسَ: 31].

قال الفخر الرازي[2]: (وأبًّا): والأبُّ هو المرعى، لأنه يُؤَبُّ أي: يُؤَمّ وينتجع، والأبّ والأمّ أخوان.

وقيل الأبّ: الفاكهة اليابسة لأنها تُؤَبُّ للشتاء أي: تُعَدّ.

قال البغوي[3]: ﴿وَفَٰكِهَةً﴾، يريد ألوان الفواكه، ﴿وَأَبًّا﴾، يعني الكلأ والمرعى الذي لم يزرعه الناس، مما يأكله الأنعام والدواب.

قال عكرمة: «الفاكهة» ما يأكله الناس، و«الأَبُّ» ما يأكله الدواب. ومثله عن قتادة قال: الفاكهة لكم والأَبُّ لأنعامكم.

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس والأنعام.

وروي عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر سئل عن قوله: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال: أيّ سماء تظلني وأيّ أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

(1) مفردات الراغب.
(2) التفسير الكبير.
(3) معالم التنزيل.

وروى ابن شهاب عن أنس أنه سمع عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية ثم قال: كل هذا قد عرفنا فما الأبُّ؟ ثم رفع عصاً كانت بيده وقال: هذا والله لَعَمْرُ الله التكلف، وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأبُّ، ثم قال: اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب، وما لا تبين فدعوه.

قال الألوسي(1): ﴿وَأَبًّا﴾ عن ابن عباس وجماعة أنه الكلأ والمرعى، من أبَّه إذا أمَّه وقصده لأنه يؤم ويقصد، أو من أبَّ لكذا: إذا تهيَّأ له متهيء للرعي، ويطلق على نفس مكان الكلأ.

وأخرج عبد بن حميد عن الضحاك أنه التبن خاصة، وقيل: هو يابس الفاكهة لأنها تُؤَبُّ وتُهَيَّأ للشتاء للتفكّه بها. وأخرج أبو عبيد في «فضائله» وعبد بن حميد عن إبراهيم التيمي قال: سئل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن الأبّ ما هو فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله تعالى ما لا أعلم. وأخرج ابن سعد وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وغيرهم عن أنس أن عمر رضي الله تعالى عنه قرأ على المنبر: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا﴾ [عبس: 27-28] إلى قوله: ﴿وَأَبّٗا﴾ فقال: كل هذا قد عرفناه فما الأبّ ثم رفع عصا كانت في يده فقال: هذا لعمر الله هو التكلف فما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأبّ، ابتغوا ما بين لكم من هذا الكتاب فاعملوا به وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه. وفي «صحيح البخاري» من رواية أنس أيضاً أنه قرأ ذلك وقال: فما الأبّ؟ ثم قال: ما كلفنا أو ما أمرنا بهذا.

(1) روح المعاني.

أبد

(أبد - أمد - حقبة - سرمد - فترة - طول)

- **الأَبَدْ:** الزمن الممتد المتروك الذي لا آخر له: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: 84].
- **الأَمَدْ:** الزمن الممتد وله آخر ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: 30].
- **الحِقبة / بالكسر:** مدة جيل من الناس ثمانون سنة ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: 23].
- **السَّرْمَدْ:** دوام الزمن واتصاله من ليل أو نهار ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ [القصص: 71].
- **الفترة:** السكون الطويل بين نشاطين ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: 19].
- **الطَّوْل:** امتداد الشيء ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ [النِّساء: 25].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الهمزة والباء والدال يدلّ بناؤها على طول المدّة، وعلى التوحّش.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قالوا: الأَبدُ: الدهر، وجمعه آباد. والعرب تقول: أَبَدٌ أَبِيدٌ، كما يقولون: دهرٌ دَهير.

قال الخليل[1]: أتانٌ أَبَدُ: في كل عام تلد. وقيل الأَبَدُ: الوحشية، ويقال: أبل أبدٌ.

وآبادُ الدهر: طول الدهر.

وقال ابنُ الأعرابي: الإبِد: ذات النتاج من المال، كالأَمَة والفرس والأتان، لأنهن يَضْنأن في كلّ عامٍ، أي: يلدْن ويقال: تأبّد وجهُه كَلِفَ.

قال الجوهري[2]: الأبَد: الدهر؛ والجمع: آبادٌ وأبودٌ. يقال: أَبَدٌ أبيدٌ، كما يقال: دهرٌ داهرٌ. ولا أفعله أبَدَ الأبيدِ، وأَبَدَ الآبِدينَ كما يقال: دهر الداهرين، وعَوضَ العائضين. والأَبَدُ أيضاً: الدائم. والتأبيدُ: التخليد.

وأَبَدَ بالمكان يَأْبدُ بالكسر أبوداً، أي: أقام به. وأبَدَتِ البهيمة تَأْبُدُ وتَأْبِدُ، أي: وحَّشَتْ. والأَوابِدُ: الوحوشُ. والتَّأبيدُ: الوحّشُ.

ابن دريد[3]: الأَبَدُ: الدّهر، وتجمع: آباداً وأُبُوداً، وقالوا: لا أفعل ذلك أَبَدَ الأبيد.

قال الراغب[4]: قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: 122]. الأبد: عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان، وذلك أنه يقال: زمان كذا، ولا يقال: أبد كذا.

وكان حقه ألا يثنى ولا يجمع إذ لا يتصور حصول أبد آخر يضم إليه فيثنى به، لكن قيل: آباد، وذلك على حسب تخصيصه في بعض ما يتناوله، كتخصيص اسم الجنس في بعضه، ثم يثنى ويجمع، على أنه ذكر بعض الناس أن آباداً مولد وليس من كلام العرب العرباء.

---

(1) العين.
(2) المعجم في فقه اللغة.
(3) الجمهرة.
(4) مفردات الراغب.

وقيل: أَبَدٌ آبد، وأَبِيد أي: دائم، يقال: لا أفعل ذلك أَبَدَ الأَبيد، وأَبَدَ الآباد، وأَبَدَ الدَّهْر، وأَبيد الأبيد، وأَبَدِ الأبدية. وذلك على التأكيد.

وَتَأَبَّدَ الشيء: بقي أبداً، ويعبر به عما يبقى مدة طويلة.

والآبِدَة: البقرة الوحشية، والأوابد: الوحشيات، وتَأَبَّد البعير: توحَّش، فصار كالأوابد، وتأبّد وجه فلان: توحّش، وأبد كذلك، وقد فسر بغضب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البَقَرَة: 95].

قال أبو حيان[1]: وظاهره أن من ادّعى أن الجنة خالصة له دون الناس ممن اندرج تحت الخطاب في قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ [البقرة: 94]، لا يمكن أن يتمنى الموت أبداً، ولذلك كان حرف النفي هنا (لن) الذي قد ادّعى فيه أنه يقتضي النفي على التأبيد، فيكون قوله: أبداً، على زعم من ادعى ذلك للتوكيد. وأما من ادعى أنه بمعنى لا، فيكون أبداً إذ ذاك مفيداً لاستغراق الأزمان. ويعني بالأبد هنا: ما يستقبل من زمان أعمارهم.

قال القرطبي[2]: ظرف زمان يقع على القليل والكثير؛ كالحين والوقت، وهو هنا من أوّل العمر إلى الموت.

● **قال تعالى**: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا﴾ [المَائدة: 24].

قال الزمخشري[3]: و﴿أَبَدًا﴾ تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول. و﴿مَّا دَامُوا فِيهَا﴾ [المَائدة: 24] بيان للأبد.

---

(1) البحر المحيط.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) الكشاف.

قال أبو حيان[1]: وقيدوا أولاً نفي الدخول بالظرف المختص بالاستقبال وحقيقته التأبيد، وقد يطلق على الزمان المتطاول فكأنهم نفوا الدخول طول الأبد، ثم رجعوا إلى تعليق ذلك بديمومة الجبارين فيها، فأبدلوا زماناً مقيداً من زمان هو ظاهر في العموم في الزمان المستقبل، فهو بدل بعض من كل.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التّوبَة: **84**].

قال الفخر الرازي[2]: يحتمل تأبيد النفي ويحتمل تأبيد المنفي، والمقصود هو الأول، لأن قرائن هذه الآيات دالة على أن المقصود منعه من أن يصلي على أحد منهم منعاً كلياً دائماً.

قال تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ﴾ [التّوبَة: **108**].

قال القرطبي[3]: ﴿أَبَدًا﴾ ظرف زمان. وظرف الزمان على قسمين: ظرف مقدّر كاليوم، وظرف مُبْهم كالحين والوقت؛ والأبد من هذا القسم، وكذلك الدهر.

وتنشأ هنا مسألة أُصولية، وهي أن «أبداً» وإن كانت ظرفاً مبهماً لا عموم فيه ولكنه إذا اتصل بلا النافية أفاد العموم، فلو قال: لا تقم، لكفى في الانكفاف المطلق. فإذا قال: «أبداً» فكأنه قال: في وقت من الأوقات ولا في حين من الأحيان. فأما النكرة في الإثبات إذا كانت خبراً عن واقع لم تعمّ، وقد فَهِم ذلك أهل اللسان وقضى به فقهاء الإسلام فقالوا: لو قال رجل لامرأته أنت طالق أبداً طَلُقت طلقة واحدة.

قال الماوردي[4]: أي لا تصلِّ فيه أبداً، يعني مسجد الشقاق والنفاق، فعند ذلك أنفذ رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم وعاصم بن عدي فقال: «**انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه**».

---

(1) البحر المحيط.
(2) التفسير الكبير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) النكت والعيون.

● **قال تعالى:** ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: 57].

قال الزمخشري(1): مدّة التكليف كلّها.

أبو حيان(2): تقييده بالأبدية مبالغة في انتفاء هدايتهم.

قال البيضاوي(3): تحقيقاً ولا تقليداً لأنهم لا يفقهون ولا يسمعون، وإذاً كما عرفت جزاء وجواب للرسول ﷺ على تقدير قوله ما لي لا أدعوهم، فإن حرصه ﷺ على إسلامهم يدل عليه.

(1) الكشاف.
(2) البحر المحيط.
(3) أنوار التنزيل.

إبـريق

(إبريق - كأس - كوب)

- **الإبْرِيقُ:** تسكب منه الخمر في الكؤوس وله عروة وخرطوم ﴿وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: 18].
- **الكَأْسُ:** كوز زجاجي بلا عروة تفرغ فيه الخمرة من الإبريق ﴿كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسان: 17].
- **الكُوبُ:** كوز نحاسي بعروة ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ [الواقعة: 18].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: يقال للسّيف ولكل ما لهُ بَرِيقٌ: إِبْرِيقٌ، حتى إنهم يقولون للمرأة الحسناء البَرّاقة: إِبْرِيقٌ.

قال الخليل[2]: الأَبَارِيقُ: جمع إِبْرِيقُ.

قال ابن دريد[3]: سيفٌ إِبْرِيقٌ: كثير الماء، وجارية إِبرِيقٌ: بَرّاقة الجسم، والإِبْرِيقُ المعروف: فارسي معرب.

قال الزمخشري[4]: الأَبَارِيقُ: ذوات الخراطيم.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الجمهرة.
(4) أساس البلاغة.

قال الراغب[1]: الإِبرِيقُ معروف وتصور من البَرْقِ ما يظهر من تجويفه فقيل: برق فلان ورعد وأَبْرقَ وأرعد: إذا تهدد.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقِعَة: 18].

قال الفخر الرازي[2]: أواني الخمر تكون في المجالس، وفي الكوب وجهان أحدهما: أنه من جنس الأقداح وهو قدح كبير وثانيهما: من جنس الكيزان ولا عروة له ولا خرطوم والإبريق له عروة وخرطوم، وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: ما الفرق بين الأكواب والأباريق والكأس حيث ذكر الأكواب والأباريق بلفظ الجميع والكأس بلفظ الواحد ولم يقل: وكئوس؟ نقول: هو على عادة العرب في الشرب يكون عندهم أوان كثيرة فيها الخمر معدة موضوعة عندهم، وأما الكأس فهو القدح الذي يشرب به الخمر إذا كان فيه الخمر ولا يشرب واحد في زمان واحد إلا من كأس واحد، وأما أواني الخمر المملوءة منها في زمان واحد فتوجد كثيراً، فإن قيل: الطواف بالكأس على عادة أهل الدنيا وأما الطواف بالأكواب والأباريق فغير معتاد فما الفائدة فيه؟ نقول: عدم الطواف بها في الدنيا لدفع المشقة عن الطائف لثقلها وإلا فهي محتاج إليها بدليل أنه عند الفراغ يرجع إلى الموضع الذي هو فيه، وأما في الآخرة فالآنية تدور بنفسها والوليد معها إكراماً لا للحمل، وفيه وجه آخر من حيث اللغة وهو أن الكأس إناء فيه شراب فيدخل في مفهومه المشروب، والإبريق آنية لا يشترط في إطلاق اسم الإبريق عليها أن يكون فيها شراب، وإذا ثبت هذا فنقول الإناء المملوء الاعتبار

(1) مفردات الراغب.
(2) التفسير الكبير.

لما فيه لا للإناء، وإذا كان كذلك فاعتبار الكأس بما فيه لكن فيه مشروب من جنس واحد وهو المعتبر، والجنس لا يجمع إلا عند تنوعه فلا يقال للأرغفة من جنس واحد: أخباز، وإنما يقال: أخباز عندما يكون بعضها أسود وبعضها أبيض وكذلك اللحوم يقال عند تنوع الحيوانات التي منها اللحوم ولا يقال للقطعتين من اللحم لحمان، وأما الأشياء المصنفة فتجمع، فالأقداح وإن كانت كبيرة لكنها لما ملئت خمراً من جنس واحد لم يجز أن يقال لها: خمور فلم يقل: كئوس وإلا لكان ذلك ترجيحاً للظروف، لأن الكأس من حيث إنها شراب من جنس واحد لا بجمع واحد فيترك الجمع ترجيحاً لجانب المظروف بخلاف الإبريق فإن المعتبر فيه الإناء فحسب، وعلى هذا يتبين بلاغة القرآن حيث لم يرد فيه لفظ الكئوس إذ كان ما فيها نوع واحد من الخمر، وهذا بحث عزيز في اللغة.

المسألة الثانية: في تأخير الكأس ترتيب حسن، فكذلك في تقديم الأكواب إذا كان الكوب منه يصب الشراب في الإبريق ومن الإبريق الكأس.

قال البغوي(1): ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾، فالأكواب جمع كوب، وهي الأقداح المستديرة الأفواه، لا آذان لها ولا عرى، والأباريق وهي: ذوات الخراطيم، سميت أباريق لبريق لونها من الصفاء.

قال أبو السعود(2): ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ أي: آنيةٌ ذاتُ عُرى وخَراطيمَ.

قال الطنطاوي(3): وأباريق، أي: وبأوانٍ ذات عرى.

قال القاسمي(4): أي: حال الشرب. والكوب إناء لا عروة ولا خرطوم له، والإبريق: إناء له ذلك.

قال القرطبي(5): الأباريق التي لها عُرى وخراطيم واحدها: إبريق؛ سُمِّيَ بذلك لأنه يَبْرُق لونه من صفائه.

---

(1) معالم التنزيل.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) الوسيط في تفسير القرآن.
(4) محاسن التأويل.
(5) الجامع لأحكام القرآن.

أَبق

(أَبق - أدبر - فرَّ - هرب - انهزم - ولّى)

- **أَبَق:** هروب العبد من سيده ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: 140].
- **أَدْبَر:** ذهب بدون أن يلتفت ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر: 33].
- **فَرَّ:** هرب بسرعة قبل اللقاء ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء: 21].
- **هَرَبَ:** بسرعة بعد اللقاء ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [الجن: 12].
- **انْهَزَم:** هرب بعد أن تحطم وانكسر ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [ص: 11] ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: 251].
- **وَلَّى:** ذهب على عجل ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [النمل: 10].

* * *

شرح المعاني:

أَبَقَ: لا تطلق إلا على هروب العبد من سيّده عصياناً. ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: 140].

فرّ: ترك المكان الذي هو فيه خوفاً، ويقال: أفتر فمه عن ابتسامة بمعنى انكشفت الشفة عن الأسنان. ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: 18]، ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: 50]، ﴿فَفَرَرْتُ

مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: 21]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: 34]، ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: 8]، ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 16].

هرب: إذا كان الفرار بسرعة هائلة، وأن يختفي الفارّ عن عدوّه يسمى هرباً. ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ [الجن: 12].

هزم: لا تكون إلا إذا اصطدمت مع العدو فتغلّب عليك فكسرك يقال: هزمك. ويقال: هزيم الرعد لأنه يكسر. والهزيمة هي: الانكسار من العدو بعد لقائه والاصطدام معه. ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251]، ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ [صٓ: 11]، ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: 45].

ولّى وأدبر: يقال ولّاه دبره بمعنى: انهزم ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 10]، ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: 80]، ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: 16]، ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: 18]، ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [المعارج: 17].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الهمزة والباء والقاف يدلُّ على إباق العبد، والتشدُّد في الأمر. أَبَقَ العبد: يأبِق أَبْقاً وأَبَقاً.

الخليل[2]: الأَبَقُ: قشر القنب.

والإباق: ذهاب العبد من غير خوف ولا كدّ عملٍ، والحكم فيه أن يردّ، فإذا كان من كدّ عملٍ أو خوف لم يردّ.

قال الجوهري[3]: أَبَقَ العبدُ يَأْبِقُ ويأْبُقُ إباقاً، أي: هرب. وتَأَبَّقَ: استتر، ويقال: احتبس. والأَبَقُ: القِنَّب.

الأزهري[4]: الإباقُ: هرَبُ العبد من سيده.

قال الراغب[5]: قال الله تعالى: ﴿إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ [الصافات: 140]. يقال: أَبَقَ العبد يَأْبِقُ إِبَاقاً، وأَبَق يَأْبِق: إذا هرب. وعبد آبق وجمعه أُبَّاق، وَتَأَبَّق الرجل: تشبَّه به في الاستتار، وقول الشاعر:

القائد الخيل منكوباً دوابرها قد أحكمت حكمات القد والأبقا

قال الزمخشري[6]: الإِبَاقُ هو أن يغيب العبد من المصر ويهرب.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) تهذيب اللغة.
(5) مفردات الراغب.
(6) أساس البلاغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصَّافات: 140].

قال البيضاويّ(1): هرب، وأصله الهرب من السيد، كن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن إطلاقه عليه. ﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ المملوء.

قال النسفي(2): الإباق: الهرب إلى حيث لا يهتدي إليه الطلب، فسُمِّي هربه من قومه بغير إذن ربه: إباقاً مجازاً.

قال الألوسي(3): هرب، وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه كما هو الأنسب بحال الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حسن إطلاقه عليه، فهو إما استعارة أو مجاز مرسل من استعمال المقيد في المطلق، والأول أبلغ، وقال بعض الكمل: الإباق: الفرار من السيد بحيث لا يهتدي إليه طالب أي بهذا القصد، وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ هرب من قومه بغير إذن ربه سبحانه إلى حيث طلبوه فلم يجدوه، فاستعير الإباق لهربه باعتبار هذا القيد لا باعتبار القيد الأول، وفيه بعد تسليم اعتبار هذا القيد على ما ذكره بعض أهل اللغة أنه لا مانع من اعتبار ذلك القيد فلا اعتبار بنفي اعتباره.

قال الطبري(4): حين فرّ إلى الفلك.

قال الفخر الرازي(5): اختلف المفسرون فقال بعضهم: أبق من الله تعالى. وهذا بعيد لأن هذا لا يقال إلا فيمن يتعمد مخالفة ربه، وذلك لا يجوز على الأنبياء.

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) مدارك التنزيل.
(3) روح المعاني.
(4) جامع البيان.
(5) التفسير الكبير.

وقال: إن ذنبه كان لأن الله تعالى وعده إنزال الإهلاك بقومه الذين كذبوه فظن أنه نازل لا محالة فلأجل هذا الظن لم يصبر على دعائهم، فكان الواجب عليه أن يستمر على الدعاء لجواز أن لا يهلكهم الله بالعذاب وإن أنزله. ثم انكشف ليونس عليه السلام من بعد أنه أخطأ في ذلك الظن، لأجل أن ظهر الإيمان منهم.

ونلاحظ تجمع عدد من الدلالات في هذه المادة هي: الاستخفاء - الهرب - الفرار - التباعد - وكلها تدل على الشدة وقد استعملت للعبيد خاصة حيث أن الحر قد يستخفي خوفاً ولكنه لا سيد له ليعصيه أو ليطيعه.

وفسر الآية كثير من المفسرين بالمعنى اللغوي وقالوا بأن يونس عليه السلام هرب من مولاه وليس له مولى سوى الله تعالى. فخرج إلى السفينة من دون إذنه تعالى، وفيه أيضاً تشبيه لحال يونس النفسية بحال العبد الآبق وما يعتريه من خوف وذعر لا يدري من أين الممر وإلى أين المفر.

قال شهاب الدين السيواسي[1]: إن يونس عليه السلام هرب إلى الفلْك المملوء حين لم ينزل العذاب على قومه، فغضب فجاء إلى البحر وركب مركب، فلما لجوا في البحر وقفت السفية فقال الملاحون هنا عبد آبق (فكان) يونس من المفزوعين المفوهين في الحجة والمدحضين - من الدحض وهو زلة القدم - وما أنقذه منها إلا أنه (كان المسبحين) وفي ذلك إشارة إلى خصائص التسبيح عند الكروب.

إبل

(إبل - جمل - أبابيل - فرادى)

- **إبل:** بُعران كثيرة ولا واحد له من لفظة ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [الأنعام: 144].
- **جمل:** يقال للبعير إذا بزل - أي انشق نابه ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ [الأعراف: 40] - ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفۡرٞ﴾ [المرسلات: 33] جمع جمالة. والجمالة جمع جمل وقرئ «جُمالات» بالضم.

ويقال: فلان حسن الإبالة أي: السياسة والقيام على ماله. لأن مال العرب الإبل يقال: فلان تأبل إبلاً أخذها.

البعران من حيث ما خلق الله فيها من أسرار وميزات وطبائع من حيث شدة الصبر والتحمل، والحقد، والمطاولة ونحو ذلك من صفات وسجايا ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾ [الغاشية: 17] فالجمال مخلوقات حيوانية من حيث مواصفاتها المادية.

- **الأبابيل:** جماعة في تفرقة كل في جهة. يقال جاءت الخيل أبابيل. أي: من هنا وهناك. ﴿وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: 3] فقد تفرقت هذه الطير خلف الجنود الهاربين.
- **فرادى:** ليس معه أحد من أعوانه أو أقاربه ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ [الأنعام: 94].

❊ ❊ ❊

شرح المعاني:

إبل: الإبل يقع على البعران الكثيرة وهو جمع لا واحد له ومفردها ناقة أو جمل وهذه تُجمع على إبل ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: 17]. والإبل تطلق على مجموعة الإبل من حيث تجمّعها ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: 3]، بمعنى متفرقة كقطعات الإبل والواحد منها أبيل.

وفي الإبل إعجاز كبير. والإبل تخدم صاحبها إذا أحسن خدمتها واعتنى بها وإذا أساء لها تتربص به حتى تؤذيه، وركوبها أصعب من ركوب الخيل لأن الراكب يحتاج إلى مهارة ليسقر على ظهر الإبل، وأطلق لفظ ركاب على الإبل في القرآن الكريم: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: 6].

بعير: جمعها بُعْران باعتبار بعرة لأن بعر البعير فيه دلالة عليه ويعطي معلومات عن طعامه وحاله ومن أين جاء وكم مشى وغيرها كما يقال في المثل: (البعرة تدلّ على البعير)، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف: 65] و﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: 72].

ناقة وجمل: هي مفردات لكلمة الإبل. ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: 13]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 40].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الهمزة والباء واللام بناء على أصول ثلاثة: [على] الإبل، وعلى الاجتزاء، وعلى الثِّقل، و[على] الغلبة.

قال الخليل[2]: الإِبْلُ معروفة. وإِبْلٌ مُؤَبَّلَةٌ: جُعلت قطيعاً قطيعاً، وذلك نعتٌ في الإِبْل خِاصّة.

قال ابنُ الأعرابي: رجل آبِلٌ، إذا كان صاحب إِبِل، وأَبِلٌ بوزن فَعِل إذا كان حاذقاً برعيها، وقد أَبِل يأْبَل. وهو من آبَلِ النّاس، أي: أحذقِهم بالإبل، ويقولون: «هو آبَلُ من حُنَيفِ الحَنَاتِم».

قال الجوهري[3]: الإِبْلُ لا واحد لها من لفظها، وهي مؤنَّثة لأنَّ أسماء الجموع التي لا واحدَ لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين، فالتأنيث لها لازمٌ.

والجمع آبَالٌ. وأرضٌ مَأْبَلةٌ: ذاتُ إِبِلٍ. وبالنسبة إلى الإِبِلِ إِبَليٌّ، يفتحون الباء استيحاشاً لتوالي الكسَرات. وإبِلٌ أُبَّلٌ، أي: مُهْمَلَةٌ. فإن كانت للقُنْيَةِ فهي إبِلٌ مُؤَبَّلَةٌ. فإن كانت كثيرة قيل إبِلٌ أَوابِلُ. قال الأخفش: يقال جاءت إبِلُكَ أَبابيلَ، أي: فِرقاً. وطيرٌ أَبابيلُ. قال: وهذا يجيء في معنى التكثير؛ وهو من الَجمْع الذي لا واحد له. وأَبَلتَ الإِبِلُ والوحشُ تأْبِلُ وتَأْبُلُ أُبُولاً، أي: اجتزأتْ بالرُّطْبِ عن الماء.

قال العكبري[4]: رجل آبِلٌ: حاذق برعية الإبل، وهو من آبل الناس، أي: أشدهم تأنقاً في رعاية الإبل.

قال الراغب[5]: الإبل يقع على البعران الكثيرة ولا واحد له من لفظه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) المشوف المعلم.
(5) مفردات الراغب.

وأَبَل الوحشي يَأْبُلُ أُبولاً، وأَبَل أبلاً: اجتزأ عن الماء تشبُّهاً بالإبل في صبرها عن الماء. وكذلك: تَأَبَّل الرجل عن امرأته: إذا ترك مقاربتها. وأَبَلَ الرجل: كثرت إبله، وفلان لا يَأْتَبِلُ أي: لايثبت على الإبل إذا ركبها، ورجل آبِل وأبِل: حسن القيام على إبله، وإِبِل مؤبَّلة: مجموعة.

والإِبَالة: الحزمة من الحطب تشبيهاً به.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفِيل: 3].

قال الفخر الرازي[1]: سؤالات:

السؤال الأول: لم قال: ﴿طَيْرًا﴾ على التنكير؟ والجواب: إما للتحقير فإنه مهما كان أحقر كان صنع الله أعجب وأكبر، أو للتفخيم كأنه يقول: طيراً وأي طير ترمى بحجارة صغيرة فلا تخطىء المقتل.

السؤال الثاني: ما الأبابيل؟ الجواب: أما أهل اللغة قال أبو عبيدة: أبابيل جماعة في تفرقة، يقال: جاءت الخيل أبابيل أبابيل من هٰهنا وهٰهنا، وهل لهذه اللفظة واحد أم لا؟ فيه قولان: الأول: وهو قول الأخفش والفراء: أنه لا واحد لها وهو مثل الشماطيط والعباديد، لا واحد لها والثاني: أنه له واحد، ثم على هذا القول ذكروا ثلاثة أوجه أحدها: زعم أبو جعفر الرؤاسي وكان ثقة مأموناً أنه سمع واحدها إبالة، وفي أمثالهم: ضغث على إبالة، وهي الحزمة الكبيرة سميت الجماعة من الطير في نظامها بالإبالة، وثانيها: قال الكسائي: كنت أسمع النحويين يقولون: إبول وأبابيل كعجول وعجاجيل، وثالثها: قال الفراء: ولو قال قائل: واحد الأبابيل إيبالة كان صواباً كما قال: دينار ودنانير.

---

(1) التفسير الكبير.

السؤال الثالث: ما صفة تلك الطير؟ الجواب: روى ابن سيرين عن ابن عباس قال: كانت طيراً لها خراطيم كخراطيم الفيل وأكف كأكف الكلاب، وروى عطاء عنه قال: طير سود جاءت من قبل البحر فوجاً فوجاً، ولعل السبب أنها أرسلت إلى قوم كان في صورتهم سواد اللون وفي سرهم سواد الكفر والمعصية، وعن سعيد بن جبير أنها بيض صغار ولعل السبب أن ظلمة الكفر انهزمت بها، والبياض ضد السواد، وقيل: كانت خضراً ولها رؤوس مثل رؤوس السباع، وأقول: إنها لما كانت أفواجاً، فلعل كل فوج منها كان على شكل آخر فكل أحد وصف ما رأى، وقيل: كانت بلقاءَ كالخطاطيف.

قال البغوي(1): كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضاً. وقيل: أقاطيع كالإبل المؤبَّلة. قال أبو عبيد: أبابيل جماعات في تفرقة، يقال: جاءت الخيل أبابيل من ها هنا وها هنا.

قال الفراء(2): لا واحد لها من لفظها. وقيل: واحدها إبّالة. وقال الكسائي: إني كنت أسمع النحويين يقولون: واحدها إِبَّوْل، مثل عِجَّوْل وعجاجيل.

وقيل: واحدها من لفظها إِبِّيل.

قال ابن عباس: كانت طيراً لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب. وقال عكرمة: لها رؤوس كرؤوس السباع. قال الربيع: لها أنياب كأنياب السباع.

● **قال تعالى**: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾ [الغَاشِيَة: 17].

قال الطبري(3): أفلا ينظر هؤلاء المنكرون قُدرة الله على هذه الأمور، إلى الإبل كيف خلَقها، وسخَّرها لهم وذَلَّلها، وجعلها تحمل حملها باركة، ثم تنهض به.

---

(1) معالم التنزيل.
(2) معاني القرآن.
(3) جامع البيان.

قال الزمخشري[1]: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾ نظر اعتبار ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ خلقاً عجيباً، دالاً على تقدير مقدر، شاهداً بتدبير مدبر، حيث خلقها للنهوض بالأثقال وجرّها إلى البلاد الشاحطة، فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر، ثم تنهض بما حملت، وسخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمتها: لا تعاز ضعيفاً ولا تمانع صغيراً، وبرأها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار. وعن بعض الحكماء: أنه حدث عن البعير وبديع خلقه، وقد نشأ في بلاد لا إبل بها، ففكر ثم قال: يوشك أن تكون طوال الأعناق، وحين أراد بها أن تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش؛ حتى إن أظماءها لترتفع إلى العشر فصاعداً، وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم. وعن سعيد بن جبير قال: لقيت شريحاً القاضي فقلت: أين تريد؟ قال: أريد الكناسة: قلت: وما تصنع بها؟ قال: أنظر إلى الإبل كيف خلقت. فإن قلت: كيف حسن ذكر الإبل مع السماء والجبال والأرض ولا مناسبة؟ قلت: قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب في أوديتهم وبواديهم؛ فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم، ولم يدع من زعم أن الإبل السحاب إلى قوله: إلا طلب المناسبة، ولعله لم يرد أن الإبل من أسماء السحاب، كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين، وغير ذلك، وإنما رأى السحاب مشبَّهاً بالإبل كثيراً في أشعارهم، فجوز أن يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز.

قال ابن الجوزي[2]: قال العلماء: وإنما خص الإبل من غيرها لأن العرب لم يَرَوْا بهيمة قَطُّ أعظمَ منها، ولم يشاهدوا الفيل إلا الشاذ منهم، ولأنها كانت أَنْفَسَ أموالهم وأكثرها، لا تفارقهم ولا يفارقونها، فيلاحظون فيها العِبَر الدَّالةَ على قدرة الخالق، من إخراج لبنها من بين فَرْثٍ وَدَم [و] من عجيب خَلْقِها، وهي على عِظَمها مُذلَّلة للحمل الثقيل، وتنقاد للصبي الصغير، وليس في ذوات الأربع ما يحمل عليه وقره وهو بارك فيطيق النهوض به سواها، وقرأ ابن عباس، وأبو

---

(1) الكشاف.
(2) زاد المسير.

عمران الجوني، والأصمعي عن أبي عمرو: «الإبْل» بإسكان الباء، وتخفيف اللام. وقرأ أُبَيٌّ بن كعب، وعائشة، وأبو المتوكل، والجحدري، وابن السميفع، ويونس بن حبيب وهارون كلاهما عن أبي عمرو: «الإبِلِّ» بكسر الباء، وتشديد اللام. قال هارون: قال أبو عمرو «الإبِلُّ» بتشديد اللام: السحاب الذي يحمل الماء.

إبليس

(إبليس - شيطان)

- **أَبْلَسَ:** من الإبلاس وهو شدة الحزن ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم: 12].
- **إبْلِيسُ:** من الإبلاس وهو شدة الحزن من شدة البأس ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [المؤمنون: 77].
- ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44].
- ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: 50].
- **شَيْطَانٌ:** من شاط أي: احترق غضباً، فالشيطان مخلوق من نار لذا اختص بقوة الغضب فامتنع عن السجود، وهو من الجن فسق عن أمر ربه.

ويطلق مجازاً على أهل الغضب الباطل ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: 112].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء واللام والسين أصلٌ واحد، وما بَعْدَه فلا معوَّلَ عليه. فالأصلُ اليَأْسُ، يقال أبْلَسَ: إذا يَئِسَ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

أبْلَسَ الرجُلُ: سَكَت، ومنه أبْلَسَتِ النّاقة، وهي مِبْلاَسٌ: إذا لم تَرْغُ مِنْ شِدَّةِ الضَّبَعَة.

قال الخليل(1): سُمِيّ إبليس لأنه أَبْلَس من الخير، أي أويس. وقيل: لعن.

ابن دريد(2): أَبْلَسَ الرجل إِبْلَاساً فهو مُبْلِسٌ: إذا يئس.

قال الجوهري(3): أَبْلَسَ من رحمة الله، أي: يَئِسَ. ومنه سمِّي إبْليسُ، وكان اسمه عَزازِيلُ. والإِبْلاسُ أيضاً: الانكسار والحزن. يقال: أَبْلَسَ فلانٌ، إذا سكتَ غمًّا. وأَبْلَسَتِ الناقة، إذا لم تَرْغُ من شدّة الضَبَعَةِ، فهي مِبْلاسٌ.

وقيل: إن إبليس سُمِيّ بهذا الاسم لأَنه لما أُويِسَ من رحمة الله أَبْلَسَ يأساً.

قال الأزهري(4): قيل: أن إبليس سُمي بهذا الاسم، لأنه لما أويس من رحمه الله أَبْلَسَ إِبْلَاساً.

قال الراغب: الإِبْلَاسُ: الحزن المعترض من شدة البأس، يقال: أَبْلَسَ، ومنه اشتق إِبْليسٌ فيما قيل. قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم: 12]، وقال تعالى: ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44]، وقال تعالى: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الروم: 49].

ولما كان المُبْلِسُ كثيراً ما يلزم السكوت وينسى ما يعنيه قيل: أَبْلَسَ فلان: إذا سكت وإذا انقطعت حجته، وأَبْلَسَتِ الناقة فهي مِبْلَاسٌ: إذا لم ترع من شدة الضبعة. وأما البلاس: للمسح، ففارسي معرب (قال أبو عبيدة: ومما دخل في كلام العرب من كلام فارس: المسح، تسميه العرب البلاس، وهو فارسي معرب).

ومن دعائهم: (أرانيك الله على البلس، وهي غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التين).

---

(1) العين.
(2) الجمهرة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) تهذيب اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: 34].

قال الزمخشري[1]: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ استثناء متصل، لأنه كان جنّيًا واحداً بين أظهر الألوف من الملائكة مغموراً بهم، فغلبوا عليه في قوله: ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم. ويجوز أن يجعل منقطعاً.

قال البيضاويّ[2]: وأن إبليس كان من الملائكة وإلا لم يتناوله أمرهم ولا يصح استثناؤه منهم، ولا يرد على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: 50] لجواز أن يقال إنه كان من الجن فعلاً ومن الملائكة نوعاً، ولأن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما روى: أن من الملائكة ضرباً يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم إبليس. ولمن زعم أنه لم يكن من الملائكة أن يقول: إنه كان جنياً نشأ بين أظهر الملائكة، وكان مغموراً بالألوف منهم فغلبوا عليه، أو الجن أيضاً كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم، فإنه إذا علم أن الأكابر مأمورون بالتذلل لأحد والتوسل به، علم أن الأصاغر أيضاً مأمورون به.

قال الخازن[3]: سمي به لأنه أَبْلَس من رحمة الله أي: يئس، وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث، فلما عصى غير اسمه فسمي إبليس وغيرت صورته. قال ابن عباس: كان إبليس من الملائكة بدليل أنه استثناه منهم وقيل إنه من الجن لأنه خلق من النار، ولملائكته خلقوا من النور ولأنه أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس والأول أصح لأن الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم.

---

(1) الكشاف.
(2) أنوار التنزيل.
(3) لباب التأويل.

● **قال تعالى:** ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: 50].

قال الفخر الرازي[1]: أنه تعالى بَيَّنَ في هذه الآية أن إبليس كان من الجن وللناس في هذه المسألة ثلاثة أقوال: الأول: أنه من الملائكة وكونه من الملائكة لا ينافي كونه من الجن ولهم فيه وجوه. الأول: أن قبيلة من الملائكة يسمون بذلك لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: 158] ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام: 100]. والثاني: أن الجن سُمُّوا جناً للاستتار والملائكة كذلك فهم داخلون في الجن. الثالث: أنه كان خازن الجنة ونسب إلى الجنة كقولهم: كوفي وبصري وعن سعيد بن جبير أنه كان من الجنانين الذين يعملون في الجنات حي من الملائكة يصوغون حلية أهل الجنة مذ خلقوا. رواه القاضي في تفسيره عن هشام عن سعيد بن جبير. والقول الثاني: أنه من الجن الذين هم الشياطين والذين خلقوا من نار وهو أبوهم. والقول الثالث: قول من قال كان من الملائكة فمسخ وغير.

وهذه المسألة قد أحكمناها في سورة البقرة وأصل ما يدل على أنه ليس من الملائكة أنه تعالى أثبت له ذرية ونسلاً في هذه الآية وهو قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ [الكهف: 50] والملائكة ليس لهم ذرية ولا نسل فوجب أن لا يكون إبليس من الملائكة. بقي أن يقال: إن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود فلو لم يكن إبليس من الملائكة فكيف تناوله ذلك الأمر، وأيضاً لو لم يكن من الملائكة فكيف يصح استثناؤه منهم، وقد أجبنا عن كل ذلك بالاستقصاء.

قال الخازن[2]: وكونه من الملائكة لا ينافي كونه من الجن بدليل قوله سبحانه تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾، وذلك أن قريشاً قالت الملائكة بنات الله، فهذا يدل على أن الملك يسمى جِنًّا ويعضده اللغة لأن الجن مأخوذ من

---

(1) التفسير الكبير. (2) لباب التأويل.

الاجتنان، وهو الستر فعلى هذا تدخل الملائكة فيه فكل الملائكة جن لاستتارهم وليس كل جن ملائكة، ووجه كونه من الملائكة أن الله سبحانه وتعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل ويصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة، ووجه من قال إنه كان من الجن ولم يكن من الملائكة، قوله كان من الجن والجن جنس مخالف للملائكة، قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ فأثبت له ذرية والملائكة لا ذرية لهم، وأجيب عن الاستثناء أنه استثناء منقطع وهو مشهور في كلام العرب قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: 26-27] وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾ [مريم: 62] قيل إنه كان من الملائكة فلما خالف الأمر مسخ وغُيّر وطرد ولعن.

أبى

(أبى - عصى - مرد)

- **الإِباءُ:** شدة الامتناع لشدة النفور ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ﴾ [طه: 116].
- **العِصْيَانُ:** عدم طاعة الأمر ابتداءً بلا عذر ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: 121].
- **المُرُودُ:** عدم طاعة الأمر انتهاءً بلا عذر لأمر ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التوبة: 101].

* * *

شرح المعاني:

أبى: بمعنى امتنع لذاته ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُوا۟ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 34] وأبى تعني امتناع لا رجوع بعده وشدة الامتناع ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِى عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُوا۟ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓا۟ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓا۟ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ

وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: 282] بمعنى لا يمتنع امتناعاً مطلقاً بغير عذر. ومنها كلمة الأبيّ: بمعنى الرجل الممتنع من تحمّل الضيم. ﴿كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: 8] هم قوم لم يسلموا أو يؤمنوا أبداً. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: 32] اتخذوا الأسباب ولكن الله مُتِمُّ نوره وهذه بشرى للمؤمنين أن الله متم نوره. ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾ [الكهف: 77]، ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ [الإسراء: 89].

امتنع: هو الامتناع بعذر معيّن وقد يعود ويوافق بعد أن امتنع. ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: 2].

رفض: ذهب بعيداً عن الشيء.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الهمزة والباء والياء يدلّ على الامتناع. أَبَيْتُ الشيء آباهُ، وقوم أَبِيُّونَ وأُباةٌ. قال: والإباء: أن تعرض على الرجل الشيءَ فيأبَى قبولَه، فتقول: ما هذا الإِباءُ، بالضم والكسر.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: أبى فلان إباءً، أي: ترك الطاعة ومال إلى المعصية.

قال الجوهري[2]: الأَبَاء بالفتح والمد: القَصَبُ، والواحدة أَباءَةٌ. ويقال هو أَجَمةُ الحَلْفاء والقصَب خاصّةً. والإباءُ بالكسر مصدر قولك: أَبى فلانٌ يَأْبى بالفتح أي: امتنع؛ فهو آبٍ وأَبِيٌّ وأَبَيانٌ بالتحريك.

قال الأزهري[3]: يقال: رجلٌ أَبِيٌّ ذو إباءٍ شديد، إذا كان يأبى أن يضام. ورجلٌ أبيان: ذو إباءٍ شديد.

ويقال: تَأَبّى عليه تَأَبِيًّا: إذا امتنع عليه. ورجل أباءٌ: إذا أبى الضيم.

قال الزمخشري[4]: أبى الله أن يكون كذا، وأبى عليّ وتأبّى: امتنع.

قال الراغب[5]: الإباء: شدة الامتناع، فكل إباء امتناع وليس كل امتناع إباء.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: 34].

قال الزمخشري[6]: امتنع مما أُمِر به.

قال الفخر الرازي[7]: اعلم أن الله تعالى لما استثنى إبليس من الساجدين فكان يجوز أن يظن أنه كان معذوراً في ترك السجود، فبيَّن تعالى أنه لم يسجد مع القدرة وزوال العذر بقوله أبى لأن الإباء هو الامتناع مع الاختيار، أما من لم يكن قادراً على الفعل لا يقال له إنه أبى ثم قد كان يجوز أن يكون كذلك ولا ينضم إليه

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) تهذيب اللغة.
(4) أساس البلاغة.
(5) مفردات الراغب.
(6) الكشاف.
(7) التفسير الكبير.

الكبر، فبيَّن تعالى أن ذلك الإباء كان على وجه الاستكبار بقوله واستكبر ثم كان يجوز أن يوجد الإباء والاستكبار مع عدم الكفر، فبيَّن تعالى أنه كفر بقوله: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال القاضي: هذه الآية تدل على بطلان قول أهل الجبر من وجوه: أحدها: أنهم يزعمون أنه لما لم يسجد لم يقدر على السجود لأن عندهم القدرة على الفعل منتفية ومن لا يقدر على الشيء يقال إنه أباه، وثانيها: أن من لا يقدر على الفعل لا يقال استكبر بأن لم يفعل لأنه إذا لم يقدر على الفعل لا يقال استكبر عن الفعل وإنما يوصف بالاستكبار إذا لم يفعل مع كونه لو أراد الفعل لأمكنه. قال تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ولا يجوز أن يكون كافراً بأن لا يفعل ما لا يقدر عليه. ورابعها: أن استكباره وامتناعه خلق من الله فيه فهو بأن يكون معذوراً أولى من أن يكون مذموماً قال ومن اعتقد مذهباً يقيم العذر لإبليس فهو خاسر الصفقة، والجواب عنه أن هذا القاضي لا يزال يطنب في تكثير هذه الوجوه وحاصلها يرجع إلى الأمر والنهي والثواب والعقاب فنقول له نحن أيضاً: صدور ذلك الفعل عن إبليس عن قصد ودَاعٍ أو لا عن قصد وَدَاعٍ؟ فإن كان عن قصد وَدَاعٍ فمن أين ذلك القصد؟ أوقع لا عن فاعل أو عن فاعل هو العبد أو عن فاعل هو الله فإن وقع لا عن فاعل كيف يثبت الصانع وإن وقع عن العبد فوقوع ذلك القصد عنه إن كان عن قصد آخر فيلزم التسلسل وإن كان لا عن قصد فقد وقع الفعل لا عن قصد وسنبطله وإن وقع عن فاعل هو الله فحينئذٍ يلزمك كل ما أوردته علينا، أما إن قلت وقع ذلك الفعل عنه لا عن قصد ودَاعٍ فقد ترجح الممكن من غير مرجح وهو يسد باب إثبات الصانع وأيضاً فإن كان كذلك كان وقوع ذلك الفعل اتفاقياً والاتفاقي لا يكون في وسعه واختياره فكيف يؤمر به وينهى عنه.

● **قال تعالى:** ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: 31].

قال الزمخشري[1]: ﴿أَبَىٰٓ﴾ استئناف على تقدير قول قائل بقول: هل سجد؟ فقيل: أبى ذلك واستكبر عنه. وقيل: معناه ولكن إبليس أبى.

(1) الكشاف.

قال أبو السعود[1]: استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فإن مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد به علم أنه مع الإباء والاستكبار أو منقطع فيتصل به ما بعده أي: لكن إبليس أبى أن يكون معهم. وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث أدمج في معصية واحدة ثلاث معاصٍ مخالفة الأمر والاستكبار مع تحقير آدم عليه الصلاة والسلام ومفارقة الجماعة والإباء عن الانتظام في سلك أولئك المقربين الكرام.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: 72].

قال الفخر الرازي[2]: لم يكن إباؤهن كإباء إبليس في قوله تعالى: ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: 31].

من وجهين أحدهما: أن هناك السجود كان فرضاً، وهٰهنا الأمانة كانت عرضاً وثانيهما: أن الإباء كان هناك استكباراً وهٰهنا استصغاراً استصغرن أنفسهن، بدليل قوله: ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾.

قال ابن عاشور[3]: (عَرضنا، أبَيْن، يحملنها، وأشفقن منها، وحملها) أجزاء للمركب التمثيلي. وهذه الأجزاء صالحة لأن يكون كل منها استعارة مفردة بأن يشبه إيداع الأمانة في الإنسان وصرفها عن غيره بالعرض، ويشبه عدم مُصَحح مَواهي السماوات والأرض والجبال لإيداع الأمانة فيها بالإباء، ويشبه الإيداع بالتحميل والحمل، ويشبه عدم التلاؤم بين مواهي السماوات والأرض والجبال بالعجز عن قبول تلك الكائنات إياها وهو المعبر عنه بالإشفاق، ويشبه التلاؤم ومُصحِّح القبول لإيداع وصف الأمانة في الإنسان بالحمل للثقْل. ومثل هذه

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) التفسير الكبير، وانظر إلى الكشاف.
(3) التحرير والتنوير.

الاستعارات كثير في الكلام البليغ. وصلوحية المركب التمثيلي للانحلال بأجزائه إلى استعارات معدود من كمال بلاغة ذلك التمثيل.

وقد عُدّت هذه الآية من مشكلات القرآن وتردد المفسرون في تأويلها تردداً دلّ على الحيرة في تقويم معناها. ومرجع ذلك إلى تقويم معنى العَرض على السماوات والأرض والجبال، وإلى معرفة معنى الأمانة، ومعرفة معنى الإِباء والإِشفاق.

قال أبو حيان(1): أي قصرن ونقصن عنها كما تقول: أبت الصحبة أن تحمل ما قبلها.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: 282].

قال الفخر الرازي(2): ظاهر هذا الكلام نهيٌ لكل من كان كاتباً عن الامتناع عن الكتبة، وإيجاب الكتبة على كل من كان كاتباً، **وفيه وجوه الأول**: أن هذا على سبيل الإرشاد إلى الأولى لا على سبيل الإيجاب، والمعنى أن الله تعالى لما علمه الكتبة، وشرّفه بمعرفة الأحكام الشرعية، فالأولى أن يكتب تحصيلاً لمهم أخيه المسلم شكراً لتلك النعمة، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77] فإنه ينتفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها.

والقول الثاني: وهو قول الشعبي: أنه فرض كفاية، فإن لم يجد أحداً يكتب إلا ذلك الواحد وجب الكتبة عليه، فإن وجد أقواماً كان الواجب على واحد منهم أن يكتب.

والقول الثالث: أن هذا كان واجباً على الكاتب، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البَقَرَة: 282].

والقول الرابع: أن متعلق الإيجاب هو أن يكتب كما علمه الله، يعني أن

---

(1) البحر المحيط.
(2) التفسير الكبير.

بتقدير أن يكتب فالواجب أن يكتب على ما علمه الله، وأن لا يخل بشرط من الشرائط، ولا يدرج فيه قيداً يخل بمقصود الإنسان، وذلك لأنه لو كتبه من غير مراعاة هذه الشروط اختل مقصود الإنسان، وضاع ماله، فكأنه قيل له: إن كنت تكتب فاكتبه عن العدل.

قال القرطبي[1]: نهى الله الكاتب عن الإباء.

وقال الألوسي[2]: أي لا يمتنع أحد من الكتاب الموصوفين.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

(2) روح المعاني، وانظر إلى تفسير أبو السعود.

آتى

(آتى - أعطى - أهدى - وهب)

- **الإيتاء:** تقريب الشيء البعيد المنال ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ [النمل: 15].
- **الإعطاء:** من الأعلى إلى الأدنى دون سؤال ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: 1].
- **الهديَّة:** محبة من غير سؤال ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ [النمل: 35].
- **الهبة:** تفضيلاً ممن لا يهب مثله أحد، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: 53] لأنه الذي سأل ذلك ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾ [القصص: 34].

* * *

شرح المعاني:

آتى والإيتاء: عندما يكون الأمر خطيراً ولا يقدر الإنسان على الإتيان بمثله مثل إيتاء الكتب السماوية لا يقدر عليها إلا الله تعالى، لذا وردت الآيات في القرآن الكريم بكلمة آتينا للكتب السماوية ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87]، ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: 163]، وكذلك إيتاء الملك ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: 26]، والرحمة ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [هود: 28]، والمال ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: 177] دليل على عظم حب المال بحيث يسمى إعطاؤه إتياناً، والإيتاء يحتاج إلى قوة هائلة كما في

قصة سليمان ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ﴾ [النمل: 39] و﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ [النمل: 40] ولهذا أيضاً جاءت كلمة آتى مع الزكاة ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: 43] لأنها تكون من خير الأموال والأفضل وفيه جهد أن يُزكي الإنسان بماله لحبّه الشديد للمال وعلى نسبة الإيتاء تكون الدرجات والجزاء من الله تعالى. والإيتاء يحتمل النزع من المؤتي فالله تعالى يؤتي الملك من يشاء وينزعه عمن يشاء.

أعطى والعطاء: ناول والمناولة والتناول ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: 29] فيه مناولة، ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: 1] فهذا عطاء من الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ وهذا حصل في رحلة الإسراء والمعراج أن أعطى الله تعالى لنبيه الكوثر وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضحى: 5] لأن الله تعالى يوم القيامة يعطي الرسول ﷺ الشفاعة حين يسجد تحت عرش الرحمٰن يدعو الله لأمته فيقول تعالى: «اسأل تعطه واشفع تشفّع». والعطاء لا يمكن نزعه لأنه أصبح ملك المعطى إليه كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [صٓ: 39].

وهب والهبة: تكون عن سؤال واحتياج فالهبة لا تكون إلا عند الاستحقاق والحاجة فلما سأل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي﴾ [طه: 29] جاء رد الله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا﴾ [مريم: 53] وكذلك دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا﴾ [الفرقان: 74] والردّ يأتي: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: 49] وكون الله وهّاباً يهب الناس على قدر استحقاقهم وحاجتهم وفي الغالب لا ينتظر الواهب الردّ من الموهوب إليه.

أهدى والهدية: دليل المحبة وليس هناك احتياج لها فالإنسان لا يهب للملوك وإنما تهدي للملوك. والرسول كان يقبل الهدية والهدية لا بد أن تُردّ بمثلها أو بخيرٍ منها ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [النمل: 35].

أتى

(أتى - اقترب - جاء - دنا - أقبل - وصل - حضر - أزف)

- **أتى:** لاح خياله للعين من بعيد ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي﴾ [الصف: 6].
- ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [طه: 11].
- **اقْتَرَبَ:** صار على مستوى النظر الواضح ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1].
- **جاءَ:** في المكان المقصود ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [النمل: 8].
- **دَنا:** إلى آخر خطوة بعد أن كان بعيداً ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: 8-9].
- **أَقْبَلَ:** بعد إعراض ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: 50].
- **وَصَلَ:** بعد عقبات وموانع ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: 51].
- **حَضَرَ:** بناءً على موعد مسبق ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾ [الأحقاف: 29].
- **أَزِفَ:** أضيق وقت قبل الحلول ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾ [النجم: 57].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

أتى: هو أول الوصول من بعيد بمعنى: أعرف أنك مقبل من بعيد ولكن لا أعلم المكان الذي أتيت منه وما هي نقطة انطلاقك فما دمت تلوح لعيني ولم تصل

إليّ بعد يقال: أَتَيْتَ. وأوضح الآيات في الفرق بين أتى وجاء هي في قصة سيدنا موسى عليه السلام، ففي سورة القصص: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠﴾ وفي سورة طه (آية 11) ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ وفي سورة النمل (آية 8) ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾. ففي سور القصص ما إن لاح موسى من بعيد وقبل أن يصل تلقّى التعليمات وآداب المقابلة ونودي بأن يخلع نعليه. فهو لم يصل بعد والآية تدل على أن الخطاب لموسى خطاب عام وفي هذا تأكيد من الله تعالى لموسى بأنه ليس واهماً ولم يصبه شيطان وإنما هو الله تعالى الذي يخاطبه ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾، أما في سورة النمل فقد وصل وأصبح قريباً وأصبح الخطاب مباشراً وتلقى الرسالة من الله في هذا الموقف ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ أي وصل إليها. وهكذا في القرآن كله حيثما وردت كلمة أتى يكون هذا هو المعنى ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ﴾ [محمد: 18] الساعة نفسها بدأت بالمجيء لكنها لم تصل بعد، أشراطها الصغرى جاءت لكن أشراطها الكبرى لم تصل بعد، مصداقاً لقول الرسول ﷺ: (**بُعثت أنا والساعة كهاتين**). ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾ [مريم: 27] أتت به من بعيد لأنها كانت في مكان قصيّ فلمّا وصلت ورأوا الصبي قالوا: لقد جئت شيئاً فريًا، تعني لما وصلت إليهم ورأوه. ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾ [الحج: 27] الناس يأتون من كل مكان إلى الحج كما في الحديث: «**أن الله تعالى أمر إبراهيم بالنداء للحج وهو تكفل بإسماع الناس فمن لبّى كان ممن سيحجّ**».

﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف: 6] الرسول ﷺ لم يصل بعد لكنه آتٍ. ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل: 1] الأمر أتى من الله وهو في طريقه للوصول ثم تحقق وجاء بعد سنوات. ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ [النساء: 15] هذه فئة قليلة جداً فمن من المسلمات من تأتي بالفاحشة أمام أربعة شهود، الأمر لم

يحصل وورود كلمة نسائكم دلالة على نساء المسلمين ولم يقل من الناس لأن الفاحشة جاءت ممن هم غير المسلمات فسبحان الذي أحكم آياته.

جَاءَ: إذا اقترَبْتَ حتى جَلَسْتَ معي يقال: جِئْتَ. وهناك فرق بين جاء وحضر وهو واضح في آيات القرآن الكريم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: 61] هنا الموت جاء ووصل بخلاف الآية الثانية ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [المائدة: 106] فتدلّ على أنه كان جاهلاً فانتبه وعلِم.

حَضَرَ: إذا كان هناك موضوع اتفقنا عليه سابقاً وجئنا لأجله فقط يقال: حضر. وحضر في الغالب تدلّ على جهد فكري ثقافي معرفيّ يتعلق بالعقل منها كلمة الحاضرة ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف: 163] والحضارة هي ضد البداوة وفيها يكون النشاط الفكري والحضاري والفلسفة ووردت كلمة حضر في القرآن الكريم مشيرة إلى حركة ذهنية وعقلية ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: 29] بمعنى أن الجنّ حضروه للعلم.

أَقْبَلَ: والإقبال لا يكون إلا بعد التدابر كنا مدبرين فأقبلنا. يُقبل الناس على بعضهم لأن لهم شأناً مشتركاً يريدون مناقشته ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: 27]، ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾ [القلم: 30] حصل شيء خطأ واجتمعوا لمناقشته وتصحيحه.

وأضيف على هذه الكلمات كلمة (ورد) والله أعلم:

وَرَدَ: تقال لقصد الماء كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: 23]، وكما في قوله تعالى في قصة فرعون: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: 98].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الهمزة والتاء والواو والألف والياء يدلّ على مجيء الشيء وإصحابه وطاعته.

قال الخليل[2]: والأَتْوُ: الاسْتِقامة في السير والسرْعةُ. والإِيتَاءُ: الإعطاء. والمُؤَاتَاةُ: حسن المطاوعة.

والآتِي: الجماعة.

والأتِي: عند العامة: النهر الذي يجري فيه الماء إلى الحوض.

قال الجوهري[3]: الإتْيانُ: المجيء. وقد أَتَيْتهُ أَتْياً وأَتَوْته أَتْوَةً لغة فيه.

وتقول: أَتَيْتُ الأمر من مَأْتاتِهِ، أي: من مَأتاه، أي من وجهه الذي يُؤتَى منه.

وتقول: آتَيْتُه على ذلك الأمر مؤاتاةً: إذا وافقتَه وطاوعته.

والعامَة تقول: واتَيْتُهُ. وآتاه إيتاء: أي أعطاه. وآتاهُ أيضاً: أي أتى به.

قال الأزهري[4]: يقال: أُتِيَ فلان من مأمنه: أي أتاه الهلاك من جهة مأمنه.

قال الراغب[5]: الإِتْيَانُ: مجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المار على وجهه: أَتِيّ وأَتَاوِي وبه شبه الغريب فقيل: أَتَاوِيّ.

والإِتْيَانُ يقال للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير، ويقال في الخير وفي الشر وفي الأعيان والأعراض، وهذه أرض كثيرة الإِيتَاءُ أي: الريع.

أصل ﴿أَتَىٰٓ﴾ [النّحل: 1] المجيء بسهولة ويسر ورضا ثم تتشعب منها معانٍ أخرى قريبة وبعيدة منها حسب ما يقتضيه السياق.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) تهذيب اللغة.
(5) مفردات الراغب.

والإيتاء والإعطاء متقاربان إلا أن الإعطاء أبلغ من وجوه:

1 - الإيتاء/ أقوى في إثبات مفعوله من الإعطاء. فإنك إذا آتيته فليس له أن يرفضه. وإذا أعطيته فهو بالخيار له أن يقبله وله أن يرفضه.

2 - الإيتاء يقتضي رضا الطرف الأمر فضلاً عن قبوله وفيه سمو في أداء المعاني فإن قبوله الشيء أعم من الرضا به.

وأما الإعطاء: فالقبول فيه يستلزم الرضا.

المعنى المشترك لكلمة (أ ت ى)

وقد وردت كلمة (أتى) في القرآن الكريم على ستة عشر وجهاً:

الوجه الأول: الإتيان يعني: الدنو ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: 1].

الوجه الثاني: الإتيان بمعني: الإصابة ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: 40].

الوجه الثالث: الإتيان يعني: القلع ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ﴾ [النّحل: 26].

الوجه الرابع: الإتيان يعني: العذاب ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ﴾ [الحشر: 2].

الوجه الخامس: الإتيان يعني: السَّوق ﴿يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا﴾ [النّحل: 112].

الوجه السادس: الإتيان يعني: الجماع ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٌ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ﴾ [البقرة: 223].

الوجه السابع: الإتيان يعني: الفعل ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ [النساء: 15].

الوجه الثامن: الإتيان: الإقرار والطاعة ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم: 93].

الوجه التاسع: الإتيان يعني: الخلق ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر: 16].

الوجه العاشر: الإتيان يعني: المجيء ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ [مريَم: 27].

الوجه الحادي عشر: الإتيان يعني: الظهور ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: 6].

الوجه الثاني عشر: الإتيان يعني: الدخول ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البَقَرَة: 189].

الوجه الثالث عشر: الإتيان يعني: المضيّ ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفُرقان: 40].

الوجه الرابع عشر: الإتيان يعني: الارسال ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [المؤمنون: 90].

الوجه الخامس عشر: الإتيان يعني: المفاجأة ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف: 97].

الوجه السادس عشر: الإتيان يعني: النزول ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [إبراهيم: 17].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: 17].

قال الشعراوي[1]: أي: ينظر حوله فيجد الموت يحيط به من كل اتجاه، لكنه لا يموت، ويُفاجأ بأن العذاب يحيط به من كل اتجاه.

(1) تفسير الشعراوي.

قال البغوي[1]: يعني: يجدُ همَّ الموت وألمهُ من كل مكان من أعضائه. قال إبراهيم التيمي: حتى من تحت كل شعرة من جسَده. وقيل: يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه، ومن فوقه ومن تحته، وعن يمينه وعن شماله. ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: 17]، فيستريح، قال ابن جريج: تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة. نظيرها ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: 13].

● **قال تعالى**: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النّحل: 1].

قال الفخر الرازي[2]: فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فنزل قوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ فوثب رسول الله ﷺ ورفع الناس رؤوسهم فنزل قوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ والحاصل أنه عليه السلام لما أكثر من تهديدهم بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة ولم يروا شيئاً نسبوه إلى الكذب.

فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ وفي تقرير هذا الجواب وجهان:

الوجه الأول: أنه وإن لم يأت ذلك العذاب إلا أنه كان واجب الوقوع، والشيء إذا كان بهذه الحالة والصفة فإنه يقال في الكلام المعتاد أنه قد أتى ووقع إجراء لما يجب وقوعه بعد ذلك مجرى الواقع يقال لمن طلب الإغاثة وقرب حصولها: قد جاءك الغوث فلا تجزع.

والوجه الثاني: وهو أن يقال أن أمر الله بذلك وحكمه به قد أتى وحصل ووقع، فأما المحكوم به فإنما لم يقع، لأنه تعالى حكم بوقوعه في وقت معين فقبل مجيء ذلك الوقت لا يخرج إلى الوجود.

---

(1) معالم التنزيل.
(2) التفسير الكبير.

قال القرطبي(1): قيل: «أَتَى» بمعنى يأتي؛ فهو كقولك: إن أكرمتني أكرمتك. وقد تقدّم أن أخبار الله تعالى في الماضي والمستقبل سواء؛ لأنه آتٍ لا محالة، كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: 44].

● **قال تعالى**: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ﴾ [النّحل: 26].

قال الطبري(2): هدم الله بنيانهم من أصله. والقواعد: جمع قاعدة، وهي الأساس. وكان بعضهم يقول: هذا مثل للاستئصال، وإنما معناه: إن الله استأصلهم. وقال: العرب تقول ذلك إذا استُؤْصل الشيء.

قال الزمخشري(3): وهذا تمثيل، يعني: أنهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله، فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات، كحال قوم بنوا بنياناً وعمدوه بالأساطين فأتى البنيان من الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا. ونحوه: من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً. وقيل: هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع. وقيل: فرسخان، فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا. ومعنى إتيان الله: إتيان أمره.

قال الفخر الرازي(4): ففيه مسألتان:

المسألة الأولى: أن الإتيان والحركة على الله محال، فالمراد أنهم لما كفروا أتاهم الله بزلازل قلع بها بنيانهم من القواعد والأساس.

المسألة الثانية: في قوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ﴾ [النحل: 26] قولان:

القول الأول: أن هذا محض التمثيل، والمعنى أنهم رتبوا منصوبات ليمكروا بها أنبياء الله تعالى فجعل الله تعالى حالهم في تلك المنصوبات مثل حال قوم بنوا

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.
(4) التفسير الكبير.

بنياناً وعمدوه بالأساطين فانهدم ذلك البناء، وضعفت تلك الأساطين، فسقط السقف عليهم.

ونظيره قولهم: من حفر بئراً لأخيه أوقعه الله فيه.

والقول الثاني: أن المراد منه ما دل عليه الظاهر، وهو أنه تعالى أسقط عليهم السقف وأماتهم تحته، والأول أقرب إلى المعنى.

● **قال تعالى:** ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ [آل عِمرَان: 188].

قال الطبري[1]: وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾... الآية، قول من قال: عني بذلك أهل الكتاب الذين أخبر الله جلّ وعزّ أنه أخذ ميثاقهم، ليبيننّ للناس أمر محمد ﷺ، ولا يكتمونه، لأن قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾... الآية في سياق الخبر عنهم، وهو شبيه بقصتهم مع اتفاق أهل التأويل على أنهم المعنيون بذلك، فإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: لا تحسبن يا محمد الذين يفرحون بما أتوا من كتمانهم الناس أمرك، وأنك لي رسول مرسل بالحقّ، وهم يجدونك مكتوباً عندهم في كتبهم، وقد أخذت عليهم الميثاق بالإقرار بنبوّتك، وبيان أمرك للناس، وأن لا يكتموهم ذلك، وهم مع نقضهم ميثاقي الذي أخذت عليهم بذلك، يفرحون بمعصيتهم إياي في ذلك، ومخالفتهم أمري، ويحبون أن يحمدهم الناس بأنهم أهل طاعة لله وعبادة وصلاة وصوم، واتباع لوحيه، وتنزيله الذي أنزله على أنبيائه، وهم من ذلك أبرياء أخلياء لتكذيبهم رسوله، ونقضهم ميثاقه الذي أخذ عليهم، لم يفعلوا شيئاً مما يحبون أن يحمدهم الناس عليه، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب، ولهم عذاب أليم.

قال القرطبي[2]: أي بما فعلوا من القعود في التخلّف عن الغَزْوِ وجاؤوا به من العذر.

---

(1) جامع البيان.

(2) الجامع لأحكام القرآن.

وقرأ جمهور القرّاء السبعة وغيرهم «أتوا» بقصر الألف، أي بما جاؤوا به من الكذب والكتمان. وقرأ مَرْوان بن الحَكَم والأعمش وإبراهيم النخَعِيّ «آتوا» بالمد، بمعنى أعْطَوا: وقرأ سعيد ابن جَبير «أُوتوا» على ما لم يسم فاعله؛ أي أعطوا.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

قال الزمخشري(1): وقرأ ابن عباس ومجاهد: ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ وهي مفاعلة من الإتيان بمعنى المجازاة والمكافأة، لأنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء وقرأ حميد «أثبنا بها» من الثواب. وفي حرف أُبيّ «جئنا بها». وأنث ضمير المثقال لإضافته إلى الحبة، كقولهم: ذهبت بعض أصابعه، أي: آتيناهما.

قال القرطبي(2): مقصورة الألف قراءة الجمهور أي أحضرناها وجئنا بها للمجازاة عليها ولها. يجاء بها أي بالحبة ولو قال به أي: بالمثقال لجاز. وقيل: مثقال الحبة ليس شيئاً غير الحبة فلهذا قال: ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾. وقرأ مجاهد وعكرمة «آتَيْنَا» بالمد على معنى جازينا بها. يقال: آتى يؤاتي مؤاتاة.

● **قال تعالى**: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: 210].

قال القرطبي(3): وقد يحتمل أن يكون معنى الإتيان راجعاً إلى الجزاء؛ فسمى الجزاء إتياناً كما سمّى التخويف والتعذيب في قصة نمروذ إتياناً فقال: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 26]. وقال في قصة النَّضِير: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ﴾ [الحشر: 2]، وقال:

(1) الكشاف.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ [الأنبياء: 47]. وإنما ٱحتمل الإتيان هذه المعاني لأن أصل الإتيان عند أهل اللغة هو القصد إلى الشيء؛ فمعنى الآية: هل ينظرون إلا أن يُظهر الله تعالى فعلاً من الأفعال مع خلقٍ من خلقه يقصد إلى مجازاتهم ويقضي في أمرهم ما هو قاضٍ؛ وكما أنه سبحانه أحدث فعلاً سمّاه نزولاً وٱستواء كذلك يُحدث فعلاً يسميه إتياناً؛ وأفعاله بلا آلة ولا علّة، سبحانه! وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: هذا من المكتوم الذي لا يُفسَّر. وقد سكت بعضهم عن تأويلها، وتأولها بعضهم كما ذكرنا. وقيل: الفاء بمعنى الباء، أي يأتيهم بظُلَل، ومنه الحديث: «**يأتيهم الله في صورة**» أي: بصورة ٱمتحاناً لهم.

قال الألوسي[1]: بالمعنى اللائق به جل شأنه منزهاً عن مشابهة المحدثات والتقيد بصفات الممكنات.

ومن الناس من قدر في أمثال هذه المتشابهات محذوفاً فقال: في الآية الإسناد مجازي، والمراد يأتيهم أمر الله تعالى وبأسه أو حقيقي، والمفعول محذوف أي يأتيهم الله تعالى ببأسه، وحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله سبحانه: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 209] فإن العزة والحكمة تدل على الانتقام بحق، وهو البأس والعذاب.

● **قال تعالى**: ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: 93].

قال الزمخشري[2]: يَصِرْ بصيراً، كقولك: جاء البناء محكماً، بمعنى صار. ويشهد له ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [يوسف: 96] أو يأت إليّ وهو بصير. وينصره قوله: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي يأتني أبي، ويأتني آله جميعاً.

قال الألوسي[3]: أي يصر بصيراً ويشهد له: ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [يوسف: 96] أو

(1) روح المعاني، ونحوه أبو السعود والنسفي.
(2) الكشاف.
(3) روح المعاني.

يأت إلي وهو بصير وينصره قوله: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ من النساء والذراري وغيرهم مما ينتظمه لفظ الأهل كذا قالوا. وحاصل الوجهين - كما قال بعض المدققين - أن الإتيان في الأول مجاز عن الصيرورة ولم يذكر إتيان الأب إليه لا لكونه داخلاً في الأهل، فإنه يجل عن التابعية بل تفادياً عن أمر الإخوة بالإتيان لأنه نوع إجبار على من يؤتى به فهو إلى اختياره، وفي الثاني على الحقيقة وفيه التفادي المذكور، والجزم بأنه من الآتين لا محالة وثوقاً بمحبته وإن فائدة الإلقاء إتيانه على ما أحب من كونه معافًى سليم البصر، وفيه أن صيرورته بصير أمر/ مفروغ عنه مقطوع إنما الكلام في تسبب الإلقاء لإتيانه كذلك فهذا الوجه أرجح وإن كان الأول من الخلافة بالقبول بمنزل.

● **قال تعالى**: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 16].

قال الفخر الرازي(1): أبلغ من قول القائل يعلمها الله لأن من يظهر له الشيء ولا يقدر على إظهاره لغيره يكون حاله في العلم دون حال من يظهر له الشيء ويظهره لغيره فقوله: ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ أي يظهرها الله للأشهاد.

قال الطبري(2): كان بعضهم يوجه معناه إلى يعلمه الله، ولا أعرف يأتي به، بمعنى يعلمه، إلاَّ أن يكون قائل ذلك أراد أن لقمان، إنما وصف الله بذلك، لأن الله يعلم أماكنه، لا يخفى عليه مكان شيء منه فيكون وجهاً.

● **قال تعالى**: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: 7].

قال الزمخشري(3): قلت: قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه: سأفعل كذا،

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.

وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة. فإن قلت: كيف جاء بسين التسويف؟ قلت: عدة لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ، أو كانت المسافة بعيدة. فإن قلت: فلم جاء بأو دون الواو؟ قلت: بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعاً لم يعدم واحدة منهما: إمّا هداية الطريق؛ وإما اقتباس النار، ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده، وما أدراه حين قال ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعاً، وهما العزّان: عز الدنيا، وعز الآخرة.

قال البيضاويّ[1]: وجمع الضمير إن صح أنه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالأهل، والسين للدلالة على بعد المسافة والوعد بالإتيان وإن أبطأ.

● **قال تعالى**: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾ [مريَم: 61].

قال الزمخشري[2]: في (مَأْتِيًّا) مفعول بمعنى فاعل. والوجه أنّ الوعد هو الجنة وهم يأتونها. أو هو من قولك: أتى إليه إحساناً، أي: كان وعده مفعولاً منجزاً.

قال الطبري[3]: وقال بعض نحويي الكوفة: خرج الخبر على أن الوعد هو المأتيّ، ومعناه: أنه هو الذي يأتي، ولم يقل: وكان وعده آتيا، لأن كلّ ما أتاك فأنت تأتيه، وقال: ألا ترى أنك تقول: أتيت على خمسين سنة، وأتت عليّ خمسون سنة، وكلّ ذلك صواب.

قال الفخر الرازي[4]: (مَأْتِيًّا) فقيل: إنه مفعول بمعنى فاعل والوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها، قال الزجاج: كل ما وصل إليك فقد وصلت إليه وما أتاك فقد أتيته والمقصود من قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾ بيان أن الوعد منه تعالى وإن كان بأمر غائب فهو كأنه مشاهد وحاصل والمراد تقرير ذلك في القلوب.

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) الكشاف.
(3) جامع البيان.
(4) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [فُصِّلَت: 7].

قال الطبري[1]: والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا: معناه: لا يؤدّون زكاة أموالهم وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة، وأن في قوله: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [هُود: 19] دليلاً على أن ذلك كذلك، لأن الكفار الذين عنوا بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا إلٰه إلا الله، فلو كان قوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصّلَت: 7] مراداً به الذين لا يشهدون أن لا إلٰه إلا الله لم يكن لقوله: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [هُود: 19] معنى، لأنه معلوم أن من لا يشهد أن لا إلٰه إلا الله لا يؤمن بالآخرة، وفي اتباع الله قوله: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ما ينبىء عن أن الزكاة في هذا الموضع معنيٌّ بها زكاة الأموال.

قال النسفي[2]: لا يؤمنون بوجوب الزكاة ولا يعطونها أو لا يفعلون ما يكونون به أزكياء وهو الإيمان.

● **قال تعالى**: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾ [الكهف: 96].

قال الفخر الرازي[3]: قراءة الجميع آتوني بمد الألف إلا حمزة فإنه قرأ ائتوني من الإتيان، وقد روى ذلك عن عاصم والتقدير ائتوني بزبر الحديد ثم حذف الباء كقوله: شكرته وشكرت له وكفرته وكفرت به.

قال القرطبي[4]: وقرأ أبو بكر والمفضل «ردما ايتوني» من الإتيان الذي هو المجيء؛ أي جيئوني بزبر الحديد.

---

(1) جامع البيان.
(2) مدارك التنزيل.
(3) التفسير الكبير.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

أثاث

(أثاث - فرش - متاع)

- **الأثاث:** واحده أثاثة: حاجات البيت الخشبية الثابتة التي تشير إلى مكانة هذه الأسرة. ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: 74].
- **الفُرُش:** للجلوس أو النوم المريح من بسط ونحوهما ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: 34].

﴿فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمٰن: 54].

- **المَتَاع:** ما يتداول في البيت من أدوات ضرورية للمأكل والمشرب ونحو ذلك. ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 241].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

أثاث: ما تناسق وجدّ من فرش البيت الثابتة في أماكنها. وهو متاع البيت الكبير وأصله من أثّ أي: كَثُر وتكاثف، ويقال للمال إذا كثُر: أثاث. وليس لكلمة الأثاث مفرد. وإنما يقال أثاث للمفرد والجمع. ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: 80]، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: 74].

متاع: أدوات تجعل من الحياة في البيت مرفّهة. وليس لكلمة المتاع مفرد

كما في أثاث، فهي تُطلق على المفرد والجمع. ويطلق المتاع على ما يُستخرج من الأرض كالحديد والنحاس والقصدير. وتطلق على ما ينتفع به في البيت بالتداول ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: 17]، وتطلق على كل ما ينتفع به للطعام وغيره ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: 80]، ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [النور: 29]، ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: 73]، ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: 33]. ويطلق على ما يُعطى للمطلقة لتنتفع به مدة عدتها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: 49] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: 28]، ومتعة الحج ضمّ العمُرة إليه ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: 196]. والمتاع لغة هو انتفاعٌ ممتد الوقت.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: هذا بابٌ يتفرع من الاجتماع واللين، وهو أصلٌ واحد.

قال الخليل[2]: أَثَّ النباتُ يَئِثُّ أَثاثةً أي: كثُر والتفَّ، وهو أَثِيثٌ، ويوصف به الشَّعَر الكثير، والنباتُ المُلْتف.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

والأثاث: أنواع القطع الثابتة والمتينة.

وأثاث البيت من هذا، يقال: إنّ واحده أثاثة، ويقال: لا واحدَ له من لفظه. ويقال: نساءٌ أثائث كثيرات اللحم.

وقال أبو زيد: الأثاثُ: المالُ أجمعُ: الإبلُ، والغنم، والعبيدُ، والمتاعُ.

وقال الفراء: الأَثاثُ لا واحد لها، كما أَن المَتاع لا واحدَ له، قال: ولو جمعتَ الأَثاثَ، لقلت: ثلاثةُ آثَّةٍ، وأُثُتٌ كثيرة[1].

قال الجوهري[2]: أَثَّ النباتُ يَئِثُّ، أثاثة أي: كَثرَ والتفَّ.

نبات أَثيثٌ وشَعَرٌ أثيثٌ. ونساء أَثائِثُ: كثيراتُ اللحم.

قال الراغب[3]: الأثاث: متاع البيت الكثير، وأصله من: أَثَّ أي: كَثُرَ والْتَفَّ.

ونساء أَثَايث: كثيرات اللحم، كأن عليهن أثاثاً، وتَأَثَّثَ فلان: أصاب أَثَاثاً.

قال العكبري[4]: شعر أَثيثٌ: كثير الأصل ملتف.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النّحل: 80].

قال الفخر الرازي[5]: الأثاث أنواع متاع البيت من الفرش والأكسية. قال الفراء: ولا واحد له، كما أن المتاع لا واحد له. قال: ولو جمعت، فقلت:

(1) اللسان، معجم فقه اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) المشوف المعلم.
(5) التفسير الكبير.

آثة: في القليل، وأثث: في الكثير. وقال أبو زيد: واحدها أثاثة. قال ابن عباس في قوله: ﴿أَثَٰثٗا﴾ يريد طنافس وبسطاً وثياباً وكسوة. قال الخليل: وأصله من قولهم: أَثَّ النبات والشعر إذا كثر.

قال البيضاويّ[1]: ما يُلبس ويُفرش.

قال الشعراوي[2]: الأثاث: هو ما يوجد في البيت مما تتطلبه حركة الحياة كالأبسطة والمفارش والملابس والستائر.

● **قال تعالى**: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا﴾ [مريم: 74].

قال ابن عاشور[3]: والأثاث: متاع البيوت الذي يُتزين به.

قال البغوي[4]: متاعاً وأموالاً.

قال الزمخشري[5]: الأثاث: متاع البيت. وقيل: هو ما جدَّ من الفرش. والخرثي: ما لُبسَ منها.

قال الماوردي[6]: فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن الأثاث: المتاع، والرئي: المنظر، قاله ابن عباس.

الثاني: أن الأثاث ما كان جديداً من ثياب البيت، والرئي الارتواء من النعمة.

الثالث: الأثاث ما لا يراه الناس. والرئي ما يراه الناس.

الرابع: معناه أكثر أموالاً وأحسن صوراً.

ويحتمل خامساً: أن الأثاث ما يعد للاستعمال، والرئي ما يعد للجمال.

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) التحرير والتنوير.
(4) معالم التنزيل.
(5) الكشاف.
(6) النكت والعيون.

أثـر

(أثـر - علامة - علم - سمة - حبر - شيـة)

- **الأَثَر:** ما يدل على فاعله وجمعه، آثار ﴿فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: 50].
- **العَلَامة:** الأثر الذي يتميز به الشيء المتحرك عن نظائره ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: 16].
- **العَلَم:** الأثر الذي يتميز به موقع الشيء الثابت ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الشورى: 32]، وسمي الجبل علماً لثبوته وأهميته في الدلالة على الموقع الذي هو فيه، يقال: جبل عرفة والطور ونحو ذلك.
- **الحِبْر:** ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ﴾ [التوبة: 31]، يعرف بآثار ملابسه الخاصة وأفعاله وأقواله، وثوب حبير محسّن. والحبر: العالم الذي تظهر عليه آثار الفرح بالنعمة: ﴿فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: 15].
- **السِّمَة:** ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح: 29]، ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البقرة: 273].

أي بآثار الحال التي هو فيها. فكثرة السجود تترك آثاراً في الجبين، والفقر يترك أثراً في الوجه والجسد، وتوسمت فيك الشيء تعرفت بالسمة أي: بالأثر، فلان موسوم بالخير. والوسيم من عليه آثار الجمال.

- **الشِّيَة:** فعلة من الوشي: الأثر الذي يخالف معظم لون الشيء ﴿مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ [البقرة: 71].

شرح المعاني:

آثار: أثر الشيء حصول ما يدلّ عليه وهو كل شيء تركه الأولون والآخرون شرط أن يكون على نفس الحال الذي تُرك عليها. والآثار هي كل ما يدلّ على وجود شيء مسبق على شرط أن يكون كما هو على حقيقته، ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: 50] أي كاملة موجودة وعليك أن تتأمل فيها لتنتقل إلى ما يريد الله تعالى أن تنتقل إليه وتقال للطريق المستدلّ به على من تقدّم ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: 84]. ولا يقال مثلاً لقصر من القصور القديمة أثراً إلا إذا كان ما زال على حاله مثل الأهرامات وغيرها من الآثار التي ما زالت على نفس الحال التي تركت عليه مع مرور الزمن. وكل شيء تركه لك أبوك فهو أثر.

والآثار تشمل أيضاً كل أحوال الأمم السابقة من ديارهم وقصصهم المسموعة والمشاهدة، وقد وُظّفت هذه في القرآن الكريم في سبيل العبرة والعظة والصبر على الإيمان والثبات وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة على أحوال الأمم السابقة التي هي آثار لنا للعبرة والتفكّر. فالآثار وثائق وبراهين وآيات وهي في القرآن الكريم مقسمة إلى أنواع حسب الهدف المطلوب منها.

أطلال: إذا كان الأثر قد بلِيَ ولم يبق منه إلا شخوص ولا يتبيّن فيه الحقيقة الكاملة لما كان عليه سابقاً كأن يكون فيه جدران متآكلة يسمى: طلول، وجمعها: أطلال. فالأطلال إذن هي الآثار القديمة التي تآكلت وأصابها البلى ولم تعد تعطي صورة كاملة عمّا مضى. والطلّ: هو المطر الخفيف الذي لا تشعر به ولا يكاد يترك أثراً.

رسوم: إذا ذهبت حتى الأطلال ولم يبق أي خطوط مرسومة في الأرض يقال لهذا الأثر رسماً.

علامة: وهي كل ما يدل على الفرق بين اثنين ويميّز أحد الشيئين على

الآخر، كالعلامات بين المدن التي تحدد بداية المدينة ونهايتها. ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: 16].

آية: هي كل هذه الأمور التي سبقت من أثر أو طلل أو رسم أو علامة سواء كانت مشاهدة أو مسموعة كقصص الغابرين أو مقروءة. والآية هي كل ما يُثبت أمراً عقائدياً أو فكرياً أو مادياً. وقد سمّى القرآن الكريم آثار ثمود وعاد بالآيات (وهي آيات مشاهدة) والقرآن الكريم يدعو إلى معرفة الحقائق من جرّاء استخدام الحواسّ ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ﴾ [يوسف: 105].

والآيات في القرآن الكريم عديدة ومتنوعة:

آيات كونية: وهي آيات خلق الله تعالى وقدرته في الكون تُرى وتشاهد في كل لحظة ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 11] و﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: 13].

الآيات المعجزات التي جاءت للأنبياء كالآيات التي جاءت على يد موسى وناقة ثمود ومعجزات عيسى عليه السلام: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾ [طه: 22]، ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 91]، ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ [النمل: 12].

آيات بيّنات: آيات واضحات أي توضّح شيئاً غامضاً ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: 1].

آيات مبيّنات أي مبصرة وهي التي توضح أمراً لا يمكن أن يختلف فيه عقلاً لكنه يختلف فيه عناداً مثل التوحيد ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [النمل: 13]. آيات مبيّنات ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [النور: 34].

آيات مقروءة: وهي آيات القرآن الكريم ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [البقرة: 99] و﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129].

آثر

(آثر - اصطفى - اختار - اجتبى - اختص)

■ **آثر:** حدد محبوباً لنفسه هو على سائر من يحب لأثر خفي. فالأثر: فضل والإيثار: تفضيل ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: 91].

■ **اصطفى:** حدد من يرفعهم في نفسه على الآخرين ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: 42].

■ **اختار:** حدد من يصلح لوظيفة خاصة من بين آخرين ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف: 155].

■ **اجتبى:** جمع شيئاً يحبه إلى سائر ما ومن يحب ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: 50].

■ **اختص:** حدد من يستحق فضله المتميز والله ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: 74].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

[آثر – أثر]

قال ابن فارس[1]: الهمزة والثاء والراء، له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي.

(1) مقاييس اللغة.

قال الخليل(1): لقد أثِرْتُ بأن أفعل كذا، وهو همٌّ في عَزْم.

وتقولُ: افعل يا فلان هذا آثِراً ما، وآثِرَ [ذي] أثير، أي: إنْ اخترتَ ذلك الفعل فافعلْ هذا إمّا لا.

والإِثْرُ: خلاص السّمن.

وأَثَرُ السيف: ضربته.

قال الجوهري(2): الأَثْرُ: فِرِنْدُ السيفِ.

والمأثورُ: السَيفُ الذي يقال إنَّه من عمل الجنِّ.

والأَثْرُ أيضاً: مصدر قولك أَثَرْتُ الحديثَ، إذا ذكرْتَه عن غيرك.

والأُثْرُ بالضم: أَثَرُ الجِراحِ يَبقى بعد البرء؛ وقد يثقَّل مثل عُسْرٍ وعُسُرٍ. قال الشاعر: عَضْبٌ مَضارِبُها باقٍ بها الأُثُرُ والأُثْرَةُ أيضاً: أنْ يُسْحَى باطنُ خفِّ البعير بحديدةٍ لُيقْتَصَّ أَثَرُه. والإِثْرُ بالكسر أيضاً: خُلاصة السَمْن.

وتقول أيضاً: خرجْت في إثْرِهِ، أي: في أَثَرِهِ. والأَثَرُ بالتحريك: ما بقي من رسْم الشيء وضربةِ السيفِ.

قال الزمخشري(3): فيه أثر السيف وآثاره. وجاء على أَثَرِهِ وإِثْرِهِ، وكان هذا إِثْرَ ذلك، أي: بعده.

قال الراغب(4): أَثَرُ الشيء: حصول ما يدل على وجوده، يقال: أَثَرٌ وأَثْرٌ، والجمع: الآثار.

وأَثَرْتُ البعير: جعلت على خفه أَثَرَةَ، أي: علامة تؤثر في الأرض ليستدل بها على أَثَرِهِ، وتسمى الحديدة التي يعمل بها ذلك المِئْثَرَة.

---

(1) العين.

(2) الصحاح في اللغة.

(3) أساس البلاغة.

(4) مفردات الراغب.

وَأَثْرُ السيف: جوهره وأَثْرُ جودته، وهو الفرند، وسيف مَأْثُورٌ. وأَثَرَتُ العلم: رويته.

والمَآثِرْ: ما يروى من مكارم الإنسان، ويستعار الأَثَر للفضل، والإيثار للتفضل ومنه: آثَرَتْهُ.

والاستئثار: التفرد بالشيء من دون غيره، وقولهم: استأثر الله بفلان، كناية عن موته، تنبيه أنه ممن اصطفاه وتفرد تعالى به من دون الورى تشريفاً له. ورجل آثِرٌ: يستأثر على أصحابه.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ [النازعات: 37-38].

قال ابن كثير[1]: أي: قدمها على أمر دينه وأخراه.

قال الطبري[2]: يقول: وآثر متاع الحياة الدنيا على كرامة الآخرة، وما أعدّ الله فيها لأوليائه، فعمل للدنيا، وسعى لها، وترك العمل للآخرة.

قال أبو السعود[3]: فانهمكَ فيما مُتِّعَ به فيهَا ولم يستعدَّ للحياةِ الأخرويةِ الأبديةِ بالإيمانِ والطاعةِ.

● قال تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: 91].

---

(1) تفسير ابن كثير.
(2) جامع البيان.
(3) إرشاد العقل السليم، ونحوه الألوسي.

قال الطبري(1): تالله لقد فضَّلك الله علينا، وَآثَرَكَ بالعلم والحلم والفضل.

قال الزمخشري(2): فضَّلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين.

قال القرطبي(3): الأصل همزتان خفّفت الثانية، ولا يجوز تحقيقها، واسم الفاعل: مُؤْثِر، والمصدر: إيثار. ويقال: أثَرْتُ التراب إثارةً فأنا مُثير؛ وهو أيضاً على أَفْعَل ثم أُعِلَّ، والأصل أَثْيَر نقلت حركة الياء على الثاء، فانقلبت الياء ألفاً، ثم حذفت لالتقاء الساكنين. وأَثَرْتُ الحديث على فَعَلْتُ فأنا آثِرٌ؛ والمعنى: لقد فضّلك الله علينا، واختارك بالعلم والحلم والحكم والعقل والملك.

● **قال تعالى**: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعلى: 16].

قال الطبري(4): واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعلى: 16] فقرأ ذلك عامّة قرّاء الأمصار: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ بالتاء، إلا أبا عمرو، فإنه قرأه بالياء، وقال: يعني الأشقياء. والذي لا أوثر عليه في قراءة ذلك التاء، لإجماع الحجة من القرّاء عليه. وذُكر أن ذلك في قراءة أُبيّ: (بَلْ أَنْتُمْ تُؤْثِرُونَ) فذلك أيضاً شاهد لصحة القراءة بالتاء.

قال الفخر الرازي(5): وفيه قراءتان: قراءة العامة بالتاء ويؤكده حرف أُبيٍّ، أي: بل أنتم تؤثرون عمل الدنيا على عمل الآخرة. قال ابن مسعود: إن الدنيا أحضرت، وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها، وإن الآخرة لغيب لنا وزويت عنا، فأخذنا بالعاجل وتركنا الآجل. وقرأ أبو عمرو: يؤثرون بالياء يعني الأشقى.

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: 96].

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف، وانظر إلى التفسير الكبير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) جامع البيان.
(5) التفسير الكبير.

قال الألوسي[1]: أي من أَثَرِ فرس الرسول، وكذا قرأ عبد الله، فالكلام على حذف مضاف كما عليه أكثر المفسرين.

وأَثَرُ الفرس التراب الذي تحت حافره. وقيل: لا حاجة إلى تقدير مضاف لأن أَثَرَ فرسه أَثَرُه عليه السلام.

قال ابن كثير[2]: أي: من أَثَرِ فرسه، وهذا هو المشهور عند كثير من المفسرين، أو أكثرهم.

قال القاسمي[3]: هو جبريل عليه السلام. وأراد بأَثَرِه، التراب الذي أخذه من موضع حافر دابته.

● **قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾** [الفَتْح: 29].

قال الزمخشري[4]: أي: من التأثير الذي يؤثره السجود، وكان كل من العليين: عليّ بن الحسين زين العابدين، وعليّ بن عبد الله بن عباس أبي الأملاك، يقال له: ذو الثفنات؛ لأنّ كثرة سجودهما أحدثت في مواقعه منهما أشباه ثفنات البعير. وقرىء: «من أثر السجود» و«من آثار السجود».

قال الخازن[5]: استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل. وقيل: هو السمت الحسن والخشوع والتواضع.

قال أبو السعود[6]: حالٌ من المستكنِّ في الجارِّ أي: من التأثيرِ الذي يُؤثره كثرةُ السجودِ.

● **قال تعالى: ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي﴾** [طه: 84].

قال الزمخشري[7]: وعن أبي عمرو ويعقوب «إِثْرِي» بالكسر، وعن عيسى بن

---

(1) روح المعاني.
(2) تفسير ابن كثير.
(3) محاسن التأويل.
(4) الكشاف.
(5) لباب التأويل.
(6) إرشاد العقل السليم.
(7) الكشاف.

عمر «أُثرى» بالضم. وعنه أيضاً: «أولى» بالقصر. والإِثْر أفصح من الأَثْر. وأما الأَثْرَ فمسموع في فرند السيف مدوّن في الأصول يقال: إِثْرُ السيف وأَثْره، وهو بمعنى الأَثْرُ غريب.

قال الفخر الرازي[1]: يعني بالقرب مني ينتظرونني.

قال البغوي[2]: يعني هم بالقرب منّي يأتون من بعدي.

● **قال تعالى**: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ [الروم: 50].

قال الطبري[3]: اختلفت القرّاء في قوله: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: (إلى أَثَرِ رَحْمَةِ اللهِ) على التوحيد، بمعنى: فانظر يا محمد إلى أثر الغيث الذي أصاب الله به من أصاب من عباده، كيف يحيي ذلك الغيث الأرض من بعد موتها. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «فانْظُرْ إلى آثارِ رَحْمَةِ اللهِ» على الجماع، بمعنى: فانظر إلى آثار الغيث الذي أصاب الله به من أصاب كيف يحيي الأرض بعد موتها.

والصواب من القول في ذلك، أنهما قراءتان مشهورتان في قَرَأَة الأمصار، متقاربتا المعنى وذلك أن الله إذا أحيا الأرض بغيث أنزله عليها، فإن الغيث أحياها بإحياء الله إياها به، وإذا أحياها الغيث، فإن الله هو المحيي به، فبأيّ القراءتين قرأ القارىء فمصيب.

قال القرطبي[4]: يعني: المطر؛ أي: انظروا نظر استبصار واستدلال؛ أي استدلوا بذلك على أن من قدر عليه قادر على إحياء الموتى. وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي: «آثَارِ» بالجمع. الباقون بالتوحيد؛ لأنه مضاف إلى

(1) التفسير الكبير.
(2) معالم التنزيل.
(3) جامع البيان.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

مفرد. والأثر فاعل «يُحْيي» ويجوز أن يكون الفاعل اسم الله عز وجل. ومن قرأ: «آثَارِ» بالجمع فلأن رحمة الله يجوز أن يراد بها الكثرة.

● **قال تعالى**: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ [الكهف: 6].

قال النسفي[1]: أي آثار الكفار، شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الأسف على توليهم برجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجداً عليهم وتلهفاً على فراقهم.

قال القاسمي[2]: وفي النظم الكريم استعارة تمثيلية بتشبيه حاله معهم، وقد تولوا، وهو آسف من عدم هدايتهم، بحال من فارقته أحبته. فهمّ بقتل نفسه. أو كاد يهلك وجداً عليهم وتحسراً على آثارهم.

قال أبو السعود[3]: غماً ووجداً على فراقهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ [يس: 12].

قال الزمخشري[4]: ﴿وَنَكْتُبُ مَا﴾ أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من أثر حسن، كعلم علموه، أو كتاب صنفوه، أو حبيس حبسوه، أو بناء بنوه: من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك. أو سيىء كوظيفة وظَّفها بعض الظُلَّام على المسلمين، وسكة أحدث فيها تخسيرهم، وشيء أحدث فيه صدّ عن ذكر الله: من ألحان وملاهٍ، وكذلك كل سُنّة حسنة أو سيئة يُستَنُّ بها. ونحوه قوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: 13] أي: قدّم من أعماله، وأخّر من آثاره. وقيل: هي آثار المشائين إلى المساجد.

قال الفخر الرازي[5]: وآثارهم فيه وجوه الأول: آثارهم أقدامهم فإن جماعة

(1) مدارك التنزيل.
(2) محاسن التأويل.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) الكشاف.
(5) التفسير الكبير.

من أصحابه بعدت دورهم عن المساجد فأرادوا النقلة فقال ﷺ: «**إن الله يكتب خطواتكم ويثيبكم عليه فالزموا بيوتكم**» والثاني: هي السنن الحسنة، كالكتب المصنفة والقناطر المبنية، والحبائس الدارة، والسنن السيئة كالظلمات المستمرة التي وضعها ظالم والكتب المضلة، وآلات الملاهي وأدوات المناهي المعمولة الباقية، وهو في معنى قوله ﷺ: «**من سَنَّ سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجر العامل شيء، ومن سَنَّ سُنَّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها**».

فما قدموا هو أفعالهم وآثارهم أفعال الشاكرين، فبشرهم حيث يؤاخذون بها ويؤجرون عليها والثالث: ما ذكرنا أن الآثار الأعمال وما قدموا النيات فإن النية قبل العمل.

● **قال تعالى:** ﴿ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: 4].

قال الزمخشري(1): أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأوّلين، من قولهم: سمنت الناقة على أثارة من شحم، أي: على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب. وقرىء «أَثَره» أي: من شيء أوثرتم به وخصصتم من علم لا إحاطة به لغيركم. وقرىء «أَثْره» بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء، فالإِثْرة بالكسر بمعنى الأَثْرَة. وأما الأَثَرَة فالمرّة من مصدر: أَثَرَ الحديث إذا رواه. وأما الأُثْرة بالضم فاسم ما يؤثر، كالخطبة: اسم ما يخطب به.

قال الطبري(2): اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ بالألف، بمعنى: أو ائتوني ببقية من علم. ورُوي عن أبي عبد الرحمٰن السلميّ أنه كان يقرأه «أَوْ أَثَرَةٍ من علم»، بمعنى: أو خاصة من علم أوتيتموه، وأوثرتم به على غيركم، والقراءة التي لا أستجيز غيرها ﴿أَوَ

(1) الكشاف. (2) جامع البيان.

أَثَٰرَةٍ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ بالألف، لإجماع قرّاء الأمصار عليها. واختلف أهل التأويل في تأويلها، فقال بعضهم: معناه: أو ائتوني بعلم بأن آلهتكم خَلَقت من الأرض شيئاً، وأن لها شركاً في السمٰوات من قبل الخطّ الذي تخطونه في الأرض، فإنكم معشر العرب أهل عيافة وزجر وكهانة.

قال الفخر الرازي[1]: وعلى هذا الوجه فمعنى الآية: ائتوني بعلم من قبل هذا الخط الذي تخطونه في الرمل يدل على صحة مذهبكم في عبادة الأصنام، فإن صح تفسير الآية بهذا الوجه كان ذلك من باب التهكم بهم وبأقوالهم ودلائلهم والله تعالى أعلم.

(1) التفسير الكبير.

أَثل

(أَثل - سدر - خمط - ضريع - غسلين)

- **أَثل:** ﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: 16] شجر قليل الفائدة ثابت الأصل.
- **سِدر:** شجر مرتفع الأغصان لا يغني صاحبه عند الأكل.
- **خَمط:** شجر قليل الفائدة لا شوك فيه.
- **ضريع:** شجر منتن الرائحة ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ [الغاشية: 6-7].
- **غِسلين:** طعام من الفضلات والمياه الثقيلة ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: 36].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الهمزة والثاء واللام يدلُّ على أصْلِ الشيءِ وتجَمُّعِه.

قال الخليل(2): الأَثْل: شجرٌ يُشبه الطَّرْفاء إلا أنه أعظمُ منه وأجود عُوداً منه، تُصنَع منه الأقداحُ الجِياد.

تقول: أَثَّلَ فلانٌ تأثيلاً: إذا كثر مالُه وحسُنَتْ حالُه. والمتأثِّل الذي يجمع مالاً إلى مال. وتقول: أثَّل الله مُلْكَك أي: عظَّمه وكثّره.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الأصمعيّ[1]: أثّلْتُ عليه الدُّيونَ تأثيلاً أي: جمعتها عليه، وأثّلتْهُ برجال أي: كثَّرْتُه بهم.

قال الجوهري[2]: الأَثْلُ: شجرٌ، وهو نوع من الطَّرْفاء.

ومنه قيل للأصل أثْلَةٌ، يقال: فلان ينحَتُ أَثْلَتَنا، إذا قال في حسَبه قبيحاً.

والتَأَثُّلُ: اتِّخاذُ أصلِ مالٍ، وفي الحديث في وصيِّ اليتيم: «**إنّه يَأكل من ماله غير مُتَأَثِّلٍ مالاً**». والأَثالُ بالفتح: المَجْدُ. وربّما قالوا: تَأَثَلْتُ بئراً، أي: حفرتُها.

قال ابن دريد[3]: وثّلت الشّيء توثيلاً، وأثلته تأثيلاً، إذا أصّلته ومكنته، وبه سمي الرّجل وثالاً.

قال الأزهري[4]: الأَثْلُ: شجرٌ يشبه الطرفاء إلاّ أنه أكرم منها.

قال الراغب[5]: أَثْلُ: شجر ثابت الأصل، وشجر مُتَأَثِّل: ثابت ثبوته، وتَأَثَّل كذا: ثبت ثبوته.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: 16].

قال البيضاويّ[6]: (وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مّن سِدْرٍ قَلِيلٍ) معطوفان على (أُكُلَ) لا على (خَمْطٍ)، فإن الأثل هو الطرفاء ولا ثمر له، وقرئا بالنصب عطفاً على (جَنَّتَيْنِ).

(1) الأضداد.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) الجمهرة.
(4) تهذيب اللغة.
(5) مفردات الراغب.
(6) أنوار التنزيل.

قال النسفي[1]: الأَثْلُ شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عوداً، - ووجه من نون الأكل - وهو غير أبي عمرو أن أصله ذواتي أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، أو وصف الأكل بالخمط كأنه قيل: ذواتي أكل بشع، ووجه أبي عمر أن أكل الخمط في معنى البرير وهو ثمر الأراك إذا كان غضاً فكأنه قيل ذواتي برير، والأثل والسدر معطوفان على ﴿أُكُلٍ﴾ لا على ﴿خَمْطٍ﴾ لأن الأثل لا أكل له.

قال الشعراوي[2]: والأثل: هو شجر الطرفاء، وهو قليل النفع لا ثمر له.

قال الفخر الرازي[3]: والأَثْلُ نوع من الطرفاء ولا يكون عليه ثمرة إلا في بعض الأوقات، يكون عليه شيء كالعفص أو أصغر منه في طعمه وطبعه.

(1) مدارك التنزيل.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) التفسير الكبير.

أَثم

(أَثم - جرم - جنح - حنث - حوب - خطأ - زلل - سيئة - فاحشة - رجس)

- **الإثْم:** الذنب المتعدي الذي يبطئ بصاحبه عن جنس الطاعات كلها ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: 219].
- **الجُرْم:** الذنب الثابت المستحق للعقاب المحددّ ﴿يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ [المدثر: 40-42].
- **الجُناح:** اللوم عن الذنوب كالنزوع إلى الذنب قبل الشروع فيه ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البقرة: 235].
- **الحِنْث:** المسؤولية عن الذنب ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [صٓ: 44].
- **الحُوب:** الذنب الذي يعجل الله عقابه في الدنيا ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: 2].
- **الخطأ:** ذنب غير متعمد ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ﴾ [النساء: 92].
- **(الخطيئة):** الكبيرة التي تحبط الحسنات. ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 112].
- **الزَّلل:** سرعة الوقوع في الذنب ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 209].

- **السيئة:** المعصية عموماً ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: 81] والإحاطة: إحباط العمل.
- **الفاحشة:** ما عظم قبحه عند الناس من الذنوب ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل: 54].
- **الرِّجس:** الفعل القذر تأباه الفطرة من نتنه. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33]، ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: 90].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

الإثم: هو الذنب الذي يجعلك تشعر بالنقص وبالحقارة والخِسّة كشهادة الزور، فبعد أن يرجع شاهد الزور إلى بيته ونفسه ويُفكّر فيما أقدم عليه يشعر بالحقارة وفي منتهى السوء وأنه أقل قيمة من غيره مع نفسه. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: 68]. والإثم هو الإقصاء والتبديل ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 181]. والإثم هو ما حاك في الصدر وكرهت أن يطّلع عليه الناس ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 112] كأن تصوّب على غزال فتقتل إنساناً (هذه خطيئة) ثم تتهم غيرك بالقتل (هذا إثم) والكذب فرع منه ويُسمى الكذب إثماً لكونه من جملة الإثم. والإثم شعور خفي ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ﴾ [البقرة: 206] يشعر بالحقارة وبأنه وضيع لكن تأخذه العزة ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: 283] يشعر بالحقارة إذا كتم الشهادة. وقوله تعالى: ﴿كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: 276] هذا في الذي كان يكذب على الرسول ﷺ وبه خِسّة.

إذن الإثم هو كل شيء يُشعرك في داخل النفس وتُنقص من قدر نفسك وأنك لست كريماً بذلك الفعل يُسمّى إثماً وهذه ذنوب الجبناء.

والإثم أعمّ من العدوان ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: 62] والعدوان فيه اعتداء على حقوق الآخرين وهو أن يكون لي حق عليك فأتجاوزه، وهناك البغي وهو أن أسلبك حقك بالقهر أو بالسلاح، وهناك الظلم وهو أن أسلبك حقك سِلماً.

الذنب: هو كل شيء يجعلك في مؤخرة الناس. وهو مشتق من الذَنَب وهو أخسّ شيء في الحيوان. وهو يستعمل في كل فعل يُستوخم عقباه اعتباراً بذَنَب الشيء، ولهذا يُسمى الذنب تبِعة اعتباراً لما يحصل من عاقبته. ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آل عمران: 11] ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40].

الخطيئة: هي كل عمل قبيح يصدر عن عمل مُباح في الغالب. وأكثر ما تقال الخطيئة فيما لا يكون مقصوداً إليه في نفسه بل يكون القصد سبباً لتولّد ذلك الفعل منه، كمن يرمي صيداً فيصيب إنساناً ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ [الأحزاب: 5]. ويُسمى الذنب خاطئة ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ [الحاقة: 9] بمعنى الذنب العظيم. هناك خطأ بالإرادة أنت تريد شيئاً غير صحيح فهذا هو الخطأ التام وهو المأخوذ به الإنسان، خَطِىءَ يُخْطِأ خِطْأً ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 31] و﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: 91]. وهناك خطأ في التنفيذ كأن يريد الإنسان أن يُحسّن فعله ولكن يقع منه خلاف ما يريد فيقال: أَخْطَأَ إخْطَاءً فهو مُخْطِئٌ، وهنا تكون الإرادة مشروعة لكن تصير خطأً، أي أنه أصاب في الإرادة وأخطأ في الفعل كأنك تريد أن تضرب عصفوراً فتصيب به إنساناً خطأً، وهذا النوع من الخطأ معفو عنه بنسب معينة ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [النساء: 92] ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ

خَطَـٰيَـٰكُمۡۚ﴾ [البقرة: 58] ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ [البقرة: 286] وجاء في الحديث الشريف: «**رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان**» و«**من اجتهد فأخطأ فله أجر**» «**كل ابن آدم خطّاء وخير الخطّائين التوابين**». وهناك نوع آخر أن يريد ما لا يحسن فعله ويتفق مع خلافه فهذا مخطىء في الإرادة ومصيب في الفعل فهو مذموم بقصده وغير محمود على فعله وهناك نوع آخر من الخطأ وهو الخطأ في العقيدة.

فالخطأ هو الذي يصدر عن مباحات وأكثر ما يقع في العبادات، كالحُبّ يتطور إلى أن يصير وداً ثم عشقاً ثم يبالغ العاشق حتى يصل إلى المبالغة والمغالاة التي قد تكون مقبولة محمودة وقد لا تكون حتى يصل إلى البدعة، أي خرج من مشروع إلى غير مشروع كما فعل النصارى بعيسى حتى ألّهوه من شدة حبهم له. بينما قد يكون هذا الحب محموداً كما أحب صحابة رسول الله ﷺ الرسول ﷺ، فمنهم من عشق النبي ﷺ عشقاً عظيماً وكان الرسول ﷺ قد أمر أصحابه أن لا يقوموا له عند دخوله عليهم لتواضعه ﷺ فلم يستطع أحد الصحابة ذلك وبقي يقوم للرسول ﷺ فلمّا سأله قال: قيامي للحبيب عليّ فرض إلى أن قال: عجبت لمن له عقل ولُبّ يرى هذا الجمال ولا يقوم.

وكذلك بنو إسرائيل أخطأوا في العبادات ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَـٰيَـٰكُمۡۚ﴾ [البقرة: 58] وقوم نوح ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ﴾ [نوح: 25] فقد كانوا مؤمنين موحّدين وكانوا من نسل شيث ثم بعد 400 سنة تقريباً كان بينهم أناس صالحون هم ودّ وسواع ويعوق وازداد حب الناس لهؤلاء الصالحين حتى صنعوا لهم تماثيل ثم انتهى بهم الأمر إلى عبادتهم دون الله تعالى. هذه خطيئات وهكذا تبدأ في العبادات غالباً. وفي حياتنا اليومية يقع الكثير من الأخطاء وهذا ما يُغفر. والخطيئة التي تكون في العقيدة هي التي تُخرج من المِلّة كالفرق الضّالة التي تتطور أفكارها حتى تخرج من الملّة.

وكلمة خطايا هي جمع كثرة ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَـٰيَـٰكُمۡۚ﴾ بينما كلمة خطيئاتكم جمع قلة ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمۡۚ﴾ [الأعراف: 161].

السوء والسيئات: هو المُستقبح إما طبعاً أو عقلاً أو شرعاً. وهو كل ما يغُمّ الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجية. والسَّيئة هي أفعال قبيحة تترك للإنسان سمعة سيئة عند الناس وهي ضد الحسنة ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ [النساء: 79] وقال ﷺ: «**يا أنس أتبع السيئة الحسنة تمحها**» لذا يجب أن نحرص على الإسراع في الأعمال الحسنة لتمحو السيئات. والحسنة والسيئة نوعان أحدهما باعتبار العقل والشرع كما في قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: 160] وهناك حسنة وسيئة بحسب اعتبار الطبع وذلك ما يستخفّه الطبع وما يستثقله ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ [الأعراف: 131] و﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾ [الأعراف: 95].

وهناك فرق بين السوء وظُلم النفس قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ [النساء: 110] والفرق هنا أن السوء قد يعود ببعض النفع على الإنسان كالذي يشرب الخمر أو يزني أو السارق فهو يشعر باللذة ولو للحظات؛ أما ظلم النفس فهو لا يعود على الإنسان بأي نفع كالذي يشهد الزور لغيره دون أن يعود عليه الأمر بالنفع أو كالذي يقتل أحداً لأجل غيره من الناس، فالفائدة هنا لا تعود على الشخص نفسه وإنما على غيره وهذا هو ظلم النفس.

الفحشاء: هو كل فعل من الأفعال يترك في القلب والنفس شعوراً بالتدني كالقتل والزنى وما إلى ذلك. والفحشاء هي أكثر من الفاحشة وأعمال الفحشاء ثلاثة: الزنى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 32] واللواطة ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: 28] وإتيان المحارم ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 22].

المعصية: نوعان إما أن لا تفعل أمراً فتتمرد عليه ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: 69] وإما أن ترتكب أمراً منهياً عنه ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه: 121] وهذه

تحصل ساعة صدور الأمر بافعل أو لا تفعل. يقال لك: افعل فلا تفعل أو يقال لك: لا تفعل فتفعل. ولا تُسمّى عاصياً إلا إذا لم تُطبق الأمر ساعة صدوره إليك ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم: 6] ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ﴾ [الشعراء: 216].

والكفر أنواع: كفر العقيدة وهو أن تجعل لله نداً وهو خلقك، وهناك كفر لا يُخرج من المِلة كما جاء في بعض الأحاديث عن الرسول ﷺ: «**النياحة على الميت كفر**» و«**الحلِف بغير الله كفر**». وهناك كفر النعمة بأن لا تشكرها لكنك لا تعتدي بها على غيرك وهناك شكر النعمة أن تشكر الله عليها وهناك بطر النعمة وهو أن لا تشكر النعمة وأن تعتدي بها على غيرك من الناس لتأخذ حقوقهم.

وهناك كفر وشرك وكفر وإلحاد. والكفر في القرآن يعني المشرك المحارب ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: 123] والشرك هو أن تجعل لله نداً وهو خالقك. أما الإلحاد والرياء والنفاق منظومة واحدة: فالرياء هو أن أُجوّد العمل لأسمع المديح من غيري (كالذي يُحسّن صلاته أمام الناس فقط) وهذا رياء العمل فالمرائي قلبه مؤمن، وهم الذين جاء فيهم الحديث: (**أنهم أول من تُسعّر بهم النّار عالم وشهيد ومُنفق كل منهم فعل ما فعل ليقول الناس عنه أنه كذا**). أما النفاق فهو إبطان الكفر وإظهار الإسلام إما خوفاً أو جبناً (لا يصلي إلا إذا رأى الناس) وهذا المنافق يعمل لغير الله تعالى، وهناك الإلحاد وهو نوع من النفاق الصادق من وجهة نظر صاحبه كالمسلم الذي يُصلي ويصوم ولكنه يُحب الشيوعية، فهو إذن اعترافك بالشيء الصواب لكنك تضيف عليه ما ينافي العقيدة ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: 25] وعليه لا يُقال للمسيحي الذي يُثلّث أو اليهودي أنه ملحد إن ﴿ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: 180] هؤلاء يؤمنون بالله لكنهم يجعلون له أسماء غير التي هي له.

أما الفسق فهو الخروج عن طاعة والدخول في كبيرة كالذي كان يصلي ثم توقف عن الصلاة أو لم يكن زانياً فأصبح زانياً. وهناك فسق عمل وفسق عقيدة ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: 145].

وهنالك الفجور: إذا صار الفسق ديدناً يُسمى فجوراً. فإذا أصبح الفسق فيه إدمان صار فاجراً كالذي يشرب الخمر بشكل مستمر ولو شرب مرة واحدة وتاب يُعاقب وينتهي الأمر ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: 27] لأنهم اعتادوا على الفسق.

الضلال والضلالة: هو كل طريق لا يؤدي إلى المقصود كالذي يدور في حلقة مفرغة ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: 75]. متى ما سلك الإنسان سبلاً أخرى غير السبيل الصحيح فهو لن يصل إلى المقصود فهو ضالّ لأنه لا بد من الاتجاه نحو الهدف عن طريق السبيل الصحيح ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ [يوسف: 108] ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: 153]. والضلال نسبي وقد يُصاب به الصالحون كما جاء على لسان موسى عليه السلام: ﴿إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: 20]، ومطلق وهو ضلال العقيدة كعبادة الأصنام ونحوها ويُطلقها تعالى على الكافرين غير الموحّدين ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: 86]. وقد تأتي ضلّ بمعنى تاهَ ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: 104] لم يكن سعيهم في الطريق المرسوم.

الجُرم: هناك فرق بين الجَرم الذي هو من الحسم والجزم من أنواع القطع فهناك قطع سريع ونوع بتر ونوع قطع فرعي ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: 22] هذا قطع نهائي قد يكون هناك قطع يمكن أن يلتحم بعده المقطوع أما النهائي فهو ما لا يمكن أن يلتحم ويعود كما كان.

أما الجُرم والمجرم والجريمة: فالمجرم هو الذي بفعله انقطع عن مجتمعه انقطاعاً كاملاً فهو منذ وجوده يسعى لأن يكون هو في ناحية والمجتمع كله في ناحية أخرى، بحيث أن كل سعيه ينحصر بأن يتميّز عنهم ولا يكون بينهم وبينه صلة بل يقضي عمره كله في مكره بهم. والجريمة لغة من بعض معانيها النواة فالإنسان عندما يأكل التمرة يرمي بالنواة ولا يبقى بينه وبينها صلة. ولو علم الناس كلمة مجرم لفهموا معناها فهناك إجرام نسبي لا يأخذ الحد الكبير في الإجرام لكنه ذنب لا يمحوه الصلاة والصوم ومن الإجرام النسبي تعسّف الأزواج مع زوجاتهم

أو أبنائهم بضربهم إلى حد العوَق، فهذا مجرم قطع ما بين نفسه وبين زوجه وأولاده ويوم القيامة يعاقبه الله تعالى عقاباً شديداً، وإجرام مطلق كالحاكم الذي عزل نفسه عن شعبه وكان ماكراً بهم ويتسلط عليهم فهو مجرم جبار متكبر ظالم متسلط هذا الذي يعامله الله تعالى بصَغَارٍ ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: 124] والمكر هو التفاف الأغصان بعضها على بعض بحيث لا يعرف الناس أي ورقة تنتمي لأي غصن، والإجرام المطلق مثل فرعون مثلاً الذي سخّر كل الناس لخدمته وتفنن في مكره بهم. فالمجرم لا بد في النهاية من أن يُخذل قبل أن يموت ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: 123] كفرعون والنمرود وغيرهم حتى في التاريخ المعاصر. والعذاب أنواع: هناك عذاب أليم وعظيم وشديد ومهين وكل عذاب يليق بأحد الناس، فالعذاب المهين مثلاً يكون على القيم والكرامة فلو أُلقي القبض على أحدهم بتهمة صك مزور وكان هذا المزور تاجراً كبيراً عظيماً أو عاملاً بسيطاً أما هذا الأخير فقد يُسجن أياماً قليلة ثم يفرج عنه أما التاجر فيهان لأن الإهانة عنده تساوي السجن عشرات السنين. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ﴾ [الأنعام: 123] يدل على أن حساب يوم القيامة عذاب مهين ومن هذه الإهانة أن لا يُسأل المجرم عن ذنبه وهذا إمعان في إهانته واحتقاره بحيث أنه لم يُعطَ حتى المجال أن يدافع عن نفسه وهذا منتهى الصَّغَار للمجرم، ولهذا جاء في قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمٰن: 39] وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل: 56].

المُنْكَر: هو الذي ينكره المجتمع أو العرف الصالح وهو عكس الحسن وهذا يتغير من جيل إلى جيل ولهذا يُراعى العُرف ما دام صالحاً، لذا لا ينبغي أن يخرج أحدهم عن العرف. أو هو الأمر الذي تُقبّحه الشريعة فهناك ذنوب تُقبّحها الشريعة لكنها في عرف الناس أخفّ والعكس صحيح.

البغي غير الظلم، فالظلم كما قلنا هو أخذ حق الغير بدون قهر، والبغي أخذ حق غيرك بالقوة والتعسّف كأن يكون للشخص نفوذاً وقوة فيأخذ بها حقوق الآخرين. والتفرق بين المسميات هذه يترتب عليه أن لكل نوعٍ من هذه الذنوب علاجاً خاصاً به وعقوبة خاصة به أيضاً. فيجب معرفة نوع الذنب لإيجاد العلاج المناسب الخاص به. ولذلك نلاحظ أن الأنبياء جاؤوا لأقوام كل قوم منهم عنده عيب معين خاص به فأعطى تعالى لكل قوم علاجاً خاصاً بهم. فإذا كثرت الآثام في القوم يكون العلاج بالنزاهة وتطهير النفس بحيث يأنف من هذه الذنوب التي تترك في نفسه أثراً وشعوراً بالتدني. والخطيئة في العبادات وهي كل خطيئة ناتجة عن عمل مشروع أصلاً كالصلاة مثلاً يطوّرها الإنسان حتى يخرج بها عن المشروع، هنا العلاج يكون بتعليم الاتّباع الصحيح حق الاتّباع ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31] فلا يجب أن يُسفّه القوم المبتدعون، وعلى الداعية أن يُبيّن لهم السنّة الصحيحة ويعلمهم الاتباع الصحيح حتى يعرفوها حق المعرفة ويعرفون حكم الشرع فيها، والخطيئة مثل العاطفة والهوى التي تسوق الإنسان، وقد جاء في الحديث: «**لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم**» «**لا يؤمن أحدكم إلا أن يكون هواه..**» فيجب عدم المبادرة إلى تسفيه المبتدعين واتهامهم بالكفر ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: 44] فالمؤمن يُخطئ عن حسن نيّة. أما السوء والسيئات فهي تسبب لصاحبها حزناً ولذلك فإن علاجها يكون بالدرء أي: الحثّ على عمل الحسنات التي تمحو السيئات ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: 22] وكما جاء في الحديث عن الرسول ﷺ: «**أتبع الحسنة السيئة تمحها**» فمن عمل سوءًا ترك في نفسه نوعاً من الحزن والكآبة يعالج الأمر بعمل الحسنات مكانها حتى يدرأها.

وأضيف على هذه الكلمات كلمة لمم ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: 32] وكلمة زلل ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [البقرة: 209] والله أعلم أنها تدخل في هذه المنظومة.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الهمزة والثاء والميم تدلُّ على أصلٍ واحد، وهو البطء والتأخُّر. يقال: ناقة آثِمةٌ أي: متأخِّرة.

والإِثْمُ مشتقٌّ من ذلك، لأنَّ ذا الإِثم بطيءٌ عن الخير متأخّر عنه.

قال الخليل[2]: أثِمَ فلانٌ وقع في الإِثم، فإذا تَحَرَّج وكَفّ قيل: تَأَثَّم كما يقال: حَرِجَ وقع في الحَرج، وتحرّج تباعد عن الحَرَج.

قال الجوهري[3]: الإِثْمُ: الذنْبُ. وقد أَثِمَ الرجل بالكسر إِثماً ومَأْثماً، إذا وقع في الإثم، فهو آثِمٌ وأَثيمٌ، وأَثومٌ أيضاً. وأَثَمَهُ الله في كذا يَأْثُمُهُ ويَأْثِمُهُ، أي: عَدَّه عليه إثماً، فهو مَأْثُومُ.

وآثَمَهُ بالمد أوقعه في الإِثْم. وأثَّمَهُ بالتشديد، أي قال له: أَثِمْتَ. وقد تُسَمَّى الخمرُ إثماً. والأَثامُ: جزاء الإِثم. قال تعالى: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: 68] وناقةٌ آثِمَةٌ ونوقٌ آثِماتٌ، أي: مبطئات.

قال الراغب[4]: الإِثْمُ والأَثَامُ: اسم للأفعال المبطئة عن الثواب.

وقد أَثِمَ إِثْمَاً وَأَثَاماً فهو آثِمَ وأَثيمٌ. وتَأَثَّم: خرج من إِثْمِهِ، كقولهم: تحوب وتحرج: خرج من حوبه وحرجه، أي: ضيقه.

وتسمية الكذب إِثْماً لكون الكذب من جملة الإِثْم، وذلك كتسمية الإنسان حيواناً لكونه من جملته. وقيل: معنى: يَلْقَ أَثَاماً أي: يحمله ذلك على ارتكاب آثام، وذلك لاستدعاء الأمور الصغيرة إلى الكبيرة. والآثِم: المتحمل الإِثْم.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) مفردات الراغب.

المعنى المشترك لكلمة (إ ث م)

وقد وردت كلمة (إثم) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: الإثم يعني: الشرك ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ [المَائدة: 63].

الوجه الثاني: الإثم يعني: المعصية ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ [المَائدة: 3].

الوجه الثالث: الإثم يعني: الذنب ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: 203].

الوجه الرابع: الإثم يعني: الخطأ ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ [البقرة: 182].

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البَقَرَة: 283].

قال الطبري(1): مكتسب بكتمانه إيّاها معصية الله.

قال البغوي(2): أي فاجرٌ قلبه، وأراد به مسخ القلب.

قال الألوسي(3): فيكون في الكلام تنبيه على أن الكتمان من أعظم الذنوب، وقيل: أسند الإثم إلى القلب لئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه، وقيل: للإشارة إلى أن أثر الكتمان يظهر في قلبه كما جاء في الخبر: «**إذا أذنب العبد يحدث في قلبه نكتة**

(1) جامع البيان.
(2) معالم التنزيل.
(3) روح المعاني.

سوداء وكلما أذنب زاد ذلك حتى يسود ذلك بتمامه»، أو للإشارة إلى أنه يفسد قلبه فيفسد بدنه كله، فقد ورد: «**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**» والكل ليس بشيء كما لا يخفى، وقرىء (قلبه) بالنصب على التشبيه بالمفعول به. و(آثم) صفة مشبهة، وجوز أبو حيان كونه بدلاً من اسم إن بدل بعض من كل، وبعضهم كونه تمييزاً واستبعده أبو البقاء.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسَان: 24].

قال القاسمي[1] أي: ولا تطع في معصيته تعالى من مشركي مكة، من ركب الإثم وجاهر بالكفر، ممن يريدك عن الرجوع عن دعوتك، بما شئت من مال أو مطلب، وأَوْ إما على بابها. أي: لا تطع من كان فيه أحد هذين الوصفين، فالنهي عمن اجتمعا فيه يعلم بالطريق الأولى. وإما بمعنى الواو.

قال الطبري[2]: ولا تطع في معصية الله من مشركي قومك آثماً يريد بركوبه معاصيه، أو كفوراً: يعني جحوداً لنعمه عنده، وآلائه قِبلَه، فهو يكفر به، ويعبد غيره.

وقيل: إن الذي عني بهذا القول أبو جهل.

قال المراغي[3]: هو الفاجر المجاهر بالمعاصي.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البَقَرَة: 276].

قال الطبري[4]: فإنه يعني به: والله لا يحبّ كل مصرّ على كفر بربه، مقيم عليه، مستحلّ أكل الربا وإطعامه، أثيم متمادٍ في الإثم فيما نهاه عنه من أكل الربا والحرام وغير ذلك من معاصيه، لا ينزجر عن ذلك، ولا يرعوي عنه، ولا يتعظ بموعظة ربه التي وعظه بها في تنزيله وآيِ كتابه.

---

(1) محاسن التأويل.
(2) جامع البيان.
(3) تفسير المراغي.
(4) جامع البيان.

قال ابن الجوزي[1]: المتمادي في ارتكاب الإثم المُصِرّ عليه.

قال الفخر الرازي[2]: والأثيم فعيل بمعنى فاعل، وهو الآثم، وهو أيضاً مبالغة في الاستمرار على اكتساب الآثام والتمادي فيه، وذلك لا يليق إلا بمن ينكر تحريم الربا فيكون جاحداً، وفيه وجه آخر وهو أن يكون الكفار راجعاً إلى المستحيل، والأثيم يكون راجعاً إلى من يفعله مع اعتقاد التحريم، فتكون الآية جامعة للفريقين.

● **قال تعالى**: ﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [القَلَم: 12].

قال الطبري[3]: ذي إثم بربّه.

قال القرطبي[4]: أي ذي إثمٍ، ومعناه أثوم: فهو فعيل بمعنى فعول.

قال الألوسي[5]: كثير الآثام، وهي الأفعال المبطئة عن الثواب، والمراد بها المعاصي والذنوب.

قال المراغي[6]: أي كثير الآثام ديدنه ذلك، فهو لايبالي بما ارتكب، ولا بما اجترح.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [الدخان: 43-44].

قال الفخر الرازي[7]: قالت المعتزلة: تدل على حصول هذا الوعيد الشديد للأثيم، والأثيم هو الذي صدر عنه الإثم، فيكون هذا الوعيد حاصلاً للفساق والجواب: أنا بينا في أصول الفقه أن اللفظ المفرد الذي دخل عليه حرف التعريف

---

(1) زاد المسير.
(2) التفسير الكبير.
(3) جامع البيان.
(4) الجامع لأحكام القرآن.
(5) روح المعاني.
(6) تفسير المراغي.
(7) التفسير الكبير.

الأصل فيه أن ينصرف إلى المذكور السابق، ولا يفيد العموم، وهٰهنا المذكور السابق هو الكافر، فينصرف إليه.

قال القرطبي[1]: ﴿ٱلۡأَثِيمِ﴾ الفاجر؛ قاله أبو الدرداء. وكذلك قرأ هو وابن مسعود. وقال همام بن الحارث: كان أبو الدرداء يقرىء رجلاً ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ والرجل يقول: طعام اليتيم، فلما لم يفهم قال له: «طعام الفاجر».

قال الطبري[2]: والأثيم: ذو الإثم، والإثم من أَثِمَ يَأْثَمُ فهو أثيم. وعنى به في هذا الموضع: الذي إثمه الكفر بربه دون غيره من الآثام.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [النّساء: 112].

قال الفخر الرازي[3]: وذكروا في الخطيئة والإثم وجوهاً: الأول: أن الخطيئة هي الصغيرة، والإثم هو الكبيرة وثانيها: الخطيئة: هي الذنب القاصر على فاعلها، والإثم: هو الذنب المتعدي إلى الغير كالظلم والقتل. وثالثها: الخطيئة: ما لا ينبغي فعله سواء كان بالعمد أو بالخطأ، والإثم: ما يحصل بسبب العمد، والدليل عليه ما قبل هذه الآية وهو قوله: ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ﴾ [النساء: 111] فبيّن أن الإثم ما يكون سبباً لاستحقاق العقوبة.

قال الطبري[4]: ومن يعمل خطيئة، وهي الذنب، أو إثماً، وهو ما لا يحلّ من المعصية. وإنما فرّق بين الخطيئة والإثم، لأن الخطيئة قد تكون من قبل العمد وغير العمد، والإثم لا يكون إلا من العمد.

قال ابن عطية[5]: «والإثم» الحكم اللاحق عن المعصية، ونسبة المرء إلى

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.
(4) جامع البيان.
(5) المحرر الوجيز.

العقوبة فيها، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ أي: إياها يردي وبها يحل المكروه.

وقوله تعالى: ﴿خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾ [النِّساء: 112] ذهب بعض الناس إلى أنهما لفظان بمعنى كرر لاختلاف اللفظ، وقال الطبري: إنما فرق بين «الخطيئة والإثم» أن الخطيئة تكون عن عمد وعن غير عمد، والإثم لا يكون إلا عن عمد.

● **قال تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾** [الأنعَام: 120].

قال الطبري[1]: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره تقدّم إلى خلقه بترك ظاهر الإثم وباطنه وذلك سرّه وعلانيته، والإثم: كلّ ما عصى الله به من محارمه، وقد يدخل في ذلك سرّ الزنا وعلانيته، ومعاهرة أهل الرايات وأولات الأخدان منهنّ، ونكاح حلائل الآباء والأمهات والبنات، والطواف بالبيت عرياناً، وكلّ معصية لله ظهرت أو بطنت. وإذ كان ذلك كذلك، وكان جميع ذلك إثماً، وكان الله عمّ بقوله: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ جميع ما ظهر من الإثم وجميع ما بطن، لم يكن لأحد أن يخصّ من ذلك شيئاً دون شيء إلا بحجة للعذر قاطعة. غير أنه لو جاز أن يوجه ذلك إلى الخصوص بغير برهان، كان توجيهه إلى أنه عني بظاهر الإثم وباطنه في هذا الموضع: ما حرّم الله من المطاعم والمآكل من الميتة والدم، وما بيَّن الله تحريمه.

قال ابن كثير[2]: معصيته في السر والعلانية، وفي رواية عنه: هو ما ينوي مما هو عامل، وقال قتادة: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ أي: سره وعلانيته، قليله وكثيره، وقال السدي: ظاهره الزنا مع البغايا ذوات الرايات، وباطنه الزنا مع الخليلة والصدائق والأخدان، وقال عكرمة: ظاهره نكاح ذوات المحارم، والصحيح أن الآية عامة في ذلك كله، وهي كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: 33].

(1) جامع البيان.
(2) تفسير ابن كثير.

قال الماوردي[1]: فيه أربعة تأويلات: أحدها: سره وعلانيته، قاله مجاهد، وقتادة.

والثاني: ظاهر الإثم: ما حرم من نكاح ذوات المحارم بقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ﴾ [النِّساء: 23] الآية. وباطنه الزِّنى، قاله سعيد بن جبير.

والثالث: أن ظاهر الإثم أُوْلاَت الرايات من الزواني، والباطن ذوات الأخدان، لأنهن كُنَّ يستحللنه سراً، قاله السدي، والضحاك. والرابع: أن ظاهر الإثم العِرية التي كانو يعملون بها حين يطوفون بالبيت عراة، وباطنه الزِّنى، قاله ابن زيد. ويحتمل خامساً: أن ظاهر الإثم ما يفعله بالجوارح، وباطنه ما يعتقده بالقلب.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفُرقان: 68]

قال البيضاويّ[2]: جزاء إثم، أو إثماً، بإضمار الجزاء.

قال الزمخشري[3]: الأثام: جزاء الإثم، بوزن الوبال والنّكال، ومعناهما.

قال الطبري[4]: يلق من عقاب الله عقوبةً ونكالاً.

(1) النكت والعيون.
(2) أنوار التنزيل.
(3) الكشاف.
(4) جامع البيان.

أجّ

(أجّ - أوقد - سعر - شرر - وري - شعل)

■ **التّأْجِيجُ:** إشعال النار والفتنة ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: 94] وهما قبيلتان عاثوا في الأرض فساداً وأججوا الفتن.

■ **والأَجِيجُ:** صوت لهب النار بعد تأجيجها.

■ **الأُجَاجُ:** الماء الشديد الملوحة من ماء البحر.

﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: 53].

■ **الإِيقَادُ والوَقُودُ:** إحضار الوقود الشديد ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ [القَصَص: 38].

■ **السُّعار:** أشد أنواع النار حرارة ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: 12].

■ **الشَّرَرُ:** ما انفصل من اللهب وتطاير ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ [المرسلات: 32].

■ **الوُرِيّ:** ساعة خروج النار من المقدح للإيقاد ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ [الواقعة: 71].

■ **الشُّعل:** التهاب النار ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: 4].

* * *

شرح المعاني:

هاتان الكلمتان ليستا بمعنى واحد وهناك فرق بين الملح وبين الأُجاج.

أُجاج: شديد الملوحة والحرارة بحيث تكون الملوحة حارقة. فالأُجاج ليس الملح المطلق وإنما هو أخصّ من الملح. فكل أُجاج ملح وليس كل ملح أُجاجاً. وأجّ مأخوذة من أجيج النار. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: 53]. وكلمة مرج لها اثنا عشر معنى ومن هذه المعاني اشتعل ناراً كما في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمٰن: 15].

وأجّ يؤجّ بمعنى: أسرع، واليأجوج مشتق من أجّ يؤجّ إذا هرول الإنسان وعدّى عليه (في حديث فتح خيبر لما قال الرسول ﷺ لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله. . . فدخل علي بن أبي طالب فأعطاه الراية إلى أن قال: فذهب يؤجّ بها). ويأجوج ومأجوج فيها اشتقاقان: من أجّ يؤج بمعنى: أشعل ناراً أو أوقد فتنة أو أحدث إرباكاً فهي مصروفة، ويأجوج (فاعول) وقد تكون علَماً على قوم معينين فهي غير مصروفة. ويأجوج ومأجوج شُبّهوا بالنار المضطرمة والمياه المتموجة لكثرة اضطرابهم.

ملح: هو الطعم المعروف الذي يجعل الماء متجمداً. تغلب على الماء الملوحة فيصبح ملحاً ثم يُطلق على الماء المالح وإن لم يكن متجمداً والكلمة ليست عربية ولهذا انتقُد الشافعي لأنه استعمل كلمة مالح. يُقال: مملح وليس مالح.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: أما الهمزة والجيم فلها أصلان: الخفيف، والشدة، إما حراً أو ملوحةً.

وقال قوم: الأُجَاج: الحار المُشْتَعِل المُتَوهِّج، وهو من: تَأَجَّجَتْ النار.

(1) معجم مقاييس اللغة.

والأُجَّة: شدَّةُ الحرّ.

قال الجوهري[1]: الأجيج: تَلَهُّب النار. وقد أجَّتْ تَؤُجَّ أجيجاً. وأجَّجْتُها فتَأجَّجتْ وائتجَّتْ أيضاً. والأجوجُ: المضي، عن أبي عمرو. وقولهم: القوم في أجَّةٍ، أي: في اختلاط.

والأَجَّةُ: شدة الحر وتوهُّجه؛ والجمع إجاج، تقول منه: ائْتَجَّ النهار ائْتِجَاجاً.

وماءٌ أُجاجٌ، أي: مِلْحٌ مرّ. وقد أجَّ الماءُ يؤُجُّ أُجوجاً.

ابن سيده: الأَجَّةُ والأَجِيجُ صوت النار.

قال الأزهري[2]: الأجاج: شدة الحر، ويقال: جاءت أَجَّة الصيف.

قال الراغب[3]: أَجَّ الظّليم: إذا عدا أجيجاً، تشبيهاً بأجيج النار.

ويأجوج ومأجوج منه، شبهوا بالنار المضطرمة والمياه المتموجة لكثرة اضطرابهم.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: 53].

قال الماوردي[4]: وفي الأجاج: ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه المالح، وهو قول عطاء، وقيل: هو أملح المالح.

الثاني: أنه المر، وهو قول قتادة.

(1) الصحاح في اللغة.
(2) تهذيب اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) النكت والعيون.

والثالث: أنه الحار المؤجج، مأخوذ من تأجج النار، وهو قول ابن بحر.

قال القرطبي[1]: أي فيه ملوحة ومرارة.

قال البيضاويّ[2]: بليغ الملوحة.

قال الطبري[3]: وهذا ملح مرّ. يعني بالعذب الفرات: مياه الأنهار والأمطار، وبالملح الأجاج: مياه البحار.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فَاطِر: 12].

قال الفخر الرازي[4]: قال أكثر المفسرين: إن المراد من الآية ضرب المثل في حق الكفر والإيمان أو الكافر والمؤمن، فالإيمان لا يشتبه بالكفر في الحسن والنفع كما لا يشتبه البحران العذب الفرات والملح الأجاج.

قال الألوسي[5]: شديد الملوحة والحرارة من قولهم أجيج النار وأجتها، ومن هنا قيل هو الذي يحرق بملوحته، وهذا مثل ضرب للمؤمن والكافر.

قال البيضاويّ[6]: ضرب مثل للمؤمن والكافر، والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره، والأجاج الذي يحرق بملوحته.

● **قال تعالى**: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقِعَة: 70].

قال النسفي[7]: ملحاً أو مراً لا يقدر على شربه.

قال الطبري[8]: لو نشاء جعلنا ذلك الماء الذي أنزلناه لكم من المزن مِلحاً،

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) أنوار التنزيل.
(3). جامع البيان.
(4) التفسير الكبير.
(5) روح المعاني.
(6) أنوار التنزيل.
(7) مدارك التنزيل.
(8) جامع البيان.

وهو الأجاج، والأجاج من الماء: ما اشتدّت ملوحته، يقول: لو نشاء فعلنا ذلك به فلم تنتفعوا به في شرب ولا غرس. ولا غرس ولا زرع.

قال الألوسي[1]: ملحاً ذعاقاً لا يمكن شربه من الأجيج وهو تلهب النار، وقيل: الأجاج كل ما يلذع الفم ولا يمكن شربه فيشمل الملح والمر والحار، فإما أن يراد ذلك، أو الملح بقرينة المقام.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الكهف: 94].

قال أبو السعود[2]: اختلف في صفاتهم، فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة، وقيل لهم مخالب وأضراس، وهما اسمان أعجميان بدليل مع الصرف، وقيل: عربيان من أج أجيج إذا أسرع ﴿مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قيل: كانوا يخرجون أمامهم الربيع فلا يتركون أخضر إلا أكلوه، ولا يابس إلا احتملوه: وقبل كانوا من أكلة لحوم البشر أيضاً.

قال ابن عاشور[3]: ويأجوج ومأجوج أمة كثيرة العدد فيحتمل أن الواو الواقعة بين الاسمين حرف عطف فتكون أمة ذات شعبين، وهم المغول وبعض أصناف التتار. وهذا هو المناسب لأصل رسم الكلمة ولا سيما على القول بأنهما اسمان عربيان كما سيأتي فقد كان الصنفان متجاورين. ووقع لعلماء التاريخ وعلماء الأنساب في اختلاف إطلاق اسمي المغول والتتار كل على ما يطلق عليه الآخر لعسر التفرقة بين المتقاربين منهما، وقد قال بعض العلماء: إن المغول هم مأجوج بالميم اسم جد لهم يقال له أيضاً (سكيثوس) وربما يقال له (جيته). وكان الاسم العام الذي يجمع القبيلتين مأجوج ثم انقسمت الأمة فسميت فروعها بأسماء خاصة، فمنها مأجوج ويأجوج وتتر ثم التركمان ثم الترك. ويحتمل أن الواو المذكورة ليست عاطفة ولكنها جاءت في صورة العاطفة فيكون اللفظ كلمة واحدة مركبة تركيباً مزجياً، فيتكون اسماً لأمة وهم المغول.

---

(1) روح المعاني.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) التحرير والتنوير.

أجر

(أجر - ثمن - ثواب - جزاء)

- **الأَجْرُ:** عوض الأجير عن عمله. ﴿أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾ [القصص: 27].
﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: 24].
- **الثَّمَنُ:** عوض المبيع من المشتري ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: 20].
- **الثَّوَابُ:** عوض يشير إلى سخاء رب العمل ومكانته ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: 195].
- **الجَزَاءُ:** عوض يتناسب وكمال العمل أو نسبة التقصير فيه.
﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: 76]، ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: 26].

* * *

شرح المعاني:

أجر: أهم كلمة في المنظومة وهي تستخدم للمنفعة. كأن تأتي بأجير فتعطيه مقابل منفعة يقضيها لك. والأجر لا يكون إلا عن واجب متفق عليه سابقاً، وفي القرآن الكريم استخدم لفظ الأجر لبيان المقابل على الفروض التي افترضها الله تعالى علينا سلفاً: أما أجر النوافل فيسمى فضلاً لأن النوافل زيادة عن الفرض. والأجر لا يُعطى إلا إذا أُتقن العمل فالأجر إذن على عمل مقبول والقبول هو شأن صاحب العمل أو يكون وفق شروط مسبقة. ومن لوازم الأجر أن يكون عادلاً ويُدفع فور انتهاء العمل (**أعط الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه**) حديث،

فالحسنات مثلاً يُكتب أجرها بمجرد النية وهذا من كرم الله تعالى وكلّ فرض من الفروض يؤديها العباد يُعجّل الله تعالى لهم الأجر في الدنيا قبل أن يكتب أجرها في الآخرة ومنها أجر الاستغفار كما في الحديث الشريف: (**من لزم الاستغفار جعل الله لم من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً**). فالأجر إذن هو بدل المنفعة وشروط قبوله الإيمان والإخلاص فيه، وأهم ما في الأجر أن يكون حسن الأداء فإذا نقص يكون قبول فقط مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: 30]، ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 121]، ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: 96-97]. والأجر هو دواعي النظام الإلٰهي يفرض الله تعالى الفروض ويؤجِر عليها.

وقد وُصف الأجر في القرآن الكريم بأوصاف عديدة:

أجر كبير: أي كبير بذاته وما من عطاء أكبر من أجر الفرض إذا أُحسن أداؤه ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: 11]، أجر عظيم: أي بالغ الأهمية والمؤثّر الذي ينقل المُعطى من حال إلى حال ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 67]، أجر كريم: أي نفيس كالدرر واللؤلؤ ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: 11]، أجر غير ممنون: أي بلا منّة ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: 3]، أجر حسن: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: 2].

الثمن: الثمن هو بدل العين أي تعطيني عيناً فأعطيك ثمنها وهو العملة في البيع والشراء كالدينار والدرهم، أو العِوض إذا لم يكن مالاً. ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف: 20]. وقد يقلّ الثمن وقد

يزيد وقد يُخدع البائع أو المشتري. إذا كان الثمن بقدر العين تماماً يُسمى قيمة (مثال قيمة هذا الشيء درهم واحد بالضبط) وقد أبيعه بدرهمين أو أقل وهذا هو الثمن.

جزاء: هو المكافئ وفيه الكفاية ويرضى عنه الناس. ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 22]، ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: 15]. والجزاء هو من دواعي عدل الله تعالى فيعطي على الحسنة عشر أمثالها والسيئة بمثلها.

وفاء: وفّى بمعنى بلغ التمام. ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 25] و﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 76]، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: 15] و﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [هود: 109]، ومنها إيفاء الكيل ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ [الشعراء: 181]. والوفاء دلالة صدق العهد من الله تعالى.

إيتاء: الإيتاء شيء عظيم نادر صعب المنال ويتمنّاه الإنسان ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 162] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم﴾ [القصص: 54] حتى العامل لم يكن يتوقع هذا الأجر فيكون أجر غير منقوص (أجرهم غير منقوص) ويرضى به العامل، ومستمر لا ينقطع ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: 108] أي لا خوف من انقطاعه.

الفضل: الأجر والجزاء والوفاء هي كلها على الفريضة والواجب أما الفضل فيكون على النوافل ولا أحد يستطيع أن يعلم مقداره فالفضل أبقى من الأجر فإذا أراد الإنسان أن ينجو بنفسه فعليه أن يُكثر من النوافل ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: 30]. ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:

32] لأنه لا نهاية له. درجات الجنة تُعطى بالأجر أما منزلة الإنسان في درجته في الجنة وقيمته فيها فتُعطى بالفضل ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 21] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 14].

ثواب: الفضل والأجر كله ثوابٌ، فالثواب يشمل الأجر المتفق عليه مسبقاً والفضل الذي هو عطاء من عند الله تعالى. والثواب لغة هو العسل والرياح الطيّبة فلأن عطاء الله تعالى حلو كالعسل والرياح الطيّبة تأتي بالغيث الذي فيه الخير كله سُميّ ثواب الدنيا والآخرة. والإثابة هي الرجوع وهو دليل العطاء الكثير والمتكرر والله تعالى بكرمه وفضله يزيد المؤمنين زيادة لا حصر لها ولا نهاية.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الهمزة والجيم والراء أصلان يمكن الجمعُ بينهما بالمعنى، فالأول الكِراء على العمل، والثاني جَبْر العظم الكَسِير. فأمّا الكِراء فالأَجْرُ والأُجْرة.

وناسٌ يقولون أَجَرَتْ يَدُه. فهذان الأصلان والمعنى الجامع بينهما أنّ أُجْرَة العامِل كأنَّها شيءٌ يُجْبر به حالُه فيما لحِقه من كَدٍّ فيما عمله.

قال الخليل(2): يقول: الأجْر جزاء العمل، والفعل أجَرَ يَأجُرُ أَجْراً، والمفعول مأجور. والأجير: المستأجَر. والأُجَارة: ما أعطيتَ مِنْ أجرٍ في عمل.

قال الأزهري(3): آجرك الله: أي أثابك الله.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) تهذيب اللغة.

قال الجوهري[1]: الأجْرُ: الثوابُ. تقول: أَجَرَهُ الله يَأْجِرُهُ ويَأْجُرُهُ أَجْراً.

وكذلك آجَرَهُ الله إيجَاراً. وآجُرَ فلانٌ خمسةً من وَلَدِهِ، أي: ماتوا فصاروا أَجْرَهُ. والأُجرَةُ الكِراءُ. تقول: استأجَرتُ الرجلَ فهو يَأْجُرُني ثمانيَ حِجَجٍ، أي: يصير أَجيري. وائْتَجَرَ عليه بكذا، من الأُجْرَةِ.

قال ابن دريد[2]: الأَجْر معروف، والإجارة: السطح لا حاجز عليه، والجمع: أجاجير.

قال الراغب[3]: الأَجْرُ والأُجْرَة: ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو أخروياً، نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ [يونس: 72]، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: 27]، ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [يوسف: 57].

والأُجْرة في الثواب الدنيوي، وجمع الأَجْر أجور، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء: 25] كناية عن المهور، والأَجْرُ والأُجْرَة يقال فيما كان عن عقد وما يجري مجرى العقد، ولا يقال إلا في النفع دون الضر، نحو قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْۚ﴾ [آل عمران: 199]، وقوله تعالى: ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: 40]. والجزاء يقال فيما كان عن عقد وغير عقد، ويقال في النافع والضار، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: 12]، وقوله تعالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: 93].

يقال: أجر زيد عمراً يأْجُره أَجْراً: أعطاه الشيء بأجرة، وآجر عمرو زيداً: أعطاه الأُجْرَة، قال تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ﴾ [القصص: 27]، وآجر كذلك، والفرق بينهما أن أَجَرْتَه يقال إذا اعتبر فعل أحدهما، وآجَرْته يقال إذا

(1) الصحاح في اللغة.
(2) الجمهرة.
(3) مفردات الراغب.

اعتبر فعلاهما (انظر بصائر ذوي التمييز 2/ 132)، وكلاهما يرجعان إلى معنى واحد، ويقال: آجَره الله وأَجَرَه الله.

والأجير: فعيل بمعنى فاعل أو مفاعل، والاستئجار: طلب الشيء بالأُجْرة، ثم يعبر به عن تناوله بالأُجْرة، نحو: الاستيجاب في استعارته الإيجاب، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: 26].

المعنى المشترك لكلمة (أ ج ر)

وقد وردت كلمة (أجر) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: الأجر بمعنى: المهر ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ [الأحزاب: 50].

الوجه الثاني: الأجر يعني: الثواب ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النّحل: 96].

الوجه الثالث: الأجر يعني: الجُعل ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفُرقان: الآية 57].. أي جُعل.

الوجه الرابع: الأجر يعني: النفقة ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق: 6].

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ﴾ [القَصص: 27].

قال الطبري[1]: على أن تثيبني من تزويجها رعي ماشيتي ثماني حِجَج، من

(1) جامع البيان.

قول الناس: آَجَرَك الله فهو يَأجُرُك، بمعنى: أثابك الله والعرب تقول: أَجَرت الأجير آجُره، بمعنى: أعطيته ذلك، كما يقال: أخذته فأنا آخذه. وحكى بعض أهل العربية من أهل البصرة أن لغة العرب: أَجَرْت غلامي فهو مأجور، وآجَرْتُه فهو مُؤْجَر، يريد: أفعلته. قال: وقال بعضهم: آَجُرُه فهو مؤاجِرِ، أراد فاعلته. وكأن أباها عندي جعل صداق ابنته التي زوّجها موسى رَعْي موسى عليه ماشيته ثمانيَ حجج، والحِجَج: السنون.

قال الزمخشري[1]: من أَجَرْته إذا كنت له أجيراً، كقولك: أَبَوْته إذا كنت له أباً، و﴿ثَمَـٰنِيَ حِجَجٍ﴾ ظرفه. أو من أَجَرْتُه كذا، إذا أثبته إياه. ومنه: تعزية رسول الله ﷺ: «**أَجَرَكُمْ اللهُ ورحمكم**».

قال الألوسي[2]: من أَجَرْتُه كنت له أجيراً كقولك أبوته كنت له أباً، وهو بهذا المعنى يتعدى إلى مفعول واحد، وقوله تعالى: ﴿ثَمَـٰنِيَ حِجَجٍ﴾ ظرف له، ويجوز أن يكون ﴿تَأۡجُرَنِي﴾ بمعنى تثيبني من أجره الله تعالى على ما فعل أي: أثابه فيتعدى إلى اثنين ثانيهما هنا ﴿ثَمَـٰنِيَ حِجَجٍ﴾. والكلام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي تثيبني رعية ثماني حجج أي تجعلها ثوابي وأجري على الإنكاح ويعني بذلك المهر.

وجوز على هذا المعنى أن يكون ظرفاً لتأجرني أيضاً بحذف المفعول أي تعوضني خدمتك أو عملك في ثماني حجج، ونقل عن المبرد أنه يقال: أَجَرْتُ داري ومملوكي غير ممدود وآجَرْتُ ممدوداً، والأول أكثر فعلى هذا يتعدى إلى مفعولين، والمفعول الثاني محذوف، والمعنى على أن تأجرني نفسك، وقد يتعدى إلى واحد بنفسه، والثاني بمن فيقال: أَجَرْتُ الدار من عمرو، وظاهر كلام الأكثرين أنه لا فرق بين آجُرُ بالمد/ وأَجُرُ بدونه.

● **قال تعالى**: ﴿وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 40].

(1) الكشاف.
(2) روح المعاني.

قال الفخر الرازي[1]: اعلم أنه لا بد من الفرق بين هذا وبين قوله: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: 40] والذي يحظر ببالي والعلم عند الله، أن ذلك التضعيف يكون من جنس ذلك الثواب، وأما هذا الأَجْر العظيم فلا يكون من جنس ذلك الثواب، والظاهر أن ذلك التضعيف يكون من جنس اللذات الموعد بها في الجنة، وأما هذا الأَجْر العظيم الذي يؤتيه من لدنه، فهو اللذة الحاصلة عند الرؤية، وعند الاستغراق في المحبة والمعرفة، وإنما خص هذا النوع بقوله: ﴿مِن لَّدُنْهُ﴾ لأن هذا النوع من الغبطة والسعادة والبهجة والكمال، لا ينال بالأعمال الجسدانية، بل إنما ينال بما يودع الله في جوهر النفس القدسية من الإشراق والصفاء والنور، وبالجملة فذلك التضعيف إشارة إلى السعادة الجسمانية، وهذا الأَجْر العظيم إشارة إلى السعادة الروحانية.

قال الزمخشري[2]: ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيماً وسماه ﴿أَجْرًا﴾ لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بثباته.

قال النسفي[3]: ويعط صاحبها من عنده ثواباً عظيماً، وما وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره مع أنه سمى متاع الدنيا قليلاً.

● **قال تعالى**: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عِمرَان: 136].

قال الشعراوي[4]: والأُجْرةَ عادة ما يأخذه العامل نتيجة العمل، والأَجْر حين يأخذ العامل نتيجة لعمل يتوقف على تقديم العمل عند صاحب نفسه، فزيادة الأُجْرة تقدير من صاحب العمل، إذن فالمسألة مسألة حاجة من صاحب عمل أو حاجة من عامل. إلا أن الصفقة في الآخرة مختلفة لأن رب العمل غير محتاج اليك مطلق لأنه (إلٰهٌ) وأنت عبد.

إذن فالحاجة من جهة واحدة هي جهتك أنت أيها العبد، ومع ذلك يضاعف

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الكشاف.
(3) مدارك التنزيل.
(4) تفسير الشعراوي.

لك الأجر أضعافاً مضاعفة بحيث لا تنتهي مدة إنفاقه وهذا هو معنى قوله: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾.

قال القرطبي[1]: رتب تعالى بفضله وكرمه غفران الذنوب لمن أخلص في توبته ولم يصِرّ على ذنبه. ويمكن أن يتّصل هذا بقصّة أُحُد، أي من فَرّ ثم تاب ولم يصرّ فله مغفرة الله.

● **قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾** [البَقَرَة: 112].

قال الألوسي[2]: أي الذي وعد له على ذلك لا الذي يستوجبه كما قاله الزمخشري رعاية لمذهب الاعتزال، والتعبير عما وعد بالأجر إيذاناً بقوة ارتباطه بالعمل ﴿عِندَ رَبِّهِۦ﴾ حال من ﴿أَجْرُهُۥ﴾ والعامل فيه معنى الاستقرار.

قال الطبري[3]: فللمسلمِ وجْهَهُ لله محسناً جزاؤه وثوابه على إسلامه وطاعته ربه عند الله في معاده.

قال الزمخشري[4]: الذي يستوجبه.

● **قال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾** [آل عِمرَان: 199].

قال الطبري[5]: هؤلاء الذين يؤمنون بالله، وما أنزل إليكم، وما أنزل إليهم، لهم أجرهم عند ربهم؛ يعني: لهم عوض أعمالهم التي عملوها، وثواب طاعتهم ربهم فيما أطاعوه فيه عند ربهم، يعني: مذخور ذلك لهم لديه، حتى يصيروا إليه في القيامة، فيوفيهم ذلك.

قال أبو حيان[6]: أي ثواب إيمانهم، وهذا الأجر مضاعف مرتين بنص

---

(1) مختصر تفسير القرطبي.
(2) روح المعاني.
(3) جامع البيان.
(4) الكشاف.
(5) جامع البيان.
(6) البحر المحيط.

الحديث الصحيح: «**وأن من آمن من أهل الكتاب يؤتى أجره مرتين**» يضاعف لهم الثواب بما تضاعف منهم من الأسباب. وعند ظرف في موضع الحال، والعامل فيه العامل في لهم، ومعنى عند ربهم: أي في الجنة.

● **قال تعالى:** ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النِّساء: 25].

قال الفخر الرازي[1]: في تفسير الآية قولان: الأول: أن المراد من الأجور: المهور، وعلى هذا التقدير فالآية تدل على وجوب مهرها إذا نكحها، سمي لها المهر أو لم يسم، لأنه تعالى لم يفرق بين من سمى، وبين من لم يسم في إيجاب المهر، ويدل على أنه قد أراد مهر لمثل قوله تعالى: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وهذا إنما يطلق فيما كان مبنيًّا على الاجتهاد وغالب الظن في المعتاد والمتعارف كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 233]، الثاني: قال القاضي: إن المراد من أجورهن النفقة عليهن، قال هذا القائل: وهذا أولى من الأول، لأن المهر مقدر، ولا معنى لاشتراط المعروف فيه، فكأنه تعالى بين أن كونها أمة لا يقدح في وجوب نفقتها وكفايتها كما في حق الحرة إذا حصلت التخلية من المولى بينه وبينها على العادة، ثم قال القاضي: اللفظ وإن كان يحتمل ما ذكرناه فأكثر المفسرين يحملونه على المهر، وحملوا قوله: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ على إيصال المهر إليها على العادة الجميلة عند المطالبة من غير مطل وتأخير.

قال القرطبي[2]: دليلٌ على وجوب المهر في النكاح، وأنه للأَمَة.

قال ابن كثير[3]: أي: وادفعوا مهورهن بالمعروف، أي: عن طيب نفس منكم، ولا تبخسوا منه شيئاً استهانة بهن؛ لكونهن إماء مملوكات.

● **قال تعالى:** ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القَصَص: 26].

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) تفسير ابن كثير.

قال الماوردي[1]: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ والقائلة هي التي دعته وهي الصغرى يعني استأجره لرعي الغنم. ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ فيه قولان: أحدهما: القوي فيما ولي، الأمين فيما استودع، قاله ابن عباس.

الثاني: القوي في بدنه، الأمين في عفافه. وروي أن أباها لما قالت له ذلك دخلته الغيرة فقال لها: وما علمك بقوته وأمانته؟ قالت: أما قوته فأنه كشف الصخرة التي على بئر آل فلان ولا يكشفها دون عشرة، وأما أمانته فإنه خلفني خلف ظهره حين مشى.

قال الألوسي[2]: وأصل الاستئجار طلب الشيء بالأجرة ثم عبر به عن تناوله بها وهو المراد هنا. وكذا في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ وهو تعليل جار مجرى الدليل على أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ حقيق بالاستئجار المفهوم من طلب استئجاره، وبعضهم رتب من الآية قياساً من الشكل الأول هكذا هو قوي أمين وكل قوي أمين لائق بالاستئجار ينتج هو لائق بالاستئجار وهو المدعي المفهوم من الطلب.

قال الشعراوي[3]: وفي قولها دليل على أنها لم تعشق الخروج للعمل، إنما تطلب مَنْ يقوم به بدلاً عنها؛ لِتقرَّ في بيتها. ثم تذكر البنت حيثيات هذا العرض الذي عرضته على أبيها ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ وهذان شرطان لا بُدَّ منهما في الأجير: قوة على العمل، وأمانة في الأداء. وقد تسأل: ومن أين عرفتْ البنت أنه قوي أمين؟ قالوا: لأنه لما ذهب ليسقي لهما لم يزاحم الناس، وإنما مال إلى ناحية أخرى وجد بها عُشْباً عرف أنه لا ينبت إلا عند ماء، وفي هذا المكان أزاح حجراً كبيراً لا يقدر على إزاحته إلا عدة رجال، ثم سقى لهما من تحت هذا الحجر، وعرفتْ أنه أمين حينما رفض أن تسير أمامه، حتى لا تظهر له

(1) النكت والعيون.
(2) روح المعاني.
(3) تفسير الشعراوي.

مفاتن جسمها. ويأتي دور الأب، وما ينبغي له من الحزم في مثل هذه المواقف، فالرجل سيكون أجيراً عنده، وفي بيته بنتان، سيتردد عليهما ذهاباً وإياباً، ليلَ نهار، والحكمة تقتضي إيجاد علاقة شرعية لوجوده في بيته؛ لذلك رأى أن يُزوِّجه إحداهما ليخلقَ وَضْعاً، يستريح فيه الجميع...

أجل

(أجل - عُمر - نحْب)

- **أَجَلُ:** آخر المدة المضروبة للشيء ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ [الأنعام: 128].
- **عُمْرُ:** كل المدة المضروبة لعمارة البدن بالحياة ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ [القَصَص: 45].
- **نَحْبُ:** العمر باعتبار الواجب الثقيل المصاحب له ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب: 23].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): أنّ الهمزة والجيم واللام يدلُّ على خمس كلماتٍ متباينة، لا يكادُ يمكنُ حَملُ واحدةٍ على واحدة من جهة القياس، فكلُّ واحدةٍ أصلٌ في نفسها. ورَبُّكَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ. فالأَجَل غاية الوقت في مَحَلِّ الدَّين وغيره.

وقد صرّفه الخليلُ فقال: أَجِل هذا الشّيءُ وهو يَأْجَلُ، والاسم: الآجِل نقيض العاجل والأجيل: المُرْجأ، أي المؤخَّر إلى وقتٍ.

قال: وقولهم «أجَلْ» في الجواب، هو من هذا الباب، كأنّه يريد انتهى وبلغ

(1) معجم مقاييس اللغة.

الغاية. والإجْلُ القطيع من بقر الوحش، والجمع: آجال. وقد تأجّل الصِّوار: صار قَطِيعاً. والأجْلُ: مصدر أجَلَ عليهم شَرّاً، أي: جناه وبَحَثَه.

قال الجوهري[1]: الأَجَلُ: مُدَّةَ الشيء. ويقال: فعلت ذاك من أَجْلِكَ، ومن أَجْلاَكَ؛ أي: من جَرَّاكَ. والإِجْلُ أيضاً بالكسر: القَطيع من بقر الوحش، والجمع: الآجالُ. وتَأَجَّلَتِ البِهامُ: أي صارت آجالاً.

والإِجْلُ أيضاً: وجعٌ في العنقُ. وقد أَجِلَ الرجلُ: أي نام على عنقه فاشتكاها.

والتَّأجيلُ: المداواةُ منه. يقال: بي إِجْلٌ فأَجَّلوني منه، أي: داووني منه.

واسْتأْجَلْتُهُ فأَجَّلَني إلى مدةٍ. والإِجَّلُ: لغةٌ في الإِيَّلِ، وهو الذكر من الأوعال.

والآجِلُ والآجِلةُ: ضدُّ العاجل والعاجلة. وأَجَلَ عليهم شَرًّا: يأْجُلُ ويَأْجِلُ أَجْلاً، أي: جَناهُ وهَيَّجَه.

قال الراغب[2]: الأَجَلْ: المدة المضروبة للشيء، قال تعالى: ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ [غافر: 67]، ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ [القصص: 28].

ويقال: دينه مُؤَجَّل، وقد أَجَّلْتُهُ: جعلت له أَجَلاً، ويقال للمدة المضروبة لحياة الإنسان: أَجَلْ، فيقال: دنا أَجَلُه، عبارة عن دنو الموت.

وأصله: استيفاء الأَجَلْ أي: مدة الحياة، وقوله تعالى: ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ [الأنعام: 128]، أي: حد الموت، وقيل: حد الهرم، وهما واحد في التحقيق.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الأنعام: 2]، فالأول: هو البقاء في الدنيا، والثاني: البقاء في الآخرة، وقيل: الأول: هو البقاء في الدنيا،

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) مفردات الراغب.

والثاني: مدة ما بين الموت إلى النشور، عن الحسن، وقيل: الأول: للنوم، والثاني: للموت، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: 42].

وقيل: الأجلان جميعاً للموت، فمنهم من أجله بعارض كالسيف والحرق والغرق وكل شيء غير موافق، وغير ذلك من الأسباب المؤدية إلى قطع الحياة، ومنهم من يوقى ويعافى حتى يأتيه الموت حتف أنفه، وهذان هما المشار إليهما بقوله: (من أخطأه سهم الرزية لم يخطئه سهم المنية).

وقيل: للناس أجلان، منهم من يموت عبطة (أصل هذه المادة: عبطت الناقة عبطاً: إذا ذبحتها من غير علة، ومات فلان عبطةً، أي: صحيحاً شاباً. انتهى). ومنهم من يبلغ حدًّا لم يجعله الله في طبيعة الدنيا أن يبقى أحد أكثر منه فيها، وإليهما أشار بقوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [الحج: 5]، وقصدهما الشاعر بقوله:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

والآجل ضد العاجل، والأَجْل: الجناية التي يخاف منها آجلاً، فكل أَجْلٌ جناية وليس كل جناية أجلاً، يقال: فعلت كذا من أَجْله، قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة: 32]، أي: من جراء، وقرئ: (من إجل ذلك) (وهي بكسر الهمزة مع قطعها قراءة شاذة حكاها اللحياني، وقرأ أبو جعفر بكسر الهمزة ونقل حركتها إلى النون، ووافقه الحسن).

ويقال: (أَجَلْ) في تحقيق خبر سمعته.

وبلوغ الأَجَلْ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ [البقرة: 231]، هو المدة المضروبة بين الطلاق وبين انقضاء العدة، وقوله تعالى: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة: 232]، إشارة إلى حين انقضاء العدة، وحينئذ لا جناح عليهن فيما فعلن في أنفسهن.

قال الزمخشري[1]: أ ج ل: ضربت له أجلاً وتقول: ابن آدم قصير الأجل طويل الأمل يؤثر العاجل ويذر الآجل.

وتقول: أَجَلْنَ عيون الآجال فأصبن النفوس بالآجال.

وتَأَجَّلَتْ الصوار: اجتمعت.

المعنى المشترك لكلمة (أ ج ل)

وقد وردت كلمة (أجل) في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

الوجه الأول: الأجل يعني: الموت ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ [المنافقون: 11].

الوجه الثاني: الأجل يعني: الوقت ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾ [القَصَص: 28].

الوجه الثالث: الأجل يعني: الهلاك ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْۖ﴾ [الأعرَاف: 185].

الوجه الرابع: الأجل يعني العدة ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [البَقَرَة: 234].

الوجه الخامس: الأجل يعني: العذاب ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ﴾ [نُوح: 4].

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ [المُرسَلات: 12].

قال الزمخشري[2]: والتَّأجيل: من الأجل، كالتوقيت: من الوقت ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ

(1) أساس البلاغة. (2) الكشاف.

﴿أُجِّلَتۡ﴾ تعظيم لليوم، وتعجيب من هوله ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ﴾ [المرسلات: 13] بيان ليوم التأجيل، وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق. والوجه أن يكون معنى وقتت: بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره: وهو يوم القيامة. وأُجِّلَتْ: أُخِّرَتْ.

قال الفخر الرازي[1]: أي أُخِّرَتْ كأنه تعالى يعجب العباد من تعظيم ذلك اليوم فقال: لأي يوم أُخِّرَتْ الأمور المتعلقة بهؤلاء: وهي تعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم وظهور ما كانوا يدعون الخلق إلى الإيمان به من الأهوال والعرض والحساب ونشر الدواوين ووضع الموازين.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ﴾ [آل عِمرَان: 145].

قال القرطبي[2]: هذا حَضٌّ على الجهاد، وإعلامٌ أن الموت لا بدّ منه وأن كلّ إنسان مقتولٍ أو غير مقتولٍ مَيِّتٌ إذا بلغ أجلَه المكتوب له؛ لأن معنى ﴿مُّؤَجَّلٗاۗ﴾ إلى أجل. ومعنى ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ بقضاء الله وقَدَره. وَ«كِتَاباً» نصب على المصدر، أي كتب الله كتاباً مُؤَجَّلاً. وأَجَلُ الموت: هو الوقت الذي في معلومه سبحانه، أن روح الحيّ تفارق جسده، ومتى قُتل العبد علمنا أن ذلك أَجَلَه. ولا يصحّ أن يقال: لو لم يقتلْ لَعَاش.

والدليل على قوله: ﴿كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ﴾ ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [الأعراف: 34] ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾ [العنكبوت: 5] ﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ﴾ [الرّعد: 38].

قال الألوسي[3]: أي موقتاً بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر، وقيل: حكماً لازماً مبرماً وهو صفة كتاباً ولا يضر التوصيف بكون المصدر مؤكداً بناءًا على أنه

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) روح المعاني.

معلوم مما سبق وليس كل وصف يخرج عن التأكيد، ولك - لما في ذلك من الخفاء - أن تجعل المصدر لوصفه مبيناً للنوع وهو أولى من جعله مؤكداً، وجعل ﴿مُؤَجَّلًا﴾ حالاً من الموت لا صفة له لبعد ذلك غاية البعد فتدبر. وقرىء ﴿مُوَجَّلًا﴾ بالواو بدل الهمزة على قياس التخفيف.

● **قال تعالى:** ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ [الأنعام: 128].

قال الزمخشري[1]: يعنون يوم البعث، وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم.

قال الفخر الرازي[2]: واختلفوا في أن ذلك الأجل أي الأوقات؟ فقال بعضهم: هو وقت الموت. وقال آخرون: هو وقت التخلية والتمكين. وقال قوم: المراد وقت المحاسبة في القيامة، والذين قالوا بالقول الأول قالوا إنه يدل على أن كل من مات من مقتول وغيره فإنه يموت بأجله، لأنهم أقروا أنا بلغنا أجلنا الذي أجلت لنا، وفيهم المقتول وغير المقتول.

قال أبو حيان[3]: هو الغاية التي انتهى إليها جميعهم من الاستمتاع، وهذا القول منهم اعتذار عن الجن في كونهم استكثروا منهم وإشارة إلى أن ذلك بقدرك وقضائك إذ لكل كتاب أجل، واعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام وتحسر على حالهم. وقرىء آجالنا على الجمع الذي على التذكير والإفراد. قال أبو علي: هو جنس أوقع الذي موقع التي؛ انتهى. وإعرابه عندي بدل كأنه قيل: الوقت الذي وحينئذ يكون جنساً ولا يكون إعرابه نعتاً لعدم المطابقة وفي قوله: ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ [الأنعام: 128] دليل على المعتزلة في قولهم: بالأجلين لأنهم أقروا بذلك وفيهم المعقول وغيره.

---

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.
(3) البحر المحيط.

● **قال تعالى**: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العَنكبوت: 5].

قال الزمخشري[1]: فإِنَّ أَجَلَ الله لآتٍ، كيف وقع جواباً للشرط؟ قلت: إذا علم أن لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الأجل المضروب للموت: فكأنه قال: من كان يرجو لقاء الله فإن لقاء الله لآتٍ، لأن الأجل واقع فيه اللقاء، كما تقول: من كان يرجو لقاء الملك فإن يوم الجمعة قريب، إذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة.

قال الفخر الرازي[2]: يمكن أن يكون المراد بأَجَلِ الله الموت، ويمكن أن يكون هو الحياة الثانية بالحشر، فإن كان هو الموت فهذا ينبىء عن بقاء النفوس بعد الموت كما ورد في الأخبار وذلك لأن القائل إذا قال من كان يرجو الخير فإن السلطان واصل يفهم منه أن متصلاً بوصول السلطان يكون هو الخير حتى أنه لو وصل هو وتأخر الخير يصح أن يقال للقائل: أما قلت ما قلت ووصل السلطان ولم يظهر الخير، فلو لم يحصل اللقاء عند الموت لما حسن ذلك كما ذكرنا في المثال، وإذا تبين هذا فلولا البقاء لما حصل اللقاء.

قوله: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ﴾ شرط وجزاؤه ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍۚ﴾ [العنكبوت: 5] والمعلق بالشرط عدم عند عدم الشرط فمن لا يرجو لقاء الله لا يكون أجل الله آتياً له، وهذا باطل فما الجواب عنه؟ نقول المراد من ذكر إتيان الأجل وعد المطيع بما بعده من الثواب، يعني من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآتٍ بثواب الله يثاب على طاعته عنده ولا شك أن من لا يرجوه لا يكون أجل الله آتياً على وجه يثاب هو.

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاًۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾ [الأنعَام: 2].

---

(1) الكشاف. (2) التفسير الكبير.

قال الألوسي[1]: إن كلا الأجلين للموت ولكل شخص أجلان أجل يكتبه الكتبة وهو يقبل الزيادة والنقص، كما في الخبر «**من أحب أن ينسأ له في أجله**»، وأجل مسمىً عنده سبحانه وتعالى لا يقبل التغيير ولا يطلع عليه غيره عز شأنه.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: 129].

قال الزمخشري[2]: لا يخلو من أن يكون معطوفاً على ﴿كَلِمَةٌ﴾ أو على الضمير في (كان) أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كم كانا لازمين لعاد وثمود، ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل.

قال البيضاوي[3]: عطف على كلمة أي ولولا العدة بتأخير العذاب وأجل مسمى لأعمارهم، أو لعذابهم وهو يوم القيامة أو يوم بدر لكان العذاب لزاماً والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب، ويجوز عطفه على المستكن في كان أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين له.

قال الفخر الرازي[4]: الأجل المسمى ففيه قولان: أحدهما: ولولا أجل مسمى في الدنيا لذلك العذاب وهو يوم بدر. والثاني: ولولا أجل مسمى في الآخرة لذلك العذاب وهو أقرب.

● **قال تعالى**: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: 5].

قال القرطبي[5]: أي في فَلَكه إلى أن تنصرم الدنيا وهو يوم القيامة (حين) تنفطر السماء وتنتثر الكواكب. وقيل: الأجل المسمى هو الوقت الذي ينتهي فيه سير الشمس والقمر إلى المنازل المرتبة لغروبها وطلوعها.

(1) روح المعاني.
(2) الكشاف.
(3) أنوار التنزيل.
(4) التفسير الكبير.
(5) الجامع لأحكام البيان.

أحد

(أحد - فرد - وتر - واحد - وحيد)

- **أَحَدٌ:** ليس معه شريك في عمله ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1].
- **الفَرْدُ:** ليس معه خليط في وجوده من ولد أو والد يختلط به ﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ [الأنبياء: 89].
- **الوَتْرُ:** لا يخلفه أحد بعده ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ [الفجر: 3].
- **الوَاحِدُ:** لا يتجزأ فليس له جزء ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: 4].
- **الوَحِيدُ:** ليس له معين ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: 11].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الهمزة والحاء والدال فرع والأصل الواو وَحَد، وقد ذكر في الواو.

قال الخليل(2): تقول في ابتداء العدد: واحد، اثنان، ثلاثة، إلى عشرة، وإن شئت قلت: أحد، ثلاثة.. وفي التأنيث: واحدة وإحدى.

قال الجوهري(3): أَحَدٌ بمعنى الواحد، وهو أول العدد. وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فهو بدلٌ من الله، لأنَّ النكرة قد تبدل من المعرفة.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

وتقول: لا أَحَد في الدار ولا تقول فيها أحدَ ويوم الأحدَ يجمع على آحاد. وأما قولهم ما في الدار أحدٌ، فهو اسمٌ لمن يصلح أن يخاطب، يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث.

قال ابن منظور[1]: الأَحد وهو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر، وهو اسم بني لنفي ما يذكر معه من العدد، تقول: ما جاءَني أَحد، والهمزة بدل من الواو وأَصله وَحَدٌ لأَنه من الوَحْدة.

قال الراغب[2]: - أحد يستعمل على ضربين:

أحدهما: في النفي فقط قال المختار بن بونا الجكني الشنقيطي في تكميله لألفية ابن مالك:

وعظموا بأحد الآحاد وأحد في النفي ذو انفراد
بعاقل، ومثله غريب كما هنا من أحد قريب

والثاني: في الإثبات.

فأما المختص بالنفي فلاستغراق جنس الناطقين، ويتناول القليل والكثير على طريق الاجتماع والافتراق، نحو: ما في الدار أحد، أي: لا واحد ولا اثنان فصاعداً لا مجتمعين ولا مفترقين، ولهذا المعنى لم يصح استعماله في الإثبات؛ لأن نفي المتضادين يصح، ولا يصح إثباتهما، فلو قيل: في الدار واحد لكان فيه إثبات واحد منفرد مع إثبات ما فوق الواحد مجتمعين ومفترقين، وذلك ظاهر الإحالة، ولتناول ذلك ما فوق الواحد يصح أن يقال: ما من أحد فاضلين (وهذا النقل حرفياً في البصائر 2/ 91)، كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: 47].

وأما المستعمل في الإثبات فعلى ثلاثة أوجه: الأول: في الواحد المضموم إلى العشرات نحو: أحد عشر وأحد وعشرين.

(1) اللسان. (2) مفردات الراغب.

والثاني أن يستعمل مضافاً أو مضافاً إليه بمعنى الأول، كقوله تعالى: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ [يوسف: 41]، وقولهم: يوم الأحد. أي: يوم الأول، ويوم الاثنين.

والثالث: أن يستعمل مطلقاً وصفاً، وليس ذلك إلا في وصف الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]، وأصله وَحَد (قال الفيروز آبادي: وأصله وحد، أبدلوا الواو همزة على عادتهم في الواوات الواقعة في أوائل الكلم، كما في: أجوه ووجوه، وإشاح ووشاح، وامرأة أناة ووناة.

المعنى المشترك لكلمة (أ ح د)

وقد وردت كلمة (أحد) في القرآن الكريم على ثمانية أوجه:

الوجه الأول: أحد يعني: الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1].

الوجه الثاني: أحد يعني: النبي ﷺ ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا﴾ [الحَشر: الآية 11].

الوجه الثالث: أحد يعني: بلال بن حمامة مؤذن النبي ﷺ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ [الليْل: 19]. . يعني: لبلال عنده أي عند أبي بكر حين أعتقه.

الوجه الرابع: أحد يعني: (يمليخا) وهو أحد الفتية أصحاب الكهف. . ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الكهف: 19].

الوجه الخامس: أحد يعني: زيد بن حارثة ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزَاب: 40].

الوجه السادس: أحد (أي) من الخلق كلهم. . الملائكة الإنس والجن ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].

الوجه السابع: أحد يعني: الملك الظالم (دقيانوس) في قصة أصحاب الكهف ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 19].

الوجه الثامن: أحد المراد به ساقي الملك في قصة يوسف عليه السلام ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: 36].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: 136].

قال أبو السعود(1): وهمزةُ (أحداً) إما أصليةٌ فهو اسمٌ موضوع لمن يصلُح أن يخاطَب يستوي فيه المفردُ والمثنى والمجموعُ والمذكرُ والمؤنث ولذلك صح دخولُ (بين) عليه كما في مثل المالِ بين الناس ومنه ما في قوله ﷺ: «**ما أُحِلَّتِ الغنائمُ لأحدٍ سُودِ الرُّؤوسِ غيرِكم**» حيثُ وصف بالجمع، وإما مبدلةٌ من الواو فهو بمعنى واحد وعمومُه لوقوعه في حيز النفي وصحةِ دخول (بين) عليه باعتبار معطوفٍ قد حُذف لظهوره أي بين أحد منهم وبين غيره، أي بين الخير وبيني وفيه من الدلالة صريحاً عليه تحقيقُ عدمِ التفريقِ بين كلِّ فردٍ منهم وبين من عداه كائناً من كان ما ليس في أن يقال لا نفرِّق بينهم.

قال الألوسي(2): ﴿أَحَدٖ﴾ أصله - وحد - بمعنى - واحد - وحيث وقع في سياق النفي عم واستوى فيه - واحد والكثير - وصح إرادة كل منهما - وقد أريد به هنا الجماعة - ولهذا ساغ أن يضاف إليه (بين) ويفيد عموم الجماعات - كذا قاله بعض المحققين - وهو مخالف لما هو المشهور عند أرباب العربية من أن الموضوع في النفي العام أو المستعمل مع كل في الإثبات - همزته - أصلية بخلاف ما استعمل في الإثبات بدون كل فإن - همزته - منقلبة عن - واو - ومن هنا قال العلامة التفتازاني: إن (أحد) في معنى الجماعة بحسب الوضع لأنه اسم

---

(1) إرشاد العقل السليم. (2) روح المعاني.

لمن يصلح أن يخاطب يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والمجموع، ويشترط أن يكون استعماله مع/كلمة - كل - أو مع النفي، نص على ذلك أبو عليّ وغيره من أئمة العربية، وهذا غير - الأحد - الذي هو أول العدد في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1].

وليس كونه في معنى الجماعة من جهة كونه نكرة في سياق النفي - على ما سبق - إلى كثير من الأوهام، ألا ترى أنه لا يستقيم لا نفرق بين رسول من الرسل إلا بتقدير عطف أي رسول ورسول، و﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: 32] ليس في معنى - كامرأة منهن - انتهى.

● **قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 285].**

قال الفخر الرازي[1]: أحد في معنى الجمع، كقوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: 47] والتقدير: لا نفرق بين جميع رسله، هذا هو الذي قالوه، وعندي أنه لا يجوز أن يكون أحد هٰهنا في معنى الجمع، لأنه يصير التقدير: لا نفرق بين جميع رسله، وهذا لا ينافي كونهم مفرقين بين بعض الرسل والمقصود بالنفي هو هذا، لأن اليهود والنصارى ما كانوا يفرقون بين كل الرسل، بل بين البعض وهو محمد ﷺ، فثبت أن التأويل الذي ذكروه باطل، بل معنى الآية: لا نفرق بين أحد من الرسل، وبين غيره في النبوّة، فإذا فسرنا بهذا حصل المقصود من الكلام.

قال القرطبي[2]: ﴿بَيْنَ أَحَدٍ﴾ على الإفراد ولم يقل آحاد؛ لأن الأحدَ يتناول الواحد والجميع؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ فـ «حاجزين» صفة لأحد؛ لأن معناه الجمع. وقال ﷺ: «**ما أحلت الغنائم لأحد سود الرؤوس غيركم**».

قال أبو السعود[3]: نؤمنُ بصحة رسالةِ كلِّ واحدٍ منهم. قيّدوا به إيمانَهم

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) إرشاد العقل السليم.

تحقيقاً للحق وتخطِئةً لأهل الكتابين حيث أجمعوا على الكفر بالرسول ﷺ واستقلت اليهودُ بالكفر بعيسى عليه السلام أيضاً على أن مقصودَهم الأصليَّ إبرازُ إيمانهم بما كفروا به من رسالته عليه السلام لا إظهارُ موافقتهم لهم فيما آمنوا به.

● **قال تعالى:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1].

قال الطبري(1): واختلف أهل العربية في الرافع ﴿أَحَدٌ﴾ فقال بعضهم: الرافع له «الله»، و«هو» عماد، بمنزلة الهاء في قوله: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النَّمل: 9].

وقال آخر منهم: بل «هو» مرفوع، وإن كان نكرة بالاستئناف، كقوله: هذا بعلي شيخ، وقال: هو الله جواب لكلام قوم قالوا له: ما الذي تعبد؟ فقال: هو الله، ثم قيل له: فما هو؟ قال: هو أحد.

وقال آخرون ﴿أَحَدٌ﴾ بمعنى: واحد، وأنكر أن يكون العماد مستأنفاً به، حتى يكون قبله حرف من حروف الشكّ، كظنّ وأخواتها، وكان وذواتها، أو إنّ وما أشبهها، وهذا القول الثاني هو أشبه بمذاهب العربية.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ) بتنوين «أحدٌ»، سوى نصر بن عاصم، وعبد الله بن أبي إسحاق، فإنه رُوي عنهما ترك التنوين: «أَحَدُ اللهُ» وكأن من قرأ ذلك كذلك، قال: نون الإعراب إذا استقبلتها الألف واللام أو ساكن من الحروف حُذفت أحياناً.

والصواب في ذلك عندنا: التنوين، لمعنيين: أحدهما أفصح اللغتين، وأشهر الكلامين، وأجودهما عند العرب. والثاني: إجماع الحجة من قرّاء الأمصار على اختيار التنوين فيه، ففي ذلك مُكْتفًى عن الاستشهاد على صحته بغيره. وقد بيَّنا معنى قوله «أحد» فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

---

(1) جامع البيان.

قال البغوي[1]: أي واحد، ولا فرق بين الواحد والأحد، يدل عليه قراءة ابن مسعود: قل هو الله الواحد.

قال الألوسي[2]: وذكر بعضهم أن الاسم الجليل يدل على جميع صفات الكمال وهي الصفات الثبوتية ويقال لها صفات الإكرام أيضاً والأحد يدل على جميع صفات الجلال وهي الصفات السلبية ويتضمن الكلام على كونهما خبرين الإخبار بكون المسؤول عنه متصفاً بجميع الصفات الجلالية والكمالية.

وتعقب بأن الإلٰهية جامعة لجميع ذلك بل كل واحد من الأسماء الحسنى كذلك لأن الهوية الإلٰهية لا يمكن التعبير عنها لجلالتها وعظمتها إلا بأنه هو هو، وشرح تلك الهوية بلوازم منها ثبوتية ومنها سلبية واسم الله تعالى متناول لهما جميعاً فهو إشارة إلى هويته تعالى والله سبحانه كالتعريف لها فلذا عقب به. وكلام الرئيس ينادي بذلك.

● **قال تعالى:** ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: 52].

قال القشيري[3]: أمَّا قيامُ بحقّ الله في الحال فنكون بوصف الرضاء وهو - في التحقيق - الجنَّةُ الكبرى، وإمَّا وصولٌ إلى الله تعالى في المآل بوصف الشهادة، ووجدان الزلفى في العقبى وهو الكرامة العظمى.

قال أبو حيان[4]: إحدى الخلتين اللتين هما أحسن من غيرهما، إما ظفراً بالعدوّ وفتحاً لنا بغلبتنا هم، ففيها الأجر والغنيمة والسلامة، وإما قتلاً من عدوّنا لنا، ففيه الشهادة والفوز بالجنة والنجاة من النار، وكلتاهما مما يحبّ، ولا يكره.

● **قال تعالى:** ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: 282].

---

(1) معالم التنزيل.
(2) روح المعاني.
(3) لطائف الإشارات.
(4) البحر المحيط.

قال أبو السعود[1]: ولعل إيثارَ ما عليه النظم الكريم على أن يقال: أن تضل إحداهما فتذكرَها الأخرى لتأكيد الإبهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاصِ الضلال بإحداهما بعينها، والتذكيرِ بالأخرى.

قال الألوسي[2]: الثانية يجوز أن تكون فاعل - تذكر - وليس من وضع المظهر موضع المضمر إذ ليست المذكرة هي الناسية، ويجوز أن تكون مفعولاً لتذكر - والأخرى - فاعل وليس من قبيل ضرب موسى عيسى - كما وهم - حتى يتعين الأول بل من قبيل - أرضعت الصغرى الكبرى - لأن سبق إحداهما بعنوان نسبة الضلال رافع للضلال والسبب في تقديم المفعول على الفاعل التنبيه على الاهتمام بتذكير الضال ولهذا - كما قيل - عدل عن الضمير إلى الظاهر لأن التقديم حينئذٍ لا ينبه على الاهتمام كما ينبه عليه تقديم المفعول الظاهر الذي لو أخر لم يلزم شيء سوى وضعه موضعه الأصلي.

وذكر غير واحد أن العدول عن - فتذكرها - الأخرى - وهي قراءة ابن مسعود كما رواه الأعمش - إلى ما في النظم الكريم لتأكيد الإبهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال . بإحداهما . بعينها والتذكير بالأخرى، وأبعد الحسين بن علي المغربي في هذا المقام فجعل ضمير (إحداهما) الأولى راجعاً إلى الشهادتين، وضمير (إحداهما) الأخرى إلى المرأتين فالمعنى - أن تضل إحدى الشهادتين أي تضيع بالنسيان فتذكر إحدى المرأتين الأخرى منهما - وأيده الطبرسي بأنه لا يسمى ناسي الشهادة ضالاً وإنما يقال: ضلت الشهادة إذا ضاعت كما قال سبحانه: ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾ [الأعرَاف: 37] أي ضاعوا منا، وعليه يكون الكلام عارياً عن شائبة توهم الإضمار في مقام الإظهار رأساً وليس بشيء إذ لا يكون لإحداهما أخرى في الكلام مع حصول التفكيك وعدم الانتظام، وما ذكر في التأييد ينبىء عن قلة الاطلاع على اللغة. ففي «نهاية ابن الأثير» وغيرها إطلاق الضال على الناسي.

---

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) روح المعاني.

أخذ

(أخذ - تناوش - تناول - غرف - قبض)

■ **أَخَذَ:** الأَخْذُ: حوز الشيء وتحصيله لنفسه أو لغيره ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يُوسُف: 79].

■ **تَنَاوُش:** تناول الشيء عن الأعلا ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سَبَإ: 52].

■ **تَنَاوُل:** حصل لنفسه على ما يصعب الحصول عليه ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عِمرَان: 92].

■ **غَرْف:** أخذ بكلتا يديه ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 249].

■ **قَبْض:** أخذ شيئاً قليلاً من كثير بقبضة يده وأغلقها عليه ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: 96].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الهمزة والخاء والذال أصل واحد تتفرّع منه فروعٌ متقاربة في المعنى. [أمّا] أخذ: فالأصل حَوْز الشيء وجبْيُه وجمعه. تقول: أخذت الشيء آخُذه أخذاً.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: هو خلاف العطاء، وهو التناول. قال: والأُخْذَةُ رُقْيَةٌ تَأْخُذُ العينَ ونحوَها. والمؤَخَّذ: الرجل الذي تؤخِّذه المرأة عن رأيه وتُؤَخِّذُه عن النّساء، كأنه حُبِس عنهن.

قال الجوهري[2]: أَخَذْتُ الشيء آخُذُهُ أَخْذاً: تناولته. والإخذُ بالكسر: الاسمُ. والأمْر منه خُذْ، وأصله أُؤْخُذْ إلَّا أنهم استثقلوا الهمزتين فحذفوهما تخفيفاً وقولهم أخذ عنك، أي: خُذْ ما أقول، ودَعْ عنك الشكَّ والمِراءَ. يقال: خُذِ الخِطامَ، وخُذْ بالخِطام بمعنىً. ونجومُ الأخذِ: منازلُ القمرِ؛ لأنَّ القمر يأخذ كل ليلة في منزلٍ منها. وآخَذَهُ بذنبه مؤاخذةً. ويقال ائْتَخَذوا في القتال، بهمزتين، أي أخذ بعضُهم بعضاً. والاتِّخاذُ: افتعالٌ أيضاً من الأخذ، إلاَّ أنه أُدغِم بعد تليين الهمزة وإبدال التاء. والأَخيذُ: الأسيرُ، والمرأةُ أَخيذَةٌ.

قال الأزهري[3]: التَّأْخِيذُ: أن تحتال المرأة بحيلٍ من السحر، وتمنع بها زوجها من جماع غيرها، وقيل للأسير: أَخِيذٌ.

قال ابن دريد[4]: الإِخْذُ، والجمع: إِخَاذٌ، وهي مواضع يجمع فيها ماء السماء، والمآخذ: مآخذ الطير، وهي مصائدها.

قال الراغب[5]: الأَخْذُ: حوز الشيء وتحصيله، وذلك تارة بالتناول نحو: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف: 79]، وتارة بالقهر نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: 255].

ويقال: أخذته الحمى، وقال تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: 67]، ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النازعات: 25]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ [هود: 102].

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) تهذيب اللغة.
(4) الجمهرة.
(5) مفردات الراغب.

ويعبر عن الأسير بالأخيذ والمأخوذ، والاتخاذ افتعال منه، ويعدى إلى مفعولين ويجري مجرى الجعل نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ﴾ [المائدة: 51]، ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الشورى: 9]، ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [المؤمنون: 110]، ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: 116]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ [النحل: 61] فتخصيص لفظ المؤاخذة تنبيه على معنى المجازاة والمقابلة لما أخذوه من النعم فلم يقابلوه بالشكر.

ويقال: فلان مأخوذ، وبه أخذه من الجن، وفلان يأخذ مأخذ فلان، أي: يفعل فعله ويسلك مسلكه، ورجل أخيذ، وبه أخذ كناية عن الرمد.

والإخاذة والإخاذ: أرض يأخذها الرجل لنفسه (انظر: لسان العرب (أخذ))، وذهبوا ومن أخذ أخذهم وإخذهم (يقال: وذهب بنو فلان ومن أخذ إخذهم، وأخذهم، أي: ومن سار سيرهم. والعرب تقول: لو كنت منا لأخذت بإخذنا، أي: بخلائقنا وزينا وشكلنا وهدينا).

المعنى المشترك لكلمة (أ خ ذ)

وقد وردت كلمة (أخذ) في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

الوجه الأول: الأخذ يعني: القبول ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ [آل عِمرَان: 81].

الوجه الثاني: الأخذ يعني: الحبس ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ [يُوسُف: 78].

الوجه الثالث: الأخذ يعني: العذاب ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هُود: 102].

الوجه الرابع: الاخذ يعني: القتل ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [غافر: 5].

الوجه الخامس: الأخذ يعني: الأسر ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ﴾ [التّوبَة: 5].

المعنى المشترك لكلمة (ا ت خ ذ)

وقد وردت كلمة (اتخذ) في القرآن الكريم على ثلاثة عشر وجهاً:

الوجه الأول: اتخذ يعني: اختار ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النِّساء: 125].

الوجه الثاني: اتخذ يعني: أكرم ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ﴾ [آل عمران: 140].

الوجه الثالث: اتخذ يعني: صاغ ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ [الأعراف: 148].

الوجه الرابع: اتخذ يعني: سلك ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا﴾ [الكهف: 61].

الوجه الخامس: اتخذ يعني: سمَّى ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا﴾ [التّوبَة: 31].

الوجه السادس: اتخذت يعني: نسجت ﴿كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ﴾ [العَنكبوت: 41].

الوجه السابع: اتخذوا يعني: (عبدوا) ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ﴾ [العَنكبوت: 41].

الوجه الثامن: اتخذ أي: جعل. ﴿تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ [النّحل: 92].

الوجه التاسع: اتخذ يعني: بنى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا﴾ [التّوبَة: 107].

الوجه العاشر: اتخذ يعني: رضي ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [المزمل: 9].

الوجه الحادي عشر: تتخذون يعني: تعصرون ﴿تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا﴾ [النحل: 67].

الوجه الثاني عشر: اتخذت يعني: أرخت ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾ [مريَم: الآية 17].

الوجه الثالث عشر: اتخذ يعني: اعتقد ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: 87].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ﴾ [الأعراف: 150].

قال القرطبي[1]: أي بلحيته وذؤابته. وكان هارون أكبر من موسى - صلوات الله وسلامه عليهما - بثلاث سنين، وأحبّ إلى بني إسرائيل من موسى؛ لأنه كان لَيِّن الغضب. وللعلماء في أخذ موسى برأس أخيه أربعة تأويلات:

الأوّل - أن ذلك كان متعارَفاً عندهم؛ كما كانت العرب تفعله من قبض الرجل على لحية أخيه وصاحبه إكراماً وتعظيماً، فلم يكن ذلك على طريق الإذلال.

الثاني - أن ذلك إنما كان ليُسرّ إليه نزول الألواح عليه؛ لأنها نزلت عليه في هذه المناجاة وأراد أن يُخفيَها عن بني إسرائيل قبل التوراة. فقال له هارون: لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي؛ لئلا يشتبه سِرارُه على بني إسرائيل بإذلاله.

الثالث - إنما فعل ذلك به لأنه وقع في نفسه أن هارون مائلٌ مع بني إسرائيل فيما فعلوه من أمر العجل. ومثل هذا لا يجوز على الأنبياء.

الرابع - ضَمّ إليه أخاه ليعلم ما لديه؛ فكره ذلك هارون لئلا يظن بنو إسرائيل أنه أهانه؛ فبيّن له أخوه أنهم استضعفوه.

قال الألوسي[2]: أي بشعر رأس هارون عليه السلام لأنه الذي يؤخذ ويمسك عادة ولا ينافي أخذه بلحيته كما وقع في سورة طٰه [94] أو أدخل فيه تغليباً.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) روح المعاني.

● قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آل عِمرَان: 11].

قال الفخر الرازي[1]: وإنما استعمل فيه الأخذ لأن من ينزل به العقاب يصير كالمأخوذ المأسور الذي لا يقدر على التخلص.

قال أبو السعود[2]: تفسيرٌ لدأبهم الذي فُعل بهم أي فأخذهم الله وعاقبهم ولم يجدوا من بأس الله تعالى محيصاً، فدأبُ هؤلاء الكفرةِ أيضاً كدأبهم، ومعنى الأخذ هو الأخذ بالذنب.

● قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ [يونس: 24].

قال الزمخشري[3]: كلام فصيح: جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس، إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون، فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين.

قال أبو حيان[4]: أخذت الأرض زخرفها وازينت، جملة بديعة اللفظ جعلت الأرض آخذة زخرفها متزينة، وذلك على جهة التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون، فاكتست وتزينت بأنواع الحلى، فاستعير الأخذ وهو التناول باليد لاشتمال نبات الأرض على بهجة ونضارة وأثواب مختلفة، واستعير لتلك البهجة والنضارة والألوان المختلفة لفظة الزخرف وهو الذهب، لما كان من الأشياء البهجة المنظر السارة للنفوس.

وازينت أي: بنباتها وما أودع فيه من الحبوب والثمار والأزهار، ويحتمل أن يكون قوله: وازينت تأكيداً لقوله: أخذت الأرض زخرفها. واحتمل أن لا يكون

---

(1) التفسير الكبير.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) الكشاف.
(4) البحر المحيط.

تأكيداً، إذ قد يكون أخذ الزخرف لا لقصد التزيين، فقيل: وازينت ليفيد أنها قصدت التزيين. ونسبة الأخذ إلى الأرض والتزيين من بديع الاستعارة.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: 42].

قال أبو السعود[1]: جُعلت الأرضُ في تزينها بما عليها من أصناف النباتاتِ وأشكالِها وألوانِها المختلفة المونقةِ آخذةً زخْرُفَها على طريقة التمثيلِ بالعروس التي قد أخذت من ألوان الثيابِ والزَّيْن فتزيّنت بها.

قال الألوسي[2]: أي كذبوا فعاقبهم.

قال أبو حيان[3]: الأخذ: الإمساك بقوة وبطش وقهر، وهو هنا مجاز عن متابعة العقوبة والملازمة، والمعنى لعاقبناهم في الدنيا.

● **قال تعالى:** ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعام: 70].

قال الزمخشري[4]: والعدل: الفدية. لأن الفادي يعدل المفدي بمثله. وكلّ عدل: نصب على المصدر. وفاعل ﴿يُؤْخَذْ﴾ قوله: ﴿مِنْهَآ﴾ لا ضمير العدل لأن العدل هٰهنا مصدر فلا يسند إليه الأخذ. وأما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البَقَرَة: 48] فبمعنى المفديّ به، فصحّ إسناده إليه.

قال الماوردي[5]: تأويلان: أحدهما: معناه وإن تفد كل فدية من جهة المال والثروة، قاله قتادة، والسدي، وابن زيد.

والثاني: من جهة الإسلام والتوبة، قاله الحسن. واختلف في نسخها على قولين: أحدهما: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبَة: 5] قاله قتادة.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) روح المعاني.
(3) البحر المحيط.
(4) الكشاف.
(5) النكت والعيون.

والثاني: أنها ثابتة على جهة التهديد كقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدَّثِّر: 11]، قاله مجاهد.

● **قال تعالى:** ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: 56].

قال الطبري[1]: هو آخذ بناصيتها، فخصّ بالأخذ الناصية دون سائر أماكن الجسد؟ قيل: لأن العرب كانت تستعمل ذلك في وصفها من وصفته بالذلة والخضوع، فتقول: ما ناصية فلان إلا بيد فلان، أي أنه له مطيع يصرفه كيف شاء، وكانوا إذا أسروا الأسير فأرادوا إطلاقه والمن عليه جزّوا ناصيته ليعتدوا بذلك عليه فخراً عند المفاخرة. فخاطبهم الله بما يعرفون في كلامهم.

قال القاسمي[2]: والأخذ بالناصية عبارة عن القدرة والتسلط، مجازاً أو كناية.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الذاريات: 15-16].

قال الزمخشري[3]: قابلين لكل ما أعطاهم راضين به، يعني أنه ليس فيما آتاهم إلا ما هو ملتقي بالقبول مرضي غير مسخوط، لأن جميعه حسن طيب. ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: 104] أي يقبلها ويرضاها.

قال الفخر الرازي[4]: ما معنى آخذين؟ نقول فيه وجهان أحدهما: قابضين ما آتاهم شيئاً فشيئاً ولا يستوفونه بكماله لامتناع استيفاء ما لا نهاية له. ثانيها: آخذين قابلين قبول راضٍ كما قال تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي يقبلها، وهذا ذكره الزمخشري وفيه وجه ثالث: وهو أن قوله: ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ يدل على السكنى فحسب وقوله: ﴿ءَاخِذِينَ﴾ يدل على التملك ولذا يقال أخذ بلاد كذا وقلعة كذا إذا

---

(1) جامع البيان.
(2) محاسن التأويل.
(3) الكشاف.
(4) التفسير الكبير.

دخلها متملكاً لها، وكذلك يقال لمن اشترى داراً أو بستاناً أخذه بثمن قليل أي تملكه، وإن لم يكن هناك قبض حساً ولا قبول برضا، وحينئذ فائدته بيان أن دخولهم فيها ليس دخول مستعير أو ضعف يسترد منه ذلك، بل هو ملكه الذي اشتراه بماله ونفسه من الله تعالى.

قال النيسابوري(1): إن فيض الله تعالى لا ينقطع أصلاً وإنما يصل إلى المكلف بقدر ما استعد له فكلما ازداد قبولاً ازداد تأثراً من الفيض. والأخذ في هذا المقام لعله إشارة إلى كمال قبولهم للفيوض الإلٰهية وذلك لما أسلفوا من حسن العبادة ووفور الطاعة ولهذا علَّله بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾.

● **قال تعالى**: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البَقَرَة: 286].

قال أبو حيان(2): ومعنى: المؤاخذة، العاقبة. وفاعل هنا بمعنى الفعل المجرد، نحو: أخذ، لقوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العَنكبوت: 40] وهو أحد المعاني التي جاءت لها فاعل.

قال الفخر الرازي(3): لا تؤاخذنا أي: لا تعاقبنا، وإنما جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد، لأن الناسي قد أمكن من نفسه، وطرّق السبيل إليها بفعله، فصار من يعاقبه بذنبه كالمعين لنفسه في إيذاء نفسه، وعندي فيه وجه آخر، وهو أن الله يأخذ المذنب بالعقوبة، فالمذنب كأنه يأخذ ربه بالمطالبة بالعفو والكرم، فإنه لا يجد من يخلصه من عذابه إلا هو، فلهذا يتمسك العبد عند الخوف منه به، فلما كان كل واحد منهما يأخذ الآخر عبر عنه بلفظ المؤاخذة.

● **قال تعالى**: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبَة: 104].

---

(1) غرائب القرآن.
(2) البحر المحيط.
(3) التفسير الكبير.

قال الفخر الرازي[1]: فيه سؤال. وهو ظاهر هذه الآية يدل على أن الآخذ هو الله. وقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: 103] يدل على أن الآخذ هو الرسول ﷺ. . وقوله ﷺ لمعاذ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ يدل على أن آخذ تلك الصدقات هو معاذ وإذا دفعت الصدقة إلى الفقير فالحس يشهد أن آخذها هو الفقير فكيف الجمع بين هذه الألفاظ.

الجواب: أنه تعالى لما بيّن في قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: 103]. . الآخذ هو الرسول ﷺ. ثم ذكر هذه الآية أن الآخذ هو الله تعالى. كان المقصود منه أن أخذ الرسول قائم مقام أخذ الله تعالى. والمقصود منه التنبيه على تعظيم شأن الرسول من حيث أن أخذه للصدقة جارٍ مجرى أن يأخذها الله. ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: 10].

(1) نفسه.

آخِر

(آخِر - بقية - خاتمة - منتهى)

■ **الآخِر:** بالكسر مقابل الأول ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: 10].

■ **البَقِيَّة:** ثبات آخر الشيء بعد ذهاب أوله ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ﴾ [البقرة: 248]. . . . . ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46].

■ **الخَاتِمَة:** آخر الشيء الذي به يكتمل ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ [المطفّفين: 26].

■ **المُنْتَهَى:** آخر الحركة حين تتوقف ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النّجم: 42].

* * *

آخر

(آخر - شبه - مثل - ند)

- **الآخر:** بالفتح ما كان قرين الواحد أو أحد الشيئين ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: 14].
- **الشَّبَهُ:** ما كان قرين الحالة ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البَقَرَة: 118].
- **المِثْلُ:** ما كان قرين الهيأة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11]. . ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17]. .
- **النِّدُّ:** ما كان قرين الجوهر ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البَقَرَة: 22].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الهمزة والخاء والراءُ أصل واحدٌ إليه ترجع فروعُه، وهو خلاف التقدُّم. وهذا قياسٌ أخذْناه.

قال الخليل(2): الأُخُرُ: نقيض القُدُمِ، تقول: مضى قُدُماً وتَأَخَّرَ أُخُراً.

وجاء فلان أخيراً، أي: بأخرة، وبعته الشّيء بأخرة، أي: بتأخير.

قال الجوهري(3): أَخَّرْتُهُ فتأَخَّرَ. واسْتأْخَرَ، مثل تأَخَّرَ. والآخِرُ بعدَ الأول، وهو صفةٌ. تقول: جاء آخِراً، أي أخيراً، والأنثى آخِرَة، والجمع أواخِرُ. والآخَرُ

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

بالفتح: أحد الشيئين، وهو اسم على أَفْعَلَ، والأنثى أخرى. وقولهم جاء في أُخْرَياتِ الناس أي في أواخرهم وقوله: لا أفعله أخرى الليالي، أي أبداً. وأُخْرى المَنونِ، أي: آخِرُ الدهر.

قال ابن دريد[1]: الآخر: تالي الأول، والأخرى: واحدة الأخر. والأخرى: ضد الأولى والآخر، من قولهم واحدٌ وآخر.

قال الزمخشري[2]: جاؤوا عن آخرهم، والنهار يجرّ عن آخر فآخر، والناس يرذلون عن آخر فآخر، والستر مثل آخرة الرجل.

قال الراغب[3]: - يقابل به الأول، وآخر يقابل به الواحد، ويعبر بالدار الآخرة عن النشأة الثانية، كما يعبر بالدار الدنيا عن النشأة الأولى.

(أخر) معدول عن تقدير ما فيه الألف واللام، وليس له نظير في كلامهم، فإن أفعل من كذا؛ والتأخير مقابل للتقديم. وبعته بأخرة. أي: بتأخير أجل، كقوله: بنظرة. وقولهم: أبعد الله الأخر أي: المتأخر عن الفضيلة وعن تحري الحق.

المعنى المشترك لكلمة (أ خ ر)

وقد وردت كلمة (أخر) في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

الوجه الأول: الآخرة بمعنى: القيامة ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ [المؤمنون: 74] يعني البعث بعد الموت.

الوجه الثاني: الآخرة يعني: الجنة خاصة ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البَقَرَة: 102].

الوجه الثالث: الآخرة يعني النار ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ [الزمر: 9].

(1) الجمهرة.
(2) أساس البلاغة.
(3) مفردات الراغب.

الوجه الرابع: الآخرة يعني: الأخيرة ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾ [ص: 7].

الوجه الخامس: الآخرة يعني: القبر ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: 27].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: 13].

قال الطبري(1): والصواب من القول في ذلك عندنا، أن ذلك خبر من الله أن الإنسان ينبأ بكلّ ما قدّم أمامه مما عمل من خير أو شرّ في حياته، وأخّر بعده من سنة حسنة أو سيئة مما قدّم وأخّر، كذلك ما قدّم من عمل عمله من خير أو شرّ، وأخّر بعده من عمل كان عليه فضيّعه، فلم يعمله مما قدّم وأخّر، ولم يخصص الله من ذلك بعضاً دون بعض، فكلّ ذلك مما ينبأ به الإنسان يوم القيامة.

قال القرطبي(2): أي بما أسلف من عمل سَيّىء أو صالح، أو أخّر من سنّة سيّئة أو صالحة يُعْمَل بها بعده؛ قاله ابن عباس وابن مسعود.

وروى منصور عن مجاهد قال: ينبأ أوّل عمله وآخره. وقاله النخَعيّ. وقال ابن عباس أيضاً: أي بما قدّم من المعصية، وأخّر من الطاعة. وهو قول قتادة. وقال ابن زيد: «بِمَا قَدَّمَ» من أمواله لنفسه «وَأَخَّرَ»: خلّف للورثة. وقال الضحاك: ينبأ بما قدّم من فرض، وأخّر من فرض. قال القشيريّ: وهذا الإنباء يكون في القيامة عند وزن الأعمال. ويجوز أن يكون عند الموت.

قال الزمخشري(3): ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ من عمل عمله (و) بما ﴿وَأَخَّرَ﴾ منه لم يعمله

---

(1) جامع البيان.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) الكشاف.

أو بما قدم من ماله فتصدق به، وبما أخره فخلفه. أو بما قدم من عمل الخير والشر، وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده.

● **قال تعالى:** ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: 5].

قال الفخر الرازي[1]: وفيه احتمالان الأول: أن المراد بهذه الأمور ذكر يوم القيامة، ثم فيه وجوه أحدها: وهو الأصح أن المقصود منه الزجر عن المعصية، والترغيب في الطاعة، أي يعلم كل أحد في هذا اليوم ماقدم، فلم يقصر فيه وما أَخَّر فقصر فيه، لأن قوله: ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ يقتضي فعلاً و(مَا أَخَّرت) يقتضي تركاً، فهذا الكلام يقتضي فعلاً وتركاً وتقصيراً وتوفيراً، فإن كان قدم الكبائر وأخر العمل الصالح فمأواه النار، وإن كان قَدَّم العمل الصالح وأَخَّر الكبائر فمأواه الجنة، وثانيها: ما قَدَّمت من عمل أدخله في الوجود وما أَخَّرت من سنة يستن بها من بعده من خير أو شر، وثالثها: قال الضحاك: ما قدَّمت من الفرائض وما أَخَّرت أي ما ضيعت، ورابعها: قال أبو مسلم: ما قدمت من الأعمال في أول عمرها وما أخرت في آخر عمرها، فإن قيل: وفي أي موقف من مواقف القيامة يحصل هذا العلم؟ قلنا: أما العلم الإجمالي فيحصل في أول زمان الحشر، لأن المطيع يرى آثار السعادة، والعاصي يرى آثار الشقاوة في أول الأمر. وأما العلم التفصيل، فإنما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة.

الاحتمال الثاني: أن يكون المراد قيل: قيام القيامة بل عند ظهور أشراط الساعة وانقطاع التكاليف، وحين لا ينفع العمل بعد ذلك كما قال: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: 158] فيكون ما عمله الإنسان إلى تلك الغاية، هو أول أعماله وآخرها، لأنه لا عمل له بعد ذلك، وهذا القول ذكره القفال.

---

(1) التفسير الكبير.

قال البيضاوي(1): ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾ من عمل أو صدقة. ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ من سيئة أو تركت، ويجوز أن يراد بالتأخير التضييع وهو جواب ﴿إِذَا﴾.

قال القاسمي(2): ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ أي: تركت من خير أو شر، أو المعنى: ما قدمت من عمل طيب لم تقصر فيه، وما أخرت: أي: قصرت فيه. والمراد بالعلم بالتقديم والتأخير، وجدان الجزاء عليهما، وتحقق مصداق الوعد عليهما.

● **قال تعالى**: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسرَاء: 62].

قال الطبري(3): لئن أخرت إهلاكي إلى يوم القيامة.

قال الفخر الرازي(4): قرأ ابن كثير ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بإثبات الياء في الوصل والوقف، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بالحذف ونافع وأبو عمرو بإثباته في الوصل دون الوقف.

قال الدكتور عبد المنعم تعيلب(5): اللام موطئة للقسم. أي: لئن أمهلتني وأخَّرْت أجلي إلى يوم البعث لأستولي على ذرية آدم ولأضلنهم إلا قليلاً منهم.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [إبراهيم: 42].

قال الألوسي(6): يمهلهم متمتعين بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم، وهو استئناف وقع تعليلاً للنهي السابق، أي: لا تحسبن الله تعالى غافلاً عن عقوبة أعمالهم لما ترى من التأخير إنما ذلك لأجل هذه الحكمة، وإيقاع التأخير عليهم مع أن المؤخر إنما هو عذابهم قيل: لتهويل الخطب وتفظيع الحال ببيان أنهم متوجهون إلى العذاب مرصدون لأمر ما لا أنهم باقون باختيارهم، وللدلالة على

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) محاسن التنزيل.
(3) جامع البيان.
(4) التفسير الكبير.
(5) فتح الرحمٰن.
(6) روح المعاني.

أن حقهم من العذاب هو الاستئصال بالمرة وأن لا يبقى منهم في الوجود عين ولا أثر، وللإيذان بأن المؤخر ليس من جملة العذاب وعنوانه، ولو قيل: إنما يؤخر عذابهم لما فهم ذلك.

قال الفخر الرازي[1]: إنا إنما يؤخر عقاب هؤلاء الظالمين ليوم موصوف بصفات.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود: 104].

قال الطبري[2]: وما نؤخر يوم القيامة عنكم أن نجيئكم به إلا لآنٍ يُقْضَى، فقضى له أجلاً فعدّه وأحصاه، فلا يأتي إلا لأجله ذلك، لا يتقدم مجيئه قبل ذلك ولا يتأخر.

قال السيواسي[3]: وما نؤخر ذلك اليوم ونحن قادرون على أن نقيمه الآن (إلا لأجل معدود) أي: وقت محسوب ومعلوم بعد انقضاء الدنيا.

قال الفخر الرازي[4]: والمعنى أن تأخير الآخرة وإفناء الدنيا موقوف على أجل معدود وكل ما له عدد فهو متناهٍ وكل ما كان متناهياً فإنه لا بد وأن يفنى، فيلزم أن يقال إن تأخير الآخرة سينتهي إلى وقت لا بد وأن يقيم الله القيامة فيه، وأن تخرب الدنيا فيه، وكل ما هو آتٍ قريب.

● **قال تعالى**: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 2].

قال ابن عطاء: لما بلغ عليه الصلاة والسلام. سدرة المنتهى ليلة المعراج قدم هو وتأخر جبريل. فقال لجبريل: تتركني في هذا الموضع وحدي. فعاتبه الله حين سكن إلى جبريل فقال: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) عيون التفاسير.
(4) التفسير الكبير.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ [الحِجر: 24] قال الربيع بن أنس: حرص النبي ﷺ على الصف الأول في الصلاة. فازدحم الناس عليه وكان بنو عذرة دورهم قاصية عن المسجد فقالوا: نبيع دورنا ونشتري دوراً قريبة من المسجد فأنزل الآية. وأنت تعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن هنا قال بعضهم: الأولى الحمل على العموم. أي: علمنا من اتصف بالتقدم والتأخر في الولادة والموت والإسلام وصفوف الصلاة وغيرها..[1].

وذهب بعض المفسرين إلى قاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقال داع) ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ أي: من مات ومن تقدم في صف الصلاة أو صف القتال و﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾، أمة محمد عليه الصلاة والسلام. أو السابقون في الطاعة والخير والأولون هم المصلون أول الوقت.

وقال أبو زهرة[2]: إن الله تعالى ترى أثارة في خلقه من إماتة وإحياء ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [الحجر: 23] وإذا كنتم ترون بالعيان الإحياء والإماتة فقد كان ذلك فيمن تقدم وفيمن تأخر ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحجر: 24-25].

آخر: بالفتح: أحد الشيئين وفيه معنى الصفة وتعامل به الواحد وجمعه آخرون، و المؤنث أخرى وجمعها أخريات وأخر.

● **قال تعالى**: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التّوبَة: 102].

قال أبو السعود[3]: «اعترفوا بذنوبهم وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر عنهم من الأعمال السيئة كما فعل المنافقون الذين

(1) أبو العطاء.
(2) زهرة التفاسير.
(3) إرشاد العقل السليم.

اعتادوا إخفاء السيء وإبراز ما ينافيه من المنافقين واعتذروا بما لا خير فيه من المعاذير المؤكدة بالأيمان الكاذبة».

قال الفخر الرازي[1]: فيه قولان: الأول: أنهم قوم من المنافقين. تابوا عن النفاق. والثاني: أنهم قوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك، لا للكفر والنفاق، لكن للكسل، ثم ندموا على ما فعلوا ثم تابوا، واحتج القائلون بالقول الأول بأن قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ عطف على قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ [التوبة: 101] والعطف يوهم التشريك إلا أنه تعالى وفقهم حتى تابوا، فلما ذكر الفريق الأول بالمرود على النفاق والمبالغة فيه. وصف هذه الفرقة بالتوبة والإقلاع عن النفاق.

المسألة الثانية: روي أنهم كانوا ثلاثة: أبو لبابة مروان بن عبد المنذر، وأوس بن ثعلبة، ووديعة بن حزام، وقيل: كانوا عشرة. فسبعة منهم أوثقوا أنفسهم لما بلغهم ما نزل من المتخلفين فأيقنوا بالهلاك، وأوثقوا أنفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله ﷺ فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت هذه عادته، فلما قدم من سفره ورآهم موثقين، سأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم، فقال: وأنا أقسم أني لا أحلهم حتى أومر فيهم، فنزلت هذه الآية فأطلقهم وعذرهم، فقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا وإنما تخلفنا عنك بسببها، فتصدق بها وطهرنا، فقال: «**ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً**» فنزل قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: 103].

● **قال تعالى**: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

ذكر الإمام الغزالي[2]: إن الأول يكون أولاً بالإضافة إلى شيء والآخر يكون

(1) التفسير الكبير.
(2) إحياء علوم الدين.

آخر بالإضافة إلى شيء وهما متناقضان. فلا يتصور أن يكون الشيء الواحد من وجه واحد بالإضافة إلى الشيء الواحد أولاً وآخراً جميعاً بل إذا نظرت إلى ترتيب الوجود ولاحظت سلسلة الموجودات المترتبة فالله تعالى بالإضافة إليها أول إذ كلها استفادت الوجود منه سبحانه، وأما هو عَزَّوَجَلَّ فموجود بذاته وما استفاد الوجود من غيره سبحانه وتعالى عن ذلك، ومهما نظرت إلى ترتيب السلوك ولاحظت منازل السالكين فهو تعالى آخر إذ هو آخر ما ترتقي إليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته تعالى فهي مرقاة إلى معرفته جل وعلا. والمنزل الأقصى هو معرفة الله جل جلاله فهو سبحانه بالإضافة إلى السلوك آخر وبالإضافة إلى الوجود أول فمنه عز شأنه المبدأ أولاً وإليه سبحانه المرجع والمصير آخراً..

● **قال تعالى**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البَقَرَة: 8].

قال النسفي[1]: إنما خصوا الإيمان باليوم الآخر وهو الوقت الذي لا حد له وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع وإنما سمي بـ (الآخر) لتأخره عن الأوقات التي سبقته أو الوقت المعهود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. لأنهم أوهموا في هذا المقال أنهم أحاطوا بجانبي الإيمان أوله وآخره. وهذا لأن حاصل المسائل الاعتقادية يرجع إلى مسائل المبدأ وهي العلم بالصانع وصفاته وأسمائه ومسائل المعاد وهي العلم بالنشور والبعث من القبور والصراط والميزان وسائر أحوال الآخرة..

● **قال تعالى**: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البَقَرَة: 200].

قال الفخر الرازي[2]: بيَّن الله تعالى أن الذين يدعون الله فريقان:

---

(1) مدارك التنزيل. (2) التفسير الكبير.

أحدهما يكون دعاؤه مقصوراً على طلب الدنيا، والثاني الذين يجمعون في الدعاء بين طلب الدنيا والآخرة.

ويوجد فريق ثالث: وهو يكون دعاؤه مقصوراً على طلب الآخرة.

واختلفوا في أن هذا القسم هل هو مشروع أو لا؟

والأكثرون على أنه غير مشروع. وذلك أن الإنسان خلق محتاجاً ضعيفاً لا طاقة له بآلام الدنيا ولا بمشاق الآخرة، فالأولى له أن يستعيذ بربه من كل شرور الدنيا والآخرة، وروى القفال (في تفسيره) عن أنس: «أن النبي ﷺ دخل على رجل يعوده وقد أنهكه المرض، فقال: «**ما كنت تدعو الله به قبل هذا**»؟ قال: كنت أقول، اللهم ما كنت تعاقبني به في الآخرة فعجل به في الدنيا. فقال النبي ﷺ: «**سبحان الله إنك لا تطيق ذلك، ألا قلت**: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البَقَرَة: 201]. . قال فدعا له رسول الله ﷺ فشفي».

● **قال تعالى**: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 84].

قال الفخر الرازي(1): فيه ثلاث تأويلات:

الأول: أنه عليه السلام ابتدأ بطلب ما هو الكمال الذاتي للإنسان في الدنيا والآخرة وهو طلب الحكم الذي هو العلم، ثم طلب بعده كمالات الدنيا وبعد ذلك طلب كمالات الآخرة، فأما كمالات الدنيا فبعضها داخلية وبعضها خارجية، أما الداخلية فهي الخلق الظاهر والخلق الباطن والخلق الظاهر أشد جسمانية والخلق الباطن أشد روحانية، فترك إبراهيم عليه السلام الأمر الجسماني وهو الخلق الظاهر وطلب الأمر الروحاني وهو الخلق الباطن، وهو المراد بقوله: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: 101] وأما الخارجية فهي المال والجاه، والمال أشد جسمانية والجاه أشد روحانية فترك إبراهيم عليه السلام الأمر الجسماني وهو المال وطلب الأمر الروحاني وهو الجاه والذكر الجميل الباقي على وجه الدهر، وهو المراد بقوله:

(1) التفسير الكبير، وانظر إلى تفسير ابن كثير.

﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: وقد أعطاه ذلك بقوله: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الصافات: 78].

فإن قيل: وأي غرض له في أن يثني عليه ويمدح؟ جوابه من وجهين: الأول: وهو على لسان الحكمة أن الأرواح البشرية قد بينا أنها مؤثرة في الجملة إلا أن بعضها قد يكون ضعيفاً فيعجز عن التأثير فإذا اجتمعت طائفة منها فربما قوي مجموعها على ما عجزت الآحاد عنه، وهذا المعنى مشاهد في المؤثرات الجسمانية، إذا ثبت هذا فالإنسان الواحد إذا كان بحيث يثني عليه الجمع العظيم ويمدحونه ويعظمونه، فربما صار انصراف هممهم عند الاجتماع إليه سبباً لحصول زيادة كمال له الثاني: وهو على لسان الكمال أن من صار ممدوحاً فيما بين الناس بسبب ما عنده من الفضائل، فإنه يصير ذلك المدح وتلك الشهرة داعياً لغيره إلى اكتساب مثل تلك الفضائل.

التأويل الثاني: أنه سأل ربه أن يجعل من ذريته في آخر الزمان من يكون داعياً إلى الله تعالى، وذلك هو محمد ﷺ فالمراد من قوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ بعثة محمد ﷺ.

التأويل الثالث: قال بعضهم المراد اتفاق أهل الأديان على حبه، ثم إن الله تعالى أعطاه ذلك لأنك لا ترى أهل دين إلا ويتوالون إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقدح بعضهم فيه بأنه لا تقوى الرغبة في مدح الكافر وجوابه: أنه ليس المقصود مدح الكافر من حيث هو كافر، بل المقصود أن يكون ممدوح كل إنسان ومحبوب كل قلب.

قال العز بن عبد السلام[1]: ثناء حسناً من الأمم كلها، أو أن يؤمن به أهل كل ملة، أو يجعل من ولده من يقوم بالحق بعده.

قال الخازن[2]: يعني ثناءً حسناً وذكراً جميلاً وقبولاً عاماً في الأمم التي تجيء بعدي.

---

(1) التفسير العظيم.

(2) لباب التأويل.

أخ

(أخ - خدن - خليل -
صاحب - صديق - رفيق)

■ **الأَخُ:** هو المشارك لآخر في الولادة أو في الرضاع ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ [الأعراف: 142].

■ **الخِدْنُ:** المشارك لآخر في علاقة زوجية غير شرعية ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ [النّساء: 25]. .

■ **الرَّفِيقُ:** المؤنس الناصح في السفر والغربة ﴿وَحَسُنَ أُولَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النّساء: 69].

■ **الخَلِيلُ:** من (الخلّة) وهي الاختصاص بالمودة المطلقة ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النّساء: 125].

■ **الصَّاحِبُ:** الملازم للآخر أيًا كان هذا الآخر ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التّوبة: 40]. . ﴿أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ [الكهف: 9].

■ **الصَّديقُ:** من كان باطنه كظاهره للآخر ﴿فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء: 100، 101].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الهمزة والخاء والواو ليس بأصل، لأن الهمزة عندنا مبدله من الواو.

قال الخليل[2]: أخ وأخوان وإخوة وإخوان، وبيني وبينه أخوة وإخاء.

وتقول: آخيت، على أصل التأسيس، وتأنيث الأخ: أخت.

الزجاج: أصل الأخ في اللغة من التّوخي، وهو الطلب، فالأخ مقصده مقصد أخيه، والصديق مأخوذ من أن يصدق كلّ واحد من الصديقين صاحبه ما في قلبه[3].

قال الجوهري[4]: الأخُ أصله أَخَوٌ بالتحريك، لأنَّك تقول في التثنية أَخوانِ، ويجمع أيضاً على إخوانٍ وعلى إخْوَةٍ وأخوَةٍ عن الفرّاء. وقد يُتَّسُعُ فيه فيراد به الاثْنانِ كقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٌ﴾ [النساء: 11] وأكثر ما يُستعمل الإخوانُ في الأصدقاء، والإخوةُ في الولادةِ. ولا يقال أخو ولا أبو إلّا مضافاً، تقول: هذا أَبوكَ وأَخوكَ، ومررت بأَبِيكَ وأخيكَ، ورأيت أَباكَ وأخاكَ وإعرابها في الواو والياء والألف.

ويقال: ما كنتَ أخاَ ولقد أخوْتَ تأخر أُخوَّةً.

قال الراغب[5]: الأصل أخو، وهو: المشارك آخر في الولادة من الطرفين، أو من أحدهما أو من الرضاع.

ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة، أو في الدين، أو في صنعة، أو في معاملة أو في مودة، وفي غير ذلك من المناسبات.

---

(1) مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) اللسان.
(4) الصحاح في اللغة.
(5) مفردات الراغب.

قوله تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ [آل عمران: 156]، أي: لمشاركيهم في الكفر، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]، ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: 12]، وقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: 11]، أي: إخوان وأخوات، وقوله تعالى: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: 47]، تنبيه على انتفاء المخالفة من بينهم.

والأخت: تأنيث الأخ، وجعل التاء فيه كالعوض من المحذوف منه، وقوله تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ [مريم: 28]، يعني: أخته في الصلاح لا في النسبة، وذلك كقولهم: يا أخا تميم.

وقوله تعالى: ﴿أَخَا عَادٍ﴾ [الأحقاف: 21]، سماه أخا تنبيهاً على إشفاقه عليهم شفقة الأخ على أخيه، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ [الأعراف: 73] ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ [الأعراف: 65]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ﴾ [الأعراف: 85]، وقوله: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف: 48]، أي: من الآية التي تقدمتها، وسماها أختاً لها لاشتراكهما في الصحة والإبانة والصدق، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: 38]، فإشارة إلى أوليائهم المذكورين في نحو قوله تعالى: ﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ [البقرة: 257]، وتأخيت أي: تحريت، تحري الأخ للأخ، واعتبر من الإخوة معنى الملازمة فقيل: أخية الدابة (قال ابن منظور: والأخية والآخية: عود يعرض في الحائط ويدفن طرفاه فيه، ويصير وسطه كالعروة تشد إليه الدابة).

المعنى المشترك لكلمة (أ خ و)

وقد وردت كلمة (أخ) في القرآن الكريم على سبعة أوجه:

الوجه الأول: الأخ يعني: من أبيه وأمه ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾ [المائدة: 30].

الوجه الثاني: الأخ يعني: من القبيلة وليس من أبيه وأمه ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾

[الأعراف: 65]. . وليس بأخيهم في الدين ولكن أخوهم في القبيلة لا من أبيهم ولا من أمهم.

الوجه الثالث: الأخ في الدين والولاية في الشرك ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ [الأعراف: 202].

الوجه الرابع: الأخ في دين الإسلام والولاية ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10].

الوجه الخامس: الأخ في الحب والمودة ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: 47].

الوجه السادس: الأخ الصاحب ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [ص: 23].

الوجه السابع: الأخ يعني الشبه ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: 38].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ [النِّساء: 12].

قال الزمخشري[1]: الكلالة: ما خلا الولد والوالد. وعن عطاء والضحاك: أنّ الكلالة هو الموروث. وعن سعيد بن جبير: هو الوارث، . وقد أجمعوا على أنّ المراد أولاد الأم. وتدل عليه قراءة أبيّ: «وله أخ أو أخت من الأم». وقراءة سعد بن أبي وقاص: «وله أخ أو أخت من أم». وقيل: إنما استدل على أن الكلالة هٰهنا الإخوة للأم خاصة بما ذكر في آخر السورة من أنّ للأختين الثلثين وأنّ للإخوة كل المال، فعلم هٰهنا - لما جعل للواحد السدس، وللاثنين الثلث،

(1) الكشاف.

ولم يزادوا على الثلث شيئاً - أنه يعني بهم الإخوة للأم، وإلا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الإخوة الأخياف والأعيان وأولاد العلات.

قال البيضاويّ(1): أي من الأم، ويدل عليه قراءة أبي وسعد بن مالك «وله أخ أو أخت من الأم»، وأنه ذكر في آخر السورة أن للأختين الثلثين وللأخوة الكل، وهو لا يليق بأولاد الأم وأن ما قدر هٰهنا فرض الأم فيناسب أن يكون لأولادها.

قال الفخر الرازي(2): أجمع المفسرون هٰهنا على أن المراد من الأخ والأخت: الأخ والأخت من الأم، وكان سعد بن أبي قاص يقرأ: وله أخ أو أخت من أم، وإنما حكموا بذلك لأنه تعالى قال في آخر السورة: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: 176] فأثبت للأختين الثلثين، وللإخوة كل المال، وهٰهنا أثبت للإخوة والأخوات الثلث، فوجب أن يكون المراد من الإخوة والأخوات هٰهنا غير الإخوة والأخوات في تلك الآية، فالمراد هٰهنا الإخوة والأخوات من الأم فقط، وهناك الإخوة والأخوات من الأب والأم، أو من الأب.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟﴾ [يُوسُف: 69].

قال الطبري(3): أخاه لأبيه وأمه، وكلٌّ أخوه لأبيه.

قال النيسابوري(4): روي أنهم لما أتوه بأخيهم بنيامين أنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة، فبقي بنيامين وحده فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حياً لأجلسني معه. فقال يوسف: بقي أخوكم وحيداً فأجلسه معه على مائدته. ثم أمر أن ينزل كل اثنين منهم بيتاً وقال: هذا لا ثاني له فاتركوه معي فآواه إليه أي أنزله في المنزل الذي كان يأوي إليه: فبات يوسف يضمه إليه

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) التفسير الكبير.
(3) جامع البيان.
(4) غرائب القرآن.

ويشم رائحته حتى أصبح. ولما رأى تأسفه لأخ هلك قال له: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ قال: من يجد أخاً مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل: فبكى يوسف وقام إليه وعانقه و﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ قال وهب: أراد إني أقوم لك مقام أخيك في الإيناس وعدم التوحش. وقال ابن عباس وسائر المفسرين: أراد تعريف النسب لأن ذلك أقوى في إزالة الوحشة ولا وجه لصرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ افتعال من البؤس الشدّة والضر أراد نهيه عن اجتلاب الحزن ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 108] من دواعي الحسد والأعمال المنكرة التي أقدموا عليها. يروى أن بنيامين قال ليوسف: أنا لا أفارقك. فقال له يوسف: قد علمت اغتمام والدي بي فإذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل إلى ذلك إلا بأن أنسبك إلى ما ليس يحسن.

قال العز بن عبد السلام[1]: ﴿أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ مكان أخيك الهالك، أو أخوك يوسف ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ لا تحزن، أو لا تأيس. ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بك وبأخيك فيما مضى، أو باستبدادهم دونك بمال أبيك.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 65].

قال الفخر الرازي[2]: ففيه أبحاث:

البحث الأول: انتصب قوله: ﴿أَخَاهُمْ﴾ بقوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ في أول الكلام والتقدير ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأعراف: 59] وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً.

البحث الثاني: اتفقوا على أن هوداً ما كان أخاً لهم في الدين. واختلفوا في أنه: هل كان أخا قرابة قريبة أم لا؟ قال الكلبي: إنه كان واحداً من تلك القبيلة، وقال آخرون: إنه كان من بني آدم ومن جنسهم لا من جنس الملائكة فكفي هذا

---

(1) التفسير العظيم. (2) التفسير الكبير.

القدر في تسمية هذه الأخوة، والمعنى أنا بعثنا إلى عاد واحداً من جنسهم وهو البشر ليكون إلْفُهُم والأنس بكلامه وأفعاله أكمل. وما بعثنا إليهم شخصاً من غير جنسهم مثل ملك أو جني.

البحث الثالث: أخاهم: أي صاحبهم ورسولهم، والعرب تسمي صاحب القوم أخا القوم، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: 38] أي صاحبتها وشبيهتها. وقال عليه السلام: «**إن أخا صداء قد أذن وإنما يقيم من أذن**» يريد صاحبهم.

قال القرطبي[1]: وقيل: أخاهم في القبيلة. وقيل: أي بشراً من بني أبيهم آدم. وفي مصنف أبي داود أن أخاهم هوداً أي: صاحبهم.

● **قال تعالى**: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: 8].

قال الزمخشري[2]: هو بنيامين. وإنما قالوا أخوه وهم جيمعاً إخوته، لأنّ أمّهما كانت واحدة.

قال النيسابوري[3]: ﴿لَيُوسُفُ﴾ في لام الابتداء تحقيق لمضمون الجملة. ﴿وَأَخُوهُ﴾ أي لأبيه وأمه عنوا بنيامين ﴿أَحَبُّ﴾ إذا كان أفعل التفضيل مستعملاً بمن لم يتصرف فيه ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ الواو للحال والعصبة العشرة فصاعداً لأن الأمور تعصب بكفايتهم أي: إنه يفضلهما في المحبة علينا وهما ابنان صغيران.

السيوطي[4]: بنيامين: شقيقه.

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [يُوسُف: 69].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) الكشاف.
(3) غرائب القرآن.
(4) الدر المنثور.

قال الفخر الرازي[1]: فيه قولان: قال وهب: لم يرد أنه أخوه من النسب، ولكن أراد به إني أقوم لك مقام أخيك في الإيناس لئلا تستوحش بالتفرد. والصحيح ما عليه سائر المفسرين من أنه أراد تعريف النسب، لأن ذلك أقوى في إزالة الوحشة وحصول الأنس، ولأن الأصل في الكلام الحقيقة، فلا وجه لصرفه عنها إلى المجاز من غير ضرورة.

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾ [المَائدة: 25].

قال الزمخشري[2]: (أخي) وجوه: أن يكون منصوباً عطفاً على نفسي أو على الضمير في (إني) بمعنى: ولا أملك إلا نفسي وإن أخي لا يملك إلا نفسه. ومرفوعا عطفاً على محل إن واسمها. كأنه قيل: أنا لا أملك إلا نفسي، وهارون كذلك لا يملك إلا نفسه أو على الضمير في لا أملك. وجاز للفصل. مجروراً عطفاً على الضمير في نفسي، وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور إلا بتكرير الجار. فإن قلت: أما كان معه الرجلان المذكوران؟ قلت: كأنه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن إلى ثباتهما، لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من أحوال قومه وتلونهم وقسوة قلوبهم، فلم يذكر إلا النبي المعصوم الذي لا شبهة في أمره، ويجوز أن يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلاً لمن يوافقه. ويجوز أن يريد: ومن يؤاخيني على ديني.

قال أبو حيان[3]: والظاهر إنّ وأخي معطوف على نفسي، ويحتمل أن يكون وأخي مرفوعاً بالابتداء، والخبر محذوف لدلالة ما قبله عليه أي: وأخي لا يملك إلا نفسه، فيكون قد عطف جملة غير مؤكدة على جملة مؤكدة، أو منصوباً عطفاً على اسم إنّ أي: وإن أخي لا يملك إلا نفسه، والخبر محذوف، ويكون قد عطف الاسم والخبر على الخبر نحو: إن زيداً قائم وعمراً شاخص، أي: وإنّ

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الكشاف.
(3) البحر المحيط.

عمراً شاخص. وأجاز ابن عطية والزمخشري أن يكون وأخي مرفوعاً عطفاً على الضمير المستكن في أملك، وأجاز ذلك للفصل بينهما بالمفعول المحصور. ويلزم من ذلك أنّ موسى وهارون عليهما السلام لا يملكان إلا نفس موسى فقط، وليس المعنى على ذلك، بل الظاهر أنّ موسى يملك أمر نفسه وأمر أخيه فقط.

● **قال تعالى**: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البَقَرَة: 178].

ذكر الفخر الرازي(1): إن ابن عباس تمسك بهذه الآية في بيان كون الفاسق مؤمناً من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه تعالى سماه مؤمناً حال أوجب القصاص عليه. وإنما وجب القصاص عليه إذا صدر عنه القتل العمد والعدوان. وهو بالإجماع من الكبائر وهذا يدل على أن صاحب الكبيرة مؤمن.

الثاني: أنه تعالى أثبت الأخوة بين القاتل وولي الدم ولا شك أن هذه الأخوة تكون بسبب الدين لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: 10]. . فلولا أن الإيمان باقٍ مع الفسق وإلا لما بقيت الأخوة الحاصلة بسبب الإيمان.

الثالث: أنه تعالى ندب إلى العفو عن القاتل والندب إلى العفو إنما يليق بالمؤمن.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحُجرَات: 10].

قال الطبري(2): ومعنى الأخوين في هذا الموضع: كل مقتتلين من أهل الإيمان، وبالتثنية قرأ ذلك قرّاء الأمصار. وذُكر عن ابن سيرين أنه قرأ «بين إخوانكم» بالنون على مذهب الجمع، وذلك من جهة العربية صحيح، غير أنه خلاف لما عليه قرّاء الأمصار، فلا أحبّ القراءة بها.

قال الزمخشري(3): فإن قلت: فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع؟ قلت:

---

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.

لأن أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان؛ فإذا لزمت المصالحة بين الأقل كانت بين الأكثر ألزم؛ لأنّ الفساد في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين، وقيل: المراد بالأخوين الأوس والخزرج، وقرىء: «بين إخوتكم وإخوانكم» والمعنى: ليس المؤمنون إلا إخوة، وأنهم خلص لذلك متمحضون، قد انزاحت عنهم شبهات الأجنبية، وأبي لطف حالهم في التمازج والاتحاد أن يقدموا على ما يتولد منه التقاطع، فبادروا قطع ما يقع من ذلك إن وقع واحسموه.

قال القرطبي[1]: أي بين كل مسلمين تخاصما. وقيل: بين الأوس والخزرج؛ على ما تقدّم. وقال أبو عليّ: أراد بالأخوين الطائفتين؛ لأن لفظ التثنية يَرِد والمراد به الكثرة؛ كقوله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المَائدة: 64]. وقال أبو عبيدة: أي أصلحوا بين كل أخوين؛ فهو آتٍ على الجميع. وقرأ ابن سِيرين ونصر بن عاصم وأبو العالية والجحدرِيّ ويعقوب: «بَيْنَ إِخْوَتِكُم» بالتاء على الجمع. وقرأ الحسن: «إِخْوَانِكُم» الباقون: «أَخَوَيْكُمْ» بالياء على التثنية.

● **قال تعالى:** ﴿يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [مريَم: 28].

قال الطبري[2]: اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل لها: يا أخت هارون، ومن كان هارون هذا الذي ذكره الله، وأخبر أنهم نسبوا مريم إلى أنها أخته، فقال بعضهم: قيل لها ﴿يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ﴾ نسبة منهم لها إلى الصلاح، لأن أهل الصلاح فيهم كانوا يسمون هارون، وليس بهارون أخي موسى.

عن قتادة، قوله: ﴿يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ قال: كانت من أهل بيت يُعرفون بالصلاح، ولا يُعرفون بالفساد ومن الناس من يُعرفون بالصلاح ويتوالدون به، وآخرون يُعرفون بالفساد ويتوالدون به، وكان

---

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) جامع البيان.

هارون مصلحاً محبباً في عشيرته، وليس بهارون أخي موسى، ولكنه هارون آخر. قال: وذُكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفاً، كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل.

● **قال تعالى:** ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم﴾ [النِّساء: 23].

قال الفخر الرازي[1]: أنه تعالى نص في هذه الآية على حرمة الأمهات والأخوات من جهة الرضاعة إلا أن الحرمة غير مقصورة عليهن، لأنه ﷺ قال: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**» وإنما عرفنا أن الأمر كذلك بدلالة هذه الآيات، وذلك لأنه تعالى لما سمى المرضعة أماً، والمرضعة أختاً، فقد نبّه بذلك على أنه تعالى أجرى الرضاع مجرى النسب، وذلك لأنه تعالى حرم بسبب النسب سبعاً: اثنتان منها: هما المنتسبتان بطريق الولادة، وهما الأمهات والبنات، وخمس منها بطريق الأخوة، وهو الأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت، ثم أنه تعالى لما شرع بعد ذلك في أحوال الرضاع ذكر من هذين القسمين صورة واحدة تنبيهاً بها على الباقي، فذكر من قسم قرابة الولادة الأمهات، ومن قسم قرابة الأخوة الأخوات، ونبه بذكر هذين المثالين من هذين القسمين على أن الحال في باب الرضاع كالحال في النسب، ثم أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أكد هذا البيان بصريح قوله: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**» فصار صريح الحديث مطابقاً لمفهوم الآية، وهذا بيان لطيف.

---

(1) التفسير الكبير.

إدّ

(إدّ - إمْر - نكْر)

- **الإدّ:** الفعل الخطير الذي يناقض كل الموازين ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم: 89-90].
- **الإمر:** بالكسر، الفعل الشديد الذي فيه غدر وخيانة ويمكن تداركه ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الكهف: 71].
- **النُّكر:** الفعل الذي ينكره الجميع لقبحه ولا يمكن تداركه، كالتولي من الزحف، والديوثة، والقتل العمد لطفل أو طفلة من الأطفال. ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [الكهف: 74].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: وأمّا الهمزة والدال في المضاعف فأصلان: أحدهما عِظَم الشيء وشدّته وتكرُّره، والآخر النُّدود. فأمّا الأوّل: فالإِدُّ، وهو الأمر العظيم. وأمَّا الثاني: فقال ابن دريد: أَدَّتِ الإبل: إذا نَدّت.

قال الجوهري[2]: أَدَّتِ الناقة تَؤُدُّ أَدًّا: إذا رَجَّعَتْ الحنينَ في جوفها. والأَديدُ: الجلبةُ. وشديدٌ أَديدٌ اتباع له. والإِدُّ بالكسر والإِدَّةُ: الداهيةُ، والأمر

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.

الفظيع. ومن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مريم: 89]، وكذلك الآدُّ مثل فاعل. وجمع الإدَّةِ: إدَدٌ. وأَدَّتْ فلاناً داهية تَؤُدُّهُ أَدًّا بالفتح. والأَدُّ أيضاً: القوة.

ابن دريد[1]: الإدّ من الأمر: العظيم الفظيع.

قال الزمخشري[2]: بقيت منه في داهية إدّةٍ، ولقيت منه كلّ شدّة.

والأَدُّ: الغلبةُ والقوّةُ؛

قال:

نَضَوْنَ عنّي شدّةً وأَدّاً … من بعدِ ما كنتُ صُمُلاًّ نَهْدا

وأَدّت الناقة: والإبل تؤدّ أَدّاً: رجَّعت الحنين في أجوافها.

وأَدُّ الناقة: حنينها ومدّها لصوتها؛ عن كراع. (اللسان).

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مريَم: 89].

قال الطبري[3]: لقد جئتم أيها الناس شيئاً عظيماً من القول منكراً.

وفي الإِدِّ لغات ثلاث، يقال: لقد جئت شيئاً إِدًّا، بكسر الألف، وأَدًّا بفتح الألف، وآدًّا بفتح الألف، ومدّها، على مثال مادّ فاعل. وقرأ قرّاء الأمصار، بكسر الألف وبها نقرأ، وقد ذكر عن أبي عبد الرحمٰن السلمي أنه قرأ ذلك بفتح الألف، ولا أرى قراءته كذلك لخلافها قراءة قرّاء الأمصار، والعرب تقول لكلّ أمر عظيم: إدّ، وإِمْر، ونُكْر.

قال البغوي[4]: «الإِدّ»: الأمر الشنيع الصعب وهي الدواهي والشنع

(1) الجمهرة.
(2) أساس البلاغة.
(3) جامع البيان.
(4) البغوي.

العظيمة، ويروى عن النبي ﷺ أن هذه المقالة أول ما قيلت في العالم شاك الشجر وحدثت، وفي نسخة، وحدثت مرائره واستعرت جهنم وغضبت.

قال أبو السعود[1]: ردٌّ لمقالتهم الباطلةِ وتهويلٌ لأمرها بطريق الالتفاتِ المنبىءِ عن كمال السخطِ وشدةِ الغضب المُفصِح عن غاية التشنيعِ والتقبيحِ، وتسجيلٌ عليهم بنهاية الوقاحةِ والجهل والجراءة، والإدُّ بالكسر والفتح العظيمُ المنكر، والإدّةُ الشدةُ، وأدَني الأمرُ وآدَني: أثقلني وعظُم عليّ، أي: فعلتم أمراً منكراً شديداً لا يقادَر قدرُه، فإن جاء وأتى يستعملان في معنى فعَلَ فيُعدَّيان تعدِيتَه.

(1) إرشاد العقل السليم.

أدّى

(أدّى - دفع - وفّى)

- **أَدَّى:** دفع ما يجب دفعه بوقته. كأداء الصلاة والزكاة والدين والأمانة.. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النِّساء: 58].
- **دَفَعَ:** إذا عُدِّيَ بإلى، اقتضى سرعة الأداء ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النِّساء: 6].
- **وَفَّى:** الأداء الكامل غير منقوص في الوقت المحدّد ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عِمران: 185].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الهمزة والدّال والياء أصلٌ واحد، وهو إيصال الشيء إلى الشيء أو وصوله إليه من تلقاء نفسه.

قال أبو عبيد: تقول العرب للَّبَن إذا وصل إلى حال الرُّؤوبِ، وذلك إذا خَثُر: قد أدى يَأْدي أُدِيًّا[2].

قال الخليل[3]: أدّى فلان يؤدّي ما عليه أداءً وتَأْدِيَةً. وتقول: فلانٌ آدَى للأمانة منك.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) اللسان.
(3) العين.

قال الجوهري(1): الأداة: الآلةُ، والجمع الأدَواتُ. وآداهُ على كذا يُؤْديهِ إيداءً: إذا قوّاه عليه وأعانه. وآدى الرجلُ أيضاً، أي: قَويَ، من الأَداةِ، فهو مُؤدٍ بالهمز، أي: شاكٍ في السلاح. وأمّا مودٍ بلا همز، فهو من أَوْدى أي: هلك. ويقولون: اسْتَأْدَيْتُ الأميرَ على فلان فآداني عليه، بمعنى: استعديته فأعداني عليه. وآدَيْتُ للسفر فأنا مُؤدٍ له: إذا كنتَ مُتَهَيِّئاً له. وتآدى: أي أخذ للدهر أَداتَهُ، ويقال: أخذت لذلك الأمر أَدِيَّةُ، أي: أهبته. ونحن على أَديّ للصلاة، أي: تهيُّؤٍ لها.

قال الأزهري(2): أهل الحجاز يقولون اسْتأْدَيت السلطانَ على فلان أي: اسْتَعَدَيَتْ فآداني عليه أي: أَعْداني وأَعانَني.

قال الراغب(3): الأداء: دفع الحق دفعة وتوفيته، كأداء الخراج والجزية وأداء الأمانة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الدّخان: 18].

أَدّوهم إليّ وأرسلوهم معي كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ [طه: 47] ويجوز أن يكون نداء لهم على أن أَدّوا إليّ عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الإيمان بي وقبول دعوتي واتباع سبيلي. (4)، أو أَدُّوا ما أوجب عليكم وما أمركم به(5).

وقال ابن عاشور(6): يجوز أن يكون المقصود هو خطاب فرعون لأنه يرسل

(1) الصحاح في اللغة.
(2) تهذيب اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) الزمخشري/الكشاف.
(5) التفسير العظيم: العز بن عبد السلام.
(6) التحرير والتنوير.

معه عباد الله وهم بنو إسرائيل مشيراً بذلك إلى أنهم ليسوا عبيد فرعون وإنما هم عبيد الله وحده ف (عباد الله) مفعول به للفعل (أدوا) فيكون استعمال الفعل (أَدُّوا) في سورة الدخان تفسيراً للفعل (أرسل) في سورة الشعراء (17) وبذلك يكون المعنى أن أرسل معي بني إسرائيل على سرعة الأداء.. فالأداء هو سرعة التسليم (أن تؤدوا الأمانات) أي بسرعة.

وخلاصة القول يقال:

أَدَّى الشيء: قام به.

أَدَّى الدَّيْن: قضاه.

أَدَّى الصلاة: قام بها لوقتها.

أَدَّى الشهادة: أدلى بها.

وأَدَّى إليه الشيء: أوصله إليه[1].

● **قال تعالى:** ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [البَقَرَة: 283].

أمر معناه الوجوب بقرينة الإجماع على وجوب أداء الديون وثبوت حكم الحاكم به وجبره الغرماء عليه بقرينة الأحاديث الصحاح في تحريم مال الغير[2]. أما قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [آل عِمرَان: 75].. هذا خبر من الله عَزَّوَجَلَّ أن من أهل الكتاب وهم اليهود من بني إسرائيل أهل أمانة يؤدونها ولا يخونونها ومنهم الخائن أمانته الفاجر يمينه المستحل..[3]

وقال العز بن عبد السلام[4]: أودع العرب أموالاً عند بعض اليهود فأسلم بعض فاستولوا على أموالهم.

---

(1) المعجم الوسيط.
(2) القرطبي/ الجامع لأحكام البيان.
(3) الطبري/ جامع البيان.
(4) التفسير العظيم.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النِّساء: 58].

فمعناه إن الله يأمركم يا معشر ولاة أمور المسلمين أن تؤدوا ما ائتمنتكم عليه رعيتكم من فيئهم وحقوقهم وأموالهم وصدقاتهم إليهم على ما أمركم الله بأداء كل شيء من ذلك إلى من هو له بعد أن تصير في يديكم ولا تظلموها ولا تستأثروا بشيء منها ولا تضعوا شيئاً منها في غير موضعه ولا تأخذوها إلا ممن أذن الله لكم بأخذها منه قبل أن تصير في أيديكم(1).

● **قال تعالى:** ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البَقَرَة: 178].

أما الأداء بإحسان فالمراد به أن لا يدعي الإعدام في حال الإمكان ولا يؤخره مع الوجود ولا يقدم ما ليس بواجب عليه وأن يؤدي ذلك المال على بشر وطلاقة وقول جميل..(2)

والكلام في هذه الآية عن حق القصاص والعفو عنه فينتقل إلى حق الدية فهي أمانة في ذمة القاتل. فلولي الدم أن يتبعه. أي يرجع إليه بالمعروف. وعلى القاتل أن يؤدي الدية إليه بإحسان كرد أمانة تامة والجمع بين العفو والأخوة والمعروف والإحسان يجعل الجو عاطفياً يثير المحبة والأخوة بينهما بعد أن اشتدت العداوة والبغضاء بينهما بارتكاب جريمة القتل. وقد بلغ هذا الجو العاطفي أوجه في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾.

الأمانة في الهدي النبوي: - عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلاّ الأمانة فإنه يؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله، فيقال: أدّ أمانتك فسيقول: أي ربّ، كيف وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية فينطلق به إلى الهاوية، وتُمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه، فيراها**

(1) جامع البيان/ الطبري.
(2) التفسير الكبير/ الفخر الرازي.

فيعرفها، فيهوي في أسرها حتى يدركها، فيحملها على منكبيه حتى إذا ظن أنه خارج زلت عن منكبيه، فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين، ثم قال: **الصلاة أمانة والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة**، وأشياء عددها ثم قال، **وأشدّ ذلك الودائع**». وعن علي بن أبي طالب ﵁ قال رسول الله ﷺ: «**إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة فقد حلّ بها البلاء، ومنها: إذا كانت الأمانة مغنماً**» وفي رواية: «**فليرتقبوا عن ذلك خسفاً ومسخاً وقذفاً، وآيات تتابع كنظام بالٍ قطع سلكه فتتابع**». وأن من علامات الساعة ارتفاع الأمانة شيئاً فشيئاً، فتسوء أفعال الناس حتى لا يتبقى في الناس من يتعامل بالأمانة، وعندها تصبح الحياة مرة مظلمة، ويقترب قيام الساعة حيث لا تقوم إلّا على شرار الناس. كما روى حذيفة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال في حديث طويل: «**فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يقال إن في بني فلان رجل أميناً..**»[1] وعن ابن مسعود ﵄: عن الرسول ﷺ قال: «**الصلاة أمانة والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة**، وأشياء عددها - **وأشد ذلك الودائع**»[2].

---

(1) رواه مسلم وغيره.

(2) رواه أحمد والبيهقي، وقال الإمام أحمد إسناده جيد.

أذِنَ

(أذِنَ - سمع - أنصت - أصغى)

- **أذِنَ:** حسن الاستماع وقد أحنى ظهره طائعاً أو موافقاً ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: 2].
- **سَمِعَ:** أدرك جمال الصوت بقوة الأذن: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: 212].
- **اسْتَمَعَ:** جاء قاصداً أن يسمع منك شيئاً معيناً لأهميته ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزُّمَر: 18].
- **أَنْصَتَ:** استمع خاشعاً بانتباه شديد ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾ [الأحقاف: 29].
- **أَصْغَى:** استمع مستوعباً ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ [الأنعام: 113].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الهمزة والذال والنون أصلان متقارِبان في المعنى، متباعدان في اللفظ، أحدهما أُذُنُ كلِّ ذي أُذُن، والآخَر العِلْم؛ وعنهما يتفرّع

(1) معجم مقاييس اللغة.

البابُ كلُّه. فأمّا التقارب فبالأُذُن يقع علم كلِّ مسموعٍ. وأمّا تفرُّع الباب فالأُذُن معروفة مؤنثة.

ويقال لذي الأُذُنِ آذَنُ، ولذات الأُذُن أَذْنَاء.

والأذين: المؤذن.

قال الخليل[1]: الأُذُن: العروة، أي عُروة الكُوز ونحوه. والأكواب: كيزان لا أذن لها. والأذن الاستماع للشيء. وأذنت بهذا الشّيء: أي علمت، وآذني: أعلمني. والأذان: اسم للتأذين.

قال الجوهري[2]: أَذِنَ له في الشيء إِذْناً. يقال: ائْذَنْ لي على الأمير. وأَذِنَ، بمعنى: عَلِمَ، بعد أن استمع بعناية.

والأَذانُ: الإعلامُ. وأَذانُ الصلاة معروف. والأَذينُ مثله. وقد أَذَّنَ أذاناً. والمِئْذَنَةُ: المنارةُ. والأَذينُ: الكفيلُ. وقال قومٌ: الأَذينُ: المكان يأتيه الأَذانُ من كلِّ ناحية.

قال الراغب[3]: الأُذُن: الجارحة، وشبه به من حيث الحلقة أذن القدر وغيرها، ويستعار لمن كثر استماعه وقوله لما يسمع، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾ [التوبة: 61] أي: استماعه لما يعود بخير لكم، وقوله تعالى: ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾ [الأنعام: 25] إشارة إلى جهلهم لا إلى عدم سمعهم.

وأَذِنَ: استمع، نحو قوله: ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ [الانشقاق: 2]، ويستعمل ذلك في العلم الذي يتوصل إليه بالسماع، نحو قوله: ﴿فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [البقرة: 279].

والأذن والأذان لما يسمع، ويعبر بذلك عن العلم، إذ هو مبدأ كثير من العلم

---

(1) العين.

(2) الصحاح في اللغة.

(3) مفردات الراغب.

فينا، قال الله تعالى: ﴿ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ﴾ [التوبة: 49]، وقال: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ﴾ [إبراهيم: 7].

والمؤذن: كل من يعلم بشيء نداءً، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ﴾ [يوسف: 70]، ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الأعراف: 44]، ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ [الحج: 27].

والأذين: المكان الذي يأتيه الأذان، والإذن في الشيء: إعلام بإجازته والرخصة فيه، نحو، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: 64] أي: بإرادته وأمره، وقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 166]، وقوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: 102]، ﴿وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [المجادلة: 10] قيل: معناه: بعلمه، لكن بين العلم والإذن فرق، فإن الإذن أخص، ولا يكاد يستعمل إلا فيما فيه مشيئة به، راضياً منه الفعل أم لم يرض به (في المخطوطة: ضامه الفعل أم لم يضامه)، فإن قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: 100] فمعلوم أن فيه مشيئته وأمره، وقوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: 102] ففيه مشيئته من وجه، وهو أنه لا خلاف أن الله تعالى أوجد في الإنسان قوة فيها إمكان قبول الضرب من جهة من يظلمه فيضره، ولم يجعله كالحجر الذي لا يوجعه الضرب، ولا خلاف أن إيجاد هذا الإمكان من فعل الله، فمن هذا الوجه يصح أن يقال: إنه بإذن الله ومشيئته يلحق الضرر من جهة الظالم، ولبسط هذا الكلام كتاب غير هذا (ومحل هذا كتب الكلام، وتفاسير القرآن المطولة، كشرح الفقه الأكبر للقاري، وتفسير الرازي).

والاستئذان: طلب الإذن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: 45]، ﴿فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ﴾ [النور: 62].

و(إِذَنْ) جواب وجزاء، ومعنى ذلك أنه يقتضي جواباً أو تقدير جواب، ويتضمن ما يصحبه من الكلام جزاءً، ومتى صدر به الكلام وتعقبه فعل مضارع

ينصبه لا محالة، نحو: إذن أخرج، ومتى تقدمه كلام ثم تبعه فعل مضارع يجوز نصبه ورفعه (قال ابن مالك في ألفيته:

ونصبوا بإذن المستقبلا إن صدرت والفعل بعد موصلا
أو قبله اليمين وانصب وارفعا إذا إذن من بعد عطف وقعا)

أنا إِذَنْ أخرج وأخرج، ومتى تأخر عن الفعل أو لم يكن معه الفعل المضارع لم يعمل، نحو: أنا أخرج إِذَنْ، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: **140**].

واشتق من الأُذُن «الفعل» في آيتين مكيتين: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾ [الانشقاق: **1-5**]. فسروها بقولهم: أي سمعت أو استمعت وأطاعت. وحُقَّ لها ذلك.

(الإِذْن) وما اشتق منه:

1. كلمة إذن معناها المعروف والمتبادر إلى الذهن هو الرخصة. ولها دلالات متنوعة ذكرها المفسرون حسب مساعدة السياق. وقد يدل لفظ القرآن على أكثر من واحد كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: **145**]، ففيه معنى الأمر والتوفيق والتيسير والعلم. أي بعلمه سبحانه وفي هذه الآية تشجيع وترغيبهم في مواجهة الحياة والمساهمة في بناءها وركوب الأخطار في المهمات الصعبة ولو أدى ذلك إلى القتال[1].

2. إذا دققنا النظر في دلالة (الإيذان) و(الإذن) في القرآن الكريم كغيرها من النصوص الفصيحة نجدها تتصل أيضاً بالسمع والأُذُن على ما سبق. وغني عن البيان هذا المعنى الأول أي الأذن قد تنوسي في مراحل التطور اللغوي اللاحقة. حيث استقرار الجذر على المحور الثاني (إِذْن) كما تطور اللفظ من حيث الحركة

(1) فتح الرحمٰن في تفسير القرآن.

ففي (أُذُن) ضمتان وفي (الإِذْن) كسرة وسكون فكان هذا البناء مستتبعاً التغيير في الدلالة وفي الوقت نفسه ناتجاً عنه(1).

المعنى المشترك لكلمة (أ ذ ن)

وقد وردت كلمة (الإذن) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: الإذن يعني: السماع ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢﴾ [الانشقاق: 1-2].

الوجه الثاني: أذَّن بمعنى: نادى ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الأعراف: 44].

الوجه الثالث: الإذن في الشيء من الله تعالى بمعنى: الإرادة ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: 102].

الوجه الرابع: الإذن بمعنى: الأمر ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ﴾ [الرعد: 38].

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ [الحَجّ: 27].

روي أن أذان إبراهيم بالحج أن: (وقف في المقام فنادى: يا أيها الناس أجيبوا الله، يا عباد الله: أطيعوا الله، يا عباد الله: اتقوا الله) فوقرت في قلب كل مؤمن، وأُسمع ما بين السماء والأرض فأجاب من في الأصلاب ممن كتب له الحج، وكل من حج فهو من أجاب إبراهيم عليه السلام. وقيل: الخطاب لرسول الله ﷺ أمر بذلك في حجة الوداع. ويأباه كون السورة مكية(2).

(1) مقاييس اللغة. (2) تفسير أبو السعود/ إرشاد العقل السليم.

الإذن في اللغة على ثلاثة أقسام: أحدها: بمعنى العلم. ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: 279].

الثاني: بمعنى التيسير: كقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ [النِّساء: 25].

الثالث: بمعنى الأمر كقوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: 97]. . وقولهم: أذّن العصر: بالبناء للفاعل خطأ والصواب أذِّن بالعصر، بالبناء للمفعول مع حرف الصلة.

● **قال تعالى:** ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النَّبَإِ: 38].

قال الألوسي: (إلا من أذن) بدل من ضمير لا يتكلمون. وهو عائد إلى أهل السماوات والأرض الذين من جملتهم الروح والملائكة، وذكر قيامهم مصطفين لتحقيق عظمة سلطانه تعالى. وكبرياء ربوبيته عَزَّوَجَلَّ وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة إلى مقطعها والجملة استئناف مقر لمضمون قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ [الرّعد: 16]، ومؤكد له على معنى أنّ أهل السماوات والأرض إذا لم يقدروا حينئذٍ أن يتكلموا بشيء من جنس الكلام إلا من أذن الله تعالى له منهم في التكلم مطلقاً[1].. وقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التّوبَة: 43].

● **قال تعالى:** ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التّوبَة: 43].

قال النيسابوري[2]: أن ذلك التخلف من بعضهم كان بإِذْن الرسول ﷺ. ولهذا توجب عليه العتاب بقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ فإن العفو يستدعي سابقة الذنب وبقوله: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ فإنه استفهام في معنى الإنكار وبيان لما كني عنه بالعفو.

(1) الآلوسي/ روح المعاني. (2) غرائب القرآن.

قال قتادة وعمرو بن ميمون: شيئان فعلهما الرسول ﷺ لم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين وأخذ الفداء من الأسرى. فعاتبه الله بطريق الملاطفة كما تسمعون والذي عليه المحققون أنه محمول على ترك الأولى، وقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ إنما جاء على عادة العرب في التعظيم والتوقير فيقدمون أمثال ذلك بين يدي الكلام يقولون: عفا الله عنك ما صنعت في أمري؟ وبعد حصول العفو من الله تعالى يستحيل أن يكون قوله: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ وارداً على سبيل الذم والإنكار بل يحمل على ترك الأكمل والأولى. لا سيما وهذه الواقعة كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا.

وقال كثير من العلماء في الآية الدالة على جوازها بالاجتهاد لأنه عليه الصلاة والسلام أَذِنَ لهم من تلقاء نفسه من غير أن يكون من الله في ذلك إِذْن وإلا لم يعاتب، أو منع، وإلا كان عاصياً بل كافراً. لقوله ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المَائدة: 44] ولا ريب أنه لا يكون بمجرد التشهي فيكون بالاجتهاد ثم أنه لم يمنع من الاجتهاد مطلقاً وإنما منع من غاية هي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [التّوبَة: 43].

قال ابن عطية[1]: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ استفتاح كلام، كما تقول أصلحك الله وأعزك الله، ولم يكن منه ﷺ ذنب يعفى عنه لأن صورة الاستنفار قبول الإعذار مصروفة إلى اجتهاده، وأما قوله: ﴿لِمَ أَذِنتَ﴾ فهي على معنى التقرير.

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ [النّحل: 84].

قال الفخر الرازي[2]: فيه عدة وجوه:

لا يؤذن لهم بالاعتذار لقوله: ﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ﴾ [المُرسَلات: 36].

---

(1) المحرر الوجيز.

(2) الرازي/ التفسير الكبير.

لا يؤذن لهم في كثرة الكلام.

لا يؤذن لهم بالرجوع إلى دار الدنيا إلى التكليف.

لا يؤذن لهم في حال شهادة الشهود بل يسكت أهل الجمع كلهم ليشهد الشهود.

لا يؤذن لهم في كثرة الكلام ليظهر لهم كونهم آيسين من رحمة الله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: 102]. ينبغي أن يعلم أن الإِذْن في الشيء من الله تعالى ضربان:

1. الإذن لقاصد الفعل في مباشرته نحو قولك أَذِنَ الله أن تصل الرحم.

2. الإِذْن في تخير الشيء على وجه تسخير السم في قتله من يتناوله والترياق في تخليصه من أذيته، فإِذْن الله تعالى في وقوع التسخير وتأثيره من القبيل الثاني وذلك هو المشار إليه بالقضاء وعلى هذا يقال للأشياء كلها بإِذْنِ الله وقضائه ولا يقال: الأشياء كلها بأمره ورضاه[1]..

وأَذِنْتَهُ بالأمر، فَأْذَنْ به ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: 279]، بهذه الآية ختم الله التشريع كله في الربا وفيها النهي الحاسم عن كل ما يزيد على أمر مال المدين ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [البَقَرَة: 279][2] وتأذّن بالشرّ إذا تقدّم فيه وحذره وأنذر به ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِۗ﴾ [الأعراف: 167] أنذر بالشرّ بصوت مرتفع ليسمعه كل الناس.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًاۚ﴾ [الأعراف: 58].

---

(1) محاسن التأويل القاسمي. (2) تفسير المراغي.

قال رشيد رضا: قوله تعالى في تعليل هذا الغالب ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: 97] فقد فسروه هنا بإرادة ومشيئة الله تعالى وأصل الإذن في اللغة: إباحة الشيء والرخصة في فعله ولا سيما إذا كان الشأن فيه أن يكون ممنوعاً فيكون حاصل الإذن إزالة المنع، وهي أما أن تكون بالقول لم يقدر على الفعل وإما أن تكون بالفعل لم يقدر عليه، فالإِذْن من الله تعالى أمر تكليف أو إباحة وترخيص وهو من متعلق صفة الكلام.

فالأول كقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ﴾ [الحَجّ: 39]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النِّساء: 64]. . والثاني: كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾ [البَقَرَة: 255] وقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [الأحزَاب: 46] وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التّوبَة: 61][1].

قال الفخر الرازي[2]: اعلم أنه تعالى حكى أن من المنافقين من يؤذي النبي ﷺ ثم فسر ذلك الإيذاء بأنهم يقولون للنبي ﷺ: أنه (أُذُن) وغرضهم منه أنه ليس له ذكاء ولا بعد غور بل هو سليم القلب سريع الاغترار بكل ما يسمع. فلهذا السبب سموه بأنه أُذُن. كما أن الجاسوس يسمى بالعين. يقال: جعل فلان علينا عيناً أي: جاسوساً متفحصاً عن الأمور فكذا هاهنا، ثم إنه تعالى أجاب عنه بقوله: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ والتقدير: هب أنه أُذُن لكنه أُذُن خير ونفع وحماية خير لكم.

وقوله: ﴿أُذُنُ خَيْرٍ﴾ مثل ما يقال: فلان رجل صدق وشاهد عدل. ثم بيَّن كونه ﴿أُذُنُ خَيْرٍ﴾ بقوله: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ﴾ [التّوبَة: 61] جعل تعالى هذه الثلاثة الموجبة لكونه عليه الصلاة والسلام ﴿أُذُنُ خَيْرٍ﴾ فلنبين كيفية اقتضاء هذه

(1) تفسير رشيد رضا.
(2) الفخر الرازي التفسير الكبير.

المعاني لتلك الخيرية وهو قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: 228] فلأن كل من آمن بالله كان خائفاً من الله والخائف من الله لا يقدم على الإيذاء بالباطل.

وهو قوله تعالى: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التّوبَة: 61] فالمعنى أنه يسلم للمؤمنين قولهم والمعنى أنه ماذا توافقوا على قول واحد. سلم لهم ذلك القول وهذا ينافي كونه سليم القلب سريع الاغترار[1].

(1) التفسير الكبير للرازي.

أذى

(أذى - ضرر - سوء - بلاء)

- **الأذى:** باللسان مما يؤدي إلى الإزعاج النفسي.
﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة: 61] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: 222] من حيث تأثيره النفسي.
- **الضَّرر:** الشّر المادي في النفس أو المال ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: 84].. وهو شدة مرض طال.
- **السُّوء:** الهمّ الدائم من الخوف. ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [النّحل: 27].
- **بَلاء:** الضرر الدائم كالعمى والسجن الطويل والفقر. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصّافات: 106].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الهمزة والذّال والياء أصل واحد، وهو الشّيء تتكرَّهُه ولا تَقِرّ عليه: أَذَيتُ فلاناً أُوذيه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

الخَليل(1): الأذَى: كُلّ ماتأذيتَ به، ورجل أذيّ، أي: شديد التأذيّ، وأَذِيَ يأذّى أذىً.

قال الأزهَريّ(2): في الحديث: «**أمِيطُوا عنه الأَذَى**» يعني الشّعر الّذي يكون على رأس المولود حين يُولَد. يقال: آذيتُه إيذاءً وأذيّة. وقد تأذّيت به تأذِّياً. وأذِيتُ آذى أذًى.

الجَوهَريّ(3): آذَاهُ يُؤذيه إيذاءً، فأَذِي هو أذًى، وأَذَاةً وأذيّة وتأذّيتُ به. والآذِيُّ: مَوج البحر، والجمع: الأواذيّ.

قال الرّاغِب(4): الأذَى: ما يصل إلى الحيوان من الضّرر إمّا في نفسه أو في جسمه أو تبعاته، دُنيوياً كان أو أُخروياً.

الزَّمخْشَريّ(5): أعوذ بالله من جارةٍ بَذيّة، تُغادي وتُراوُح بأذِيّة. وتقول: ارْكَب الآذِيّ، تَشْرَب الماذِيّ.

المعنى المشترك لكلمة (أ ذ ى)

وقد وردت كلمة (أذى) في القرآن الكريم على عشرة أوجه:

الوجه الأول: الأذى يعني: الحرام ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: 222].

الوجه الثاني: الأذى يعني: القمل ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 196].

الوجه الثالث: الأذى يعني: الشدة ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ [النساء: 102].

الوجه الرابع: الأذى يعني: الشتم ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا﴾ [النساء: 16].

(1) العين.
(2) تهذيب اللغة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) مفردات الراغب.
(5) أساس البلاغة.

الوجه الخامس: الأذى يعني: البهتان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ﴾ [الأحزاب: 69].

الوجه السادس: الأذى يعني: العصيان ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: 57].

الوجه السابع: الأذى يعني: التخلف ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 61].. أي الذين تخلفوا عن غزوة تبوك.

الوجه الثامن: الأذى يعني: شغل القلب ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ [الأحزاب: 53].

الوجه التاسع: الأذى يعني: المنّ ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [البقرة: 263].

الوجه العاشر: الأذى يعني: العذاب ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: 10].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ [آل عِمرَان: 111].

قال الزمخشري: ما يزعج الحي المدرك في بدنه أو في نفسه ولو ألماً خفيفاً يقال: أذى الإنسان كرضى بكذا أَذَى وتَأَذَّى تأذياً: إذا أصابه مكروه يسير. كذا قالوا. وآذى غيره إيذاءً، وأنكر الفيروزأبادي لفظ الإيذاء وإن كان هو القياس لأنه لم يسمع من العرب إلا الأذى والأذاة والأذيّة وربما يشهد له قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ ومن كلام العرب: «أعوذ بالله من جارة بذيّة، تعادي وتراوح بأذيّة»(1).

(1) أساس البلاغة.

قال القاسمي[1]: فالظاهر أنه يطلق على اليسير والخفيف وعلى الشديد وقوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ من الأول. لأنه مستثنى من الضرر ومثله ما ورد الأذى من المطر وأذى الرأس من القمل ومن الثاني قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: 57]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: 58].

● **قال تعالى**: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البَقَرَة: 264].

قال الغزالي: اختلفوا في حقيقة المَنِّ والأذى. فقيل المن: أن يذكرها والأذى: أن يظهرها.

وقيل: المن: أن يستخدمه بالعطاء. والأذى: أن يعيره بالفقر.

وقيل: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فإنكم إن فعلتم ذلك لم تقدروا على شيء مما كسبتم[2].

وقيل: المن: أن يتكبر عليه لأجل عطائه، والأذى: أن ينتهره أو يوبخه ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البَقَرَة: 196].

قال الطبري[3]: أما الأذى يكون برأس الإنسان المحرم بالحج خاصة له حلقه. فنحو الصداع والشقيقة وما أشبه ذلك وأن يكثر صئبان الرأس. وكل ما كان للرأس مؤذياً مما في حلقه. رفع المضرة الحالة به. فيكون ذلك له بعموم قول الله جل وعز: ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 196].

● **قال تعالى**: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البَقَرَة: 222].

---

(1) القاسمي محاسن التأويل.
(2) فتح الرحمن.
(3) جامع البيان.

وأذاه: ضيق الصدر، وعدم نظافة الفرج، وعزوفها عن المعاشرة.

قال الزمخشري[1]: (قُلْ هُوَ أَذًى) أي: الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له.

قال الماوردي[2]: والأذى: هو ما يؤذي من نتن ريحه ووزره ونجاسته.

● **قال تعالى**: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَۖ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عِمرَان: 111].

معناه أنه ليس على المسلمين من كفار أهل الكتاب ضرر وإنما منتهى أمرهم أن يؤذوكم باللسان. إما بالطعن في محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام وإما بإظهار كلمة الكفر كقولهم: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ... ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ﴾ [التوبة: 30]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المَائدة: 73].. وإما بتحريف نصوص التوراة والإنجيل. وإما بإلقاء الشُبه في إسماعيل وإما بتخويف الضعفة من المسلمين.

وقال السيواسي: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ أي لا يكون عون من أحد، ولا يمنعون منكم، وهو وعد و(ثم) للتراخي في المرتبة. لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بهربهم إلى الديار، يعني بعد توليهم الأدبار لاينصرون قاتلوا أو لم يقاتلوا[3].

قال الشعراوي[4]: إن الأذى هو الحدث الذي يؤلم ساعة وقوعه ثم ينتهي، أما الضرر فهو أذى يؤلم وقت وقوعه، وتكون له آثار من بعد ذلك، فعندما يصفع الإنسان إنساناً آخر صفعة بسيطة فالصفعة البسيطة تؤلم، وألمها يذهب مباشرة، لكن إن كانت الصفعة قوية وتتسبب في كدمات وتورم فهذا هو الضرر. إذن فالأذى يؤلم ساعة يُباشَر الفعل فقط، وقد يكون الأذى بالكلمة كالاستهزاء،

---

(1) الكشاف.
(2) النكت والعيون.
(3) عيون التفاسير.
(4) تفسير الشعراوي.

فالفاسق قد يستهزئ بالذي آمن، فينطق بكلمة الكفر أو الفُجْر، هذه الكلمة ليس لها ضرر في ذات المؤمن ولكنها تؤذي سمعه. إن الحق سبحانه يطمئن المؤمنين على أن أهل الكفر لن يضروا المؤمنين إلا أذى، وهذا أقصى ما في استطاعتهم، وليس لهذا الأذى أثر.

إذن فقول الحق: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ [آل عِمرَان: 111] يعني أنهم لن يستطيعوا أن ينالوا منكم أبداً اللّهم إلا الاستهزاء أو الغمز واللمز، أو إشارة بحركة تؤذي شعور المؤمن، أو تمجد الكفر، وتعظمه أو بنطق كلمة عهر أو فجر لا يوافق عليها الدين، هذا أقصى ما يستطيعه أهل الفسق، وهم لا يملكون الضرر لأهل الإيمان. وبعد ذلك نرى أن واقع الأمر قد سار على هذا المنوال مع الدعوة المحمدية ومع جنود سيدنا رسول الله ﷺ. لقد أطلقها الله كلمة: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ فصارت الكلمة قانوناً. فقد وقعت الوقائع بين جند رسول الله وأهل الفسق، وثبت أن أهل الفسق لم يستطيعوا ضرر أهل الإيمان إلا أذى.

ولننظر إلى ما حدث لبني قينقاع، ولما حدث لبني قريظة، ولما حدث لبني النضير، ولما حدث ليهود خيبر، هل ضروا المؤمنين إلا أذى؟ لقد قالوا لرسول الله ﷺ: لا يغرنك يا محمد أنك لقيت قوماً أغراراً لا علم لهم بالحرب فانتصرت عليهم، فإذا أنت حاربتنا فستعرف مَن الرجال. وكان ذلك مجرد كلام باللسان.

قال الزمخشري[1]: إلا ضرراً مقتصراً على أذى بقول من طعن في الدين أو تهديد أو نحو ذلك.

● **قال تعالى**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العَنكبوت: 10].

(1) الكشاف، وانظر ابن الجوزي/ زاد المسير.

قال الفخر الرازي[1]: قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ هو في معنى قوله: ﴿وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى﴾ [آل عِمرَان: 195]. . غير أن المراد بتلك الآية: الصابرون على أذية الكافرين، والمراد هاهنا الذين لم يصبروا عليها. فقال هناك: ﴿وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى﴾ وقال ها هنا: ﴿أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ ولم يقل: في سبيل الله. واللطيفة فيه أن الله أراد بيان شرف المؤمن الصابر وخسة المنافق الكافر[2].

● **قال تعالى**: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعرَاف: 129].

إنه منطق الضعفاء الذين لا يعرفون معنى حركة القوة في الداخل من أجل تنمية روح التحدي في الواقع، فهم لا يتعاملون مع القضايا التي يعيشونها من موقع العلاقة بالأهداف البعيدة للحياة بل يتعاملون معها من موقع المشاعر والانفعالات في ما تختزنه من هموم وآلام إنهم يعيشون في جو الإحساس دون التفكير.

فقال هناك: أوذي المؤمن في سبيل الله ليترك سبيله ولم يتركه. وأوذي المنافق الكافر فترك الله بنفسه. وكان يمكنه أن يظهر موافقتهم إن بلغ الإيذاء إلى حد الإكراه. ويكون قلبه مطمئناً بالإيمان فلا يترك الله ومع هذا لم يفعله بل ترك الله بالكلية. والمؤمن أوذي. ولم يترك سبيل الله بل أظهر كلمتي الشهادة وصبر على الطاعة والعبادة. . ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبَة: 61].

في إضافة الرسول إلى اسم الله عزّ وجلّ إيذان بأن إيذاءه لمرسله أي سبب لعقابه كما أن طاعته طاعة له وسبب لثوابه ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النِّساء: 80].

وقوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 91] جملة مستقلة هي خبر لما قبلها.

---

(1) التفسير الكبير. (2) نفسه.

وفي هذه تأكيد لمضمون الآية وما في معناها دليل على أن إيذاءه في سبيل رسالته ينافي صدق الإيمان بطبيعته.

قال بعضهم: ومنه الخوض في أبويه وآل بيته بما يعلم أنه يؤذيه لو كان حياً ولكنهم جعلوه ذنباً لا كفراً.

● **قال تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصَّف: 5].

موسى يواجه الأذى من قومه.

وليس هذا الوضع المنحرف الذي يختلف فيه الفعل عن القول: ببدع في المجتمع الديني في ما كان يمارسه بعض المسلمين في زمان الدعوة كان يؤذي النبي محمد ﷺ، بل كانت المشكلة سابقة مع موسى عليه الصلاة والسلام الذي عمل على إنقاذ قومه من ظلم فرعون حتى أخرجهم من العبودية إلى الحرية على أساس الدعوة التوحيدية التي تجعل الناس خاضعين لله وحده في السير وفق أوامره ونواهيه لكنهم كانوا خاضعين لرواسب العبودية التي تمنعهم من التطلع إلى آفاق الحرية في آفاق الله.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾، بعد أن قطع شوطاً طويلاً عانى فيه الكثير من المشاكل والتحديات من أجل أن يخرجهم من الظلمات إلى النور. وتألم أشد الألم من أجلهم حتى كان إرسال بني إسرائيل معه.

قال أحمد السيواسي(1): ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ بالشتم والتكذيب ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ﴾ حال، أي: عالمين ﴿أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾، ﴿وَقَد﴾ فيه للتأكيد كأنه قال: وقد تعلمون علماً يقيناً في رسالتي لا شبهة لكم فيها ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ﴾ [الصف: 5] أي مالوا عن تصديق موسى عليه السلام: ﴿قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: 5] عن الهدى ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: 5] إذا سبق في علمه.

---

(1) عيون التفاسير.

ليلاً ولا تأمن على حياتك «.. في سفر يوشع الإصحاح/ 23» لتحفظوا وتعملوا كل المكتوب في سفر شريعة موسى، ولكن إذا رجعتم ونقضتم ببقية هؤلاء الشعوب اعلموا يقيناً أن الله يجعلهم لكم سوطاً على جنوبكم وشوكاً في أعينكم حتى تبيدوا حينما تعتدون عهد الرب إلٰهكم.

وأول من سلط عليهم (بختنصر) ملك بابل ثم توالت عليهم المصائب، فكان أعظمها خراباً (أورشليم) في زمن (أدريانوس) إمبراطور (روما) وما فعله فيهم هتلر في المحرقة، وهم يتوقعون الإبادة القادمة كما تنبأ بذلك كيسنجر حيث قال: «إنه لمن الرعب أن تكون يهودياً في أمريكا. لأنهم لابد أن يكتشفوا يوماً كيف نتلاعب بمصالحهم وحينئذٍ سيعمدون إلى السلاح»[1].

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأعراف: 167] أي: لليهود لشدة بأسهم وظلمهم للآخرين، والسرعة تقتضي التحقق.. ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: 165].. إذا تابوا وآمنوا بمحمد رسول الله ﷺ[2].

● قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: 69].

﴿لَا تَكُونُواْ﴾ في إيذاء النبي ﷺ: ﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ﴾ أي رموه بالإدرة، وهي مرض في جسده، فأطلعهم الله على أنه بريء. روي أنه وضع ثوبه على صخر ليتوضأ ويغتسل فهرب الحجر بثوبه حتى وقف بين يدي (ملأ) بني إسرائيل فرأوه أحسن الناس جسداً، وهو معنى قوله: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: 69] أي قربة ووجاهة، فكيف يوصف بعيب ونقيصة[3].

(1) جون وندلي: من يستطيع الكلام في أمريكا.
(2) تفسير ابن عاشور/ التحرير والتنوير.
(3) عيون التفاسير.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزَاب: **57**].

الإيذاء هنا بمعنى: الإغضاب بما هو دون الشرك/ كقولهم: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عِمرَان: **181**]. وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المَائدة: **64**] وبعضهم يسبون الدهر، وفي الحديث القدسي: «**يؤذيني عبدي وما كان له أن يؤذيني، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**»(1).

قال العز بن عبد السلام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزَاب: **57**] أصحاب التصاوير، أو الذين طعنوا على الرسول ﷺ لما اتخذ صفية بنت حيي، أو قوم من المنافقين كانوا يكذبون على الرسول ﷺ ويبهتونه ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ أي أولياءه، أو رسوله ﷺ، جَعْله أذاه أذى له تشريفاً لمنزلته، أو ما روي من قوله سبحانه وتعالى: «**شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه إياي فقوله إن لي صاحبة وولداً وأما تكذيبه إياي بقوله لن يعيدني كما بدأني**» لعنوا في الدنيا بالقتل والجلاء وفي الآخرة بالنار(2).

---

(1) الحديث أخرجه البخاري ومسلم.
(2) التفسير العظيم.

إرب

(إرب - حاجة - وطر)

■ **الإِرْبُ:** الحاجة الخاصة لمزاج صاحبها. يقال: تأربت في حاجتي. أي: تشددت، والإِربة: الحاجة وجمعها مآرب ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: 18].

وتطلق على حاجة الرجل من المرأة خاصة.

وقال تعالى: ﴿غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ [النّور: 31].

■ **الحَاجَةُ:** شيء تحبه وتفتقر إليه ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ [يُوسُف: 68].

■ **وَطَر:** النهمة القوية من حاجة الفرج أو البطن ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ [الأحزَاب: 37]، يقال: قضى من الشيء وطره، وقضى إربه، وقضى نهمته، وقضى حاجته.

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الهمزة والرّاء والياء لها أربعة أُصول، إليه تَرجع الفروع، وهي الحاجة، والعقل، والنّصيب والعَقْد.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

الخَليل[1]: قطعتُ اللّحم آراباً، والواحد: إرْبَ، أي: قِطَعاً. ويقال في الدّعاء: أرِبَتْ يده، أي: قُطِعت يده، وأرِبْتَ من يديك، أي: سَقَطتْ آرابُك. والإرْب: الحاجة المهّمة، يقال: ما إرْبُك إلى هذا الأمر، أي: ما حاجتك إليه. والإرْبة والأرَبُ والمأرِبَة أيضاً.

الفرّاء: المستأرِب الّذي قد أحاط الدّينُ، أو غيرُه من النّوائب بآرابه، من كلّ ناحيةٍ.

قال اللّيث: التّأريب: التّحريش. قلت: هذا تصحيف، والصّواب: التّأريث، بالثّاء[2].

قال الجَوهَريّ[3]: الإرَبُ: العُضو. يقال: السّجود على سبعة آرابٍ، وآرْابٍ أيضاً. ورجُل مستأرَبٌ بفتح الرّاء، أي: مديونٌ، كأنّ الدّين أخذ بآرَابِهِ. والإرْب أيضاً: الدّهاء، وهو من العقل.

قال الرّاغِب[4]: الأرَب: فرط الحاجة المقتضي للاحتيال في دفعه، فكلّ أَرَبٍ حاجةٌ وليس كلّ حاجةٍ أَرَباً، ثمّ يُستعمل تارةً في الحاجة المفردة وتارةً في الاحتيال، وإن لم يكن حاجةً كقولهم: فلان ذو أَرَبٍ وأَرِيبٌ، أي: ذو احتيال، وقد أرِب إلى كذا، أي: احتاج إليه حاجةً شديدةً، وقد أرِب إلى كذا أَرَباً وأُرْبَةً ومَأْرَبةً.

الزَمخْشَريّ[5]: في مثَل: «مأرُبة لا حَفاوة» ويقولون: الحق بمآربك من الأرض، أي: اذهب إلى حيث شئت. وما أرَبُك إلى هذا الأمر؟ وما لي فيه أرَبٌ. وفلانٌ مالكٌ لإرْبه. وهو من غير أولي الإرْبة من الرّجال. وفلان أرِبٌ وذو إرِبٍ: وهو الدّهاء، ومنه الأرْبى: الدّاهية. وهو آرَبُ من صاحبه. وهو يُؤارب أخاه. ويقال: مؤارَبة الأريب جهلٌ وعَناء.

---

(1) العين.
(2) اللسان.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) مفردات الراغب.
(5) أساس البلاغة، المعجم الوسيط.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: 18].

قال الطبري[1]: ولي في عصاي هذه حوائج أخرى، وهي جمع مأربة، وفيها للعرب لغات ثلاث: مأرُبة بضم الراء، ومأرَبة بفتحها، ومأرِبة بكسرها، وهي مفعلة من قولهم: لا أرب لي في هذا الأمر: أي لا حاجة لي فيه. وقيل «أخرى» وهن مآرب جمع، ولم يقل أُخر، كما قيل: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: 8] وقد بيَّنت العلة في توجيه ذلك هنالك.

قال النيسابوري[2]: هي جمع المأرُبة بضم الراء: الحاجة، وقد تفتح الراء. وحكى ابن الأعرابي وقطرب بكسر الراء أيضاً ومثله الأَرَب بفتحتين والإِرْبة بكسر الهمزة وسكون الراء. وإنما قال: ﴿أُخْرَىٰ﴾ لأن المآرب في معنى جماعة ونظيره الأسماء الحسنى. ومن آياتنا الكبرى قالوا: إنما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فتطول مكالمته وقالوا: انقطع بالهيبة كلامه فأجمل. وقيل: في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فإذا طال الغصن حناه بالمحجن، وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين، وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والجراب وغيرها، وإذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل، وإذا قصر رشاؤه وصله بها، وكان يقاتل بها السباع عن غنمه.

قال الشعراوي[3]: أي: منافع. وقد حاول العلماء جزاهم الله عَنَّا خيراً البحث في هذه المآرب الأخرى التي لم يذكرها موسى عليه السلام، فتأملوا حال الرعاة، وما وظيفة العصا في حياتهم فوجدوا لها منافع أخرى غير ما ذكر. من هذه

(1) جامع البيان.
(2) غرائب القرآن.
(3) تفسير الشعراوي.

المنافع أن الراعي البدائي يضع عصاه على كتفه ويُعلِّق عليها زاده من الطعام والشراب، وبعض الرعاة يستغل وقته أيضاً في الصيد، فيحتاج إلى أدوات مثل: القوس، والنبل، والسهام والمخلاة التي يجمع فيها صَيْده، فتراه يضع عصاه على كتفه هكذا بالعرض، ويُعلِّق عليها هذه الأدوات من الجانبين. فإذا ما اشتدت حرارة الشمس ولم يجد ظلالاً غرز عصاه في الأرض، وألقى بثوبه عليها فجعل منها مثل الخيمة أو المظلة تقيه حرارة الجو. فإن احتاج للماء ذهب للبئر، وربما وجده غائر الماء لا يبلغه الدلو فيحتاج للعصا يربطها ويُطيل بها الحبل، إلى غير ذلك من المنافع.

● **قال تعالى**: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ [النُّور: 31].

قال الزمخشري(1): ﴿ٱلْإِرْبَةِ﴾ الحاجة قيل: هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم، ولا حاجة لهم في النساء، لأنهم بله لا يعرفون شيئاً من أمرهنّ. أو شيوخ صلحاء إذا كانوا معهنّ غضّوا أبصارهم، أو بهم عنانة.

قال القرطبي(2): ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ﴾ أي غير أولي الحاجة. والإِرْبَةُ: الحاجة، يقال: أرِبْت كذا آرِب أرَباً. والإِرْب والإربة والمَأْرُبة والأَرَب: الحاجة؛ والجمع مآرب؛ أي حوائج. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: 18].

قال البيضاوي(3): أي أولي الحاجة إلى النساء وهم الشيوخ والممسوحون، وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئاً من أمور النساء.

قال الفخر الرازي(4): قيل: هم الذين يتبعونكم لينالوا طعامكم، ولا حاجة بهم إلى النساء لأنهم بلاهتٌ لا يعرفون من أمرهنّ شيئاً أو شيوخ إذا كانوا معهن

---

(1) الكشاف.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) أنوار التنزيل.
(4) التفسير الكبير.

غضوا أبصارهم. ومعلوم أن الخصيّ والعنّين وما شاكلهما قد لا يكون له إربة في نفس الجماع، ويكون له إربة قوية فيما عداه من التمتع، إما لفقد شهوة، وإما لفقد المعرفة، وإما للفقر والمسكنة، فعلى هذه الوجوه الثلاثة اختلف العلماء، فقال بعضهم: هم الفقراء الذين بهم الفاقة، وقال بعضهم: المعتوه والأبله والصبي، وقال بعضهم: الشيخ وسائر من لا شهوة له، ولا يمتنع دخول الكل في ذلك، على أنه لا ينبغي - كما أبو بكر بن العربي - أن يشمل ذلك (الصبي) لأنه أفرد بحكم يخصه - وهو قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: 31].

الحكم الإجمالي[1]: الرأي الأرجح عند الحنفية، أن الخصّي والمجبوب والشيخ والعبد والفقير والمخنث والمعتوه والأبله في النظر إلى الأجنبية كالفحل (أي كصاحب الإربة). لأن الخصيّ قد يجامع ويثبت نسب والده، والمجبوب يتمتع وينزّل والمخنث فحل فاسق وأما المعتوه والأبله ففيهما شهوة وقد يحكيان مايريانة[2]. وقال المالكية والشافعية والحنابلة - وهو رأي للحنفية: حكم غير أولي الإربة حكم المحارم في النظر إلى النساء يرون منهن موضع الزينة مثل الشعر والذراعين، وحكمهم في الدخول عليهن مثل المحارم أيضاً لقوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ [النور: 31][3].

في جمهرة الأمثال (مأربة لا حفاوة) أي ربما أكرمت أحداً لحاجتك عنده لا حفاوة به، ويقولون (الحق مآربك في الأرض.. أي بحاجاتك الخاصة)[4] وبعضهم: (في ماء مأرب للظماء مآرب)[5].

قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ

(1) الموسوعة الفقهية الكويتية.
(2) ابن عابدين والطحاوي.
(3) الحطاب، المغني 7/ 462.
(4) أساس البلاغة.
(5) تاج العروس.

أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النُّور: **الآية 31**]. . قيل في تفسيرها[1]، أي التابعين من حياة المتبوع فليس عنده مأوى يؤيه غيره. . . وترى مثل هؤلاء يأكلون فضلات الموائد، ويلبسون اسمال مخدوميهم وكذلك المعتوه والمتشرد ونحوهما فمعنى ليس له مطمع في النساء ولا يفهم هذه المسألة، فلا يخشى منه على النساء الجماع، فأمثال هؤلاء يستثنون من تحديد إبداء زينة النساء.

(1) تفسير الشعراوي، وأنظر تفسير المراغي.

أرض

(أرض - بوار - قيعة -
جرز - ربوة - ساحة - غائط)

- **الأَرْضُ:** الجرم المقابل للسماء ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحجّ: 63].
- **البَوَارُ:** أرض لا تصلح لشيء ﴿وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: 28].
- **القِيعَةُ:** مؤنث قاع مثل جيرة وجار، ما انبسط من الأرض واتسع وفيه سراب لانعدام كل أنواع الحياة ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ [النّور: 39].
- **الجُرُزُ:** الأرض التي لم يصلها المطر ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السَّجدَة: 27].
- **الرَّبْوَةُ:** الأرض الضيقة بارتفاع ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ [البَقَرَة: 265].
- **السَّاحَةُ:** الأرض المعدلة للاستعمال الخاص ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصَّافات: 177].
- **الغَائِطُ:** الأرض المنخفضة الهابطة على سكون ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النساء: 43].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الهمزة والرّاء والضّاد ثلاثة أُصول. أصل يتفرّع وتكثر مسائله، وأصلان لاينقاسان بل كلّ واحد موضوع حيث وضَعْتهُ العرب. فأما هذان الأصلان فالأرْض: الزُّكْمَة، رَجلُ مأروضٌ، أي: مزكومٌ؛ وهو أحدهما. والآخَر: الرّعْدة، يقال: بفلان أرْضٌ، أي رِعْدةٌ. وأمّا الأصل الأوّل فكلّ شيء يسفُل ويقابل السّماء، يقال لأعلى الفَرَس: سمَاء، ولقوائمه: أرْض. والأرْض: الّتي نحن عليها، وتجمع أرضين. ولم تجيء في كتاب الله مجموعة، فهذا هو الأصل.

قال الخَليل(2): أرض، وجمعها: أرَضُون، والأرُضُ أيضاً: جَماعة. وأرْضٌ أريضةٌ، أي: ليّنة طيّبة المَقْعد. ورَوضةٌ أريضة: ليّنة المَوْطىء، واسعة. والأرَضة: دُويْبَة بيضاءُ تُشبه النّمل تأكل الخَشَب وتظهر أيّام الرّبيع.

قال الأزهَريّ(3): بي أرْضٌ فأَرِضُوني، أي: داوُوني. أرْضٌ وأُرُوضٌ، وما أكثر أُرُوضَ بني فلان! ويقال: أرْضٌ وأرْضُون وأرَضات. وأرْضٌ أريضةٌ للنّبات: خليقة، وإنّها لَذات إراضٍ. المؤرّض: الّذي يَرعى كلأ الأرض. يقال: ماأرَض هذا المكان! أي: ما أحسنه وأطيبَه. التّأرُّض: التّأنّي والانتظار.

قال الجَوهَريّ(4): الأرْض مؤنّثةٌ، وهي اسم جنس، وكان حقُّ الواحدة أن: أرْضَةٌ، ولكنّهم لم يقولوا. والجمع: أرْضاتٌ، لأنّهم قد يجمعون المؤنّث الّذي ليس فيه هاءُ التّأنيث بالألف والتّاء.

الرّاغِب(5): الأرْض: الجرْم المقابِل للسّماء وجمعه: أرْضُون. ولا تجيءُ

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) تهذيب اللغة.
(4) الصحاح في اللغة.
(5) مفردات الراغب.

مجموعة في القرآن ويُعبّر بها عن أسفل الشّيء كما يُعبّر بالسّماء عن أعلاه. ويقال: أرْضٌ أريضةٌ، أي: حَسَنةٌ. وتأرّضَ النّبتُ: تمكّن على الأرْض فكثُر، وتأرَّض الجَدْي: إذا تناول نَبْت الأرض. والأَرَضَة: الدُّودة الّتي تقع في الخشب من الأرْض، يقال: أرضت الخشبةُ فهي مأروُضةٌ.

الزمخْشَريّ[1]: هو أمَنُ من الأرْض، وأشدّ من الأرْض. وتأرَّض فلانٌ: لَزِم الأرْض فَلم يَبرَح. وتقول: فُلانٌ إن رَأى مطمَعاً تعرّض، وإن أصاب مطمَعاً تآرض. وأتانا ابن أرْضٍ أي: غريباً.

المعنى المشترك لكلمة (أرض)

وقد وردت كلمة (أرض) في القرآن الكريم على ثلاثة عشر وجهاً:

الوجه الأول: الأرض يعني: الجنة ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105].

الوجه الثاني: الأرض يعني: أرض بيت المقدس ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: 137].

الوجه الثالث: أرض يعني: أرض المدينة خاصة ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ﴾ [العَنكبوت: 56].

الوجه الرابع: الأرض يعني: مكة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: 41].

الوجه الخامس: الأرض يعني: مصر ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55].

الوجه السادس: الأرض يعني: أرض الإسلام خاصة ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: الآية 94].

---

(1) أساس البلاغة.

الوجه السابع: الأرض يعني: جميع الأرضين ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6].

الوجه الثامن: الأرض يريد به القبر ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النِّساء: 42].

الوجه التاسع: الأرض يعني: أرض التيه ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المَائدة: 26].

الوجه العاشر: الأرض يعني: أرض القيامة ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 48].. يعني أرض القيامة

الوجه الحادي عشر: الأرض يعني القلب ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الرّعد: 17].

الوجه الثاني عشر: الأرض يعني: ساحة المسجد الجامع ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجُمُعَة: 10].

الوجه الثالث عشر: الأرض المقدم ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: 34].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البَقَرَة: 22].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الأرض خلقت قبل خلق السماء غير مدحوة فدحيت بعد خلقها ومدت[1]، واستدل أبو علي الجباتي بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ

(1) الألوسي روح المعاني.

﴿ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾ وفي آية أخرى ﴿بِسَاطٗا﴾ [نُوح: 19] على بطلان ما يقول الفلكيون من أن الأرض كروية الشكل وهذا القدر لا يدل. لأنه يكفي في النعمة علينا أن يكون في الأرض بساط ومواقع مفروشة ومبسوطة وليس ينبغي أن يكون جميعها كذلك(1).

﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 22] أن من له حاجة في نفسه لايصح أن يرفع حاجته إلى محتاج مثله. لأن تعلق المحتاج بالمحتاج، واعتماد الضعيف على الضعيف يزيد في الفقر، ولا يزيل هجمات الضرّ(2).

فمن آياته تعالى في خلق الأرض أن جعل بقاعها مختلفة في الصلابة والرخاوة والارتفاع والانخفاض بين جبال ووديان ومناجم وحقول: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾ [الرّعد: 4]، وهذا فهم تجاوزه الزمن الذي جاء بفهم يجعل آيات القرآن في هذا الباب إعجازاً جديداً.

ومن آياته اختلاف ألوان الأرض: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾ [فَاطِر: 27].

ومن آياته في الأرض أنها تجذب الماء وتخزنه ثم توزعه على مختلف الاتجاهات: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [المؤمنون: 18] ثم أنبتت فيها ما لا حصر له من النباتات ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ﴾ [قٓ: 7].

وأودع فيها أصنافاً لا تعد من الأحجار الكريمة والمعادن النفيسة كالذهب والفضة والبترول واليورانيوم وعدد ما شئت من آيات في خلق الأرض كما يتوالى اكتشافها إلى يوم القيامة ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [البَقَرَة: 29].

قال الطبري(3): فأخبرهم جلّ ذكره أنه خلق لهم ما في الأرض جميعاً. لأن الأرض وجميع ما فيها لبني آدم منافع، أما في الدين فدليل على وحدانية ربهم، وأما في الدنيا فمعاش وبلاغ لهم إلى طاعته وأداء فرائضه.

---

(1) المعجم في فقه لغة القرآن.
(2) القشيري لطائف الإشارات.
(3) جامع البيان.

● **قال تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: 29].

قال الطبري(1): فأخبرهم جل ذكره أنه خلق لهم ما في الأرض جميعاً، لأن الأرض وجميع ما فيها لبني آدم منافع. أما في الدين فدليل على وحدانية ربهم، وأما في الدنيا فمعاش وبلاغ لهم إلى طاعته وأداء فرائضه فلذلك قال جل ذكره: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾. وقوله: ﴿هُوَ﴾ مكنى من اسم الله جل ذكره، عائد على اسمه في قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: 28].

قال الزمخشري(2): لأجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم. أما الانتفاع الدنيوي فظاهر. وأمّا الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم، وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها، لاشتماله على أسباب الأنس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية، وعلى أسباب الوحشة والمشقة من أنواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والأحناش والسموم والغموم والمخاوف. وقد استدل بقوله: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ على أنّ الأشياء التي يصح أن ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الأصل مباحة مطلقاً لكل أحد أن يتناولها ويستنفع بها.

● **قال تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البَقَرَة: 29].

إن كلمة ﴿لَكُم﴾ هنا ذات مدلول عميق وذات إيحاء كذلك عميق. إنها قاطعة في أن الله خلق هذا الإنسان لأمر عظيم. خلقه ليكون مستخلفاً في الأرض، مالكاً لما فيها، فاعلاً مؤثراً فيها. إنه الكائن الأعلى في هذا الملك العريض؛ والسيد الأول في هذا الميراث الواسع. ودوره في الأرض إذن وفي أحداثها وتطوراتها

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.

هو الدور الأول؛ إنه سيد الأرض وسيد الآلة! إنه ليس عبداً للآلة كما هو في العالم المادي اليوم.

وليس تابعاً للتطورات التي تحدثها الآلة في علاقات البشر وأوضاعهم كما يدعي أنصار المادية المطموسون، الذين يحقرون دور الإنسان ووضعه، فيجعلونه تابعاً للآلة الصماء وهو السيد الكريم! وكل قيمة من القيم المادية لا يجوز أن تطغى على قيمة الإنسان، ولا أن تستذله أو تخضعه أو تستعلي عليه؛ وكل هدف ينطوي على تصغير قيمة الإنسان، مهما يحقق من مزايا مادية، هو هدف مخالف لغاية الوجود الإنساني. فكرامة الإنسان أولاً، واستعلاء الإنسان أولاً، ثم تجيء القيم المادية تابعة مسخرة.

والنعمة التي يمتن الله بها على الناس هنا - وهو يستنكر كفرهم به - ليست مجرد الإنعام عليهم بما في الأرض جميعاً، ولكنها - إلى ذلك - سيادتهم على ما في الأرض جميعاً، ومنحهم قيمة أعلى من قيم الماديات التي تحويها الأرض جميعاً. هي نعمة الاستخلاف والتكريم فوق نعمة الملك والانتفاع العظيم.

● **قال تعالى:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا﴾ [الرّعد: 3].

قال الفخر الرازي[1]: قال أبو بكر الأصم: المد هو البسط إلى ما لا يدرك منتهاه..

إن هذه الآية وجدت ليستدل على وجود الصانع.. وقد توصل العلم اليوم إلى ما ينسخ الأفكار التي كانت سائدة في عصر الرازي وغيره في القرون الماضية، والمتشابه من القرآن الكريم يؤول ولا يفسّر، ولذا فمعناه يتطور من جيل إلى جيل بما يفتح للناس من المعرفة إلى يوم القيامة.

قال ابن عاشور[2]: المدّ: البسط والسعة، ومنه: ظل مديد، ومنه: مدّ البحر

(1) التفسير الكبير. (2) التحرير والتنوير.

وجزره، ومدّ يده إذا أبسطها. والمعنى خلق الأرض ممدودة متشهية لليد والزرع لأنه لو خلقها أسنمة من حجر أو جبالاً شاهقة متلاصقة لما تيسر للأحياء التي عليها الانتفاع بها والسير من مكان إلى آخر في طلب الرزق وغيره، وليس المراد أنها كانت غير ممدودة فمدّها بل هو كقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ **[الرعد: 2]** فهذه خلقة دالة على القدرة وعلى اللطف بعباده فهي آية ومنة.

لذا.. فالحجة اليوم في ما وصل إليه العلم المشاهد بالعين، وبذلك يكون القول لعلماء التأويل مع علماء الفضاء الذين وصلوا إلى القمر، أما مدها الذي نراه بالعين المجردة فهذا ما هو صالح لاستعمال الإنسان والحيوان وينبت فيه الزرع والشجر ولا يهم ما هو شكلها الكلي. ومن الثابت أن المتشابه من آي القرآن تركها رسول الله ﷺ للزمن الممتد يبين أسرارها وإيجازها وهذا ما حدث للعديد من القضايا، وقد سئل رسول الله ﷺ عن آية: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 65] فقال: «**ولـمّا يأت تأويلها بعد**».

الإنسان والكون بفضل ما يفتح على البشرية من آفاق العلم اليقيني بالتجربة والمشاهدة.

● **قال تعالى**: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: 107].

قال ابن عاشور(1): الخلود هنا مرتبط بمشيئة الله عز وجل، وهو المكث الطويل ثم ينتهي وقد لا ينتهي، ولا يخلد فيها من قال (لا إله إلا الله) ولو لمرة واحدة في حياته مصدقاً بها.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناساً أصابتهم النار بذنوبهم** (أو قال:

(1) التحرير والتنوير.

بخطاياهم) فأماتهم الله إماتةً حتى إذا كانوا فحماً أذن لهم في الشفاعة فجيئ بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار من الجنة ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل. . .» سيأتي الكلام عنها مع كلمة ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ فقد وقع تأويلها الآن وصدق رسول الله.

قال الألوسي[1]: أي: مدة دوامهما، وهذا عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع على منهاج قول العرب: لا أفعل كذا ما لاح كوكب، وما أضاء الفجر، وما اختلف الليل والنهار، وما بلَّ بحر صوفة، وما تغنت حمامة إلى غير ذلك من كلمات التأبيد عندهم لا تعليق قرارهم فيها بدوام هذه السماوات والأرض، فإن النصوص القاطعة دالة على تأبيد قرارهم فيها وانقطاع دوامهما، وروي هذا عن ابن جرير. وجوز أن يحمل ذلك على التعليق والمراد بالسماوات والأرض سماوات الآخرة وأرضها، وهي دائمة للأبد، قال الزمخشري: والدليل على أن لها سماوات وأرضاً قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 48] وقوله سبحانه: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: 74] ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم إما سماء يخلقها الله تعالى أو يظلهم العرش، وكل ما أظلك فهو سماء انتهى.

● **قال تعالى**: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الزمر: 63].

قال الزمخشري[2]: أي هو مالك أمرها وحافظها، وهو من باب الكناية؛ لأنّ حافظ الخزائن مدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها.

قال أبو حيان[3]: قال ابن عباس: مفاتيح، وهذه استعارة، كما تقول: بيد فلان مفتاح هذا الأمر.

---

(1) روح المعاني.
(2) الكشاف.
(3) البحر المحيط.

قال الألوسي[1]: مجاز عن كونه مالك أمره ومتصرفاً فيه بعلاقة اللزوم، ويكنى به عن معنى القدرة والحفظ، وجوز كون المعنى الأول كنائياً لكن قد اشتهر فنزل منزلة المدلول الحقيقي فكني به عن المعنى الآخر فيكون هناك كناية على كناية وقد يقتصر على المعنى الأول في الإرادة، وعليه قيل هنا المعنى: لا يملك أمر السماوات والأرض ولا يتمكن من التصرف فيها غيره عز وجل. والبيضاوي بعد ذكر ذلك قال: هو كناية عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيه مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لمكان اللام والتقديم، وقال الراغب: مقاليد السماوات والأرض ما يحيط بها، وقيل: خزائنها، وقيل: مفاتيحها، والإشارة بكلها إلى معنى واحد وهو قدرته تعالى عليه وحفظه لها انتهى.

وجوز أن يكون المعنى لا يملك التصرف في خزائن السماوات والأرض أي ما أودع فيها واستعدت له من المنافع غيره تعالى، ولا يخفى أن هذه الجملة إن كانت في موضع التعليل لقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: 62] على المعنى الأول فالأظهر الاقتصار في معناها على أنه لا يملك أمر السماوات والأرض أي العالم بأسره غيره تعالى فكأنه قيل: تعالى يتولى التصرف في كل شيء لأنه لا يملك أمره سواه عز وجل، وإن كانت تعليلاً له على المعنى الثاني فالأظهر الاقتصار في معناها على أنه لا قدرة عليها لأحد غيره جل شأنه فكأنه قيل: هو تعالى يتولى حفظه كل شيء لأنه لا قدرة لأحد عليه غيره تعالى، وجوز أن تكون عطف بيان للجملة قبلها وأن تكون صفة ﴿وَكِيلٌ﴾ وأن تكون خبراً بعد خبر فأمعن النظر في ذلك وتدبر.

● **قال تعالى:** ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [النِّساء: 97].

قال الزمخشري[2]: أرادوا أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض

(1) روح المعاني، وانظر إلى تفسير أبو السعود.
(2) الكشاف.

البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة إلى رسول الله ﷺ كما فعل المهاجرون إلى أرض الحبشة. وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يحب، لبعض الأسباب والعوائق عن إقامة الدين لا تنحصر، أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة. حقت عليه المهاجرة.

قال البغوي[1]: يعني: إلى المدينة وتخرجوا من مكة، من بين أهل الشرك؟ يعني أرض مكة، ﴿قَالُوٓاْ﴾ يعني: الملائكة ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ يعني: إلى المدينة وتخرجوا من مكة من بين أهل الشرك؟ فأكذبهم الله تعالى وأعلمنا بكذبهم.

● **قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾** [المَائدة: 21].

قال الطبري[2]: اختلف أهل التأويل في الأرض التي عناها بالأرض المقدسة، فقال بعضهم: عنى بذلك: الطور وما حوله.

وقال آخرون: هو الشأم. ذكر من قال ذلك:

عن قتادة في قوله: ﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ قال: هي الشأم.

وقال آخرون: هي أرض أريحاء. ذكر من قال ذلك:

قال ابن زيد في قوله: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المَائدة: 21] قال: أريحاء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: هي الأرض المقدسة، كما قال نبيّ الله موسى ﷺ. لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض، لا تدرك حقيقة صحته إلّا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به، غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي بين الفرات وعريش مصر لإجماع جميع أهل التأويل والسير

(1) معالم التنزيل.
(2) جامع البيان.

والعلماء بالأخبار على ذلك. ويعني بقوله: ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: التي أثبت في اللوح المحفوظ أنها لكم مساكن، ومنازل دون الجبابرة التي فيها.

قال الزمخشري(1): يعني أرض بيت المقدس. وقيل: الطور وما حوله. وقيل: الشام. وقيل: فلسطين ودمشق وبعض الأردن. وقيل: سمَّاها الله لإبراهيم ميراثاً لولده حين رفع على الجبل، فقيل له: انظر، فلك ما أدرك بصرك، وكان بيت المقدس قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين.

● **قال تعالى**: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البَقَرَة: 30].

قال الفخر الرازي(2): الظاهر أن الأرض التي في الآية جميع الأرض من المشرق إلى المغرب وروى عبد الرحمٰن بن سابط عن النبي ﷺ أنه قال: دحيت الأرض من مكة وكانت الملائكة تطوف بالبيت وهم أول من طاف به وهو في الأرض التي قال الله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ والأول أقرب إلى الظاهر.

قال النيسابوري(3): والظاهر أن الأرض يراد بها ما بين الخافقين، وقد يروى عن النبي ﷺ أن الأرض هٰهنا أرض مكة التي دحيت الأرض من تحتها.

● **قال تعالى**: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الأنبيَاء: 44].

قال الزمخشري(4): ننقص أرض الكفر ودار الحرب، ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردّها دار إسلام. فإن قلت: أي فائدة في قوله: ﴿نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾؟ قلت فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدي المسلمين، وأن عساكرهم وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها، ناقصة من أطرافها.

---

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.
(3) غرائب القرآن.
(4) الكشاف.

قال العز بن عبد السلام[1]: ﴿نَنقُصُهَا﴾ بالظهور عليها وفتحها بلداً بعد بلد أو بنقصان أهلها وقلة بركتها، أو بالقتل والسبي أو بموت فقهائها وعلمائها.

قال الطبري[2]: أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله السائلو محمد ﷺ الآيات المستعجلو بالعذاب، أنا نأتي الأرض نخرّبها من نواحيها بقهرنا أهلها، وغَلَبَتِنَاهم، وإجلائهم عنها، وقتلهم بالسيوف، فيعتبروا بذلك ويتعظوا به، ويحذروا منا أن ننزل من بأسنا بهم نحو الذي قد أنزلنا بمن فعلنا ذلك به من أهل الأطراف؟ وقد تقدم ذكر القائلين بقولنا هذا ومخالفيه بالروايات عنهم في سورة الرعد بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

● **قال تعالى**: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ﴾ [القَصَص: 81].

قال القرطبي[3]: خَسَف المكانُ يخسِف خُسوفاً: ذهب في الأرض، وخَسَف الله به الأرض خَسْفاً أي: غاب به فيها. ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ وخَسَف هو في الأرض، وخُسِف به.

قال ابن كثير[4]: ذكر تعالى اختيال قارون في زينته، وفخره على قومه، وبغيه عليهم، عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض؛ كما ثبت في «الصحيح» عند البخاري من حديث الزهري عن سالم: أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يجر إزاره، إذ خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**» ثم رواه من حديث جرير بن زيد عن سالم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه. وقال الإمام أحمد: حدثنا النضر بن إسماعيل أبو المغيرة القاص، حدثنا الأعمش عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما رجل فيمن كان قبلكم خرج في بردين أخضرين، يختال فيهما، أمر الله الأرض فأخذته، فإنه ليتجلجل فيها إلى يوم القيامة**» تفرد به أحمد، وإسناده حسن.

---

(1) التفسير العظيم.
(2) جامع البيان.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) تفسير ابن كثير.

● قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عِمرَان: 5].

قال الفخر الرازي[1]: فإن قيل: ما الفائدة في قوله: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ مع أنه لو أطلق كان أبلغ. قلنا: الغرض بذلك إفهام العباد كمال علمه، وفهمهم هذا المعنى عند ذكر السماوات والأرض أقوى، وذلك لأن الحس يرى عظمة السماوات والأرض، فيعين العقل على معرفة عظمة علم الله عزّ وجلّ والحس متى أعان العقل على المطلوب كان الفهم أتم والإدراك أكمل، ولذلك فإن المعاني الدقيقة إذا أُريد إيضاحها ذكر لها مثال، فإن المثال يعين على الفهم.

قال البيضاوي[2]: أي شيء كائن في العالم كلياً كان أو جزئياً، إيماناً أو كفراً. فعبَّر عنه بالسماء والأرض إذ الحس لا يتجاوزهما، وإنما قدم الأرض ترقياً من الأدنى إلى الأعلى، ولأن المقصود بالذكر ما اقترف فيها. وهو كالدليل على كونه حياً.

قال الشعراوي[3]: انظروا إلى خدمة الآية لكل الأغراض التي سبقتها، ما دام قيُّوماً وقائماً بأمور الخلق، فلابد أن يعلم كل شيء عن الخلق، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وما دام سيفرق بين الحق والباطل وينزل بالكفار عذاباً شديداً فلا يخفى عليه شيء. إن الآية تخدم كل الأغراض، وهو سبحانه يعلم كل الأغراض، فحين يقنن بقيوميته، فهو يقنن بلا استدراك عليه، وحين يخرج أحد عن منهجه لا يخفى عليه. إذن فالآية حصاد على التشريع وعلى الجزاء.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) أنوار التنزيل.
(3) تفسير الشعراوي.

أريك

(أريك - سرير - عرش - كرسي - مهد)

■ **الأَرِيكَةُ:** حجلة على سرير جمعها أرائك ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف: 31].

■ **السَّرِيرُ:** ما يتكأ عليه ساعة للراحة والسرور ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطُّور: 20].

■ **العَرْشُ:** كرسي السلطان ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يُوسُف: 100].

■ **الكُرْسِيُّ:** مجلس القضاء ونحوه من الوظائف القيادية ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [صَ: 34].

■ **المَهْدُ:** ما يوضع فيه الطفل الرضيع ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريَم: 29].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الهمزة والرّاء والكاف أصلان، عنهما يتفرّع المسائل، أحدهما: شجر، والآخر: الإقامة. فالأوّل: الأَرَاك: وهو شجرٌ معروف. وأرض أَرِكة: كثيرة الأراك. ويقال للإبل الّتي ترعى الأراك: أرِكة أيضاً. كقولك: حامض من الحَمْض. والأصل الثّاني: الإقامة.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

الخَليل[1]: الأَرَاك: شجر السِّواك. وإبلٌ أوارك: اعتادت أَكْلَ الأراك. وقد أَرَكتْ تأْرُك أَرْكاً وأُرُوكاً، وهي أوارِكُ، إذا لزِمتْ مكانها فلم تبرح. وأَرَكَ الرّجل بالمكان يأْرُك أُرُوكاً: أقام به.

ألأريكة: سريرٌ في حَجَلة، فالحَجَلةُ والسّريرُ: أريكة.

الجَوهَريّ[2]: الأراك: شجرٌ من الحَمْض، الواحدة: أراكة. وأرِكت الإبلُ تأرَك وتأرُك أروُكاً: إذا رعت الأراك. وأَرَكَ الرّجل بالمكان، أي: أقام به. وأَرَكَ الجُرح أُروكاً: سكن وَرَمُه وتماثَل.

الرّاغِب[3]: الأريكة: حَجَلةٌ على سريرٍ، جمعها: أرائك. وتسميتها بذلك إمّا لكونها في الأرض متّخذةً من أراكٍ وهو شجرة، أو لكونها مكاناً للإقامة، من قولهم: أَرَكَ بالمكان أُرُوكاً وأصل الأُروك: الإقامة على رَعْي الأراك، ثمّ تُجُوّز به في غيره من الإقامات.

الزَمخْشَريّ[4]: أفْدِيك من مُسْتاكه، بعُود أراكه. وكأنّهن ظِباءٌ أوارك. وتقول: هم متّكئون على الأرائك، مع بيضٍ كالتّرائك.

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۚ﴾ [الكهف: 31]، [الدهر: 13].
- **وقوله تعالى**: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يسٓ: 56].

قال الطبري[5]: يقول: متكئين في جنات عدن على الأرائك، وهي السُّرُر في الحِجال، واحدتها: أريكة.

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) أساس البلاغة.
(5) جامع البيان.

قال الفخر الرازي[1]: الأرائك: جمع أريكة وهي سرير في حجلة، أما للسرير وحده فلا يسمى أريكة.

قال ابن عطية[2]: (الأرائك) السرر المفروشة، قال بعض الناس: من شروطها أن تكون عليها حجلة وإلا فليست بأريكة، وبذلك قيدها ابن عباس ومجاهد والحسن وعكرمة، وقال بعضهم: الأريكة السرير كان عليه حجلة أو لم يكن.

قال البغوي[3]: يعني السرر في الحِجَال، واحدتها: أريكة. قال ثعلب: لا تكون أريكة حتى يكون عليها حجلة.

قال القرطبي[4]: وهي أسرة من ذهب مكللة بالدر والياقوت عليها الحجال، والأريكة ما بين حيفا إلى آيلة، وما بين عدن إلى الجابية.

فإذا كانت الأرائك في ظلال من الشمس فلا وجه لكونها في الحجال إلا تشريفاً لهم وستراً عن غيرهم والحال أنهم ينظرون إلى ما يحبون، وإيراده ذكر أزواجهم معهم على الأرائك - وهي الحجال - تعبير عن حرية التصرف بهن إذا شاءوا. لأن الحجلة معدّة للعروس. وفي سياق هذه الآيات - وأكثرها جاءت شأن أهل الجنة - يصف القرآن حياة هؤلاء بصفة الأثرياء ذوي النعمة والملوك وأرباب القصور بكل ما فيها من السرر والحجال والأواني وضروب المآكل والمشارب والملابس.

فالأرائك ليست سرراً عادية، وإنما هي من قبيل ما يجلس عليه السادة والمترفون. وهذا جزاء ما صبروا على المآسي في هذه الحياة الدنيا.

(1) التفسير الكبير.
(2) المحرر الوجيز.
(3) معالم التنزيل.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

أرم

(أَرَمَ)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الهمزة والرّاء والميم أصل واحد، وهو نَضْد الشّيء إلى الشّيء في ارتفاعٍ، ثمّ يكون القياس في أعلاه وأسفله واحداً. ويتفرّع منه فرع واحد، هو أخذ الشّيء كُلّه، أكلاً وغيره. وتفسير ذلك أنّ «الأرْم» ملتقى قبائل الرّأس، والرّأس الضّخْم مؤرَم. وبيضة مؤرَّمة: واسعة الأعلى. والإرِم: العَلَم، وهي حجارة مجتمعة كأنّها رجل قائم. ويقال: إرَمّي وأرمّي، وهذه أسنِمة كالأيارِم.

قال الخليل[2]: الأرُمة: أصل كلّ شجرةٍ. وأصل الحسب: أرُومتُه. والجميع: أرُوم وأرومات. وأرُوم الأضراس: أُصول منابتها. والأُرُومة - بضمّ الألف - غلط، لأنّها اسم واحد، ولايجيء اسم واحد على: «فُعُلة» إلا في المصادر. والأُرَّم: الحجارة، هكذا جمع. ويقال: بل الأُرَّم: الأضراس، يقال إنّه ليَحرْق عليه الأُرَّم.

قال الأزهَرّي[3]: أرَمَت الأرض النّبت: إذا أهلكتْه، وأرَمَتْهم السّنة: استأصَلتْهم. وأرَمَ ما على الخُوان: إذا أكلَه. وإنّه ليَحرق عليه الأُرَّم، وهي الأضراس.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) تهذيب اللغة.

قال الجَوهَرِّي[1]: الإِرَم: حجارة تُنصَب عَلَماً في المفازة، والجمع: آرامٌ وأُرُوم، مثل: ضِلَعٍ وأضلاعٍ وضُلوع. والأُرُوم بفتح الهمزة: أصل الشّجرة والقَرْن. وأرَم على الشّيء يأرِمُ بالكسر، أي: عَضّ عليه، وأرَمَه أيضاً، أي: أكله.

قال الرّاغب[2]: الإِرَم: عَلَم يُبنى من الحجارة، وجمعه: آرام. وقيل للحجارة: أُرَّم، ومنه قيل للمتغيّظ: يحرق الأُرَّم، ومابها أرِمٌ وأرِيم، أي أحد. وأصله اللّازم للّازم، وخُصّ به النّفي، كقولهم: ما بها ديّار، وأصله للمقيم في الدّار.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾ [الفجر: 6-7].

قال الطبري[3]: واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿إِرَمَ﴾ فقال بعضهم: هي اسم بلدة، ثم اختلف الذين قالوا ذلك في البلدة التي عُنِيت بذلك، فقال بعضهم: عُنيت به الإسكندرية.

وقال آخرون: عُني بقوله: ﴿إِرَمَ﴾: أمة. عن مجاهد قوله: ﴿إِرَمَ﴾ قال: أمة. وقال آخرون: معنى ذلك: القديمة. عن مجاهد، قوله: ﴿إِرَمَ﴾ قال: القديمة. وقال آخرون: تلك قبيلة من عاد. عن قتادة، قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾ قال: كنا نحدّث أن إرم قبيلة من عاد، بيت مملكة

(1) الصحاح في اللغة.
(2) مفردات الراغب.
(3) جامع البيان.

عاد.عن قتادة، في قوله: ﴿إِرَمَ﴾ قال: قبيلة من عاد، كان يقال لهم: إرم، جدّ عاد. عن ابن إسحاق ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ﴾ يقول الله: بعاد إرم، إن عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح. وقال آخرون ﴿إِرَمَ﴾: الهالك.

قال الزمخشري[1]: قيل لعقب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح: عاد، كما يقال لبني هاشم: هاشم. ثم قيل للأوّلين منهم عاد الأولى وإرم، تسمية لهم باسم جدّهم، ولمن بعدهم: عاد الأخيرة. فإرم في قوله: ﴿بِعَادٍ ۝ إِرَمَ﴾ عطف بيان لعاد، وإيذان بأنهم عاد الأولى القديمة. وقيل: ﴿إِرَمَ﴾ بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير «بعاد إرم» على الإضافة وتقديره: بعاد أهل إرم، كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82]، ولم تنصرف قبيلة كانت أو أرضاً للتعريف والتأنيث.

قال الفخر الرازي[2]: عاد هو عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح، ثم إنهم جعلوا لفظة عاد اسماً للقبيلة كما يقال لبني هاشم هاشم ولبني تميم تميم، ثم قالوا للمتقدمين من هذه القبيلة عاد الأولى قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم: 50] وللمتأخرين عاد الأخيرة، وأما إرم فهو اسم لجد عاد، وفي المراد منه في هذه الآية أقوال: أحدها: أن المتقدمين من قبيلة عاد كانوا يسمون بعاد الأولى فلذلك يسمون بإرم تسمية لهم باسم جدهم والثاني: أن إرم اسم لبلدتهم التي كانوا فيها ثم قبل تلك المدينة هي الإسكندرية وقيل دمشق والثالث: أن إرم أعلام قوم عاد كانوا يبنونها على هيئة المنارة وعلى هيئة القبور.

ومن الناس من طعن في قول من قال: إن إرم هي الإسكندرية أو دمشق، قال: لأن منازل عاد كانت بين عمان إلى حضرموت وهي بلاد الرمال والأحقاف، كما قال: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: 21] وأما الإسكندرية ودمشق فليستا من بلاد الرمال.

---

(1) الكشاف. (2) التفسير الكبير.

إرم لا تنصرف قبيلة كانت أو أرضاً للتعريف والتأنيث.

وفي قوله: ﴿إِرَمَ﴾ وجهان وذلك لأنا إن جعلناه اسم القبيلة كان قوله: ﴿إِرَمَ﴾ عطف بيان لعاد وإيذاناً بأنهم عاد الأولى القديمة، وإن جعلناه اسم البلدة أو الأعلام كان التقدير بعاد أهل إرم ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، كما في قوله: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82] ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد إرم على الإضافة.

آزر

(آزر - أعان - أغاث - أيد - نصر)

- **آزَرَ:** قوّاه وهو ضعيف في جانب معين ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: 31] إن هارون أفصح من أخيه لساناً.
- **أعَانَ:** قواه على أمر يعجز عنه إذا كان وحده ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: 95].
- **أغَاثَ:** قواه وهو على وشك الهلاك ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: 15].
- **أيَّدَه:** قواه بشكل دائم ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: 13].
- **نَصَرَ:** قوّاه ساعة التحامه مع الخصم ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عِمرَان: 123].

* * *

شرح المعاني:

آزر: شدّ واستقام بحيث لا عوج فيه.

أيّد: أُشعر بالقوة ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: 26].

أمدّ مدد على التوالي: دفعه دفعة كالإمداد بالملائكة يوم غزوة بدر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9]. وتستخدم أمدّ بالخير ومدّ بالشر.

نَصَرَ: عند التحام الجيوش أو الحرب بين الحق والباطل ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: 123].

إعانة: إعانة على مهنة ما أو حِرفة ما أو عمل ما ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: 95].

بَعَثَ: بمعنى إثارة الشيء وتوجيهه ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء: 5].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الهمزة والزّاي والرّاء أصل واحد، وهو القوّة والشّدّة، يقال: تأزّر النّبت: إذا قوي واشتّد. والأَزْرُ: القوة.

قال الخَليل(2): الأَزْرُ: الظّهر، وآزَرَه، أي ظاهرَه وعاوَنه على أمر. والزّرع يُؤَازِرُ بعضُه بعضاً، إذا تلاحق والتفّ. وشدّ فلانٌ أزْرَه: أي مَعقِدَ أزاره، وائتزر أزْرَة.

قال ابن دُرَيْد(3): أَزَر الرّجل الرّجل مؤازرة، إذا أعانه، وكذلك آزره. وسُمّي الوزير، لأنّه يحمل وِزْر صاحبه عنه. وجمع وِزْر أوزار.

قال الجَوهَرّي(4): الأَزْرُ: القوّة. وآزرتُ فلاناً أي: عاوَنته. والعامّة تقول: وازَرْته. والإِزارُ معروف يذكرّ ويؤنّث.

قال الرّاغِب(5): أصل الأَزْرُ: الإزارُ الّذي هو اللّباس، يقال: إزارٌ وإزارةٌ

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الجمهرة.
(4) الصحاح في اللغة.
(5) مفردات الراغب.

ومِئْزَرٌ. والأَزْرُ: القوّة الشّديدة، وآزرَه: أعانه وقوّاه ؛ وأصله من شدّ الإزار، وأزرَتُ البناء وآزرتُه: قوّيتُ أسافله، وتأزّر النّبات: طال وقوي.

قال الزَمخْشَريّ[1]: شَدّ به أزْرَه، ومعه مَن يؤامرهُ ويؤُازره. وأردتُ كذا فآزَرَني عليه فلانٌ، إذا ظاهرك وعاوَنك. وإنّه لَحَسنُ الإزْرَة، ولكلّ قوم من العرب إزرْة يأتزرونها. ومن المجاز: الزّرعُ يؤازِر بعضُه بعضاً: إذا تلاحق والْتفّ، وتأزّر النّبتُ تأزُّراً.

قال العكبري[2]: أَزَرْتُه على الأمر: أعنته عليه وقويته. وقد ائتزر.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: 31].

قال الطبري[3]: قوّ ظهري، وأعنّي به. يقال: قد أَزَر فلان فلاناً: إذا أعانه وشدّ ظهره. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. عن ابن عباس، قوله: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ يقول: أشدد به ظهري. قال ابن زيد، في قوله: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: 31] يقول: اشدد به أمري، وقوّني به، فإن لي به قوّة.

قال الفخر الرازي[4]: وفيه مسائل:

المسألة الأولى: القراءة العامة: (ٱشْدُدْ بِهِ * وَأَشْرِكْهُ) على الدعاء وقرأ ابن عامر وحده: (اشْدُدْ، وَأَشْرِكْهُ) على الجزاء والجواب، حكاية عن موسى عليه السلام أي أنا أفعل ذلك ويجوز لمن قرأ على لفظ الأمر أن يجعل ﴿أَخِى﴾ [صٓ: 23] مرفوعاً على الابتداء (وَٱشْدُدْ بِهِ) خبره ويوقف على هارون.

(1) أساس البلاغة.
(2) المشوف المعلم.
(3) جامع البيان.
(4) التفسير الكبير.

المسألة الثانية: الأزر القوة وآزره قواه قال تعالى: (فَآزَرَهُ) أي أعانه قال أبو عبيدة (أَزْرِي) أي: ظهري وفي كتاب الخليل: الأَزْر: الظهر.

المسألة الثالثة: أنه عليه السلام لما طلب من الله تعالى أن جعل هٰرون وزيراً له طلب منه أن يشد به أزره ويجعله ناصراً له لأنه لا اعتماد على القرابة.

قال القرطبي[1]: أي: ظهري. والأَزْر الظهر من موضع الحَقْوين، ومعناه تقوى به نفسي؛ والأَزْر: القوّة، وآزره: قوّاه. ومنه قوله تعالى: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ﴾ [الفتح: 29].

● **قال تعالى**: ﴿مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ﴾ [الفتح: 29].

قال الألوسي[2]: وذكر غير واحد أنه إما من المؤازرة بمعنى المعاونة أو من الإيزار وهي الإعانة. وفي «البحر» (آزر) أفعل كما حكي عن الأخفش، وقول مجاهد وغيره فاعل خطأ لأنه لم يسمع في مضارعه إلا يُؤْزَر على وزن يكرم دون يوازر. وتعقب بأن هذه شهادة نفي غير مسموعة على أنه يجوز أن يكون ورد من بابين واستغنى بأحدهما عن الآخر ومثله كثير، مع أن السرقسطي نقله عن المازني لكنه قال: يقال آزر الشيء غيره أي: ساواه وحاذاه.

وجعل ما في الآية من ذلك، وهو مروي أيضاً عن السدي قال: آزره صار مثل الأصل في الطول، والجمهور على ما نقل أولاً. والضمير المرفوع في (آزَرَهُ) للشطء والمنصوب للزرع أي فقوى ذلك الشطء الزرع، والظاهر أن الإسناد في أخرج وآزر مجازي وكون ذلك من الإسناد إلى الموجب، وهو حقيقة على ما ذهب إليه السيالكوتي في «حواشيه على المطول» حيث قال في قولهم: سرتني رؤيتك: هذا القول مجاز إذا أريد منه حصول السرور عند الرؤية أما إذا أريد منه

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) روح المعاني.

أن الرؤية موجبة للسرور فهو حقيقة لا يخفى حاله. وقرأ ابن ذكوان (فأزره) ثلاثياً. وقرئ (فأزره) بشد الزاي أي فشد أزره وقواه.

قال أبو حيان[1]: فآزره، على وزن أفعله. وقرئ: فازّره، بتشديد الزاي. وقول مجاهد وغيره: آزره فاعله خطأ، لأنه لم يسمع في مضارعه إلا يؤزر، على وزن يكرم؛ والضمير المنصوب في آزره عائد على الزرع، لأن الزرع أول ما يطلع رقيق الأصل، فإذا خرجت فراخه غلظ أصله وتقوى، وكذلك أصحاب رسول الله ﷺ كانوا أقلة ضعفاء، فلما كثروا وتقووا قاتلوا المشركين.

قال السمين[2]: (فآزره) العامة على المدّ. وهو على أفعل، وغلّطوا من قال: إنه فاعل. كمجاهد وغيره بأنه لم يسمع بمضارعه يؤازر، بؤزر، وقرئ فأَزَّره بالتشديد.

(1) البحر المحيط. (2) الدر المصون.

أزّ

(أزّ - دمدم - غلى - عصف - قرع - قصف)

- **أزّ:** صوت غليان القدر ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: 83].
- **دَمْدَمَ:** صوت الهدّة كوقوع قنبلة عظيمة ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشّمس: 14].
- **غَلَى:** صوت القدر إذا طفحت بعد الأزيز ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: 45-46].
- **عَصَفَ:** صوت الريح الشديدة حين تحرك العاصفة ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: 22].
- **قَصَفَ:** صوت الريح حين تقصف الشجر ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ [الإسرَاء: 69].
- **قَرَعَ:** صوت ضرب الحديد مع الحديد ومنه قرع طبول الحرب ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [الحاقّة: 4].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الهمزة والزّاي يدلّ على التّحرّك والتّحريك والإزعاج.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخَليل[1]: **الأَزُّ**: ضَرَبانُ عِرْقٍ يأتَزّ أو وَجَع في خُراج. وفلان يأتَزّ، أي: يجد أزًّا من الوَجَع. والأزُّ: الحركة.

قال الجَوهَريّ[2]: الأزيز: صوت الرّعد، وصوت غليان القِدْر. وقد أزّت القِدْر تَؤزُّ أزيزاً: غلَتْ. والأزُّ: التّهييج والإغراء.

قال الزَمخَشريّ[3]: الأزَزُ: الامتلاء والتّضامّ. يَتأزّزُ: يتفعّلُ من الأزيز، وهو الغليان، أي يغلي بالقوم لكثرتهم.

ابن دريد[4]: الأزّ: الحركة الشديدة. وأزّت القدر: إذا اشتد غليانها.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: 83].

أي تزعجهم إلى المعصية وتدكهم بقوة وانفعال كأزيز القدر إذا اشتد غليانها ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ تزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية. وتغريهم إغراءً بالشر، امضوا في هذا الأمر حتى توقعهم في النار، وقد جمعت هذه الآية (تؤزهم أزًّا) بين الفعل والمصدر استناداً إلى الشياطين المذكورين قبلها، تأكيداً على شدّة إغواء الشياطين للكافرين، وهذا ما يؤيده القرآن من سلطان الشياطين على من أتبعهم ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: 42] فالشياطين مرسلون (على) الكافرين لا (إلى) الكافرين. فإنهم مسيطرون عليهم سيطرة الطواغيت على الأمم المستضعفة فيفعلون بهم ما يفعلون، وهذا هو الفارق بين

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) أساس البلاغة.
(4) الجمهرة.

إرسال الشياطين وإرسال الرسل المرسلين إلى العباد (وليس عليهم) مبشرين ومنذرين، وليس لهم سيطرة ظالمة على الناس بخلاف شياطين الإنس والجن ويتبادر إلى الذهن إثر ذلك أن الشياطين مثلهم مثل الكلاب تبعث على السارق والمجرم. فالشياطين كلاب الله يسلطها على الكافرين تَؤُزُّهم أزًّا من الطاعة إلى المعصية، ثم من الجنة إلى النار.

وهذا يفسر عصبية الطغاة وتسرعهم في الكفر والقتل والتعذيب لكل من يعادون من الصالحين. وهذا الأزّ الشديد قانون دائم، فإن الإرسال تَمَّ في الزمن الماضي (أرسلنا) (والأز) يستمر في الحاضر والمستقبل (تؤزهم)، وفي قوله تعالى: ﴿أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا﴾ تطمين للمؤمنين بأن هذا الذي يحدث من قبل الشياطين والكافرين ليس خارجاً عن قدرة الله سبحانه ﴿وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [الزُّمَر: 51] إنما ذلك ابتلاء وعقوبة منه سبحانه لأولئك الكافرين ويلاحظ: أن الأزّ لم يذكر في القرآن الكريم إلا مع (الشياطين) فكان إيحاؤهم إلى جنودهم وأتباعهم يملأ أذانهم فيسدّ عليهم كل الطرق فلا تراهم إلا مجرمين قتلة بلا رحمة ولا عقل[1].

قال أبو السعود[2]: معنى إرسال الشياطين عليهم إما تسليطهم عليهم وإضلالهم، وإما تقبيضهم لهم، وليس المراد تعجيبه عليه السلام من إرسالهم عليهم كما يوهمه تعليق الرؤية به إغواء الشيطان كما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا﴾ فإنه إما حال قدرة من الشيطان أو استئناف وقع جواباً عما نشأ من صدر الكلام، كأنه قيل: ماذا يفعل الشيطان بهم حينئذ؟ فقيل (تؤزهم) أي تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهييجاً شديداً بأنواع الوساوس والتسويلات، فإن الأَزّ والهزّ والاستفزاز أخوات معناها شدة الإزعاج بعدة أساليب.

من أجل هذا امتلأت الدنيا جوراً فردياً وجماعياً وسياسياً واجتماعياً ﴿وَبَشِّرِ

(1) عيون التفاسير، وانظر إلى تفسير الشعراوي وأبو زهرة.
(2) إرشاد العقل السليم.

ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: 155-156].

قال الطبري[1]: تحرّكهم بالإغواء والإضلال، فتزعجهم إلى معاصي الله، وتغريهم بها حتى يواقعوها ﴿أَزًّا﴾ إزعاجاً وإغواءً.

قال الشعراوي[2]: والأَزّ أو النَّزْغ يكون بالوسوسة والتسويل ليهيجه على المعصية والشر، كما يأتي هذا المعنى أيضاً بلفظ الطائف، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201].

(1) جامع البيان.
(2) تفسير الشعراوي.

أَزف

(أَزف - اقترب - حان)

■ **أزِفَ:** شدة الاقتراب وضيق الوقت نحو خط النهاية ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ [النّجم: 57]. . حان وقت القيامة وضاق الوقت بيننا وبينها.

■ **اقْتَرَبَ:** جاوز المنتصف ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبيَاء: 1].

■ **حَانَ:** وقت حصول الشيء بالفعل ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: 17].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الهمزة والزّاي والفاء يدلّ على الدُّنُوّ والمقارَبة، يقال: أزِفَ الرّحيل، إذا اقترب ودنا.

قال الخَليل(2): أزِفَ الشّيء يأزَفُ وأَزُفاً. والآزفة: القيامة. والمُتَآزِف: المكان الضَيّق، والمتآزف: الخَطْو المتقارب، والمتآزف: القصير من الرّجال.

قال ابن دُرَيْد(3): أزِفَ الرّحيل وغيره يأزَف أزَفاً: إذا حان.

قال الجَوهَريّ(4): أزِفَ التّرحل يأزَف أزفاً، أي: دنا وأفِدَ.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الجمهرة.
(4) الصحاح في اللغة.

قال الرّاغِب[1]: الأزَف: ضيق الوقت، وسمّيت به لقرب كونها، وعلى ذلك عُبّر عنها بساعة.

قال الزَمخْشريّ[2]: أزِف الرّحيل: دنا وعَجِل، ومنه: أقبْل يمشي الأزَفَى، بوزن «الجَمزَى»، وكأنّه من الوزيف، والهمزة عن واوٍ. وساءني أُزوف رحيلهم، وأَزفُ رحيلهم. وأشتى بنو فلانٍ فتآزفوا: إذا تطالبوا متدانين. والآزفة: القيامة لأُزوفها.

قال الكجراني[3]: أزف الوقت وحان الأجل، أي: دنا واقترب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾ [النّجْم: 57].

قال الفخر الرازي[4]: وهو كقوله تعالى: ﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: 1] ويقال: كانت الكائنة. وهذا الاستعمال يقع على وجوه منها ما إذا كان الفاعل صار فاعلاً لمثل ذلك الفعل من قبل، ثم صدر منه مرة أخرى مثل الفعل، فيقال: فعل الفاعل أي الذي كان فاعلاً صار فاعلاً مرة أخرى، يقال: حاكه الحائك أي: من شغله ذلك من قبل فعله، ومنها ما يصير الفاعل فاعلاً بذلك الفعل، ومنه يقال: «**إذا مات الميت انقطع عمله**» وإذا غصب العين غاصب ضمنه، فقوله: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾ يحتمل أن يكون من القبيل الأول أي: قربت الساعة التي كل يوم يزداد قربها فهي كائنة قريبة وازدادت في القرب، ويحتمل أن يكون كقوله تعالى: ﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي قرب وقوعها وأزفت فاعلها في الحقيقة القيامة أو الساعة، فكأنه قال: أزفت القيامة الآزفة أو الساعة أو مثلها.

---

(1) مفردات الراغب.
(2) أساس البلاغة.
(3) بحار الأنوار.
(4) التفسير الكبير.

قال القرطبي[1]: أي قربت الساعة ودنت القيامة. وسماها آزفة لقرب قيامها عنده؛ كما قال: ﴿يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: 6-7] وقيل: سماها آزفة لدنوّها من الناس وقربها منهم ليستعدّوا لها؛ لأن كل ما هو آتٍ قريب.

قال الألوسي[2]: أي: قربت الساعة الموصوفة بالقرب في غير آية من القرآن، فأل في ﴿ٱلْـَٔازِفَةُ﴾ للعهد لا للجنس، وقيل: ﴿ٱلْـَٔازِفَةُ﴾ علم بالغلبة للساعة هنا، وقيل: لا بأس بإرادة الجنس ووصف القريب بالقرب للمبالغة.

العزّ بن عبد السلام[3]: دنت القيامة.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: 18].

قال الفخر الرازي[4]: (ذكروا في تفسير يوم الآزفة وجوهاً الأول: هو يوم القيامة إذا دنا وحضر. . ينظر قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: 1].

والقول الثاني: أن المراد (يوم الآزفة) وقت الآزفة وهي مسارعتهم إلى دخول النار، فإن عند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها من شدة الخوف.

قال الزمخشري[5]: الأَزَف بفتح الزاي: الضيق وما من ضيق أشد من ساعة إلقاء الكافر في النار.

والقول الثالث: قال أبو مسلم: (يوم الآزفة) يوم المنية وحضور الأجل. والذي يدل عليه أنه تعالى وصف يوم القيامة بأنه ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥ يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ﴾ [غافر: 15-16] فوجب أن يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم، وأيضاً هذه الصفة مخصوصة في سائر الآيات بيوم الموت. قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) روح المعاني.
(3) التفسير العظيم.
(4) التفسير الكبير.
(5) الكشاف.

﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الواقعة: 83-84] وقال: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القِيَامَة: 26] وأيضاً وصف يوم الموت بالقرب.

وأيضاً الصفات المذكورة بعد قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ﴾ [غَافر: 18] لائقة بيوم حضور الموت. لأن الرجل عند معاينة ملائكة العذاب يعظم خوفه، فكأن قلوبهم تبلغ حناجرهم من شدة الخوف، ويبقون كاظمين ساكنين عن ذكر ما في قلوبهم من شدة الخوف، ولا يكون لهم حميم ولا شفيع يدفع ما بهم من أنواع الخوف والقلق.

قال القرطبي[1]: أي يوم القيامة. سمّيت بذلك لأنها قريبة؛ إذ كل ما هو آتٍ قريب. وأزفَ فلانٌ أي: قرب يَأْزَفُ أَزْفاً؛ ﴿ٱلْآزِفَةِ﴾ على تقدير يوم القيامة ﴿ٱلْآزِفَةِ﴾ أو يوم المجادلة ﴿ٱلْآزِفَةِ﴾. وعند الكوفيين هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه مثل مسجد الجامع وصلاة الأولى.

قال الفخر الرازي[2]: ذكروا في تفسير يوم الآزفة وجوهاً الأول: أن يوم الآزفة هو يوم القيامة، والآزفة فاعلة من أَزَف الأمر: إذا دنا وحضر لقوله في صفة يوم القيامة ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النجم: 57-58] والمقصود منه التنبيه على أن يوم القيامة قريب ونظيره قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: 1] قال الزجاج إنما قيل لها آزفة لأنها قريبة وإن استبعد الناس مداها، وما هو كائن فهو قريب.

واعلم أن الآزفة نعت لمحذوف مؤنث على تقدير يوم القيامة الآزفة أو يوم المجازاة الآزفة قال القفال: وأسماء القيامة تجري على التأنيث كالطامة والحاقة ونحوها كأنها يرجع معناها إلى الداهية. والقول الثاني: أن المراد بيوم الآزفة وقت الآزفة وهي مسارعتهم إلى دخول النار، فإن عند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها من شدة الخوف. والقول الثالث: قال أبو مسلم: يوم الآزفة يوم المنية

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) التفسير الكبير.

وحضور الأجل، والذي يدل عليه أنه تعالى وصف يوم القيامة بأنه يوم التلاق، و﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾ [غافر: 16] ثم قال بعده ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ﴾ فوجب أن يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم، وأيضاً هذه الصفة مخصوصة في سائر الآيات بيوم الموت قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ۝٨٤﴾ [الواقعة: 83-84].

وقال: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: 26] وأيضاً فوصف يوم الموت بالقرب أولى من وصف يوم القيامة بالقرب، وأيضاً الصفات المذكورة بعد قوله الآزفة لائقة بيوم حضور الموت لأن الرجل عند معاينة ملائكة العذاب يعظم خوفه، فكأن قلوبهم تبلغ حناجرهم من شدة الخوف، ويبقوا كاظمين ساكتين عن ذكر ما في قلوبهم من شدة الخوف ولا يكون لهم حميم ولا شفيع يدفع ما بهم من أنواع الخوف والقلق.

قال أبو السعود[1]: أي: القيامةِ، سمّيتْ بَها لأُزوفِهَا وهُو القربُ، غيرَ أنَّ فيهِ إشعاراً بضيقِ الوقتِ وقيلَ: الخطةُ الآزفةُ وهي مشارفةُ أهلِ النارِ دخولَها وقيل: وقتَ حضورِ الموتِ كما في قولِه تعالَى: ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ﴾ [الواقعة: 83] وقولِه: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: 26].

(1) إرشاد العقل السليم، انظر تفسير عيون التفاسير.

أَسر

(أَسر - حبس - رهن - وقف)

■ **الأَسْرُ:** حبس المحارب مقيداً ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: 28].

■ **الحَبْسُ:** منع الشيء من الانبعاث والتداول بحكم حاكم ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المَائدة: 106].

■ **الرَّهْنُ:** حبس الشيء لضمان حق عليه يؤديه ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدَّثِّر: 38].

■ **الإيقَافُ:** حبس على ذمة التحقيق ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: 24] ومنه وقف الدار في سبيل الله.

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الهمزة والسّين والرّاء أصل واحد وقياس مطّرد، وهو الحبس، وهو الإمساك. من ذلك الأسير، وكانوا يشدّونه بالقدّ، وهو الإسار؛ فسمّي كلّ أخيذ وإن لم يؤسر أسيراً.

قال الخليل[2]: أَسَر فلان فلاناً: شَدَّه وثاقاً، وهو مأسور، وأسر بالإسار، أي: بالرّباط. والإسار مصدرٌ كالأشر.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الجوهريّ[1]: أَسَرَ قتبه يَأْسُره أسراً: شَدَّه بالإسار، وهو القِدّ. ومنه سمّي الأسير، وكانوا يشدّونه بالقِدّ، فسمّي كلّ أخيذٍ أسيراً وإن لم يُشدّ به. قال ابن دريد: الإسار والأشر: القِدّ الّذي يشدّ به المحمل وبه سمّي الأسير. وتقول: أسرته.

قال ابن دريد[2]: الإسار والأَسْر: القِدّ الّذي يشدّ به المحمل وبه سمّي الأسير. وتقول: أسرتُ الرّجل آسره أسْراً، فأنا آسر وهو مأسور وأسير. ويقال: رجلٌ ذو أسْر، أي: ذو قوةٍ، وكذلك الآسرات الّتي يشدّ بها القتب.

قال الرّاغب[3]: الأَسْر: الشدّ بالقيد، من قولهم: أسرت القتب، وسمّي الأسير بذلك، ثمّ قيل لكلّ مأخوذ ومقيَّد وإن لم يكن مشدوداً بذلك. وقيل في جمعه: أَسارى وأُسارى وأسْرى.

قال الزمخشريّ[4]: حلّ إساره فأطلقه، وهو القدّ الّذي يؤسر به. وليس بعد الإسار إلّا القتل، أي: بعد الأسْر. واستأسر للعدوّ. وتقول: من تزوّج فهو طليق قد استأسر، ومن طلّق فهو يغاث قد استنسر.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب: 26].

قال الفخر الرازي[5]: فإن قيل هل في تقديم المفعول حيث قال ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ وتأخيره حيث قال: ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ فائدة؟ قلت قد أجبنا أن ما من

(1) الصحاح في اللغة.
(2) الجمهرة.
(3) مفردات الراغب.
(4) أساس البلاغة.
(5) التفسير الكبير.

شيء من القرآن إلا وله فوائد منها ما يظهر ومنها ما لا يظهر، والذي يظهر من هذا والله أعلم أن القائل يبدأ بالأهم فالأهم والأعرف فالأعرف والأقرب فالأقرب، والرجال كانوا مشهورين فكان القتل وارداً عليهم والأسرى كانوا هم النساء والصغار ولم يكونوا مشهورين، والسبي والأسر أظهر من القتل لأنه يبقى فيظهر لكل أحد أنه أسير فقدم من المحلين ما هو أشهر على الفعل القائم به وما هو أشهر من الفعلين قدمه على المحل الأخفى، وإن شئنا نقول بعبارة توافق المسائل النحوية فنقول قوله: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ فعل ومفعول والأصل في الجمل الفعلية تقديم الفعل على المفعول والفاعل، أما أنها جملة فعلية فلأنها لو كانت اسمية لكان الواجب في فريق الرفع وكان يقول فريق منهم تقتلونهم فلما نصب كان ذلك بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره تقتلون فريقاً تقتلون، والحامل على مثل هذا الكلام شدة الاهتمام ببيان المفعول، وهٰهنا كذلك لأنه تعالى لما ذكر حال الذين ظاهروهم وأنه قذف في قلوبهم الرعب، فلو قال: تقتلون إلى أن يسمع السامع مفعول تقتلون يكون زمان وقد يمنعه مانع فيفوته فلا يعلم أنهم هم المقتولون، فأما إذا قال فريقاً مع سبق في قلوبهم الرعب إلى سمعه يستمع إلى تمام الكلام وإذا كان الأول فعلاً ومفعولاً قدم المفعول لفائدة عطف الجملة الثانية عليها على الأصل فعدم تقديم الفعل لزوال موجب التقديم إذا عرف حالهم وما يجيء بعده يكون مصروفاً إليهم، ولو قال بعد ذلك: وفريقاً تأسرون، فمن سمع فريقاً ربما يظن أن يقال فيهم يطلقون، أو لا يقدرون عليهم فكان تقديم الفعل هٰهنا أولى، وكذلك الكلام في قوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ وقوله: ﴿وَقَذَفَ﴾ فإن قذف الرعب قبل الإنزال لأن الرعب صار سبب الإنزال، ولكن لما كان الفرح في إنزالهم أكثر، قدم الإنزال على قذف الرعب.

قال الألوسي[1]: وقدم مفعول ﴿تَقْتُلُونَ﴾ لأن القتل وقع على الرجال

(1) روح المعاني.

وكانوا مشهورين وكان الاعتناء بحالهم أهم ولم يكن في المأسورين هذا الاعتناء بل الاعتناء هناك بالأسر أشد، ولو قيل: وفريقاً تأسرون لربما ظن قبل سماع تأسرون أنه يقال بعد تهزمون أو نحو ذلك، وقيل: قدم المفعول في الجملة الأولى لأن مساق الكلام/لتفصيله وأخر في الثانية لمراعاة الفواصل، وقيل التقديم لذلك وأما التأخير فلئلا يفصل بين القتل وأخيه وهو الأسر فاصل، وقيل: غوير بين الجملتين في النظم لتغاير حال الفريقين في الواقع فقد قدم أحدهما فقتل وأخر الآخر فأسر. وقرأ ابن عامر والكسائي (ٱلرُّعب) بضم العين وقرأ أبو حيوة (تأسُرون) بضم السين، وقرأ اليماني (يأسرون) بياء الغيبة وقرأ ابن أنس عن ابن ذكوان بها فيه وفي (يقتلون) ولا يظهر لي وجه وجيه لتخصيص الاسم بصيغة الغيبة.

● **قال تعالى:** ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: 28].

قال الزمخشري[1]: الأسر: الربط والتوثيق. ومنه: أسر الرجل إذا أوثق بالقدّ وهو الإسار. وفرس مأسور الخلق. وترس مأسور بالعقب. والمعنى: شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض، وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب. ومثله قولهم: جارية معصوبة الخلق ومجدولته.

قال القرطبي[2]: والأَسْر: الخَلْق؛ قال أبو عُبيد: يقال فرس شديد الأَسْر أي: الخَلْق. ويقال: أسره الله جلّ ثناؤه إذا شَدَّد خَلْقه؛ وقال أبو هريرة والحسن والربيع: شددنا مفاصلهم وأوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب. وقال مجاهد في تفسير الأَسْر: هو الشَّرْج، أي إذا خرج الغائط والبول تَقبَّضَ الموضعُ. وقال ٱبن زيد: القوّة. وٱشتقاقه من الإسار وهو القِدّ الذي يشد به الأقتاب؛ يقال: أَسَرْتُ القَتَبَ أَسْراً أي: شددته وربطته؛ ويقال: ما أحسن أَسْرَ قَتَبِه أي: شدّه

(1) الكشاف.
(2) الجامع لأحكام القرآن.

وربطه؛ ومنه قولهم: خذه بِأَسْرِهِ إذا أرادوا أن يقولوا هو لك كله؛ كأنهم أرادوا تَعْكِيمه وشدّه فلم يُفتَح ولم يُنقَص منه شيء. ومنه الأسير، لأنه كان يُكتَف بالإسار. والكلام خرج مخرج الامتنان عليهم بالنِّعَم حين قابلوها بالمعصية. أي سَوَّيتُ خَلْقك وأحكمته بالقوى ثم أنت تكفر بي.

قال القاسمي[1]: أي: خلقهم وأعضاء بناهم. قال الشهاب: الأسر، معناه لغة الشد ليقوى، ويطلق أيضاً على ما يشد ويربط به؛ ولذا سمي الأسير أسيراً بمعنى مربوطاً، فشبهت الأعصاب بالحبال المربوط به، ليقوى البدن بها أو لإمساكها للأعضاء؛ ولذا سموها رباطات أيضاً.

قال الخازن[2]: أي خلقهم وقيل أوصالهم شددنا بعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب، وقيل الأسر مجرى البول والغائط، وذلك أنه إذا خرج الأذى انقبضا.

● **قال تعالى**: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسَان: 8].

قال الماوردي[3]: أن يريد بالأسير الناقص العقل، لأنه في أسر خبله وجنونه، وإن أسر المشركين انتقام يقف على رأي الإمام وهذا بر وإحسان.

قال الطبري[4]: وهو الحربيّ من أهل دار الحرب يُؤخذ قهراً بالغلبة، أو من أهل القبلة يُؤخذ فيُحبس بحقّ فأثنى الله على هؤلاء الأبرار بإطعامهم هؤلاء تقرّباً بذلك إلى الله وطلب رضاه، ورحمة منهم لهم. واختلف أهل العلم في الأسير الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: بما: عن قتادة، قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ قال: لقد أمر الله بالأُسراء أن يحسن إليهم، وإن أسراهم يومئذٍ لأهل الشرك.

وقال آخرون: عُني بذلك: المسجون من أهل القبلة.

---

(1) محاسن التأويل.
(2) لباب التأويل.
(3) النكت والعيون.
(4) جامع البيان.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هؤلاء الأبرار بأنهم كانوا في الدنيا يطعمون الأسير، والأسير الذي قد وصفت صفته، واسم الأسير قد يشتمل على الفريقين، وقد عمّ الخبر عنهم أنهم يطعمونهم، فالخبر على عمومه حتى يخصه ما يجب التسليم له. وأما قول من قال: لم يكن لهم أسير يومئذٍ إلا أهل الشرك، فإن ذلك وإن كان كذلك، فلم يخصص بالخبر الموفون بالنذر يومئذٍ، وإنما هو خبر من الله عن كلّ من كانت هذه صفته يومئذٍ وبعده إلى يوم القيامة، وكذلك الأسير معنيّ به أسير المشركين والمسلمين يومئذٍ، وبعد ذلك إلى قيام الساعة.

قال الألوسي[1]: وعن أبي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون وتسمية المسجون أسيراً مجاز لمنعه عن الخروج، وأما تسمية المملوك فمجاز أيضاً لكن قيل باعتبار ما كان وقيل باعتبار شبهه به في تقييده بأسار الأمر وعدم تمكنه من فعل ما يهوى. وعَدَّ الغريم أسيراً لقوله ﷺ: «**غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك**» وهو على التشبيه البليغ إلا أنه قيل في هذا الخبر ما قيل في الخبر الأول وقال أبو حمزة الثمالي هي الزوجة وضعفه هٰهنا ظاهر.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ﴾ [البَقَرَة: 85].

قال ابن عطية[2]: وقرأ قوم: «أسرى تفادوهم». و﴿أُسَـٰرَىٰ﴾ جمع أسير، والأسير مأخوذ من الأسر وهو الشد، سمي بذلك لأنه يؤسر أي: يشد وثاقاً، ثم كثر استعماله حتى لزم وإن لم يكن ثم ربط ولا شد، وأسير فعيل بمعنى مفعول، ولا يجمع بواو ونون وإنما يكسر على أسرى وأسارى، والأقيس فيه أسرى، لأن فعيلاً بمعنى مفعول الأصل فيه أن يجمع على فعلى، كقتلى وجرحى، والأصل في

(1) روح المعاني.
(2) المحرر الوجيز.

فعلان أن يجمع على «فَعالى» بفتح الفاء و«فُعالى» بضمها كسكران وكسلان وسُكَارى وكُسَالى، قال سيبويه: فقالوا في جمع كسلان كسْلى، شبّهوه بأسرى كما قالوا: ﴿أُسَـٰرَىٰ﴾ شبهوه بكسالى، ووجه الشبه أن الأسر يدخل على المرء مكرهاً كما يدخل الكسل، وفعالى إنما يجيء فيما كان آفة تدخل على المرء.

قال الفخر الرازي[1]: قرأ نافع وعاصم والكسائي: (أسارى تفادوهم) بالألف فيهما، وقرأ حمزة وحده بغير ألف فيهما والباقون: «أسارى» بالألف و«تفدوهم» بغير ألف و«الأسرى» جمع أسير كجريح وجرحى، وفي أسارى قولان: أحدهما: أنه جمع أسرى كسكرى وسكارى، والثاني: جمع أسير، وفرق أبو عمرو بين الأسرى والأسارى، وقال: الأسارى الذين في وثاق، والأسرى الذين في اليد، كأنه يذهب إلى أن أسارى أشد مبالغة، وأنكر ثعلب ذلك، وقال علي بن عيسى: الاختيار أسارى بالألف لأن عليه أكثر الأئمة ولأنه أدل على معنى الجمع إذ كان يقال بكثرة فيه، وهو قليل في الواحد نحو شكاعى ولأنها لغة أهل الحجاز.

قال أبو السعود[2]: جمعُ أسير وهو من يؤخذ قهراً، فعيل بمعنى مفعول من الأسر أي الشدّ أو جمعُ أَسْرىٰ وهو جمع أسير كجرحىٰ وجريح، وقد قرىء أسْرى، ومحله النصبُ على الحالية.

---

(1) التفسير الكبير.

(2) إرشاد العقل السليم.

أساس

(أساس - أصل - عمود - إمام - قاعدة)

■ **الأَسَاسُ:** ما يلامس الأرض وهو أول البناء ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: 109].

■ **القَاعِدَةُ:** ما يقوم على أساس من البناء ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البَقَرَة: 127].

■ **العَمُودُ:** ما يرفع عليه البناء بعد القاعدة ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرّعد: 2].

■ **الأَصْلُ:** ما تفرع منه وجود شيء لم يكن ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: 24].

■ **الإِمَامُ:** الطريق المتصل تتفرع عنه طرق كثيرة ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحِجر: 79].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال الخليل[1]: والأُسّ: أصل تأسيس البناء، والجمع: الأساس. وفي لغة:

---

(1) العين.

الأُسُس، والجمع: الآساس، ممدود. وأس الرَّماد: مابقي في الموقد. وأَسستُ داراً: بنيت حدودها، ورفعت من قواعدها، ويقال: هذا تأسيس حسن.

قال ابن دريد[1]: أَسَّ البناء يَؤُسُّه أَسًّا، وأصل الرّجل أُسُّه أيضاً، وقد قالوا: الأَسّ أيضاً.

قال الأزهريّ[2]: يقال: هو الأُسُّ والأَساس لأصل البناء، وجمع الأساس: أُسُس.

قال الزمخشريّ[3]: بنى بيته على أساسه الأول، وقلعه من أُسِّه. ومن المجاز: ما زال فلانٌ مجنوناً على أسْت الدّهر وأُسِّ الدّهر، أي: على وجهه، وفلان أساس أمره الكذب، ومن لم يؤسّس ملكه بالعدل فقد هدّمه.

قال العكبري[4]: أُسُّ البناء: أصله وجمعه أساس. ويقال: الواحد أساس بالقصر، وجمعه أُسس.

والأسّ: أَسَّ البناء يَؤُسُّ أَسّاً. والأُسُّ: أصل الرجل.

قال الراجز:

وأس مجد ثابت وطيد نال السماء فرعه المديد

وقال الراغب[5]: «(أَسَّس بنيانه) جعل له أساساً وهو قاعدته التي يبنى عليها» والصواب ما ذكرناه من أن الأساس ما تحت القاعدة من تدبير. وفي قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [التوبة: 109] وفي الكلمة - قراءتان، فأهل المدينة بضم الهمزة بالبناء للمجهول وهي قراءة نافع وقرأها أهل العراق بفتح الهمزة بالبناء للمعلوم، وهما قراءتان متفقتان في المعنى،

(1) الجمهرة.
(2) تهذيب اللغة.
(3) أساس البلاغة.
(4) المشوف المعلم.
(5) مفردات الراغب.

وقد جاء الألف مضموماً في قوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [التّوبَة: 108]، ويستعمل (الأساس) بمعنى الأحكام، وبه فسره بعضهم، والتفسير الأول أصح لتعديه بـ (على) في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾، وقيل من لم يؤسس ملكه بالعدل فقد هدمه.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التّوبَة: 108].

قال بعضهم أن المعنى: ابتدى أساسه على تقوى من الله ورضوان، أو بنيت جدرانه ورفعت قواعده على تقوى. وقد قابل الله عَزَّوَجَلَّ بناء مسجدين، مسجد أسس على التقوى. ومسجد أسس ضراراً وتفريقاً بين المسلمين والمراد: نيته الخير والتقوى ونيته الشر والأضرار، تشبيهاً لهما بالأساس المادي المحكم الرزين.

والأساس الواهي المتزلزل الذي لا يتحمل ما بني عليه ونفهم من الآيتين أن الأعمال يجب أن تكون على أساس نيته الخير والتقوى: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**» متفق عليه.

والمقابلة بين المسجدين والموازنة بينهما على ما يلي:

الأول	الثاني
1 أسس على التقوى من أول يوم	اتخذ ضراراً
2 - أسس على الرضوان	اتخذ كفراً
3 - له الأحقية في قيام الرسول فيه	اتخذ للتفريق بين المؤمنين
4 - خير من ذلك الآخر	اتخذ إرصاداً لمن حارب الله ورسوله
5 - فيه رجال يحبون أن يتطهروا	المراد به الحسنى بحلفهم. والله يشهد أنهم لكاذبون

قال الألوسي(1): والتأسيس وضع الأساس وهو أصل البناء وأوله، ويستعمل بمعنى الإحكام وبه فسره بعضهم هنا، واختار آخرون التفسير الأول لتعديه بعلى في قوله سبحانه: ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة: 109] فإن المتبادر تعلقه به، وجوز تعلقه بمحذوف وقع حالاً من الضمير المستكن في ﴿أَسَّسَ﴾ وهو خلاف الظاهر كما لا يخفى.

(1) روح المعاني.

أسف

(أسف - ابتأس - حسرة - ندم)

- **الأَسَفُ:** الندم مع غضب يثير شهوة الانتقام ﴿يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ [يُوسُف: 84].
- **الابْتِئَاس:** الأسف مع حزن ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [هُود: 36].
- **الحَسْرَةُ:** الأسف مع يأس على ما فات ولن يعود ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عِمرَان: 156].
- **النَّدَمُ:** الرأي في أمر فات ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون: 40].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الهمزة والسّين والفاء أصل واحد يدلّ على الفوت والتّلهُف وما أشبه ذلك، يقال: أسِف أسَفاً مثل: تلهّف. والأسِف: الغضبان.

قال الخَليل[2]: الأسَفُ: الحُزن في حالٍ، والغضب في حال. فإذا جاءك أمر ممّن هو دونك فأنت أسِفٌ، أي: غضبان، وإذا جاءك ممّن فوقك أو من مِثلك فأنت أسِفٌ، أي: حزين. والأسيف: السّريع البُكاء لأنّه مقهور محزون.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.

قال الأزهَريّ[1]: الأسيف والأسِف: الغضبان ويقال لموتِ الفَجأة: أخْذَهُ أَسِف.

قال الجَوهَريّ[2]: الأسَف: أشدّ الحزن، وقد أسِف على ما فاته وتأسّف، أي تلهّف. وأسِفَ عليه أسِفاً، أي: غضِب، وآسَفه: أغضبه. والأسيف: والأسُوف: السّريع الحَزن الرّقيق. وقد يكون الأسيف: الغضبان مع الحزن. والأسيف العبد، والجمع: الأُسَفاء. وأرض أسيفة، أي: رقيقة لاتكاد تُنبت شيئاً.

قال الرّاغِب[3]: الأسَف: الحزن والغضب معاً، وقد يقال لكلّ واحد منهما على الانفراد، وحقيقته ثَورَان دَم القلب شهوة الانتقام، فمتى كان ذلك على من دونه انتشر فصار غضباً، ومتى كان على فوقه انقبض فصار حزناً، ولذلك سُئل ابن عَبْاس عن الحزن والغضب فقال: مخرجهما واحد واللّفظ مختلف. فمن نازع من لايقوى عليه أظهره حزناً وجزعاً.

العكبري[4]: الأسيف، العبد، والجمع أسفاء.

المعنى المشترك لكلمة (أ س ف)

وقد وردت كلمة (أسف) في القرآن الكريم على وجهين:

الوجه الأول: الأسف يعني: الحزن ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يُوسُف: 84].

الوجه الثاني: الأسف يعني: الغضب ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزّخرُف: 55].

---

(1) تهذيب اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

(3) مفردات الراغب.

(4) المشوف المعلم.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ [الأعراف: 150].

قال الطبري[1]: يقول تعالى ذكره: ولما رجع موسى إلى قومه من بني إسرائيل، رجع غضبان أسفاً، لأن الله كان قد أخبره أنه قد فتن قومُه، وأن السامريّ قد أضلهم، فكان رجوعه غضبان أسفاً لذلك. والأسف: شدّة الغضب والتغيظ به على من أغضبه.

قال الفخر الرازي[2]: في الأسف قولان: الأول: أن الأسف الشديد الغضب، وهو قول أبي الدرداء وعطاء، عن ابن عباس واختيار الزجاج. واحتجوا بقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزخرف: 55] أي: أغضبونا. والثاني: وهو أيضاً قول ابن عباس والحسن والسدي، إن الآسف هو الحزين. وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إن أبا بكر رجل أسيف أي: حزين. قال الواحدي: والقولان متقاربان، لأن الغضب من الحزن والحزن من الغضب، فإذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت، وإذا جاءك ممن هو فوقك حزنت. فتسمى إحدى هاتين الحالتين حزناً والأخرى غضباً، فعلى هذا كان موسى غضبان على قومه لأجل عبادتهم العجل، أسفاً حزيناً، لأن الله تعالى فتنهم. وقد كان تعالى قال له: ﴿فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ﴾ [طه: 85].

قال القرطبي[3]: شديد الغضب. الأسف منزلةٌ وراء الغضب أشد من ذلك. وهو أسِف وأسِيف وأسْفان وأسُوف. والأسيف أيضاً الحزِين.

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

● **قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾** [الزُّخرُف: 55].

قال القشيري[1]: أغضبونا، وإنما أراد أغضبوا أولياءَنا، فانتقمنا منهم. وهذا له أصل في باب الجَمْع؛ حيث أضاف إيسافَهم لأوليائه إلى نَفْسِه... وفي الخبر: أنه يقول: «**مَرِضْتُ فلم تَعُدْني**».

قال الفخر الرازي[2]: أغضبونا، حكي أن ابن جريج غضب في شيء فقيل له: أتغضب يا أبا خالد؟ فقال: قد غضب الذي خلق الأحلام، إن الله يقول: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أي: أغضبونا.

ثم قال تعالى: ﴿ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ واعلم أن ذكر لفظ الأسف في حق الله تعالى محال وذكر لفظ الانتقام وكل واحد منهما من المتشابهات التي يجب أن يصار فيها إلى التأويل، ومعنى الغضب في حق الله إرادة العقاب، ومعنى الانتقام إرادة العقاب لجرم سابق.

قال الألوسي[3]: أي: أسخطونا كما قال علي كرم تعالى وجهه. وفي معناه ما قيل: أي أغضبونا أشد الغضب أي: بأعمالهم. والغضب عند الخلف مجاز عن إرادة العقوبة فيكون صفة ذات أو عن العقوبة فيكون صفة فعل.

قال الزمخشري[4]: قيل: الأسف هو الغيظ من المغتم إلا أنه هاهنا بمعنى الغضب.

● **قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ﴾** [يُوسُف: 84].

قال الطبري[5]: يعني: يا حزناً عليه. يقال: إن الأسف هو أشدّ الحزن والتندم، يقال منه: أسفت على كذا آسف عليه أسفاً.

---

(1) لطائف الإشارات.
(2) التفسير الكبير.
(3) روح المعاني.
(4) الكشاف.
(5) جامع البيان.

قال الزمخشري[1]: أضاف الأسف وهو أشدّ الحزن والحسرة إلى نفسه، والألف بدل من ياء الإضافة، والتجانس بين لفظتي الأسف ويوسف مما يقع مطبوعاً غير متعمل فيملح ويبدع، ونحوه: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم﴾ [التوبة: 38]، ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: 26]. ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ [الكهف: 104]، ﴿مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾ [النمل: 22] وعن النبي ﷺ: «**لم تعط أمة من الأمم - إنا لله وإنا إليه راجعون - عند المصيبة إلا أمة محمد** ﷺ». ألا ترى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع. وإنما قال: يا أسفي، فإن قلت: كيف تأسف على يوسف دون أخيه ودون الثالث، والرزء الأحدث أشدّ على النفس وأظهر أثراً؟ قلت: هو دليل على تمادي أسفه على يوسف، وأنه لم يقع فائت عنده موقعه، وأنّ الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضاً عنده طرياً. ولأنّ الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده، فكان الأسف عليه أسفاً على من لحق به.

قال الفخر الرازي[2]: فإن قيل: أليس أن الأولى عند نزول المصيبة الشديدة أن يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156] حتى يستوجب الثواب العظيم المذكور في قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 157]. قلنا: قال بعض المفسرين إنه لم يعط الاسترجاع أمة إلا هذه الأمة فأكرمهم الله تعالى إذا أصابتهم مصيبة وهذا عندي ضعيف لأن قوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ إشارة إلى أنا مملوكون لله وهو الذي خلقنا وأوجدنا، وقوله: ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إشارة إلى أنه لا بد من الحشر والقيامة، ومن المحال أن أمة من الأمم لا يعرفون ذلك فمن عرف عند نزول بعض المصائب به أنه لا بد في العاقبة من رجوعه إلى الله تعالى، فهناك تحصل السلوة التامة عند تلك المصيبة، ومن المحال أن يكون لمؤمن بالله غير عارف بذلك.

---

(1) الكشاف.

(2) التفسير الكبير.

أسن

(أسن - كدر - صديد - مهل - سراب - مهين - حميم)

■ **الأَسِن:** شراب متغير الرائحة تغيراً منكراً ﴿مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محَمَّد: 15].

■ **الكَدِر:** شراب متغير الترتيب إلى انتشار عشوائي ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التّكوير: 2].

■ **الصَّديد:** شراب من قيح ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: 16].

■ **المُهْل:** شراب مخلوط بالزيت المقلي ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [الكهف: 29].

■ **السَّرَاب:** الشراب الوهمي ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [النور: 39].

■ **المَهِين:** الشراب من المنيّ ونحوه ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السَّجدَة: 8].

■ **الحَمِيم:** الشراب الحارق ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محَمَّد: 15].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الهمزة والسّين والنّون أصلان: أحدهما تغيّر الشّيء، والآخر السّبب. فأمّا الأوّل فيقال: أَسَن الماء يأسِن ويأسُن: إذا تغيّر هذا هو المشهور، وقد يقال: أسِن.

قال الخَليل[2]: أسِن الماءُ يأسِن أسُناً وأُسُوناً فهو آسِن، أي: متغيّر الطّعم. وأسِن أَسَناً فهو أسِن: إذا دخل بئراً فأصابه ريح الماء الآسِن ؛ فغُشي عليه أو مات. وأسِن، إذا دارَ رأسه من ريح تُصيبه. تأسّن عهد فلان ووُدّه، أي: تغيّر. وتأسّن علي تأسُّناً، أي: اعتلّ وأبطأ. والأسُن: قديم الشّحم، ويقال: العُسُن، والجمع: الآسان.

قال ابن دُرَيْد[3]: أسِن الماء يأسَن أسْناً: إذا تغيّر طعمه ورائحته. وقد قالوا: أسِن الماء يأسِن ويأسُن أسْناً. فأمّا الماء: فأسِن يأسَن لا غير، وهو أن يُغشى عليه من رائحة البئر.

قال الأزهَريّ[4]: يقال: تأسَّن فلان أباه: إذا تقيّله، وهو على آسانٍ من أبيه وآسالٍ. وقيل: آسان الرّجل: مذاهبه وأخلاقه.

قال الجَوهَريّ[5]: الآسِن من الماء مِثل الآجن، وقد أسَن الماء يأسِن ويأسَن أسَناً فهو أسِن. وأسِن الرّجل أيضاً: إذا دخل البئر فأصابته ريح مُنْتِنَة من ريح البئر أو غير ذلك فغُشي عليه، أو دارَ رأسه. وتأسّن الماء: تغيّر.

قال الزَمْخَشريّ[6]: ماءُ آسِن، وتقول: بعض الوسَن شبيه بالأسَن، وهو الغشْي من ريح البئر، أسِن الماء فهو آسِن.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الجمهرة.
(4) تهذيب اللغة.
(5) الصحاح في اللغة.
(6) أساس البلاغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [مُحَمَّد: 15].

قال الطبري[1]: غير متغير الريح، يقال منه: قد أَسِنَ ماء هذه البئر: إذا تغيرت ريح مائها فأنتنت، فهو يأْسَن أَسَناً، وكذلك يُقال للرجل إذا أصابته ريح منتنة: قد أَسِن فهو يأْسَن. وأما إذا أَجَن الماء وتغير، فإنه يقال له: أَسِن فهو يأْسَن، ويأْسِن أسوناً، وماء آسن.

قال القرطبي[2]: غير متغير الرائحة. والآسِن من الماء مثل الآجِن. وقد أَسَن الماء يأسُن ويأسِن (أَسْناً و) أُسُوناً إذا تغيّرت رائحته. وكذلك أَجَن الماء يأجُن ويأجِن أَجْناً وأُجُوناً. ويقال بالكسر فيهما: أَجِن وأَسِن يأسن ويأجن أَسْناً وأَجْناً؛ قاله اليزيدي. وأَسِن الرجل أيضاً يأسَن (بالكسر لا غير) إذا دخل البئر فأصابته ريح منتِنة من ريح البئر أو غير ذلك فغشِي عليه أو دار رأسُه.

ويروى «الوسن». وتأسّن الماء تغيّر. أبو زيد: تأسّن عليّ تأسّناً: ٱعتلّ وأبطأ. أبو عمرو: تأسّن الرجل أباه أخذ أخلاقه. وقال اللّحياني: إذا نزع إليه في الشَّبه. وقراءة العامة «آسن» بالمدّ. وقرأ ٱبن كثير وحُميد «أسن» بالقصر، وهما لغتان؛ مثل حاذر وحذر. وقال الأخفش: أسن للحال، وآسن (مثل فاعل) يراد به الاستقبال.

قال البيضاويّ[3]: (ءاسِنٍ) من أسن الماء بالفتح إذا تغير طعمه وريحه، أو بالكسر على معنى الحدوث. وقرأ ابن كثير «أسن».

قال الألوسي[4]: أي غير متغير الطعم والريح لطول مكث ونحوه، وماضيه

---

(1) جامع البيان.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) أنوار التنزيل.
(4) روح المعاني.

أَسَنَ بالفتح من باب ضرب ونصر وبالكسر من باب عَلِمَ حكى ذلك الخفاجي عن أهل اللغة. وفي «البحر» أسن الماء: تغير ريحه يأسَن ويأسِن ذكره ثعلب في «الفصيح»، والمصدر أسون، وأسِن بكسر السين يأسَن بفتحها لغة أسناً قاله اليزيدي، وأسِن الرجل بالكسر لا غير إذا دخل البئر فأصابته ريح منتنة منها فغشي عليها أو دار رأسه.

وقرأ ابن كثير وأهل مكة (أسن) على وزن حذر فهو صفة مشبهة أو صيغة مبالغة، وقرأ (يسن) بالياء قال أبو علي: وذلك على تخفيف الهمزة.

أسوة

(أسوة - قدوة - عبرة - عظة - مثل)

- **الأُسْوَة:** اتباع غيرك فيما تكره فيخف ألمك ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21].
- **القُدْوَة:** اتباع غيرك فيما تحب ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: 90].

- **العِبْرَة:** أن تعرف الصواب من فعل غيرك فتعبر إليه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: 13].
- **العظة:** أن تعرف خطأك من فعل غيرك المسيىء فتنأى عنه ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 66].
- **المَثَل:** النسخة المتفق عليها فيما هو مختلف فيه ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النور: 34].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الهمزة والسّين والواو أصل واحد يدلّ على المُداواة

(1) معجم مقاييس اللغة.

والإصلاح، يقال: أسَوْتُ الجُرح: إذا داويتَه، ولذلك يسمّى الطّبيب الأسيّ. ويقال: أسَوْتُ الجُرح أسْواً وأسّاً: إذا داويته.

قال الخَليل[1]: الأَسْوْ: علاج الطّبيب الجراحات بالأدوية والخياطة، أَسَا يأسُو أسْواً. وقيل: الآسية: المُعالجة والمُداوية، والجمع: أسياتٌ وأواسٍ. وأمّا أواسي المسجد فواحدتها: آسية، وهي السّارية.

قال الجَوهَريّ[2]: آسَيتُه بمالي مواساة، أي: جعلته إسْوتي فيه، وواسَيتُه لغة ضعيفة فيه. والإسْوة والأُسوة بالكسر والضّمّ: لغتان، وهي ما يَأْتَسِي به الحزين، يتعزّى به. وجمعها: إسًى وأُسًى، ثمّ سمّي الصّبر أُسًى.

قال الرّاغِب[3]: الأُسْوة والإِسْوة كالقِدْوة والقُدوة، وهي الحالة الّتي يكون الإنسان عليها في اتّباع غيره إن حسَناً وإن قبيحاً وإن سارًّا وإن ضارًّا.

قال الزَمخْشَريّ[4]: أسَوْتُ الجُرح أسْواً وأساً، وهو آسٍ من قوم أُساةٍ، وآسِيَة من نساء أواسٍ. ويقولون للخافضة: الآسِيَة.

والأَسِيّ: الطبيب الجرّاح فهو يؤلمك ليشفيك، وهكذا هي الأُسْوَة الحسنة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: 21].

قال البغوي[5]: قرأ عاصم: «أسوة» حيث كان، بضم الهمزة، والباقون

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) أساس البلاغة.
(5) معالم التنزيل.

بكسرها، وهما لغتان، أي قدوة صالحة، وهي فعلة من الائتساء، كالقدوة من الاقتداء، اسم وضع موضع المصدر.

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: فما حقيقة قوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. وقرىء: «أسوة» بالضم؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أنه في نفسه أسوة حسنة، أي: قدوة، وهو الموتسى [به]، أي: المقتدى به، كما تقول: في البيضة عشرون منا حديد، أي: هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد. والثاني: أن فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها وتتبع. وهي المواساة بنفسه.

قال الألوسي[2]: والإسوة بكسر الهمزة كما قرأ الجمهور وبضمها كما قرأ عاصم: الخصلة، وقال الراغب: الحالة التي يكون عليها الإنسان وهي اسم ﴿كَانَ﴾ و﴿لَكُمْ﴾ الخبر و﴿فِي رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ متعلق بما تعلق به ﴿لَكُمْ﴾ أو في موضع من ﴿أُسْوَةٌ﴾ لأنه لو تأخر جاز أن يكون نعتاً لها أو متعلقاً بكان على مذهب من أجاز فيها ناقصة وفي أخواتها أن تعمل في الظرف، وجوز أن يكون ﴿فِي رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ الخبر و﴿لَكُمْ﴾ تبيين أي: أعني لكم أي: والله لقد كان لكم في رسول الله خصلة حسنة من حقها أن يؤتسى ويقتدى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد؛ ويجوز أن يراد بالأسوة القدوة بمعنى المقتدى على معنى هو ﷺ في نفسه قدوة يحسن التأسي به، وفي الكلام صنعة التجريد وهو أن ينتزع من ذي صفة آخر مثله فيها مبالغة في الاتصاف نحو لقيت منه أسداً وكقوله: في البيضة عشرون منا حديد أي هي في نفسها هذا القدر من الحديد. والآية وإن سيقت للاقتداء به عليه الصلاة والسلام في أمر الحرب من الثبات ونحوه فهي عامة في كل أفعاله ﷺ إذا لم يعلم أنها من خصوصياته كنكاح ما فوق أربع نسوة؛ أخرج ابن ماجه وابن أبي حاتم عن حفص بن عاصم قال: قلت لعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما رأيتك في السفر لا تصلي قبل الصلاة ولا بعدها فقال: يا ابن أخي صحبت

(1) الكشاف. (2) روح المعاني.

رسول الله ﷺ كذا وكذا فلم أره يصلي قبل الصلاة ولا بعدها ويقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وأخرج عبد الرزاق في «المصنف» عن قتادة قال: هم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن ينهى عن الحبرة فقال رجل: أليس قد رأيت رسول الله ﷺ يلبسها؟ قال عمر: بلى قال الرجل: ألم يقل الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فترك ذلك عمر رضي الله تعالى عنه. وأخرج الشيخان والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن ابن عمر أنه سئل عن رجل معتمر طاف بالبيت أيقع على امرأته قبل أن يطوف بين الصفا والمروة فقال: قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين وسعى بين الصفا والمروة ثم قرأ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

● **قال تعالى**: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [المُمتَحنَة: 6].

قال الزمخشري[1]: ثم كرّر الحث على الائتساء بإبراهيم وقومه تقريراً وتأكيداً عليهم، ولذلك جاء به مصدّراً بالقسم لأنه الغاية في التأكيد، وأبدل عن قوله: ﴿لَكُمْ﴾ قوله: ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ وعقبه بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ فلم يترك نوعاً من التأكيد إلا جاء به.

قال القرطبي[2]: أي في إبراهيم ومن معه من الأنبياء والأولياء. ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي في التبرّؤ من الكفار. وقيل: كرّر للتأكيد. وقيل: نزل الثاني بعد الأول بمدة؛ وما أكثر المكررات في القرآن على هذا الوجه.

قال أبو السعود[3]: تكريرٌ للمبالغةِ في الحثِّ على الائتساءِ به عليهِ الصلاةُ والسلامُ ولذلكَ صُدرَ بالقسمِ.

(1) الكشاف.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) إرشاد العقل السليم.

● **قال تعالى:** ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [الممتحنة: 4].

قال محمد الرازي(1): فإن قيل: من ماذا أستثني قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ قلنا: من قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ لأنه سبحانه أراد بالأسوة الحسنة قوله الذي حكاه عنه وعن اتباعه وأشياعه ليقتدوا به ويتخذوه سُنّة يستنون بها واستثنى سبحانه استغفار لأبيه لأنه بوعدة وعدها إياه. فإن قيل: فكيف إذن عطف عليه قوله: ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ وهو لا يصح استثناؤه، إلا ترى إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الفتح: 11]. قلنا: المقصود بالاستثناء هذه الجملة الأولى فقط، وما بعدها ذكر لأنه من تمام كلام إبراهيم عليه السلام لا بقصد الاستثناء، كأنه قال: (أنا أستغفر لك، وما طاقتي إلا الاستغفار).

(1) الأنموذج الجليل من غريب التنزيل.

أسى

(أسى - بث - حزن - غم - هم)

- **الأَسَى:** الحزن على فقد عزيز ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: 68].
- **الحُزْن:** خشونة في النفس لما يحصل فيها وحشة تؤدي إلى البكاء ﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾ [التوبة: 92].
- **البَثُّ:** المجاهرة بالحزن الذي يشتت الفكر ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: 86].
- **الغَمُّ:** الحزن الشديد من كربة شديدة مضت ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ [يونس: 71].
- **الهَمُّ:** انشغال البال بحزن قادم ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: 154].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الهمزة والسّين والياء كلمة واحدة، وهو الحزن، يقال: أَسَيْتُ على الشّيء آسى أَسًى، أي: حزنتُ عليه.

قال الخَليل[2]: الأسَى، مقصور: الحُزن على الشّيء، أَسِي يأسَى أَسًى فهو

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) العين.

أسْيانٌ، والمرأة أسْيَى، والجميع: أسايا، وأسْيانون، وأسْيَيات. ويجوز في الوحدان: أسْيان وأسْوان.

قال ابن دُرَيْد[1]: آسَيْت الرّجل وواسَيْتُه مُواساة. وآسِى الرّجل يأسِى أسًى شديداً، فهو أسْيان إذا حزِن.

قال الأزهَريّ[2]: يقال: آسيْتُ فُلاناً بمصيبه: إذا عزّيتَه؛ وذلك إذا ضربتَ له الأُسَى، وهو أن تقول له: ما لَك تحزن؟

قال الجَوهَريّ[3]: أسّيتُه تأسِية، أي: عزيتُه. وتأسّى به، أي: تعزّى. وأسِي على مصيبته بالكسر، يأسَى أسًى، أي: حزِن. وقد أسِيْتُ لفلان، أي: حزِنتُ له.

قال الرّاغِب[4]: الأسى: الحزن، وحقيقته اتّباع الفائت بالغمّ، يقال: أسِيْتُ عليه أسًى وأسِستُ له.

قال الزَمخْشَريّ[5]: التّأسِية: التّعزية، هي تحريض المصاب على الأُسى والصّبر.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: 26].

قال الطبري[6]: فلا تحزن، يقال منه: أَسِيَ فلان على كذا يَأْسَى أَسًى، وقد أسيت من كذا: أي حزنت.

(1) الجمهرة.
(2) تهذيب اللغة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) مفردات الراغب.
(5) أساس البلاغة.
(6) جامع البيان.

يعني: لا تهلك حزناً. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: عن عليّ، عن ابن عباس: فَلا تَأْسَ يقول: فلا تحزن.

قال الزمخشري[1]: فلا تحزن عليهم لأنه ندم على الدعاء عليهم، فقيل: إنهم أحقاء لفسقهم بالعذاب، فلا تحزن ولا تندم.

قال أبو حيان[2]: الظاهر أن الخطاب من الله تعالى لموسى عليه السلام. قال ابن عباس: ندم موسى على دعائه على قومه وحزن عليهم انتهى. فهذه مسلاة لموسى عليه السلام عن أن يحزن على ما أصاب قومه، وعلل كونه لا يحزن بأنهم قوم فاسقون بهوت أحقاء بما نالهم من العقاب. وقيل: الخطاب لمحمد ﷺ، والمراد بالفاسقين معاصروه أي: هذه فعال أسلافهم فلا تحزن أنت بسبب أفعالهم الخبيثة معك وردّهم عليك فإنها سجية خبيثة موروثة عندهم.

قال الفخر الرازي[3]: وجائز أن يكون ذلك خطاباً لمحمد ﷺ، أي لا تحزن على قوم لم يزل شأنهم المعاصي ومخالفة الرسل.

● **قال تعالى**: ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: 93].

قال الفخر الرازي[4]: الأسى: شدة الحزن.

إذا عرفت هذا فنقول: في الآية قولان:

القول الأول: أنه اشتد حزنه على قومه، لأنهم كانوا كثيرين، وكان يتوقع منهم الاستجابة للإيمان، فلما أن نزل بهم ذلك الهلاك العظيم، حصل في قلبه من جهة الوصلة والقرابة والمجاورة وطول الألفة. ثم عزى نفسه وقال: ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ لأنهم هم الذين أهلكوا أنفسهم بسبب إصرارهم على الكفر.

---

(1) الكشاف.
(2) البحر المحيط.
(3) التفسير الكبير.
(4) التفسير الكبير.

والقول الثاني: أن المراد لقد أعذرت إليكم في الإبلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم، فلم تسمعوا قولي، ولم تقبلوا نصيحتي ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ يعني أنهم ليسوا مستحقين بأن يأسى الإنسان عليهم. قال صاحب «الكشاف»: وقرأ يحيى بن وثاب (فَكَيْفَ إِسىٰ) بكسر الهمزة.

قال البغوي[1]: أحزن، والأسى: الحزن، والأسى: الصبر.

قال القرطبي[2]: أي أحزن: أسيت على الشيء آسَى أسىً، وأنا آسٍ.

(1) معالم التنزيل. (2) الجامع لأحكام القرآن.

أشر

(أشر - بطر - سفه)

- **الأَشَرُ:** شدة البطر بالترفع عن الناس والعلو عليهم بما ادعاه من كذب ﴿سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ﴾ [القَمر: 26].
- **البَطَرُ:** الطغيان عند النعمة يؤدي إلى سوء استعمالها ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال: 47].
- **السَّفَهُ:** الاستهانة المرذولة بالمال والنعمة ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ﴾ [النِّساء: 5].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الهمزة والشّين والرّاء، أصل واحد يدلّ على الحِدّة. من ذلك قولهم: هو أشِرٌ، أي: بَطِرٌ مُتسرّعٌ ذو حِدّة. ويقال منه: أشِر يأشَر. ومنه قولهم: ناقةٌ مِئشيرٌ «مِفْعيل» من الأشَر. ورجلٌ أَشِر وأَشُرٌ والأُشُر: رقّة وحِدّة في أطراف الأسنان.

قال الخَليل(2): الأشَرُ: المرَح والبَطَر. ورجلٌ أشِرٌ وأشْرانُ، وقومٌ أَشارَى وأُشارَى.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال ابن دُرَيْد[1]: . . . ونشرتُ العُود بالمنشار نَشراً ووَشَرتُه وشَرْاً وأشرتُه أشْراً. في لغة من سمّى المنشار منْشاراً.

قال الأزهَريّ[2]: والأشَر: المرَح والبَطَر، ورجلٌ أشِرٌ وأشْرانُ، وقوم أشارَى، وامرأة مِئْشير، بغير هاءٍ، مثل الرّجل.

قال الجَوهَريّ[3]: الأشَر: البَطَر، وقد أشِر بالكسر، يأشَر أشَراً، فهو أشِرٌ وأشْرانٌ. وقومٌ أُشارَى، مثل سكران وسُكارَى.

قال الراغب[4]: الأَشَر شدّة البطر، وقد أَشِر يَأْشُر أَشْراً، والأَشَر أبلغ من البطر، والبطر أبلغ من الفرح.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ [القمر: 25-26].

قال الطبري[5]: قالوا: ما ذلك كذلك، بل هو كذّاب أشر، يعنون بالأشر: المَرِح ذا التجبُّر والكبرياء، والمَرِح من النشاط. وقد: حدثني الحسن بن محمد ابن سعيد القرشيّ، قال: قلت لعبد الرحمٰن بن أبي حماد: ما الكذّاب الأشر؟ قال: الذي لا يبالي ما قال، وبكسر الشين من الأشِر وتخفيف الراء قرأت قرّاء الأمصار. وذُكر عن مجاهد أنه كان يقرأه: «كَذَّابٌ أَشُرٌ» بضم الشين وتخفيف الراء، وذلك في الكلام نظير الحِذر والحذُر والعَجِل والعَجُل.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا، ما عليه قرّاء الأمصار لإجماع الحجة

(1) الجمهرة.
(2) تهذيب اللغة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) مفردات الراغب.
(5) جامع البيان.

من القرّاء عليه. وقوله: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ [القَمَر: 26] يقول تعالى ذكره: قال الله لهم: ستعلمون غداً في القيامة من الكذّاب الأشر منكم معشر ثمود، ومن رسولنا صالح حين تردون على ربكم، وهذا التأويل تأويل من قرأه «سَتَعْلَمُونَ» بالتاء، وهي قراءة عامة أهل الكوفة سوى عاصم والكسائي. وأما تأويل ذلك على قراءة من قرأه بالياء، وهي قراءة عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وعاصم والكسائي، فإنه قال الله: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ [القَمَر: 26] وترك من الكلام ذكر قال الله، استغناء بدلالة الكلام عليه.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، لتقارب معنييهما، وصحتهما في الإعراب والتأويل.

قال الفخر الرازي(1): ﴿أَشِرٌ﴾ إشارة إلى أنه كذب لا لضرورة وحاجة إلى خلاص كما يكذب الضعيف، وإنما هو استغنى وبطر وطلب الرياسة عليكم وأراد اتباعكم له فكان كل وصف مانعاً من الاتباع لأن الكاذب لا يلتفت إليه، ولا سيما إذا كان كذبه لا لضرورة، وقرىء: ﴿أَشِرٌ﴾ فقال المفسرون: هذا على الأصل المرفوض في الأشر والأخير على وزن أفعل التفضيل، وإنما رفض الأصل فيه لأن أفعل إذا فسر قد يفسر بأفعل أيضاً والثاني بأفعل ثالث، مثاله إذا قال: ما معنى الأعلم؟ يقال: هو الأكثر علماً فإذا قيل: الأكثر ماذا؟ فيقال: الأزيد عدداً أو شيء مثله فلا بد من أمر يفسر به الأفعل لا بمن بابه فقالوا: أفعل التفضيل والفضيلة أصلها الخير والخير أصل في باب أفعل فلا يقال: فيه أخير، ثم إن الشر في مقابلة الخير يفعل به ما يفعل بالخير فيقال: هو شر من كذا وخير من كذا والأشر في مقابلة الأخير، ثم إن خيراً يستعمل في موضعين: أحدهما: مبالغة الخير بفعل أو أفعل على اختلاف يقال: هذا خير وهذا أخير ويستعمل في مبالغة

(1) التفسير الكبير.

خير على المشابهة لا على الأصل فمن يقول: أشر يكون قد ترك الأصل المستعمل لأنه أخذ في الأصل المرفوض بمعنى هو شر من غيره وكذا معنى الأعلم أن علمه خير من علم غيره، أو هو خير من غرة الجهل كذلك القول في الأضعف وغيره.

قال القرطبي(1): الأشر: المرح والتجبر والنشاط، يقال: فرس أشر إذا كان مرحاً نشيطاً. وقيل إنه المتعدي إلى منزلة لا يستحقها.

وقرأ ابن عامر وحمزة بالتاء على أنه من قول صالح لهم على الخطاب. الباقون بالياء إخبار من الله تعالى لصالح عنهم. وقوله: «غَداً» على التقريب على عادة الناس في قولهم للعواقب: إن مع اليوم غداً؛ إنما أراد وقت الموت ولم يرد غداً بعينه. ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ [القمر: 26] وقرأ أبو قِلابة «الأَشَرُّ» بفتح الشين وتشديد الراء جاء به على الأصل. قال أبو حاتم: لا تكاد العرب تتكلم بالأَشَرّ والأَخيَر إلا في ضرورة الشعر؛ وإنما يقولون هو خير قومه، وهو شر الناس؛ قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: 110] وقال: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [مريَم: 75].

وعن أبي حيوة بفتح الشين وتخفيف الراء. وعن مجاهد وسعيد بن جُبير ضم الشين والراء والتخفيف، قال النحاس: وهو معنى «الأشِر» ومثله رجل حَذِر وحَذُر.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.

أوصد

(أوصد - أغلق - أقفل)

- **أَوْصَدَ:** إغلاق الباب من الإمام ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ [البلد: 20].
- **الإِغْلاقُ:** من الخلف ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: 23].
- **الإِقْفَالُ:** إغلاق بالقفل يقال: أقفلت الباب ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: 24].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الهمزة والصّاد والدّال شيءٌ يشتمل على الشّيء، يقولون للحظيرة: أصيدةً، سمّيت بذلك لاشتمالها على مافيها. ومن ذلك الأُصْدة، وهو قميص صغير يلبسه الصّبايا. ويقال: صبيّةٌ ذات مُؤصّد.

قال الخَليل(2): الإصْدُ والإِصَاد والوِصاد اسم، والإيصادُ المصدر. والإصادُ والإصْدُ، هما بمنزلة المُطْبِق، يقال: أطبق عليهم الإصاد والوِصاد والإصْد. وأصدتُ عليهم وأوصدَته، والهَمز أعرَف.

قال ابن دُرِيْد(3): أَصدْتُ إيصاداً، إذا لبست المُؤصدُ والأُصْدَة، وهي بُقَيْرَة صغيرة يلبسها الصّبيان.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الجمهرة.

قال الأزهَريّ[1]: قال أبو مالك: أصَدَتْنا مُذ اليوم، أي: أذَبَتَنا إصادةً.

قال الجَوهَريّ[2]: الأُصْدَة، بالضّمّ: قميصٌ يُلبس تحت الثَّوب، وتَلبسه أيضاً صِغار الجَواري.

قال الزَمخْشَريّ[3]: أصدتُ الباب وأوصدَتهُ: أغلقتُه، وبابٌ مُؤصَدٌ وقِدرٌ مُؤصَدةٌ: مُطَبقة. وتقول: هو بالشّرّ مُرْصَد، وباب الخَيرْ عنه مُؤصَد.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ [البَلَد: 20].

قال الزمخشري[4]: قرىء: «موصدة» بالواو والهمزة، من وصدت الباب وآصدته: إذا أطبقته وأغلقته. وعن أبي بكر بن عياش: لنا إمام يهمز مؤصدة؛ فأشتهي أن أسدّ أذني إذا سمعته.

قال الفخر الرازي[5]: يعني أبوابها مطبقة فلا يفتح لهم باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح أبد الآباد، وقيل: المراد إحاطة النيران بهم، كقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: 29]. (المؤصدة) هي الأبواب، وقد جرت صفة للنار على تقدير: عليهم نار مؤصدة الأبواب، فكلما تركت الإضافة عاد التنوين لأنهما يتعاقبان، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

قال الألوسي[6]: والمراد مغلقة أبوابها وإنما أغلقت لتشديد العذاب والعياذ بالله تعالى عليهم وصرح بوعيدهم ولم يصرح بوعد المؤمنين لأنه الأنسب بما سيق

---

(1) تهذيب اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) أساس البلاغة.
(4) الكشاف.
(5) التفسير الكبير.
(6) روح المعاني.

له الكلام والأوفق بالغرض والمرام ولذا جيء بضمير الفصل معهم لإفادة الحصر.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهُمَزة: 8].

قال النيسابوري[1]: والمؤصدة المطبقة الأبواب أصدت الباب وأوصدته لغتان. يوصد عليهم الأبواب ويمدد على الأبواب العمد استيثاقاً في استيثاق. وجوز أن يراد أن أبواب النار عليهم مؤصدة حال كونهم مؤثقين في عمد مقطرة، والمقطرة خشبة فيها خروق يدخل فيها أرجل المحبوسين.

قال الفخر الرازي[2]: أي مطبقة من أصدت الباب وأوصدته لغتان، ولم يقل: مطبقة لأن المؤصدة هي الأبواب المغلقة، والإطباق لا يفيد معنى الباب. واعلم أن الآية تفيد المبالغة في العذاب من وجوه أحدها: أن قوله: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ [الهُمَزة: 4] يقتضي أنه موضع له قعر عميق جداً كالبئر وثانيها: أنه لو شاء يجعل ذلك الموضع بحيث لا يكون له باب لكنه بالباب يذكرهم الخروج، فيزيد في حسرتهم وثالثها: أنه قال: ﴿عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ ولم يقل: مؤصدة عليهم لأن قوله: ﴿عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ يفيد أن المقصود أولاً كونهم بهذه الحالة، وقوله مؤصدة عليهم لا يفيد هذا المعنى بالقصد الأول.

قال أبو السعود[3]: أي مطبقة من أوصدت الباب وأصدته أي: أطبقته.

(1) غرائب القرآن.
(2) التفسير الكبير.
(3) إرشاد العقل السليم.

إصر

(إصر - إلّ - ذمَّة - عهد - ميثاق)

- **الإِصْرُ:** العبء الثقيل الشاق إذا حمل، والعهد إذا أخذ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ [البَقَرَة: 286].
- **الإِلُّ:** كل سبب بين اثنين يفرض حقّاً لأحدهما من قرابة أو فضل أو سنّ الخ. . . . ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبَة: 10].
- **الذِّمَّةُ:** حق القرابة من أبوين وأرحام. ﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبَة: 8].
- **العهد:** الموثق اللازم الوفاء ديناً وأخلاقاً.

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 34].

- **المِيثَاقُ:** عقد مؤكد بيمين وعهد ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النِّساء: 21] والاسم منه (الموثق) ﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾ [يُوسُف: 66].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الهمزة والصّاد والرّاء أصل واحد يتفرّع منه أشياء متقاربة. فالأَصِر: الحبس والعَطف وما في معناهما، وتفسير ذلك أنّ العهد يقال له: إِصْرٌ، والقرابة تسمّى آصِرة، وكلّ عقدٍ وقرابةٍ وعهدٍ إِصْرٌ، والباب كلّه واحد.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخَليل[1]: الإِصْرُ: الثُقل، والآصْرُ: الحَبْس، وهو أن يحبسوا أموالهم بأفنيتهم فلا يرعونها، لأنّهم لا يجدون مرعًى، وكذلك الأصْر يأصِرونها ولا يُصَرّونها، وهذا لشدّة الزّمان.

قال الأزهَريّ[2]: المآصِر يقال: هو مأخوذ من آصِرَة العهد، إنّما هو عقْد ليُحبَس به. ويقال للشّيء الّذي تُعقْد به الأشياء: الإصار، من هذا.

قال الجَوهَريّ[3]: أصرَه يأصرُه أصْراً: حبسه. والموضع مأصِر ومأصَر، والجمع: مآصِر، والعامّة تقول: معاصِر. يقال: ما تأصِرني على فلان آصِرة، أي: ما تعطِفني عليه قرابة ولا منّة.

قال الزمخشري[4]: هو أوفى من أن يخيس بالعهد، أو ينقض الإصر. ولا إصر بيني وبينهم. وبينهم آصار يرعونها، أي: عهود ومواثيق.

قال الراغب[5]: الأَصْر: عقد الشيء وحبسه بقهره، يقال: أصرته فهو مأصور. والمَأصِرُ والمَأْصَرُ: محبس السفينة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ [البَقَرَة: 286].

قال الطبري[6]: يعني بذلك جلّ ثناؤه: قولوا: ربنا لا تحمل علينا إصْراً: يعني بالإِصْر: العهد، كما قال جل ثناؤه: ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ﴾ [آل عمران: 81]. وإنما عنى بقوله: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾: ولا تحمل علينا

---

(1) العين.
(2) تهذيب اللغة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) أساس البلاغة.
(5) مفردات الراغب.
(6) جامع البيان.

عهداً، فنعجز عن القيام به ولا نستطيعه، ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ يعني على اليهود والنصارى الذين كلفوا أعمالاً وأخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بها، فلم يقوموا بها، فعوجلوا بالعقوبة. فعلم الله عزّ وجلّ أمة محمد ﷺ الرغبة إليه بمسألته أن لا يحملهم من عهوده ومواثيقه على أعمال إن ضيعوها أو أخطأوا فيها أو نسوها مثل الذي حمل من قبلهم، فيحلّ بهم بخطئهم فيه وتضييعهم إياه مثل الذي أحلّ بمن قبلهم.

وقال آخرون: معنى الإصر بكسر الألف: الثقل. ذكر من قال ذلك:

عن الربيع قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ يقول: التشديد الذي شددته على من قبلنا من أهل الكتاب.

قال الفخر الرازي(1): ذكر أهل التفسير فيه وجهين الأول: لا تشدد علينا في التكاليف كما شددت على من قبلنا من اليهود، قال المفسرون: إن الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة، وأمرهم بأداء ربع أموالهم في الزكاة، ومن أصاب ثوبه نجاسة أمر بقطعها، وكانوا إذا نسوا شيئاً عجلت لهم العقوبة في الدنيا، وكانوا إذا أتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالاً لهم، قال الله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: 160].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْۖ﴾ [النساء: 66] وقد حرم على المسافرين من قوم طالوت الشرب من النهر، وكان عذابهم معجلاً في الدنيا، كما قال: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ [النِّساء: 47] وكانوا يمسخون قرد وخنازير، قال القفال: ومن نظر في السفر الخامس من التوراة التي تدعيها هؤلاء اليهود وقف على ما أخذ عليهم من غلظ العهود والمواثيق، ورأى الأعاجيب الكثيرة، فالمؤمنون سألوا ربهم أن يصونهم

(1) التفسير الكبير.

عن أمثال هذه التغليظات، وهو بفضله ورحمته قد أزال ذلك عنهم، قال الله تعالى في صفة هذه الأمة: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: 157] وقال ﷺ: «**رفع عن أمتي المسخ والخسف والغرق**» وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33] وقال عليه الصلاة والسلام: «**بعثت بالحنيفية السهلة السمحة**» والمؤمنون إنما طلبوا هذا التخفيف لأن التشديد مظنة التقصير، والتقصير موجب للعقوبة، ولا طاقة لهم بعذاب الله تعالى، فلا جرم طلبوا السهولة في التكاليف.

والقول الثاني: لا تحمل علينا عهداً وميثاقاً يشبه ميثاق من قبلنا في الغلظ والشدة، وهذا القول يرجع إلى الأول في الحقيقة لكن بإضمار شيء زائد على الملفوظ، فيكون القول الأول أولى.

لقائل أن يقول: دلّت الدلائل العقلية والسمعية على أنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، فما السبب في أن شدد التكليف على اليهود حتى أدى ذلك إلى وقوعهم في المخالفات والتمرد، قالت المعتزلة: من الجائز أن يكون الشيء مصلحة في حق إنسان، مفسدة في حق غيره، فاليهود كانت الفظاظة والغلظة غالبة على طباعهم، فما كانوا ينصلحون إلا بالتكاليف الشاقة والشدة، وهذه الأمة كانت الرقة وكرم الخلق غالباً على طباعهم، فكانت مصلحتهم في التخفيف وترك التغليظ.

قال القاسمي[1]: أي عهداً يثقل علينا.

● **قال تعالى**: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: 157].

قال الطبري[2]: فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: يعني

---

(1) محاسن التأويل.
(2) جامع البيان.

بالإصر: العدة والميثاق الذي كان أخذه على بني إسرائيل بالعمل بما في التوراة. وقال بعضهم: عني بذلك أنه يضع عمن اتبع نبيّ الله ﷺ التشديد الذي كان على بني إسرائيل في دينهم. ذكر من قال ذلك.

قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ قال: هي من الأعمال الشديدة كقطع الجلد من البول، وتحريم الغنائم، ونحو ذلك من الأعمال التي كانت عليهم مفروضة، فنسخها حكم القرآن.

قال القرطبي[1]: الإِصْر: الثقل؛ قاله مجاهد وقتادة وابن جبير. والإصر أيضاً: العهد؛ قاله ابن عباس والضحاك والحسن. وقد جمعت هذه الآية المعنيين، فإن بني إسرائيل قد كان أخذ عليهم عهد أن يقوموا بأعمال ثقال؛ فوضع عنهم بمحمد ﷺ ذلك العهد وثقل تلك الأعمال؛ كغسل البول، وتحليل الغنائم ومجالسة الحائض ومؤاكلتها ومضاجعتها؛ فإنهم كانوا إذا أصاب ثوب أحدهم بول قرضه. وروي: جلد أحدهم. وإذا جمعوا الغنائم نزلت نار من السماء فأكلتها، وإذا حاضت المرأة لم يقربوها، إلى غير ذلك مما ثبت في الحديث الصحيح وغيره.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

أصل

(أصل - أساس - عمود - إمام - قاعدة)

- **الأَصْلُ:** ما تفرع منه وجود شيء لم يكن ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: 24].
- **الأَسَاسُ:** ما يلامس الأرض وهو أول البناء ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: 109].
- **القَاعِدَةُ:** ما يقوم على أساس من البناء ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [البقرة: 127].
- **العَمُودُ:** ما يرفع عليه البناء بعد القاعدة ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرّعد: 2].
- **الإِمَامُ:** الطريق المتصل تتفرع عنه طرق كثيرة ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: 79].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الهمزة والصّاد واللّام ثلاثة أُصول متباعد بعضها من

(1) معجم مقاييس اللغة.

بعضٍ: أحدهما: أساس الشّيء والثّاني: الحَيّة والثّالث: ما كان من النّهار بعد العشيّ.

قال الخَليل[1]: استأصَلَتْ هذه الشّجرة، أي: ثَبَت أصلها. واستأصَل الله فلاناً، أي: لم يدَع له أصلاً. وفلانٌ أصيل الرّأي، وقد أصُل رأيه أصالةً، وإنّه لأصيل الرّأي والعَقْل.

قال الجَوهَريّ[2]: الأصْل: واحد الأُصول، يقال: أصْلٌ مُؤصَل. واستأصَلَه: أي قلعه من أصْله. الأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب، وجمعه: أُصُلٌ وآصالٌ وأصائِل، كأنّه جمع أصِيلة.

قال الزَمخَشَريّ[3]: قعد في أصْل الجبل وأصْل الحائط. وفلان لاأصْل له ولا فَصْل، أي لا نسب له ولا لسان. وأصَلتُ الشّيء تأصيلاً.

قال أبو هلال[4]: الفرق بين الأس والأصل: أن الأسّ لا يكون إلا أصلاً، وليس كل أصل أسًّا. وذلك أن أسّ الشيء لا يكون فرعاً لغيره مع كونه أصلاً. مثال ذلك أن الأصل الحائط يسمى أسّ الحائط، وفرع الحائط لا يسمى أسًّا لفرعه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: 205].

قال الطبري[5]: فإنه يعني بالبكر والعشيات. وأما الآصال فجمع. واختلف

---

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) أساس البلاغة.
(4) معجم الفروق اللغوية.
(5) جامع البيان.

أهل العربية فيها فقال بعضهم: هي جمع أصيل، كما الأيمان جمع يمين، والأسرار جمع سرير.

وقال آخرون منهم: هي جمع أصل، والأصل جمع أصيل. وقال آخرون منهم: هي جمع أصل وأصيل. قال: وإن شئت جعلت الأصل جمعاً للأصيل، وإن شئت جعلته واحداً. قال: والعرب تقول: قد دنا الأصل فيجعلونه واحداً. وهذا القول أولى بالصواب في ذلك، وهو أنه جائز أن يكون جمع أصيل وأصل، لأنهما قد يجمعان على أفعال. وأما الآصال فهي فيما يقال في كلام العرب ما بين العصر إلى المغرب.

قال الفخر الرازي[1]: خص الغدو والآصال بهذا الذكر، والحكمة فيه أن عند الغدوة انقلب الإنسان من النوم الذي هو كالموت إلى اليقظة التي هي كالحياة، والعالم انقلب من الظلمة التي هي طبيعة عدمية إلى النور الذي هو طبيعة وجودية. وأما عند الآصال فالأمر بالضد لأن الإنسان ينقلب فيه من الحياة إلى الموت، والعالم ينقلب فيه من النور الخالص إلى الظلمة الخالصة، وفي هذين الوقتين يحصل هذان النوعان من التغيير العجيب القوي القاهر ولا يقدر على مثل هذا التغيير إلا الإله الموصوف بالحكمة الباهرة والقدرة الغير المتناهية، فلهذه الحكمة العجيبة خص الله تعالى هذين الوقتين بالأمر بالذكر. ومن الناس من قال: ذكر هذين الوقتين والمراد مداومة الذكر والمواظبة عليه بقدر الإمكان.

قال الألوسي[2]: (وَالأَصَالِ) جمع أصل، وأصل جمع أصيل - أعني ما بين العصر إلى غروب الشمس - فهو جمع الجمع وليس للقلة وليس جمعاً لأصيل لأن فعيلاً لا يجمع على أفعال، وقيل: إنه جمع له لأنه قد يجمع عليه كيمين وأيمان، وقيل: إنه جمع لأصل مفرداً كعنق ويجمع على أصلان أيضاً، والجار متعلق باذْكُر، وخص هذان الوقتان بالذكر قيل لأن الغدوة عندها ينقلب الحيوان من النوم

(1) التفسير الكبير. (2) روح المعاني.

الذي هو كالموت إلى اليقظة التي هي كالحياة، والعالم يتحول من الظلمة التي هي طبيعة عدمية إلى النور الذي هو طبيعة وجودية، وفي الأصل الأمر بالعكس، أو لأنهما وقتا فراغ فيكون الذكر فيهما ألصق بالقلب، وقيل: لأنهما وقتان يتعاقب فيهما الملائكة على ابن آدم، وقيل: ليس المراد التخصيص بل دوام الذكر واتصاله أي اذكر كل وقت.

● **قال تعالى:** ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [النُّور: 36].

قال الفخر الرازي(1): الآصال جمع أُصُل والأصُل جميع أصيل وهو العشي وإنما وجد الغدو لأنه في الأصل مصدر لا يجمع والأصيل اسم جمع، قال صاحب «الكشاف» بالغدو أي: بأوقات الغدو أي بالغدوات وقرىء (والإيصال) وهو الدخول في الأصيل يقال: آصل كأعتم وأظهر، قال ابن عباس رحمهما الله: إن صلاة الضحى لفي كتاب الله تعالى مذكورة وتلا هذه الآية. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من أحد يغدو ويروح إلى المسجد ويؤثره على ما سواه إلا وله عند الله نزل يعد له في الجنة**» وفي رواية سهل بن سعد مرفوعاً: «**من غدا إلى المسجد وراح ليعلم خيراً أو ليتعلمه كان كمثل المجاهد في سبيل الله يرجع غانماً**».

قال الشعراوي(2): والآصال: يعني المساء، فهي لا تخلو أبداً من ذكْر الله وتسبيحه، وقد وصف هؤلاء الذين يعمرون بيوت الله بالذكر والتسبيح بأنهم ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: 37].

قال الألوسي(3): واختار الزمخشري أنه جمع أصل كعنق وأعناق؛ والأصل كالأصيل: العشي وهو من زوال الشمس إلى الصباح فيشمل الأوقات ما عدا

(1) التفسير الكبير.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) روح المعاني.

الغداة، وهي من أول النهار إلى الزوال ويطلقان على أول النهار وآخره، وإفرادهما بالذكر لشرفهما وكونهما أشهر ما يقع فيه المباشرة للأعمال والاشتغال بالأشغال. وعن ابن عباس أنه حمل الغداة على وقت الضحى وهو مقتضى ما أخرج ابن أبي شيبة والبيهقي في «شعب الإيمان» عنه رضي الله تعالى عنه من قوله: «إن صلاة الضحى لفي القرآن وما يغوص عليها إلا غواص وتلا الآية حتى بلغ (الأَصَالِ)».

أُفّ

(أُفّ - بئس - تعس - قبح)

- **أُفّ:** اسم فعل لما يستقذر ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء: 67].
- **بئس:** اسم فعل لما يحتقر بشدة ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ [هُود: 99].
- **تَعُسَ:** لما ينكسر بشدة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محَمَّد: 8].
- **قُبحُ:** لما ينبو عنه البصر من الأعيان، وما تنبو النفس عنه من الصفات ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القَصَص: 42].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الخَليل(1): الأُفّ والأفف من «التأفيف» تقول: قد أفّفتُ فلاناً: إذا قلت له: أُفٌّ.

أبو زَيْد: الأُفُّ: وسخ الأذن، والتُّفُّ: وسخ الأظفار.

قال ابن الأعرابيّ: الأفَفُ: الضّجر. يقال: أتاني على إفّان ذاك، وأفّان ذاك، وأفَف ذاك، وعِدّان ذاك، وتَئِفّة ذاك، وتَئِفنه، بمعنًى واحد.

قال ابن سيده: الأُفّ: الوسَخ الّذي حول الظُّفر، والتُّفُّ: الّذي فيه(2).

(1) العين. (2) اللسان.

قال ابن دُرَيْد(1): أفَّ يَؤُفُّ. إذا تأفّف من كَرْب أو ضَجَر. ويقال: رجلُ أفّافٌ: كثير التأفُّف.

قال الرّاغِب(2): أصل الأُفّ: كلّ مستَقْذَر من وسخ وقُلامَة ظُفُرٍ، وما يجري مجراهما. ويقال ذلك لكلّ مستخفٍّ استقذاراً.

قال السجستاني(3): الأُفُّ: وسخ الأذن، والتُّفُّ: وسخ الأظافر.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23].

قال الطبري(4): يقول: فلا تؤفف من شيء تراه من أحدهما أو منهما مما يتأذّى به الناس، ولكن اصبر على ذلك منهما، واحتسب في الأجر صبرك عليه منهما، كما صبرا عليك في صغرك.

وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى «أفّ»، فقال بعضهم: معناه: كلّ ما غلظ من الكلام وقبُح. وقال آخرون: الأفّ: وسخ الأظفار، والتُّف: كلّ ما رفعت بيدك من الأرض من شيء حقير. وللعرب في «أُفّ» لغات ستّ رفعها بالتنوين وغير التنوين وخفضها كذلك ونصبها فمن خفض ذلك بالتنوين، وهي قراءة عامة أهل المدينة. شبهها بالأصوات التي لا معنى لها، كقولهم في حكاية الصوت غاق غاق، فخفضوا القاف ونوّنوها، وكان حكمها السكون، فإنه لا شيء يعربها من أجل مجيئها بعد حرف ساكن وهو الألف،

(1) الجمهرة.
(2) مفردات الراغب.
(3) نزهة القلوب.
(4) جامع البيان.

فكرهوا أن يجمعوا بين ساكنين، فحرّكوا إلى أقرب الحركات من السكون، وذلك الكسر، لأن المجزوم إذا حرّك، فإنما يحرّك إلى الكسر.

وأما الذين خفضوا بغير تنوين، وهي قراءة عامة قرّاء الكوفيين والبصريين، فإنهم قالوا: إنما يدخلون التنوين فيما جاء من الأصوات ناقصاً، كالذي يأتي على حرفين مثل: مَه وصَه وبَخ، فيتمم بالتنوين لنقصانه عن أبنيه الأسماء. قالوا: وأفٍّ تامٌ لا حاجة بنا إلى تتمته بغيره، لأنه قد جاء على ثلاثة أحرف. قالوا: وإنما كسرنا الفاء الثانية لئلا نجمع بين ساكنين. وأما من ضمّ ونوّن، فإنه قال: هو اسم كسائر الأسماء التي تُعرب وليس بصوت، وعدل به عن الأصوات. وأما من ضمّ ذلك بغير تنوين، فإنه قال: ليس هو باسم متمكن فيُعرب بإعراب الأسماء المتمكنة، وقالوا: نضمه كما نضمّ قوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الرُّوم: 4]، وكما نضمّ الاسم في النداء المفرد، فنقول: يا زيد. ومن نصبه بغير تنوين، وهو قراءة بعض المكيين وأهل الشام فإنه شبهه بقولهم: مدّ يا هذا وردّ. ومن نصب بالتنوين، فإنه أعمل الفعل فيه، وجعله اسماً صحيحاً، فيقول: ما قلت له: أفاً ولا تفاً. وكان بعض نحويي البصرة يقول: قُرِئت: أفّ، وأفًّا لغة جعلوها مثل نعتها. وقرأ بعضهم «أُفّ»، وذلك أن بعض العرب يقول: «أفّ لك» على الحكاية: أي لا تقل لهما هذا القول. قال: والرفع قبيح، لأنه لم يجيء بعده بلام، والذين قالوا: «أُفّ» فكسروا كثير، وهو أجود. وكسر بعضهم ونوّن. وقال بعضهم: «أُفّي»، كأنه أضاف هذا القول إلى نفسه، فقال: أُفّي هذا لكما، والمكسور من هذا منوّن وغير منوّن على أنه اسم غير متمكن، نحو أمس وما أشبهه، والمفتوح بغير تنوين كذلك. وقال بعض أهل العربية: كل هذه الحركات الستّ تدخل في «أفّ» حكاية تشبه بالاسم مرّة وبالصوت أخرى. قال: وأكثر ما تُكسر الأصوات بالتنوين إذا كانت على حرفين مثل صه ومه وبخ. وإذا كانت على ثلاثة أحرف شبهت بالأدوات «أفّ» مثل: ليت ومَدَّ، وأُفِّ مثل مُدِّ يُشبه بالأدوات. وإذا قال أَفَّ مثل صَهَّ. وقالوا سمعت مِضٍّ يا هذا ومِضُّ. وحُكي عن

الكسائي أنه قال: سمعت «ما علمك أهلك إلا مِضّ ومِضُّ»، وهذا كأفِّ وأفُّ. ومن قال: «أُفًّا» جعله مثل سُحْقاً وبُعداً.

والذي هو أولى بالصحة عندي في قراءة ذلك، قراءة من قرأه: «فلا تَقُلْ لَهُما أُفِّ» بكسر الفاء بغير تنوين لعلَّتين إحداهما: أنها أشهر اللغات فيها وأفصحها عند العرب والثانية: أن حظّ كلّ ما لم يكن له معرَب من الكلام السكون فلما كان ذلك كذلك. وكانت الفاء في أفّ حظها الوقوف، ثم لم يكن إلى ذلك سبيل لاجتماع الساكنين فيه، وكان حكم الساكن إذا حُرّك أن يحرّك إلى الكسر حرّكت إلى الكسر، كما قيل: مُدِّ وشُدِّ ورُدِّ الباب.

قال الزمخشري[1]: (أفّ) صوت يدل على تضجر. وقرىء: «أف» بالحركات الثلاث منوناً وغير منون: الكسر على أصل البناء، والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم، والضم اتباع كمنذ.

قال محمد الغزالي[2]: مع عبادة الله وحده يجيء البر بالوالدين ويدرك المرء قيمة هذه الوصاة عندما يتأمل في المجتمعات الغربية ويرمق ملاجىء العجزة من الآباء والأمهات عند البكر. لقد ضاقت بهم بيوتهم، وابتعد عنهم أولادهم وصاروا إلى هذه المباني المخصصة لهم حتى يدركهم الموت. إن الأجيال التي وهبت الحياة للأخرى لم تجد لديهم لمسة وفاء. إنهم ينطلقون في الدنيا انطلاق الوحش في السرية، حتى إذا ولى شبابهم سكنوا في مساكن آبائهم.

---

(1) الكشاف.

(2) التفسير الموضوعي.

أفق

(أفق - مشرق - مغرب - قطر - طرف)

- **الأُفُق:** ملتقى السماء والأرض في العين: وجمعها آفاق.. تحيط بالإنسان من كل جانب ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ [فُصّلت: 53].
- **المَشْرِقُ والمَغْرِبُ:** ناحية شروق الشمس وغروبها ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشُّعَرَاء: 28].
- **قُطْر:** أول حدود البلد أو الأرض أو السماء ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ﴾ [الرَّحمٰن: 33].
- **طَرَف:** جانب الشيء وحافته ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرّعد: 41].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الهمزة والفاء والقاف أصل واحد، يدلّ على تباعد ما بين أطراف الشّيء واتّساعه، وعلى بلوغ النّهاية.

قال الخليل[2]: أَفَق الرّجل يأفِقُ، أي: ركب رأسَه فمضى في الآفاق. والأفيق: الأديم إذا فُرِغ من دباغه، وريحهُ فيه بَعْدُ، والجميع: أَفَق.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الأزهَريّ[1]: يقال: أفّقه يأفِقه: إذا سبقه بالفضل.

قال الجَوهَريّ[2]: الآفاق: النّواحي، الواحد: أُفْق وأُفُق، مثل عُسْر وعُسُر. والآفِق: الّذي بلغ النّهاية في الكرم على: «فاعِل». تقول منه: أفِقَ - بالكسر - يأفَق أفَقًا. وفرس آفِقٌ قوبِل من آفِقٍ وآفِقةٍ، إذا كان كريم الطّرفين. والأفيق: الجلد الّذي لم تتمّ دِباغته. والجمع: أفَقٌ، مثل أديمٍ وأدَمٍ.

قال الزَمخَشريّ[3]: فلان جَوّال في الآفاق. وهو أُفُقي وأفَقي ومافي آفاق السَمّاء طُرّةُ سحاب. وعجَّتْ رائحة البَخُور في آفاق البيت. وفلان فائقُ آفقٌ، أي: غالب في فضله، وقد أفِقَ على أصحابه وأفَقهم.

أُفُق: يدل على تباعد ما بين أطراف الشيء واتساعه وعلى بلوغ النهاية.

ومن ذلك الآفاق: النواحي والأطراف، وآفاق البيت من بيوت الأعراب: نواحيه دون سمكه. وجمعه آفاق. ولذلك يقال: أفق الرجل، إذا ذهب في الأرض. وقعدت على أفق الطريق: أي: على وجهه. وأفق يأفق: ركب رأسه الآفاق.

وأفْق وأُفُق/ ويقال في النسبة إليه: أفقي، وقيل: الآفِق، للذي يبلغ النهاية في الكرم تشبيهاً بالأفق الذاهب في الآفاق[4].

في القرآن الكريم:

● **وقال تعالى**: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ﴾ [فُصّلت: 53].

قال الفخر الرازي[5]: قال الواحدي: واحد الآفاق أُفُق وهو الناحية من

(1) تهذيب اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) أساس البلاغة.
(4) اللسان مادة (أفق).
(5) التفسير الكبير.

نواحي الأرض، وكذلك آفاق السماء ونواحيها وأطرافها، وفي تفسير قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ﴾ قولان الأول: إن المراد بآيات الآفاق الآيات الفلكية والكوكبية وآيات الليل والنهار وآيات الأضواء والإضلال والظلمات وآيات عالم العناصر الأربعة وآيات المواليد الثلاثة، وقد أكثر الله منها في القرآن.

أما القول الثاني: إن المراد بآيات الآفاق فتح البلاد المحيطة بمكة وبآيات أنفسهم فتح مكة والقائلون بهذا القول رجحوه على القول الأول.

وجاء في التفسير أيضاً: ﴿فِى ٱلْآفَاقِ﴾ أي: من الفتوحات، وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان.

ويقال: الأفق: بالضم والضمتين: الناحية.

وآفاق: أو ما ظهر من نواحي الفلك أو مهب الجنوب والشمال، والدبور والصبا، وما بين الزرين المقدمين.

بعد أن أمعن المشركون في الشقاق وعدم تصديق الرسول ثم قال لهم سبحانه متحدياً: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: 52]، عاد سبحانه ويقول لهم ما يخوفهم من عواقب الشقاق.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ﴾ [فُصِّلَت: 53] على تقدير أن يكون القرآن الكريم من عند الله وهم قد كفروا به بأن وعد الله رسوله ﷺ على سبيل التسلية والبشارة بأن الله سيغمر المشركين بطائفة من آياته ما يتبينون به أن القرآن من عند الله حقاً فلا يسعهم إلاّ الإيمان به، أي أن الحق غير محتاج إلى اعترافهم بحقيقته وستظهر دلائل خفية في الآفاق البعيدة عنهم وفي قبيلتهم وأنفسهم فتتظاهر الدلائل على أنه الحق فلا يجدوا إلى إنكارها سبيلاً..

وفي هذه الآية طرف من الإعجاز بالإخبار بالغيب إذ أخبر بالوعد بحصول النصر له ولدينه وذلك بما تيسر له ﷺ ولخلفائه من بعده في آفاق الدنيا والمشرق والمغرب عامة، وفي باحة العرب خاصة من الفتوح وثباتها وانطباع الأمم بها ما

لم يتيسر أمثالها لأحد من ملوك الأرض والقياصرة والأكاسرة على قلة المسلمين نسبة إلى كثرة الناس يومئذٍ. والتاريخ شاهد بأن ما تهيئ للمسلمين من عجائب الانتشار والسلطان على الأمم أمر خارق للعادة، فيتبين أن الإسلام هو دين الحق وقد تحدى المشركين بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرّعد: 41].

ولم يقف ظهور الإسلام عند فتح الممالك بل تجاوز ذلك إلى التغلغل في نفوس الأمم المختلفة فتقبلوه ديناً وتقلدوه منهجاً في آدابه وعوائده وحضارته، وانتشرت لغة القرآن الكريم فتخاطب بها الأمم المختلفة وظهر منهم الفطاحل والفحول في العلوم الشرعية واللغوية والشعراء والفلاسفة ومشاهير الملوك الذين في الأرض.

وهكذا تحقق وعد الله عز وجل ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ﴾ [فُصّلَت: 53].

● **قال تعالى:** ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النّجْم: 7].

قال الطبري(1): أي قام في صورته التي خلقه الله تعالى عليها؛ لأنه كان يأتي إلى النبيّ ﷺ في صورة الآدميين كما كان يأتي إلى الأنبياء، فسأله النبيّ ﷺ أن يريه نفسه التي جبله الله عليها فأراه نفسه مرتين: مرة في الأرض ومرة في السماء؛ فأما في الأرض ففي الأفق الأعلى، وكان النبيّ ﷺ بحراءٍ، فطلع له جبريل من المشرق فسد الأرض إلى المغرب، فخر النبيّ ﷺ مغشيًّا عليه، فنزل إليه في صورة الآدميين وضمّه إلى صدره، وجعل يمسح الغبار عن وجهه؛ فلما أفاق النبيّ ﷺ قال: «**يا جبريل ما ظننت أن الله خلق أحداً على مثل هذه الصورة**» فقال: يا محمد إنما نشرت جناحين من أجنحتي وإن لي ستمائة جناح سَعَة كل جناح ما بين المشرق والمغرب. فقال: «**إن هذا لعظيم**» فقال: وما أنا في جنب ما خلقه الله إلا يسيراً، ولقد خلق الله إسرافيل له ستمائة جناح، كل جناح منها قدر جميع

(1) جامع البيان.

أجنحتي، وإنه ليتضاءل أحياناً من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوَصَع. (يعني العصفور الصغير)؛ دليله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: 23].

قال الزمخشري[1]: الأفق الأعلى: أفق الشمس.

قال الألوسي[2]: أي الجهة العليا من السماء المقابلة للناظر، وأصله الناحية وما ذكره أهل الهيئة معنى اصطلاحي وينقسم عندهم إلى حقيقي وغيره كما فصل في محله. وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس أن المراد به هنا مطلع الشمس وفي معناه قول الحسن: هو أفق المشرق. والجملة في موضع الحال من فاعل ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ [النجم: 6].

---

(1) الكشاف. (2) روح المعاني.

إفك

(إفك - بهت - خرص- زور - افتراء - كذب)

■ **الإفْكُ:** العدول عن الحق إلى الباطل عناداً. ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصَّافات: 86].

■ **البُهت:** كذب يدهش الآخرين لغرابته ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: 16].

■ **الخِرْص:** كذب يقوم على الظن والتخمين ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذّاريَات: 10].

■ **الزُّور:** تزييف الحقيقة بصيغة مزورة ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: 4].

■ **الافْتِراء:** الكذب المنسوج بعناية واحتراف ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 48].

■ **الكَذِبُ:** التعمد في صرف الكلام عما ينبغي أن يكون عليه ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنَافِقون: 1].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الهمزة والفاء والكاف أصل واحد يدلّ على قلب الشّيء وصرفه عن جهته. يقال: أُفِك الشّيء، وأفِك الرّجل: إذا كذَبَ. والإفك: الكذب. وأَفَكْتُ الرّجل عن الشّيء: إذا صرفته عنه.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخَليل[1]: الإِفْكُ: الكذب. أفَك يأفَك أفْكاً. وأفكْته عن الأمر: صرفتُه عنه بالكذب والباطل. والأفيك: المكذَّب عن حيلته وحزمه. والمأفوك: الّذي يقبل الإِفْك، وهو المؤتفِك. والمؤتفِكة: الأُمَمُ الماضية الضّالةُ المهلَكة.

قال الجَوهَريّ[2]: الإِفْك: الكذب، وكذلك الأفيكة. والجمع: الأفائك. ورجل أفّاك: أي كذّاب.

قال الرّاغِب[3]: الإِفْك: كلّ مصروف عن وجهه الّذي يحقّ أن يكون عليه، ومنه قيل للرّياح العادلة عن المهابّ: مؤتفكة.

قال الزَمخَشَريّ[4]: أفكّه عن رأيه: صرفه، وفلان مَأْفوكٌ عن الخير. ورأيت أن أفعل كذا فأفِكتُ عن رأيي. وأْتَفَكَت الأرض بأهلها: انقلبت.

قال ابن دريد[5]: والتَّأفيك يقال: أَفِكَ الرجل عن الطريق إذا ضلّ عنه «يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ»: أي يصرف عنه.

قال العكبري[6]: الأَفك: الصرف عن الشيء، يقال: أفكه يأفكه أفكاً.

المعنى المشترك لكلمة (أ ف ك)

وقد وردت كلمة (إفك) في القرآن الكريم على سبعة أوجه:

الوجه الأول: الإفك بمعنى: الكذب ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [**الأحقاف: 11**].

الوجه الثاني: الإفك يعني: عبادة الأصنام ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [**الصافات: 85، 86**].

---

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) أساس البلاغة.
(5) الجمهرة.
(6) المشوف المعلم.

الوجه الثالث: الإفك يعني: ادعاء الولد لله ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الصافات: 151-152].

الوجه الرابع: الإفك يعني: قذف المحصنات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: 11].

الوجه الخامس: الإفك يعني: الصرف ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ [الأحقاف: 22].

الوجه السادس: الإفك يعني: التقليب ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ [النّجم: 53].

الوجه السابع: الإفك يعني: السحر ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: 117].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾ [الذاريات: 8-9].

قال الزمخشري(1): ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ﴾ الضمير للقرآن أو للرسول، أي: يصرف عنه، من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه وأعظم؛ كقوله: لا يهلك على الله إلا هالك. وقيل: يصرف عنه من صرف في سابق علم الله، أي: علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق لا يرعوي. ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين: أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق، ثم أقسم بالسماء على أنهم في قول مختلف في وقوعه، فمنهم شاكّ، ومنهم جاحد. ثم قال: يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو المأفوك. ووجه آخر: وهو أن يرجع الضمير إلى قول

(1) الكشاف.

مختلف. أي: يتناهون في السمن بسبب الأكل والشرب. وحقيقته: يصدر تناهيهم في السمن عنهما، وكذلك يصدر إفكهم عن القول المختلف. وقرأ سعيد بن جبير «يؤفك عنه» من «أفك»، على البناء للفاعل. أي: من أفك الناس عنه وهم قريش، وذلك أنّ الحيّ كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأي ليسأل عن رسول الله ﷺ، فيقولون له: احذره، فيرجع فيخبرهم. وعن زيد بن عليّ: يَأْفِكُ عنه من أَفِكَ، أي: يصرف الناس عنه من هو مأفوك في نفسه. وعنه أيضاً: يَأْفِكَ عنه من أَفَكَ؛ أي: يصرف الناس عنه من هو أفاك كذاب. وقرىء: «يؤفن عنه من أفن» أي: يحرمه من رحم، من أفن الضرع إذا نهكه حلباً.

قال الفخر الرازي[1]: وفيه وجوه. أحدها: أنه مدح للمؤمنين، أي يؤفك عن القول المختلف ويصرف من صرف عن ذلك القول ويرشد إلى القول المستوي. وثانيها: أنه ذم معناه يؤفك عن الرسول. ثالثها: يؤفك عن القول بالحشر. رابعها: يؤفك عن القرآن، وقرىء يؤفن عنه من أفن، أي يحرم، وقرىء يؤفك عنه من أفك، أي كذب.

● قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المَائدة: 75].

قال الطبري[2]: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: انظر يا محمد كيف نبين لهؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى الآيات، وهي الأدلة والأعلام والحجج على بطول ما يقولون في أنبياء الله، وفي فريتهم على الله، وادّعائهم له ولداً، وشهادتهم لبعض خلقه بأنه لهم ربّ وإلٰه، ثم لا يرتدعون عن كذبهم وباطل قيلهم، ولا ينزجرون عن فِرْيتهم على ربهم وعظيم جهلهم، مع ورود الحجج القاطعة عذرهم عليهم. يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ثم انظر يا محمد أنّى يؤفكون؟ يقول: ثم انظر مع تبييننا لهم آياتنا على بطول قولهم: أيّ وجه يُصْرفون

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.

عن بياننا الذي بينته لهم، وكيف عن الهدى الذي نهديهم إليه من الحقّ يضِلون؟ والعرب تقول لكلّ مصروف عن شيء: هو مأفوك عنه، يقال: قد أَفَكْتُ فلاناً عن كذا: أي صرفته عنه، فأنا آفِكه أفْكاً، وهو مأفوك، وقد أُفِكَتِ الأرضُ: إذا صرف عنها المطر.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العَنكبوت: 17].

قال الألوسي[1]: أي وتكذبون كذباً حيث تسمونها آلهة وتدعون أنها شفعاؤكم عند الله سبحانه؛ أو تعملونها وتنحتونها للإفك والكذب، واللام لام العاقبة وإلا فهم لم يعملوها لأجل الكذب، وجوز أن يكون ذلك من باب التهكم. وقال بعض الأفاضل: الأظهر كون ﴿إِفْكًا ۚ﴾ مفعولاً به والمراد به نفس الأوثان وجعلها كذباً مبالغة، أو الإفك بمعنى المأفوك وهو المصروف عما هو عليه، وإطلاقه على الأوثان لأنها مصنوعة وهم يجعلونها صانعاً.

وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه والسلمي وعون العقيلي وعبادة وابن أبي ليلى وزيد بن علي رضي الله تعالى عنهما (تَخَلَّقُونَ) بفتح التاء والخاء واللام مشددة، قال ابن مجاهد: ورويت عن ابن الزبير وأصله تتخلقون فحذفت إحدى التاءين وهو من تخلق بمعنى تكذب وصيغة التكلف للمبالغة. وزعم بعضهم جواز أن يكون تفعل بمعنى فعل. وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما أيضاً (تَخَلَّقُونَ) من خلّق بالتشديد للتكثير في الخلق بمعنى الكذب والافتراء. وقرأ ابن الزبير/ وفضيل بن زرقان (أَفِكاً) بفتح الهمزة وكسر الفاء على أنه مصدر كالكذب واللعب أو وصف كالحذر وقع صفة لمصدر مقدر أي خلقاً.

أفكاً: أي ذا أفك.

---

(1) روح المعاني.

● قال تعالى: ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف: 28].

قال القرطبي(1): أي والآلهة التي ضلّت عنهم هي إفكهم في قولهم: إنها تقرّبهم إلى الله زلفى. وقراءة العامة «إِفْكُهُمْ» بكسر الهمزة وسكون الفاء؛ أي كذبهم. والإفك: الكذب، وكذلك الأفِيكة، والجمع الأفائك. ورجل أفّاك أي: كذاب. وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن الزبير «وَذَلِكَ أَفَكَهُمْ» بفتح الهمزة والفاء والكاف، على الفعل؛ أي ذلك القول صرفهم عن التوحيد. والأَفْكُ (بالفتح) مصدر قولك: أَفكَه يَأفِكه أَفْكاً؛ أي قلبه وصرفه عن الشيء. وقرأ عكرمة «أَفَّكهم» بتشديد الفاء على التأكيد والتكثير. قال أبو حاتم: يعني قلبهم عما كانوا عليه من النعيم. وذكر المهدوِيّ عن ابن عباس أيضاً «آفِكهم» بالمد وكسر الفاء؛ بمعنى صارفهم. وعن عبد الله بن الزبير باختلاف عنه «آفكهم» بالمدّ؛ فجاز أن يكون أفعلهم، أي أصارهم إلى الإفك. وجاز أن يكون فاعلهم كخَادعهم. ودليل قراءة العامة «إِفْكُهُمْ» قوله: ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف: 28] أي: يكذبون.

● قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ [النّجم: 53].

قال الفخر الرازي(2): المؤتفكة المنقلبة، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قرىء: (وَالْمُؤْتَفِكَاتِ) والمشهور فيه أنها قرىء قوم لوط لكن كانت لهم مواضع ائتفكت فهي مؤتفكات، ويحتمل أن يقال المراد كل من انقلبت مساكنه ودثرت أماكنه ولهذا ختم المهلكين بالمؤتفكات كمن يقول: مات فلان وفلان وكل من كان من أمثالهم وأشكالهم.

المسألة الثانية: (أَهْوَىٰ) أي أهواها بمعنى أسقطها، فقيل: أهواها من الهوى

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) التفسير الكبير.

إلى الأرض من حيث حملها جبريل عليه السلام على جناحه، ثم قلبها، وقيل: كانت عمارتهم مرتفعة فأهواها بالزلزلة وجعل عاليها سافلها.

المسألة الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ على ما قلت: كقول القائل والمنقلبة قلبها وقلب المنقلب تحصيل الحاصل، نقول: ليس معناه المنقلبة ما انقلبت بنفسها بل الله قلبها فانقلبت.

قال الزمخشري(1): والقرى التي ائتفكت بأهلها، أي: انقلبت، وهم قوم لوط، يقال: أفكه فائتفك: وقرىء: «والمؤتفكات».

قال القرطبي(2): يعني مدائن قوم لوط عليه السلام ائتفكت بهم، أي انقلبت وصار عاليها سافلها. يقال: أَفَكْته أي قلبته وصرفته.

● **قال تعالى**: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: 70].

قال ابن عطية(3): أهل القرى الأربعة، وقيل السبعة الذين بعث إليهم لوط عليه السلام، ومعنى ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ﴾ المنصرفات والمنقلبات أفكت فانتفكت لأنها جعل أعاليها أسفلها، وقد جاءت في القرآن مفردة تدل على الجمع، ومن هذه اللفظة.

أي غير منقلب منصرف مضطرب ومنه يقال للريح: مؤتفكة لتصرفها، ومنه ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: 75، التوبة: 30، العنكبوت: 61، الزخرف، 87، المنافقون: 4] والإفك صرف القول من الحق إلى الكذب.

---

(1) الكشاف، وانظر إلى البيضاوي، والنسفي، والنيسابوري.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) المحرر الوجيز.
(4) غرائب القرآن.

بعد أن جعل مدائنهم عاليها سافلها. والائتفاك الانقلاب سميت مدائنهم بذلك لأن الله تعالى قلبها عليهم. ويمكن أن يراد بالمؤتفكات الناس لانقلاب أحوالهم من الخير إلى الشر.

قال القرطبي[1]: قيل: يراد به قوم لوط؛ لأن أرضهم ائتفَكت بهم، أي: انقلبت؛ قاله قتادة. وقيل: المؤتفكات كل من أهلك؛ كما يقال: انقلبت عليهم الدنيا.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

أفل

(أفل - غرب - غاب - توارى)

- **الأُفول:** غياب الشيء الكبير بعد أن يصغر شيئاً فشيئاً ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: 76].
- **الغروبُ:** لضرورة أن يكون في مكان آخر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ [الكهف: 86].
- **الغَيابُ:** ذهب عن مدى البصر ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [النّمل: 75].
- **التَّواري:** ذهب ليستتر عن مشاهديه ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [صٓ: 32]، ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ [النّحل: 59].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الهمزة والفاء واللام أصلان: أحدهما الغيبة، والثاني الصِّغار من الإبل. فأمّا الغَيبة فيقال: أفَلت الشّمس: غابت، ونجوم أُفَّلٌ. وكلُّ شيءٍ غابَ فهو آفلٌ.

الخَليل[2]: أفلَت الشّمس تأفُل أفولاً. وكلّ شيء غاب فقد أفَلَ وهو آفل.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

ابن دُرَيْد[1]: الأفيل: صغار الإبل، والجمع: إفال وأفائل.

الجَوهَريّ[2]: أفَل: أي غاب. وقد أفَلت الشّمس تأفِل وتأفُل: غابت. والإفال والأفائل: صغار الإبل، بنات المخاض ونحوها، وأحدهما: أفيل، والأُنثى: أفيلة.

الرّاغِب[3]: الأُفول: غيبوبة النّيّرات كالقمر والنّجوم.

الفَخْر الرّازي[4]: الأُفول: عبارة عن غيبوبة الشّيء بعد ظهوره.

قال الأصمعي[5]: الأفيل من الإبل: ابن تسعة أشهر أو ثمانية.

الأفيل: ابن المخاض وابن اللّبون، الأنثى: أفيلة. فإذا ارتفع عن ذلك فليس بأفيل.

السمين[6]: الأفول: الغيبوبة يكون في الكواكب. يقال: أفل: إذا غاب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ [الأنعام: 76].

قال الزمخشري[7]: لا أحبّ عبادة الأرباب المتغيرين من حال إلى حال، المتنقلين من مكان إلى آخر، المحتجبين بستر، فإنّ ذلك من صفات الأجرام.

قال الفخر الرازي[8]: أن إبراهيم عليه السلام استدل بأفول الكوكب على أنه لا

---

(1) الجمهرة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) التفسير الكبير.
(5) الأضداد.
(6) عمدة الأحكام.
(7) الكشاف.
(8) التفسير الكبير.

يجوز أن يكون رباً له وخالقاً له. ويجب علينا هٰهنا أن نبحث عن أمرين: أحدهما: أن الأفول ما هو؟ والثاني: أن الأفول كيف يدل على عدم ربوبية الكوكب؟ فنقول: الأفول عبارة عن غيبوبة الشيء بعد ظهوره. وإذا عرفت هذا فلسائل أن يسأل، فيقول: الأفول إنما يدل على الحدوث من حيث إنه حركة وعلى هذا التقدير، فيكون الطلوع أيضاً دليلاً على الحدوث، فلم ترك إبراهيم عليه السلام الاستدلال على حدوثها بالطلوع وعول في إثبات هذا المطلوب على الأفول؟

والجواب: لا شك أن الطلوع والغروب يشتركان في الدلالة على الحدوث إلا أن الدليل الذي يحتج به الأنبياء في معرض دعوة الخلق كلهم إلى الله لا بد وأن يكون ظاهراً جلياً بحيث يشترك في فهمه الذكي والغبي والعاقل والبهيم. ودلالة الحركة على الحدوث وإن كانت يقينية إلا أنها دقيقة لا يعرفها إلا الأفاضل من الخلق. أما دلالة الأفول فإنها دلالة ظاهرة يعرفها كل أحد، فإن الكوكب يزول سلطانه وقت الأفول فكانت دلالة الأفول على هذا المقصود أتم.

قال النيسابوري[1]: وأنا أقول: الاحتجاج بالبزوغ في الآية لا يصح لأنه تعالى بيّن أنه نظر إلى الكوكب وقت كونه طالعاً لا حين بزوغه ليلزم مشاهدة التغير والانتقال، وكذا إلى القمر وإلى الشمس دليله أنه لم يقل رأى القمر يبزغ بل بازغاً.

ولو سلم فإن أحسن الكلام ما يحصل فيه حصة الخواص والأوساط والعوام، فالخواص يفهمون من الأفول الإمكان فكل ممكن محتاج والمحتاج لا يجوز أن يكون منقطع الحاجات فلا بد من الانتهاء إلى الواجب بالذات. وأما الأوساط فإنهم يفهمون من الأفول مطلق الحركة، فكل متحرك محدث وكل محدث فهو محتاج إلى القديم. وأما العوام فإنهم يفهمون من الأفول الغروب، فكل كوكب يغرب فإنه يزول نوره ويذهب سلطانه ويصير كالمعزول ومن كان

(1) غرائب القرآن.

كذلك فإنه لا يصلح للإلٰهية، أقصى ما في الباب أن يقال: إن لها تأثيرات في أحوال العالم السفلى، ولكن تلك التأثيرات لما لم تكن لها بذاتها لزم استناد الكل إلى الواجب سبحانه وهو الإلٰه الأعظم القادر على خلق السمٰوات والنجوم النيرات، فيجب أن يكون قادراً على خلق البشر وعلى تدبير السفليات بالطريق الأولى فلا يلزم من وضع الواسطة رفع المبدأ بحال، ويعلم من قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ أنه تعالى ليس بجسم وإلا كان غائباً عنا فكان آفلاً، وإنه لا يصح عليه المجيء والذهاب والنزول والصعود ولا الصفات المحدثة. وفيه أن معارف الأنبياء استدلالية لا ضرورية وأنه لا سبيل إلى معرفته تعالى إلى النظر والاستدلال.

● **قال تعالى:** ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: 78].

قال الطنطاوي[1]: أي: فلما غابت الشمس واحتجب ضوؤها، جاهر إبراهيم قومه بالنتيجة التي يريد الوصول إليها فقال: يا قوم إني بريء من عبادة الأجرام المتغيرة التي يغشاها الأفول، وبريء من إشراككم مع الله آلهة أخرى.

قال ابن كثير: أي غابت.

(1) الوسيط في تفسير القرآن.

أكل

(أكل - رزق - زاد - طعام - نزل - ميرة)

- **الأَكْل - بالفتح:** تناول المطعم: ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ [الصافات: 66].

الأُكْل - بالضم: كل ما يؤكل ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: 35].

- **الرِّزْق:** طعام وجبة واحدة ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الكهف: 19].
- **الزَّادُ:** الطعام المدّخر ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البَقَرَة: 197].
- **الطَّعَامُ:** ما يتناول ساعة الأكل ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسَان: 8].
- **النُّزُل:** ما يقدم للضيف من طعام ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ [الصَّافات: 62]. . ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقِعَة: 56].
- **المِيرَة:** عطاء الدولة المجاني ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ [يُوسُف: 65].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الهمزة والكاف واللام بابٌ تكثر فُروعه، والأصل كلمة واحدة، ومعناها التنقُّص.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخَليل[1]: الأَكْلَة: المرّة. والأُكْلَة: اسم كاللّقمة. والأُكال: أن يتأكّل عودٌ أو شيءٌ. والأَكُولة من الشّاء: الّتي تُرعى للأكْل وللنّسل والبَيع.

قال الأزهَريّ[2]: أكَلَت النّار الحطب، وآكلتُها إيّاه: أي أطعمتُها. وكذلك كلّ شيءٍ أطعمتَه شيئاً. ويقال: آكلتُ الرّجل، وواكلتُه فهو أكيلي. والهمزة في آكلت: أكثر وأجود.

قال الجَوهَريّ[3]: أكلتُ الطّعام أكْلاً ومأكلاً. والأَكْلَة: المرّة الواحدة حتّى تشبع. والأُكْلَة بالضّمّ: اللّقمة، تقول: أكلتُ أُكْلة واحدة، أي: لقمة، وهي القُرصة أيضاً. وهذا الشّيء أُكْلة لك، أي: طُعمة لك. والأُكْل أيضاً: ما أُكل.

قال الرّاغِب[4]: الأَكْل: تناول المَطعم. وعلى طريق التّشبيه قيل: أكَلَتْ النّار الحطب. والأُكُل: لما يؤكل بضمّ الكاف وسكونه، والأَكْلَة للمرّة، والأُكْلَة كاللّقمة. وأكيلة الأسد: فريسته الّتي يأكلها. والأكولة من الغنم ما يُؤكَل. والأكيل: المؤاكِل. وفلان مُؤكَل ومُطعَم، استعارة للمرزوق. وثوبٌ ذو أُكُل: كثير الغَزْل كذلك.

قال الزَمخَشَريّ[5]: رُبّ أكْلَة مَنَعتْ أكلات. وكان لقمان من الأكَلَة. وجعلت كذا فلان أُكْلَة ومأكلَة. وما ذقت عنده أكالاً بالفتح، أي: طعاماً. وتآكلَت السَّنّ والعود: وقع فيهما أُكال. ووقعت في رجله أكلة. وفلان أكيلي. وبُليتُ منه بأكيل سوءٍ.

المعنى المشترك لكلمة (أ ك ل)

وقد وردت كلمة (أكل) في القرآن الكريم على تسعة أوجه:

---

(1) العين.
(2) تهذيب اللغة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) مفردات الراغب.
(5) أساس البلاغة.

الوجه الأول: الأُكل بالضم يعني: الثمرة ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ [الكهف: 33].

الوجه الثاني: الأكل بعينه: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ [البقرة: 35].

الوجه الثالث: الأكل يعني: الحرق ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ [آل عِمران: 183].

الوجه الرابع: الأكل يعني: الابتلاع ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ [يُوسُف: 43].

الوجه الخامس: الأكل يعني: الاستئصال ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ [يوسف: 48].

الوجه السادس: الأكل يعني: الافتراس ﴿قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يُوسُف: 13].

الوجه السابع: الأكل يعني: أخذ الأموال ظلماً ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النِّساء: 10].

الوجه الثامن: الأكل يعني: الانتفاع بالأكل والشراب واللباس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: 168].

الوجه التاسع: الأكل يعني: الرزق ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المَائدة: 66].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البَقَرة: 174].

قال القرطبي[1]: أي إنه حرام يعذّبهم الله عليه بالنار؛ فسُمّي ما أكلوه من الرّشاء ناراً لأنه يؤدّيهم إلى النار؛ هكذا قال أكثر المفسرين. وقيل: أي إنه يعاقبهم على كتمانهم بأكل النار في جهنم حقيقةً. فأخبر عن المآل بالحال؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: 10] أي أن عاقبته تؤول إلى ذلك.

قال الفخر الرازي[2]: قيل: إن أكلهم في الدنيا وإن كان طيباً في الحال فعاقبته النار فوصف بذلك كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: 10] عن الحسن والربيع وجماعة من أهل العلم، وذلك لأنه لما أكل ما يوجب النار فكأنه أكل النار، كما روي في حديث آخر: «**الشارب من آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم**» وقوله: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: 36] أي: عنباً فسماه باسم ما يؤول إليه وقيل: إنهم في الآخرة يأكلون النار لأكلهم في الدنيا الحرام، عن الأصم.

قال القاسمي[3]: أي: ما يَسْتَتْبِعُ النارَ ويستلزمها، فكأنه عينُ النار، وأكلُهُ أكْلُهَا، و: ﴿فِى بُطُونِهِمْ﴾ متعلق بـ: ﴿يَأْكُلُونَ﴾ وفائدته: تأكيد الأكل، وتقريره ببيان مقرّ المأكول.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البَقَرَة: 275].

قال البيضاويّ[4]: أي الآخذون له، وإنما ذكر الأكل لأنه أعظم منافع المال، ولأن الربا شائع في المطعومات وهو زيادة في الأجل، بأن يباع مطعوم بمطعوم، أو نقد بنقد إلى أجل، أو في العوض بأن يباع أحدهما بأكثر منه من جنسه، وإنما كتب بالواو كالصلاة للتفخيم على لغة وزيدت الألف بعدها تشبيهاً بواو الجمع.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) التفسير الكبير.
(3) محاسن التأويل.
(4) أنوار التنزيل.

قال أبو حيان[1]: والأكل هنا قيل على ظاهره من خصوص الأكل، وأن الخبر: عنهم، مختص بالآكل الربا، وقيل: عبر عن معاملة الربا وأخذه بالأكل، لأن الأكل غالب ما ينتفع به فيه، كما قال تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [النِّساء: 161] وقيل: الربا هنا كناية عن الحرام، لا يخص الربا الذي في الجاهلية، ولا الربا الشرعي. وقرأ العدوي: الربو، بالواو وقيل: وهي لغة الحيرة، ولذلك كتبها أهل الحجاز بالواو لأنهم تعلموا الخط من أهل الحيرة، وهذه القراءة على لغة من وقف على أفعى بالواو، فقال: هذه أفعو، فأجرى القارىء الوصل إجراء الوقف.

قال الفخر الرازي[2]: فالمراد الذين يعاملون به، وخص الأكل لأنه معظم الأمر، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: 10] وكما لا يجوز أكل مال اليتيم لا يجوز إتلافه، ولكنه نبّه بالأكل على ما سواه وكذلك قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: 188] وأيضاً فلأن نفس الربا الذي هو الزيادة في المال على ما كانوا يفعلون في الجاهلية لا يؤكل، إنما يصرف في المأكول فيؤكل، والمراد التصرف فيه، فمنع الله من التصرف في الربا بما ذكرنا من الوعيد، وأيضاً فقد ثبت أنه ﷺ: «**لعن آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه والمحلل له**» فعلمنا أن الحرمة غير مختصة بالآكل، وأيضاً فقد ثبت بشهادة الطرد والعكس، أن ما يحرم لا يوقف تحريمه على الأكل دون غيره من التصرفات فثبت بهذه الوجوه الأربعة أن المراد من أكل الربا في هذه الآية التصرف في الربا.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ [آل عِمرَان: 183].

قال الألوسي[3]: والمراد من أكل النار للقربان إحالتها له إلى طبعها بالإحراق، واستعماله في ذلك إما من باب الاستعارة أو المجاز المرسل، وقد

(1) البحر المحيط.
(2) التفسير الكبير.
(3) روح المعاني.

كان أمر إحراق النار للقربان إذاً قبل شائعاً في زمن الأنبياء السالفين إلا أن دعوى أولئك اليهود هذا العهد من مفترياتهم وأباطيلهم لأن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان إلا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء، ولما كان مرامهم من هذا الكلام الباطل عدم الإيمان برسول الله ﷺ لعدم إتيانه بما قالوا، ولو تحقق الإتيان به لتحقق الإيمان بزعمهم ردّ الله تعالى عليهم بقوله سبحانه: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء القائلين تبكيتاً لهم وإظهاراً لكذبهم ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ﴾.

● **قال تعالى:** ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: 35].

قال الزمخشري(1): دليل على أن الخطاب لهما بعد وجود حوّاء، لأن الأمر بالأكل للمعدوم فيه بعد، إلا على تقدير وجوده، والأصل في: (كل) أؤكل. الهمزة الأولى هي المجتلبة للوصل، والثانية هي فاء الكلمة، فحذفت الثانية لاجتماع المثلين حذف شذوذ، فوليت همزة الوصل الكاف، وهي متحركة، وإنما اجتلبت للساكن، فلما زال موجب اجتلابها زالت هي. قال ابن عطية وغيره: وحذفت النون من (كلا) للأمر، انتهى كلامه. وهذا الذي ذكر ليس على طريقة البصريين، فإن فعل الأمر عندهم مبني على السكون، فإذا اتصل به ضمير بارز كانت حركة آخره مناسبة للضمير، فتقول: كُلَى، وكُلَا، وكُلُوا، وفي الإناث يبقى ساكناً نحو: كُلْن. وللمعتل حكم غير هذا، فإذا كان هكذا فقوله: وكُلَا، لم تكن فيه نون فتحذف للأمر، وإنما يكون ما ذكره على مذهب الكوفيين، حيث زعموا أن فعل الأمر معرب، وأن أصل: كُلْ لتأكل، ثم عرض فيه من الحذف بالتدريج إلى أن صار: كُلْ. فأصل كُلَا: لِتَأْكُلَا، وكان قبل دخول لام الأمر عليه فيه نون، إذ كان أصله: تَأْكُلان، فعلى قولهم يتم قول ابن عطية: إن النون من (كُلَا) حذفت للأمر.

---

(1) الكشاف.

● **قال تعالى**: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: 5].

قال الطبري(1): فجعل الله أصحاب الفيل كزرع أكلته الدوابّ فراثته، فيبس وتفرّقت أجزاؤه، شبَّه تقطُّع أوصالهم بالعقوبة التي نزلت بهم، وتفرّق آراب أبدانهم بها، بتفرّق أجزاء الروث، الذي حدث عن أكل الزرع.

قال الفخر الرازي(2): ذكروا في تفسير المأكول وجوهاً أحدها: أنه الذي أكل، وعلى هذا الوجه ففيه احتمالان: أحدهما: أن يكون المعنى كزرع وتبن قد أكلته الدواب، ثم ألقته روثاً، ثم يجف وتتفرق أجزاؤه، شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث، إلا أن العبارة عنه جاءت على ما عليه آداب القرآن، كقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: 75] وهو قول مقاتل، وقتادة وعطاء عن ابن عباس. والاحتمال الثاني: على هذا الوجه أن يكون التشبيه واقعاً بورق الزرع إذا وقع فيه الأكال، وهو أن يأكله الدود الوجه الثاني: في تفسير قوله: ﴿مَّأْكُولٍ﴾ هو أنه جعلهم كزرع قد أكل حبه وبقي تبنه، وعلى هذا التقدير يكون المعنى: كعصف مأكول الحب كما يقال: فلان حسن أي حسن الوجه، فأجرى مأكول على العصف من أجل أنه أكل حبه لأن هذا المعنى معلوم وهذا قول الحسن الوجه الثالث: في التفسير أن يكون معنى: مأكول أنه مما يؤكل، يعني تأكله الدواب يقال: لكل شيء يصلح للأكل هو مأكول والمعنى جعلهم كتبن تأكله الدواب وهو قول عكرمة والضحاك.

قال المراغي(3): أي أكلت الدّواب بعضه وتناثر بعضه الآخر من بين أسنانها.

● **قال تعالى**: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: 12].

قال الفخر الرازي(4): هنا دليل على أن الاغتياب الممنوع اغتياب المؤمنين،

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) تفسير المراغي.
(4) التفسير الكبير.

ولا منع إلا من شيء شبهه بأكل لحم الأخ، فلا أخوة إلا بين المؤمنين، ولا مانع إلا من شيء يشبه أكل لحم الأخ ففي هذه الآية نهي عن اغتياب المؤمن.

وما ذقت أكلاً، أي: شيئاً يؤكل، وعُبِّر بالأكل عن إنفاق المال لما كان الأكل أعظم ما يحتاج فيه إلى المال، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البَقَرَة: 188]، قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ﴾ ليس المراد منه الأكل خاصة، لأن غير الأكل من التصرفات كالأكل في هذا الباب لكنه لما كان المقصود الأعظم من المال هو الأكل وقع التعارف فيمن ينفق ماله أن يقال أنه أكله فلهذا السبب عبر الله تعالى عنه بالأكل وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النِّساء: 10]، فأكل المال بالباطل صرفه عن الحق إلى ما ينافيه الحق.

● **قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾** [النِّساء: 10].

تنبيهاً على أن تناولهم لذلك يؤدي بهم إلى النار.

والأَكُول والأَكّال: الكثير الأكل، قال تعالى: ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المَائدة: 42].

والأكلة: جمع آكل، وقولهم: (هم أكلة رأس) عبارة عن ناس من قلتهم يشبعهم رأس.

وقد يعبر بالأكل عن الفساد كقوله تعالى: ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفِيل: 5].

وميكائيل: ليس بعربي في الأصل.

قال القرطبي(1): إن المراد الأوصياء الذين يأكلون ما لم يبح لهم من مال اليتيم. وقال ابن زيد: نزلت في الكفار الذين كانوا لا يورّثون النساء ولا الصغار. وسمي أخذ المال على كل وجوهه أكلاً؛ لما كان المقصود هو الأكل وبه أكثر إتلاف الأشياء. وخص البطون بالذكر لتبيين نقصهم، والتشنيع عليهم بضدّ مكارم الأخلاق. وسمي المأكول ناراً بما يؤول إليه.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

أَلت

(أَلت - نقص - بخس - وتر - ضيز - تخوف - طفّت - أخسر)

- **أَلت:** أَلِتَه حقه، يألِته ألتاً: صرفه عما في حقه من نقص وبهتان ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ [الطُّور: 21].
- **النَّقص:** أنقصه حقه: حطّه قليلاً عن الاستحقاق ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ﴾ [هُود: 109].
- **البَخس:** بَخَسَه حقه: أعطاه القليل منه ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ [يُوسُف: 20].
- **وَتر: وَتَرَه:** أصاب ماله بالضرر عمداً ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محَمَّد: 35].
- **الضَّيز:** النَّقص في السهم عند القسمة ﴿تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ﴾ [النّجْم: 22].
- **التَّخوف:** النقص في الأفراد أو الجماعات واحداً بعد الآخر ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [النّحل: 47].
- **الطَّفّ:** النّقص في الكيل ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢﴾ [المطففين: 1-2].
- **الخُسْر:** النّقص في الميزان ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرَّحمٰن: 9].

﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا﴾ [الكهف: 103].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الهمزة واللّام والتّاء كلمة واحدة، تدلّ على النّقصان، يقال: ألَته يألْته، أي نقَصَه.

قال أبو زَيْد: ألَته السّلطان مالَه يألِتهُ ألْتاً، مثل ضَرَبه ضَرْباً، إذا نَقَصه. وقومٌ يقولون: لاتَ يَليت ليْتاً.

قال ابن الأعرابيّ: الأَلْت: النّقص، والأَلْت: القَسَم. يقال: إذا لم يُعْطك حقّك فقيِّده بالأَلْت.

قال ابن منظور: ألْته بيمين ألْتاً: شدّد عليه.

قال ابن سيده: الأَلْتُ: الحَلِف. وألْته بيمين ألْتاً: شدّد عليه. وألَتَ عليه: طلَب منه حَلِفاً أو شهادة يقوم لها بها. وألَتَه مالَه وحقّه يألِتُه ألتاً وإلاتة، وآلَتَه إيّاه: نقصه. وألَّيتُ موضع. وهذا البناء عزيز أو معدوم، إلاّ ما حكاه أبو زَيْد من قولهم: عليه سكّينَة[2].

قال السمين[3]: الألتُ: النقص (وما أَلَتْنَاهم) بفتح اللام.

قراءة ثانية: بكسرها عند ابن كثير.

وقراءة ثالثة: لاتَه يليته، مثل: باعه يبيعه.

قراءة رابعة: أَلَاته يليته، باعه يبيعه: أي عرضه للبيع.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) اللسان، معجم فقه اللغة.
(3) عمدة الحفاظ.

في القرآن الكريم:

● قـال تـعـالـى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطُّور: 21].

قال الطبري[1]: يقول تعالى ذكره: وما أَلْتنا الآباء، يعني بقوله: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾: وما نقصناهم من أجور أعمالهم شيئاً، فنأخذه منهم، فنجعله لأبنائهم الذين ألحقناهم بهم، ولكنا وفَّيناهم أجور أعمالهم، وألحقنا أبناءهم بدرجاتهم، تفضلاً منا عليهم. والألت في كلام العرب: النقص والبخس، وفيه لغة أخرى، ولم يقرأ بها أحد نعلمه.

قال الزمخشري[2]: وما نقصناهم. يعني: وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل، وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء. وقيل معناه: وما نقصناهم من ثوابهم شيئاً نعطيه الأبناء حتى يلحقوا بهم، إنما ألحقناهم بهم على سبيل التفضل. قرىء: «أَلَتْنَاهم» وهو من بابين: من أَلَتَ يَأْلِتُ، ومن أَلَات يَليتُ، كأَمَات يُميت. وآلَتْنَاهم، من آلَتَ يُؤْلِتُ، كآمن يؤمن. ولَتْنَاهم، من لات يَليتُ. ووَلَتْنَاهم، من وَلَتَ يَلِتُ. ومعناهنّ واحد.

قال القرطبي[3]: أي ما نقصنا الأبناء من ثواب أعمالهم لقصر أعمارهم، وما نقصنا الآباء من ثواب أعمالهم شيئاً بإلحاق الذريات بهم. والهاء والميم راجعان إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾. وقال ٱبن زيد: المعنى ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ ألحقنا بالذّرية أبناءهم الصغار الذين لم يبلغوا العمل؛ فالهاء والميم على هذا القول للذرّية. وقرأ ٱبن كثير «وَمَا أَلِتْنَاهُمْ» بكسر اللام. وفتح الباقون. وعن أبي

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

هريرة «آلَتْنَاهُمْ» بالمدّ؛ قال ابن الأعرابي: أَلَته يألِته أَلْتاً، وآلَته يُؤْلته إيلاَتاً، ولاَتَه يَلِيته لَيْتاً كلها إذا نَقَصه. وفي الصحاح: ولَاتَه عن وجهه يَلُوته ويَليته أي: حبسه عن وجهه وصرفه، وكذلك ألاَته عن وجهه فَعَل وأَفْعَل بمعنى، ويقال أيضاً: ما أَلاَته من عمله شيئاً أي ما نَقَصه مثل أَلَته وقد مضى بـ «بالحجرات».

قال الفخر الرازي[1]: تطييب لقلبهم وإزالة وهم المتوهم أن ثواب عمل الأب يوزع على الوالد والولد بل للوالد أجر عمله بفضل السعي ولأولاده مثل ذلك فضلاً من الله ورحمة.

(1) التفسير الكبير.

ألّف

(ألّف - جمع - وفّق - ضم)

- **ألّف:** ضمّ بعض الشيء إلى بعض بتوافق وإلصاق ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: 103].
- **جَمَعَ:** ضم الشيء إلى الشيء في المكان ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ [التّغابُن: 9].
- **وَفَّقَ:** مطابقة الآراء والقناعات لبعضها ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النِّساء: 35].
- **الضَّمُّ:** جعل الجزء مع الكل ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: 22].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الهمزة واللّام والفاء أصل واحد يدلّ على انضمام الشّيء إلى الشّيء والأشياء الكثيرة أيضاً.

قال الخَليل(2): ألْف في العدد: عَشْرُ مائة، والجمع: آلاف وقد آلَفت الإبل، ممدودة: صارت ألْفاً. والألَفان: مصدر: أَلِفْتُ الشّيء فأنا آلَفُه من الأُلفَة. والأُلْفة: مصدر الائتلاف. وإلْفُك وأليفُك: الّذي يألَفُك. وأوالفُ الطّير: الّتي قد أَلِفَتْ مكّة.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الأصمَعي[1]: يقال: ألِفتُ الشّيء آلفُه إلْفا وأنا آلِف، وآلفتُه وأنا مُؤلِفٌ.

قال الأزهَريّ[2]: والألْف: من العدد معروف، وثلاثة آلاف إلى العشرة. ثمّ «وأُلوف» جمع الجمع.

قال الجَوهَريّ[3]: الألْف: عددٌ، وهو مذكّر، يقال: هذا ألفٌ واحدٌ. ولا يقال: واحدة. وهذا ألفٌ أقرع، أي: تامُ، ولا يقال: قَرْعاء (إلى أن قال:) وألَفَه يألُفُه، بالكسر: أعطاه ألْفاً. وآلفت القوم إيلافاً، أي كمّلتهم ألْفاً، وآلفوهم أيضاً بأنفسهم. وكذلك آلفت الدّراهم، وألفتْ هي. والإلْف: ألائِف، مثل: تبيع وتبائع وأفيل وأفائل. والأُلاَّف: جمع آلِف، مثل كافر وكُفّار.

قال السمين[4]: يقال: ألِفَ المكان يَأْلَفه إلفاً: إذا أحبه ولم يطلب نفساً بفراقه. والألف والأليف (المؤلف).

قال الرّاغِب[5]: الألِفُ: من حروف التَهجّي. والإِلْفُ: اجتماع من التِئام، يقال: ألَّفتُ بينهم. ومنه الأُلفة. ويقال للمألوف: إلْفٌ وآلِفٌ. والمُؤلَّفُ: ماجُمع من أجزاءٍ مختلفة، ورُتِّب ترتيباً، قُدّم فيه ما حقّه أن يُقدَّم، وأُخّر فيه ما حقّه أن يُؤَخَّر.

قال الزَمخَشريّ[6]: الإيلاف: من قولك: ألفتُ المكان أُولِفه إيلافاً، إذا ألفْته فأنا مُؤْلف.

قال أبو زَيْد[7]: ألِفْت الشّيء: وألِفتُ فلاناً: إذا أنِست به. وألّفتُ بينهم تأليفَهم: إذا جَمَعت بينهم بعد تفرّق. وألّفتُ الشّيء: وَصَلْت بَعْضه ببعض. ومنه تأليف الكتُب. وألِفْتُ الشّيء: أي وصلْته.

---

(1) الأضداد.
(2) تهذيب اللغة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) عمدة الحفاظ.
(5) مفردات الراغب.
(6) أساس البلاغة.
(7) اللسان، معجم فقه اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾ [قريش: 1-2].

قال الطبري[1]: اختلفت القراء في قراءة: (لإيلافِ قُرَيْشٍ إيلافِهِمْ)، فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار بياء بعد همز لإيلاف وإيلافهم، سوى أبي جعفر، فإنه وافق غيره في قوله: (لإيلافِ) فقرأه بياء بعد همزة، واختلف عنه في قوله: (إيلافِهِمْ) فروي عنه أنه كان يقرؤه: «إلْفِهِمْ» على أنه مصدر من ألِفَ يَأْلِفُ إلْفاً، بغير ياء. وحَكى بعضهم عنه أنه كان يقرؤه: «إلافِهِمْ» بغير ياء مقصورة الألف. والصواب من القراءة في ذلك عندي: من قرأه: (لإيلافِ قُرَيْشٍ إيلافِهِمْ) بإثبات الياء فيهما بعد الهمزة، من آلَفْتُ الشيء أُولفه إيلافاً، لإجماع الحجة من القرّاء عليه. وللعرب في ذلك لغتان: آلفت، وأَلِفْت فمن قال: آلفت بمد الألف قال: فأنا أؤالف إيلافاً ومن قال: أَلِفْتُ بقصر الألف قال: فأنا آلَفُ إلْفاً، وهو رجل آلِفُ إلْفاً. وحُكي عن عكرِمة أنه كان يقرأ ذلك: «لتألُّفِ قُرَيْشٍ إلْفَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ والصَّيْفِ». حدثني بذلك أبو كُرَيب، قال: ثنا وكيع، عن أبي مكين، عن عكرِمة. وقد رُوي عن النبيّ ﷺ في ذلك، نا: عن أسماء بنت يزيد، قالت: سمعت النبيّ ﷺ يقرأ: «**إلْفَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ**». واختلف أهل العربية في المعنى الجالب هذه اللام في قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾، فكان بعض نحويي البصرة يقول: الجالب لها قوله: فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مأْكُولٍ فهي في قول هذا القائل صلة لقوله جعلهم، فالواجب على هذا القول، أن يكون معنى الكلام: ففعلنا بأصحاب الفيل هذا الفعل، نعمة منا على أهل هذا البيت، وإحساناً منا إليهم، إلى نعمتنا عليهم

(1) جامع البيان.

في رحلة الشتاء والصيف، فتكون اللام في قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ بمعنى إلى، كأنه قيل: نعمة لنعمة وإلى نعمة، لأن إلى موضع اللام، واللام موضع إلى. وقد قال معنى هذا القول بعض أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

عن مجاهد، في قوله: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ [قُرَيش: 2] قال: إيلافهم ذلك فلا يشقّ عليهم رحلة شتاء ولا صيف.

قال القرطبي[1]: قيل: إن هذه السورة متصلة بالتي قبلها في المعنى. يقول: أهلكت أصحاب الفيل لإيلاف قريش؛ أي لتأتلف، أو لتتفق قريش، أو لكي تأمن قريش فتُؤْلِف رحلتيها. وممن عدّ السورتين واحدة أبيّ بن كعب، ولا فصل بينهما في مصحفه. وقال سفيان بن عيينة: كان لنا إمام لا يفصل بينهما، ويقرؤهما معاً. وقال عمرو بن ميمون الأَوْدِيّ: صلينا المغرب خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فقرأ في الأولى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التين: 1] وفي الثانية: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ [الفيل: 1] و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قُرَيش: 1]. وقال الفراء: هذه السورة متصلة بالسورة الأولى؛ لأنه ذكَّر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة، ثم قال: «لإيلاف قُريش» أي فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نِعْمَةً منا على قريش. وذلك أن قريشاً كانت تخرج في تجارتها، فلا يُغار عليها ولا تُقْرب في الجاهلية. يقولون: هم أهل بيت الله جلّ وعزّ؛ حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة؛ ويأخذ حجارتها، فيبني بها بيتاً في اليمن يَحُج الناس إليه؛ فأهلكهم الله عز وجل، فذكَّرهم نِعْمته. أي فجعل الله ذلك لإيلاف قريش؛ أي ليألفوا الخروج ولا يُجْتَرَأ عليهم؛ وهو معنى قول مجاهد وابن عباس في رواية سعيد بن جبير عنه. ذكره النحاس: حدّثنا أحمد بن شُعيب قال أخبرني عمرو بن عليّ قال: حدّثني عامر بن إبراهيم - وكان ثقة من خيار الناس - قال حدّثني خطاب بن جعفر بن أبي المغيرة، قال: حدّثني أبي عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ قال: نعمتي على

(1) الجامع لأحكام القرآن.

قريش إيلافُهُمْ رحلة الشتاء والصيف. قال: كانوا يَشْتون بمكة، ويَصِيفون بالطائف. وعلى هذا القول يجوز الوقف على رؤوس الآي وإن لم يكن الكلام تاماً؛ على ما نبينه أثناء السورة. وقيل: ليست بمتصلة؛ لأن بين السورتين «بسم الله الرحمٰن الرحيم» وذلك دليل على انقضاء السورة وافتتاح الأخرى، وأن اللام متعلقة بقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ﴾ [قريش: 3] أي فليعبدوا هؤلاء ربَّ هذا البيت، لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف للامتيار.

● **قال تعالى:** ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: 103].

قال الطبري(1): واذكروا ما أنعم الله به عليكم من الألفة والاجتماع على الإسلام.

واختلف أهل العربية في قوله: ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ فقال بعض نحويي البصرة في ذلك: انقطع الكلام عند قوله: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، ثم فسر بقوله: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ وأخبر بالذي كانوا فيه قبل التأليف، كما تقول: أمْسَكَ الحائط أن يميل. وقال بعض نحويي الكوفة: قوله: ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ تابع قوله: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ غير منقطعة منها. والصواب من القول في ذلك عندي أن قوله: ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ متصل بقوله: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ غير منقطع عنه. وتأويل ذلك: واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم التي أنعم بها عليكم حين كنتم أعداء: أي بشرككم، يقتل بعضكم بعضاً، عصبية في غير طاعة الله ولا طاعة رسوله، فألف الله بالإسلام بين قلوبكم، فجعل بعضكم لبعض إخواناً بعد إذ كنتم أعداء تتواصلون بألفة الإسلام واجتماع كلمتكم عليه.

(1) جامع البيان.

قال النسفي[1] : هذه الآية تدل على أن الخطاب بهذه الآية إنما هو للأوس والخزرج، وذلك أن العرب وإن كان هذا اللفظ يصلح في جميعها فإنها لم تكن في وقت نزول هذه الآية اجتمعت على الإسلام ولا تألفت قلوبها، وإنما كانت في قصة شاس بن قيس في صدر الهجرة، وحينئذ نزلت هذه الآية، فهي في الأوس والخزرج، كانت بينهم عداوة وحروب، منها يوم بعاث وغيره، وكانت تلك الحروب والعداوة قد دامت بين الحيين مائة وعشرين سنة، حتى رفعها الله بالإسلام، فجاء النفر الستة من الأنصار إلى مكة حجاجاً، فعرض رسول الله ﷺ نفسه عليهم، وتلا عليهم القرآن، كما كان يصنع مع قبائل العرب، فآمنوا به وأراد الخروج معهم، فقالوا يا رسول الله: إن قدمت بلادنا على ما بيننا من العداوة والحرب، خفنا أن لا يتم ما نريده منك، ولكن نمضي نحن ونشيع أمرك، ونداخل الناس، وموعدنا وإياك العام القابل، فمضوا وفعلوا، وجاءت الأنصار في العام القابل، فكانت العقبة الثانية وكانوا اثني عشر رجلاً، فيهم خمسة من الستة الأولين، ثم جاؤوا من العام الثالث، فكانت بيعة العقبة الكبرى، حضرها سبعون وفيهم اثنا عشر نقيباً، ووصف هذه القصة مستوعب في سيرة ابن هشام، ويسر الله تعالى الأنصار للإسلام بوجهين: أحدهما أن بني إسرائيل كانوا مجاورين لهم وكانوا يقولون لمن يتوعدونه من العرب، يبعث لنا نبي الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما رأى النفر من الأنصار محمداً ﷺ، قال بعضهم لبعض: هذا والله النبي الذي تذكره بنو إسرائيل فلا تسبقنا إليه. والوجه الآخر: الحرب التي كانت ضربتهم وأفنت سراتهم، فرجوا أن يجمع الله به كلمتهم كالذي كان، فعدد الله تعالى عليهم نعمته في تأليفهم بعد العداوة، وذكرهم بها.

● **قال تعالى**: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ [النُّور: 43].

(1) مدارك التنزيل.

قال الفخر الرازي(1): التأليف ضم شيء إلى شيء أي يجمع بين قطع السحاب فيجعلها سحاباً واحداً.

قال القرطبي(2): أي يجمعه عند انتشائه؛ ليقوَى ويتَّصل ويَكْثُف. والأصل في التأليف الهمز، تقول: تَأَلَّف. وقرىء «يُوَلِّف» بالواو تخفيفاً.

قال أبو حيان(3): ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ [النُّور: 43] أي: بين أجزائه لأنه سحابة تتصل بسحابة فجعل ذلك ملتئماً بتأليف بعض إلى بعض.

وقرأ ورش: يُولِفُ بالواو، وباقي السبعة بالهمز وهو الأصل.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [التّوبَة: 60].

قال الطبري(4): وأما المؤلَّفة قلوبهم، فإنهم قوم كانوا يُتألَّفون على الإسلام ممن لم تصحّ نصرته استصلاحاً به نفسه وعشيرته، كأبي سفيان بن حرب وعيينة ابن بدر والأقرع بن حابس، ونظرائهم من رؤساء القبائل.

ثم اختلف أهل العلم في وجود المؤلفة اليوم وعدمها، وهل يعطى اليوم أحد على التألف على الإسلام من الصدقة؟ فقال بعضهم: قد بطلت المؤلَّفة قلوبهم اليوم، ولا سهم لأحد في الصدقة المفروضة إلا لذي حاجة إليها وفي سبيل الله أو لعامل عليها. وقال آخرون: المؤلفة قلوبهم في كلّ زمان، وحقهم في الصدقات.

قال القرطبي(5): لا ذكر للمؤلفة قلوبهم في التنزيل في غير قَسْم الصدقات؛ وهم قوم كانوا في صدر الإسلام ممن يظهر الإسلام، يتألّفون بدفع سهم من الصدقة إليهم لضعف يقينهم. قال الزهريّ: المؤلّفة من أسلم مِن يهوديّ أو نصرانِيّ وإن كان غنيًّا. وقال بعض المتأخرين: ٱختلف في صفتهم؛ فقيل: هم

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) البحر المحيط.
(4) جامع البيان.
(5) الجامع لأحكام القرآن.

صِنف من الكفار يعطون ليتألفوا على الإسلام، وكانوا لا يُسلمون بالقهر والسيف، ولكن يسلمون بالعطاء والإحسان.

● **قال تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البَقَرَة: 243].

قال الفخر الرازي[1]: ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ ففيه قولان الأول: أن المراد منه بيان العدد، واختلفوا في مبلغ عددهم، قال الواحدي رحمه الله: ولم يكونوا دون ثلاثة آلاف، ولا فوق سبعين ألفاً، والوجه من حيث اللفظ أن يكون عددهم أزيد من عشرة آلاف لأن الألوف جمع الكثرة، ولا يقال في عشرة فما دونها ألوف. والقول الثاني: أن الألوف جمع آلاف كقعود وقاعد، وجلوس وجالس، والمعنى أنهم كانوا مؤتلفي القلوب، قال القاضي: الوجه الأول أولى، لأن ورود الموت عليهم وهم كثرة عظيمة يفيد مزيد اعتبار بحالهم، لأن موت جمع عظيم دفعة واحدة لا يتفق وقوعه يفيد اعتباراً عظيماً، فأما ورود الموت على قوم بينهم ائتلاف ومحبة، كوروده وبينهم اختلاف في أن وجه الاعتبار لا يتغير ولا يختلف. ويمكن أن يجاب عن هذا السؤال بأن المراد كون كل واحد منهم آلفاً لحياته، محباً لهذه الدنيا فيرجع حاصله إلى ما قال تعالى في صفتهم: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة: 96] ثم إنهم مع غاية حبهم للحياة والفهم بها، أماتهم الله تعالى وأهلكهم، ليعلم أن حرص الإنسان على الحياة لا يعصمه من الموت فهذا القول على هذا الوجه ليس في غاية البعد.

قال ابن عطية[2]: واختلف الناس في لفظ ﴿أُلُوفٌ﴾. فقال الجمهور: هي جمع ألف. وقال بعضهم: كانوا ثمانين ألفاً. وقال ابن عباس: «كانوا أربعين ألفاً». وقيل: كانوا ثلاثين ألفاً. وهذا كله يجري مع ﴿أُلُوفٌ﴾ إذ هو جمع الكثير، وقال ابن عباس أيضاً: «كانوا ثمانية آلاف»، وقال أيضاً: أربعة آلاف، وهذا

(1) التفسير الكبير.

(2) المحرر الوجيز.

يضعفه لفظ ﴿أُلُوفٌ﴾ لأنه جمع الكثير. وقال ابن زيد في لفظ ﴿أُلُوفٌ﴾: «إنما معناها وهم مؤتلفون» أي لم تخرجهم فرقة قومهم ولا فتنة بينهم.

قال محمد الرازي[1]: «فإن قيل كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة: 243] وقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: 56]. قلنا: المراد بالآية الأولى إماتة العقوبة مع بقاء الأجل، وبالآية الثانية الإماتة بانتهاء الأجل، ونظيره في قوله تعالى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: 56] فصار كإحياء العزيز حين مرّ على القرية. وآيات الأنبياء نوادر مستثناة فكان المراد بالآية الثانية الموتة التي ليست بسبب آية لنبي من الأنبياء وإحياء قوم موسى آية له أيضاً. فكان هذا جواباً عاماً، مع أن في أصل السؤال نظراً لأن العجز في قوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ﴾ للمتقين وفي قوله: «فيها» للجنات.

---

(1) الأنموذج الجليل.

ألم

(ألم - سقم - عذاب - عيّ - قرح - كبد - كدح - لغب - مرض - نصب - نكد)

■ **الألم:** شدة الوجع ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ﴾ [النِّساء: 104].

■ **السَّقم:** ألم يخترق الجسم نحافة ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: 88-89].

■ **العذاب:** الإيجاع بالآلة ونحوها انتقاماً ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النّمل: 21].

■ **العي:** عجز يعقب تولّي الأمر الثقيل ﴿ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ [الأحقاف: 33].

■ **القرْح:** (بالضم) الأثر من الجراحة من الخارج وبالفتح أثرها من الداخل. ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [آل عِمران: 140].

■ **الكَبْد:** (بالفتح) شدة المشقة واستمرارها في التعامل مع فعل ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البَلَد: 4].

■ **الكَدْح:** دوام العناء من ضعف القدرة ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: 6].

■ **اللغب:** ألم ينتج من شدة الشعور بالتعب ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [قٓ: 38].

- **المرض:** داء يصيب الجسد أو النفس ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ﴾ [البَقَرَة: 10].
- **النَّصَبُ:** مرض جسماني من شدة التعب ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ [فَاطِر: 35].
- **النَّكَد:** ألم الحصول على المطلوب مشوّهاً ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًاۚ﴾ [الأعراف: 58].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الهمزة واللّام والميم أصل واحد، وهو الوجَع.

قال الخَليل(2): الألَم: الوَجع، والمُؤلم: المُوجع. والفعل: ألِمَ يَألَم ألماً فهو ألِمٌ والمجاوز: آلَمَ يُؤلم إيلاماً فهو مؤلم.

قال الأزهَريّ(3): والألَمُ: الوجَع، وقد ألِم الرّجل يَألَم ألماً فهو ألِمٌ. ويُجمع الألَمُ: آلاماً. فإذا قلتَ: عذاب أليم، فهو بمعنى مُؤلم. ومنه: رجل وَجِع. وضَرْبٌ وَجِع، أي: موجع. وتألّم فلان من فلان، إذا تشكّى منه وتوجّع.

قال الجَوهَريّ(4): الألَمُ: الوَجَع. وقد ألِم يَألَمُ ألماً. وقولهم: ألِمْتَ بطنك، كقولهم: رَشِدتَ أمرَك، أي: ألِم بطنُك ورَشِد أمرُك. والتَّألّم: التّوجُّع، والإيلام: الإيجاع، والألِيم: المُوجع، مثل السّميع بمعنى المُسمع.

قال الرّاغِب(5): **الألَم**: الوجَع الشّديد، يقال: ألِم يألم ألماً فهو آلِم.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) تهذيب اللغة.
(4) الصحاح في اللغة.
(5) مفردات الراغب.

الزَمْخْشَريّ[1]: هو أَلِمٌ ومتألمٌ، وضربه فألَمه، ومسّه بضرب أليم، وبه ألَمٌ شديد، وهو موجعٌ مُؤلم.

السمين[2]: شدة الوجع، ألم ألماً (فإنهم يألمون كما تألمون).

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النِّساء: 104].

قال الزمخشري[3]: أي ليس ما تكابدون من الألم بالجرح والقتل مختصاً بكم، إنما هو أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم، ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون. فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم، مع أنكم أولى منهم بالصبر لأنكم ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾ من إظهار دينكم على سائر الأديان، ومن الثواب العظيم في الآخرة. وقرأ الأعرج: «أن تكونوا تألمون»، بفتح الهمزة، بمعنىٰ: ولا تهنوا لأن تكونوا تألمون. وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ﴾ تعليل. وقرىء: «فإنهم ييلون كما تيلون».

قال الفخر الرازي[4]: والمعنى أن حصول الألم قدر مشترك بينكم وبينهم، فلما لم يصر خوف الألم مانعاً لهم عن قتالكم فكيف صار مانعاً لكم عن قتالهم، ثم زاد في تقرير الحجة وبَيَّن أن المؤمنين أولى بالمصابرة على القتال من

(1) أساس البلاغة.
(2) عمدة الحفاظ.
(3) الكشاف.
(4) التفسير الكبير.

المشركين، لأن المؤمنين مقِرُّون بالثواب والعقاب والحشر والنشر، والمشركين لا يقرون بذلك، فإذا كانوا مع إنكارهم الحشر والنشر يَجِدُّون في القتال؛ فأنتم أيها المؤمنون المقرون بأن لكم في هذا الجهاد ثواباً عظيماً وعليكم في تركه عقاباً عظيماً، أولى بأن تكونوا مجدين في هذا الجهاد، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾.

قال القرطبي[1]: أي تتألمون مما أصابكم من الجراح، فهم يتألمون أيضاً مما يصيبهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البَقَرَة: 10].

قال البغوي[2]: أي مؤلم يخلص وجعه إلى قلوبهم.

قال الطبري[3]: والأليم: هو الموجع، ومعناه: ولهم عذاب مؤلم، فصرف «مؤلم» إلى «أليم»، كما يقال: ضرب وجيع بمعنى موجع، والله بديع السمٰوات والأرض بمعنى مبدع.

وإنما الأليم صفة للعذاب، كأنه قال: ولهم عذاب مؤلم. وهو مأخوذ من الألم، والألم: الوجع.

قال الزمخشري[4]: يقال: أَلِمَ فهو ﴿أَلِيمٌ﴾ كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به، وهذا على طريقة قولهم: جَدَّ جَدُّه. والألم في الحقيقة للمؤلم كما أنّ الجدَّ للجادِّ. والمراد بكذبهم قولهم: آمنا بالله وباليوم الآخر. وفيه رمز إلى قبح الكذب وسماجته، وتخييل أن العذاب الأليم لاحق بهم من أجل كذبهم. ونحوه قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾ [نوح: 25] والقوم كفرة. وإنما خصت الخطيئات استعظاماً لها وتنفيراً عن ارتكابها.

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) معالم التنزيل.
(3) جامع البيان.
(4) الكشاف.

● قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يُونس: 4].

قال القاسمي[1]: وجع يخلص ألمه إلى قلوبهم.

قال الطبري[2]: يقول: ولهم مع ذلك عذاب موجع سوى الشراب من الحميم.

● قال تعالى: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هُود: 26].

قال الألوسي[3]: أي المؤلم على الإسناد المجازي، لأن المؤلم هو الله سبحانه نزل الظرف منزلة الفاعل نفسه لكثرة وقوع الفعل فيه، فجعل كأنه وقع الفعل منه، وكذا وصف العذاب بذلك في غير موضع القرآن العظيم ويمكن اعتباره هنا أيضاً، وجعل الجر للجوار، ووجه التجوز حينئذ أنه جعل وصف الشيء لقوة تلبسه به كأنه عينه فأسند إليه ما يسند إلى الفاعل، ونظير ذلك على الوجهين نهاره صائم وجد جده، وقد يقال: إن وصف العذاب بالإيلام حقيقة عرفية ومثله يعدُّ فاعلاً في اللغة، فيقال: آلمه العذاب من غير تجوز.

قال ابن عطية[4]: معناه مؤلم، ووصف به اليوم وحقه أن يوصف به العذاب تجوزاً إذ العذاب في اليوم، فهو كقولهم: نهار صائم وليل قائم.

قال الطبري[5]: أخاف عليكم من الله عذاب يوم مؤلم عقابُه وعذابه لمن عذّب فيه. وجعل الأليم من صفة اليوم وهو من صفة العذاب، إذ كان العذاب فيه كما قيل: ﴿وَجَعَلَ الَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: 96] وإنما السَّكن من صفة ما سكن فيه دون الليل.

---

(1) محاسن التنزيل.
(2) جامع البيان.
(3) روح المعاني.
(4) المحرر الوجيز.
(5) جامع البيان.

إله

(إلـه - الله - رب - ولي - مولى)

- **إله:** معبود المؤمنين به فقط ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90].
- **الله:** اسم الله الأعظم الذي لم يطلق على أحد غيره ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1].
- **رَبّ:** المتكفل بشؤون المخلوقات كلها ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفَاتِحَة: 2].
- **الوَلِيّ:** الناصر لمن هم في ولايته والموالي لهم ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 68]. . ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: 40].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الهمزة واللّام والفاء أصل واحد، وهو التّعبّد. فالإِلٰه: الله تعالى، وسُمّي بذلك لأنّه معبُود ويقال: تألّهَ الرّجل: إذا تعبّد. والإلاهة: الشّمس، سمّيت بذلك لأنّ قوماً كانوا يعبدونها. فأمّا قولهم في التَحيّر: ألِهَ يألَه، فليس من الباب، لأنّ الهمزة واو. وقد ذُكر في بابه.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخَليل[1]: إنّ اسم الله الأكبر هو الله، لا إلٰه إلا هو وحده. وتقول العرب: اللهِ مافعلتُ ذاك، تريد واللهِ مافعلتُه. والتّألُّه: التّعبُد.

وقال: الله، لا تطرح الألف من الاسم إنما هو الله عند ذكره على التمام قال: وليس هو من الأسماء التي يجوز منها الاشتقاق كما يجوز في الرحمٰن والرحيم.

قال ابن دريْد[2]: وتقول العرب: ألِهَ عن كذا: أي أسِل عنه. والإلاهة: الشّمس بعينها، وقالوا: الأليهة أيضاً.

قال الجَوهَريّ[3]: ألَهَ بالفتح إلاهة، أي: عَبد عبادة. ومنه قرأ ابن عَبّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (ويَذَرَك وَإلاهتَك) بكسر الهمزة. قال: وعبادتك. وكان يقول: أنّ فرعون كان يُعبد في الأرض.

ومنه قولنا: الله، وأصله: «إلاه» على «فِعال» بمعنة «مفعول» لأنّه مألوه، أي معبود، كقولنا: إمامٌ «فِعال» بمعنى «مفعول» لأنّه مُؤتَمّ به، فلمّا أُدخِلت عليه الألف واللّام حذفت الهمزة تخفيفاً لكثرته في الكلام. ولو كانتا عوضاً منها لما اجتمعتا مع المُعوّض منه في قولهم: الإلٰه. وقُطعت الهمزة في النّداء للزومها تفخيماً لهذا الاسم.

قال الزَمخَشريّ[4]: «الله» أصله الإلٰه. قال: «معاذ الإلٰه أن تكون كظبية» ونظيره النّاس أصله الأُناس، قال: «إنّ المنايا يطلعن على الإناس الآمنينا» فحذفت الهمزة وعوّض منها حرف التّعريف، ولذلك قيل في النّداء: يا الله بالقطع، كما يقال: يا إلَه.

---

(1) العين.
(2) الجمهرة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) أساس البلاغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: 163].

قال الفخر الرازي(1): المسألة السادسة: إن قيل: ما معنى إضافته بقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ وهل تصح هذه الإضافة في كل الخلق أو لا تصح إلا في المكلف؟ قلنا: لما كان الإلٰه هو يستحق أن يكون معبوداً والذي يليق به أن يكون معبوداً بهذا الوصف، إنما يتحقق بالنسبة إلى من يتصور منه عبادة الله تعالى، فإن هذه الإضافة صحيحة بالنسبة إلى كل المكلفين، وإلى جميع من تصح صيرورته مكلفاً تقديراً.

المسألة السابعة: قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ يدل على أن معنى الإلٰه ما يصح أن تدخله الإضافة فلو كان معنى الإلٰه القادر لصار المعنى: وقادركم قادر واحد ومعلوم أنه ركيك فدل على أن الإلٰه هو المعبود.

المسألة الثامنة: قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ معناه أنه واحد في الإلٰهية، لأن ورود لفظ الواحد بعد لفظ الإلٰه يدل على أن تلك الوحدة معتبرة في الإلٰهية لا في غيرها، فهو بمنزلة وصف الرجل بأنه سيد واحد، وبأنه عالم واحد، ولما قال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أمكن أن يخطر ببال أحد أن يقول: هب أن إلٰهنا واحد، فلعل إلٰه غيرنا مغاير لإلٰهنا، فلا جرم أزال هذا الوهم ببيان التوحيد المطلق، فقال: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وذلك لأن قولنا: لا رجل يقتضي نفي هذه الماهية، ومتى انتفت هذه الماهية انتفى جميع أفرادها، إذ لو حصل فرد من أفراد تلك الماهية فمتى حصل ذلك الفرد، فقد حصلت الماهية، وذلك يناقض ما دل اللفظ عليه من انتفاء

(1) التفسير الكبير.

الماهية: فثبت أن قولنا: لا رجل يقتضي النفي العام الشامل، فإذا قيل بعد: إلا زيداً، أفاد التوحيد التام المحقق وفي هذه الكلمة أبحاث. أحدها: أن جماعة من النحويين قالوا: الكلام فيه حذف وإضمار والتقدير: لا إلٰه لنا، أو لا إلٰه في الوجود إلا الله، واعلم أن هذا الكلام غير مطابق للتوحيد الحق وذلك لأنك لو قلت: التقدير أنه لا إلٰه لنا إلا الله، لكان هذا توحيداً لإلٰهنا لا توحيداً للإلٰه المطلق، فحينئذ لا يبقى بين قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ وبين قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فرق، فيكون ذلك تكراراً محضاً، وأنه غير جائز، وأما لو قلنا: التقدير لا إلٰه في الوجود، فذلك الإشكال زائل، إلا أنه يعود الإشكال من وجه آخر، وذلك لأنك إذا قلت: لا إلٰه في الوجود لا إلٰه إلا هو؛ كان هذا نفياً لوجود الإلٰه الثاني، أما لو لم يضمر هذا الإضمار كان قولك: لا إلٰه إلا الله نفياً لماهية الإلٰه الثاني، ومعلوم أن نفي الماهية أقوى في التوحيد الصرف من نفي الوجود، فكان إجراء الكلام على ظاهره، والإعراض عن هذا الإضمار أولى، فإن قيل: نفي الماهية كيف يعقل؟ فإنك إذا قلت السواد ليس بسواد، كان ذلك حكماً بأن السواد ليس بسواد، وهو غير معقول، أما إذا قلت: السواد ليس بموجود، فهذا معقول منتظم مستقيم، قلنا: بنفي الماهية أمر لا بد منه، فإنك إذا قلت: السواد ليس بموجود، فقد نفيت الوجود، والوجود من حيث هو وجود ماهية، فإذا نفيته فقد نفيت هذه الماهية المسماة بالوجود، فإذا عقل نفي هذه الماهية من حيث هي هي، فلم لا يعقل نفي تلك الماهية أيضاً، فإذا عقل ذلك صح إجراء قولنا: لا إلٰه إلا الله على ظاهره، من غير حاجة إلى الإضمار، فإن قلت: إنا إذا قلنا السواد ليس بموجود، فما نفيت الماهية وما نفيت الوجود، ولكن نفيت موصوفية الماهية بالوجود، قلت: فموصوفية الماهية بالوجود، هل هي أمر منفصل عن الماهية وعن الوجود أم لا، فإن كانت منفصلة عنهما كان نفيها نفياً لتلك الماهية، فالماهية من حيث هي هي أمكن نفيها، وحينئذ يعود التقريب المذكور، وإن لم تكن تلك الموصوفية

أمراً منفصلاً عنها استحال توجيه النفي إليها إلا بتوجيه النفي، إما إلى الماهية وإما إلى الوجود، وحينئذ يعود التقريب المذكور فثبت أن قولنا، لا إلٰه إلا هو حق وصدق من غير حاجة إلى الإضمار ألبتة.

قال القرطبي[(1)]: نَفْيٌ وإثبات. أوّلها كفر وآخرها إيمان، ومعناه لا معبود إلا الله. وحُكي عن الشّبليّ رحمه الله أنه كان يقول: الله؛ ولا يقول: لا إلٰهَ؛ فسُئل عن ذلك فقال: أخشى أن آخذ في كلمة الجحود ولا أصل إلى كلمة الإقرار.

قلت: وهذا من علومهم الدقيقة، التي ليست لها حقيقة؛ فإن الله جلّ اسمه ذكر هذا المعنى في كتابه نفياً وإثباتاً وكرره، ووعد بالثواب الجزيل لقائله على لسان نبيّه ﷺ؛ خرّجه الموطأ والبخاريّ ومسلم وغيرهم.

قال البيضاويّ[(2)]: خطاب عام، أي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح أن يعبد أو يسمى إلٰهاً. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تقرير للوحدانية، وإزاحة لأن يتوهم أن في الوجود إلهاً ولكن لا يستحق منهم العبادة.

● **قال تعالى**: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البَقَرَة: 255].

قال الطبري[(3)]: فإن معناه: النهي عن أن يعبد شيء غير الله ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البَقَرَة: 255] الذي صفته ما وصف به نفسه تعالى ذكره في هذه الآية. يقول: «الله» الذي له عبادة الخلق «الحيّ القيوم»، لا إلٰه سواه، لا معبود سواه، يعني: ولا تعبدوا شيئاً سواه.

قال البيضاويّ[(4)]: مبتدأ وخبر والمعنى أنه المستحق للعبادة لا غيره. وللنحاة خلاف في أنه هل يضمر للأخير مثل في الوجود أو يصح أن يوجد.

قال السيوطي[(5)]: أي لا معبود بحق في الوجود إلّا هو.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) أنوار التنزيل.
(3) جامع البيان.
(4) أنوار التنزيل.
(5) الدر المنثور.

● **قال تعالى:** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18].

قال الفخر الرازي(1): والفائدة في إعادته وجوه الأول: أن تقدير الآية: شهد الله أنه لا إلٰه إلا هو، وإذا شهد بذلك فقد صح أنه لا إلٰه إلا هو، ونظيره قول من يقول: الدليل دلّ على وحدانية الله تعالى، ومتى كان كذلك صح القول بوحدانية الله تعالى الثاني: أنه تعالى لما أخبر أن الله شهد أنه لا إلٰه إلا هو وشهدت الملائكة وأولوا العلم بذلك صار التقدير، كأنه قال: يا أمة محمد فقولوا أنتم على وفق شهادة الله وشهادة الملائكة وأولي العلم لا إلَٰه إلا هو فكان الغرض من الإعادة الأمر بذكر هذه الكلمة على وفق تلك الشهادات الثالث: فائدة هذا التكرير الإعلام بأن المسلم يجب أن يكون أبداً في تكرير هذه الكلمة فإن أشرف كلمة يذكرها الإنسان هي هذه الكلمة، فإذا كان في أكثر الأوقات مشتغلاً بذكرها وبتكريرها كان مشتغلاً بأعظم أنواع العبادات، فكان الغرض من التكرير في هذه الآية حث العباد على تكريرها الرابع: ذكر قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أولاً: ليعلم أنه لا تحق العبادة إلا لله تعالى، وذكرها ثانياً: ليعلم أنه القائم بالقسط لا يجور ولا يظلم.

قال الألوسي(2): تكرير للمشهود به للتأكيد، وفيه إشارة إلى مزيد الاعتناء بمعرفة أدلته لأن تثبيت المدعى إنما يكون بالدليل، والاعتناء به يقتضي الاعتناء بأدلته ولينبني عليه قوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فيعلم أنه المنعوت بهما.

● **قال تعالى:** ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: 8].

قال الفخر الرازي(3): في إعرابه قالوا كلمة لا هٰهنا دخلت على الماهية،

---

(1) التفسير الكبير.

(2) روح المعاني.

(3) التفسير الكبير.

فانتفت الماهية، وإذا انتفت الماهية انتفت كل أفراد الماهية. وأما الله فإنه اسم علم للذات المعينة إذ لو كان اسم معنى لكان كلها محتملاً للكثرة فلم تكن هذه الكلمة مفيدة للتوحيد، فقالوا: لا استحقت عمل أن لمشابهتها لها من وجهين، أحدهما: ملازمة الأسماء، والآخر تناقضهما فإن أحدهما لتأكيد الثبوت والآخر لتأكيد النفي، ومن عادتهم تشبيه أحد الضدين بالآخر في الحكم، إذا ثبت هذا فنقول لما قالوا: إن زيداً ذاهب، كان يجب أن يقولوا: لا رجلاً ذاهب. إلا أنهم بنوا لا مع ما دخل عليه من الاسم المفرد على الفتح، أما البناء فلشدة اتصال حرف النفي بما دخل عليه كأنهما صارا اسماً واحداً، وأما الفتح فلأنهم قصدوا البناء على الحركة المستحقة توفيقاً بين الدليل الموجب للإعراب والدليل الموجب للبناء. الثاني: خبره محذوف والأصل لا إلٰه في الوجود ولا حول ولا قوة لنا وهذا يدل على أن الوجود زائد على الماهية.

قال بعضهم تصور الثبوت مقدم على تصور السلب، فإن السلب ما لم يضف إلى الثبوت لا يمكن تصوره فكيف قدم هٰهنا السلب على الثبوت. وجوابه: أنه لما كان هذا السلب من مؤكدات الثبوت لا جرم قدم عليه.

قال الألوسي(1): تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله من اختصاص الألوهية به سبحانه فإن ما أسند إليه عز شأنه من خلق جميع الموجودات والعلو اللائق بشأنه على جميع المخلوقات والرحمانية والمالكية للعلويات والسفليات والعلم الشامل مما يقتضيه اقتضاء بيناً.

● **قال تعالى**: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس: 1-3].

قال الزمخشري(2): ما هما من رب الناس؟ قلت: هما عطف بيان، كقولك:

(1) روح المعاني.
(2) الكشاف.

سيرة أبي حفص عمر الفاروق. بين بملك الناس، ثم زيد بياناً بإلٰه الناس، لأنه قد يقال لغيره: رب الناس، كقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 31] وقد يقال: ملك الناس. وأمّا ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: 3] فخاص لا شركة فيه، فجعل غاية للبيان. فإن قلت: فهلا اكتفى بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرّة واحدة؟ قلت: لأنّ عطف البيان للبيان.

قال الفخر الرازي(1): بدأ بذكر الرب وهو اسم لمن قام بتدبيره وإصلاحه، وهو من أوائل نعمه إلى أن رباه وأعطاه العقل فحينئذ عرف بالدليل أنه عبد مملوك وهو ملكه، فثنى بذكر الملك، ثم لما علم أن العبادة لازمة له واجبة عليه، وعرف أن معبوده مستحق لتلك العبادة عرف أنه إلٰه، فلهذا ختم به، وأيضاً أول ما يعرف العبد من ربه كونه مطيعاً لما عنده من النعم الظاهرة والباطنة، وهذا هو الرب، ثم لا يزال يتنقل من معرفة هذه الصفات إلى معرفة جلالته واستغنائه عن الخلق، فحينئذ يحصل العلم بكونه ملكاً، لأن الملك هو الذي يفتقر إليه غيره ويكون هو غنياً عن غيره، ثم إذا عرفه العبد كذلك عرف أنه في الجلالة والكبرياء فوق وصف الواصفين وأنه هو الذي ولهت العقول في عزته وعظمته، فحينئذ يعرفه إلٰهاً.

قال القاسمي(2): ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: 1] أي: ألجأ إليه وأستعين به، و(رَبِّ النَّاسِ) الذي يُربيهم بقدرته ومشيئته وتدبيره، وهو رب العالمين كلِّهم والخالق للجميع (مَلِكِ النَّاسِ) أي: الذي ينفذ فيهم أمرُه وحكمه وقضاؤه ومشيئته دون غيره. (إِلَٰهِ النَّاسِ) أي: معبودهم الحق وملاذهم إذا ضاق بهم الأمر، دون كل شيء سواه. والإلٰه المعبود الذي هو المقصود بالإرادات والأعمال كلها.

● **قال تعالى**: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ﴾ [الأنبياء: 43].

فاعلم أن الميم صلة يعني: ألهم آلهة تكلؤهم من دوننا والتقدير ألهم آلهة

(1) التفسير الكبير.
(2) محاسن التأويل.

تمنعهم. وتم الكلام ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾، وهذا خبر مبتدأ محذوف أي فهذه الآلهة لا تستطيع حماية أنفسها عن الآفات، وحماية النفس أولى من حماية الغير. فإذا لم تقدر على حماية نفسها فكيف تقدر على حماية غيرها(1).

وقوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: 127] وقرئ (وإلٰهتك)(2). أي: عبادتك.

(اللهم): قيل: معناه يا الله، فإبدال من الياء الواقع في أوله الميمان في آخره(3)، وخص بدعاء الله، وقيل: تقديره يا الله أمنا بخير(4)، مركب تركيب حيهلا.

وقيل: الإلاهة: الحية العظيمة. والإهة: اسم موضوع بالجزيرة.

● **قال تعالى:** ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: 1-2].

قال القرطبي(5): أي: الواحد الوِتر، الذي لا شبيه له، ولا نظير ولا صاحبة، ولا ولد ولا شريك. وأصل «أَحَدٌ»: وَحَدٌ؛ قُلِبت الواو همزة.

قال الماوردي(6): فإن قيل: فلم قال «أَحَدٌ» على وجه النكرة، ولم يقل الأَحَدُ؟ قيل عنه جوابان:

---

(1) تفسير الكبير/الفخر الرازي.

(2) وبها قرأ عليّ بن أبي طالب ﷺ وابن عباس والضحاك وهي قراءة شاذة، راجع القرطبي: 7/ 262.

(3) وهذا قول الخليل رحمه الله: انظر: اللسان، معاني الفراء 1/ 203، والغريبين للهروي 1/ 79.

(4) هذا قول الفراء ذكره في معاني القرآن 1/ 203.

(5) الجامع لأحكام القرآن.

(6) النكت والعيون.

أحدهما: أنه حذف لام التعريف على نية إضمارها فصارت محذوفة في الظاهر، مثبتة في الباطن، ومعناه قل هو الله الأحد.

الثاني: أنه ليس بنكرة، وإنما هو بيان وترجمة، قاله المبرد.

فأما الأحد والواحد ففيهما وجهان:

أحدهما: أن الأحد لا يدخل العدد، والواحد يدخل في العدد، لأنك تجعل للواحد ثانياً، ولا تجعل للأحد ثانياً.

الثاني: أن الأحد يستوعب جنسه، والواحد لا يستوعب، لأنك لو قلت فلان لا يقاومه أحد، لم يجز أن يقاومه اثنان ولا أكثر، فصار الأحد أبلغ من الواحد.

قال الفخر الرازي(1): ما الفائدة في تكرير لفظة الله في قوله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ الجواب: لو لم تكرر هذه اللفظة لوجب في لفظ أحد وصمد أن يردا، إما نكرتين أو معرفتين، وقد بينا أن ذلك غير جائز، فلا جرم كررت هذه اللفظة حتى يذكر لفظ أحد منكراً ولفظ الصمد معرفاً.

● **قال تعالى**: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22].

قال الزمخشري(2): فإن قلت: ما منعك من الرفع على البدل؟ قلت: لأنّ «لو» بمنزلة «إن» في أنّ الكلام معه موجب، والبدل لا يسوّغ إلا في الكلام غير الموجب، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ [هود: 81] وذلك لأنّ أعمّ العامّ يصح نفيه ولا يصح إيجابه. والمعنى: لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا. وفيه دلالة على أمرين، أحدهما: وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحداً. والثاني: أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده، لقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فإن قلت: لم وجب الأمران؟ قلت: لعلمنا أنّ الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف. وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو ابن سعيد الأشدق قال:

---

(1) التفسير الكبير. (2) الكشاف.

كان والله أعزّ عليّ من دم ناظري، ولكن لا يجتمع فحلان في شول. وهذا ظاهر وأمّا طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد، ولأنّ هذه الأفعال محتاجة إلى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقرّ.

قال ابن عطية[1]: وذلك بأنه كان يبغي بعضهم على بعض ويذهب بما خلق، واقتضاب القول في هذا أن الإلٰهين لو فرضا فوقع بينهما الاختلاف في تحريك جرم وتسكينه فمحال أن تتم الإرادتان ومحال أن لا تتم جميعاً، وإذا تمت الواحدة كان صاحب الأخرى عاجزاً، وهذا ليس بإلٰه، وجواز الاختلاف عليهما بمنزلة وقوعه منهما.

● **قال تعالى**: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾ [النساء: 131-132].

قال الطبري[2]: فإن قال قائل: وما وجه تكرار قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ في آيتين إحداهما في إثر الأخرى؟ قيل: كرّر ذلك لاختلاف معنى الخبرين عما في السمٰوات والأرض في الآيتين، وذلك أن الخبر عنه في إحدى الآيتين ذكر حاجته إلى بارئه وغنى بارئه عنه، وفي الأخرى حفظ بارئه إياه به وعلمه به وتدبيره. فإن قال: أفلا قيل: وكان الله غنياً حميداً وكفى بالله وكيلاً؟ قيل: إن الذي في الآية التي قال فيها: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ مما صلح أن يختم ما ختم به من وصف الله بالغني وأنه محمود ولم يذكر فيها ما يصلح أن يختم بوصفه معه بالحفظ والتدبير، فلذلك كرّر قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾.

قال الألوسي[3]: يحتمل أن يكون كلاماً مبتدأ مسوقاً للمخاطبين توطئة لما

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) جامع البيان.
(3) روح المعاني.

بعده من الشرطية أي له سبحانه ما فيهما من الخلائق خلقاً وملكاً يتصرف في ذلك كيفما يشاء إيجاداً وإعداماً وإحياءً وإماتة، ويحتمل أن يكون كالتكميل للتذييل ببيان الدليل فإن جميع المخلوقات تدل لحاجتها وفقرها الذاتي على غناه وبما أفاض سبحانه عليها من الوجود والخصائص والكمالات على كونه حميداً.

● **قال تعالى**: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفُرقان: 43].

الطبري[1]: أرأيت يا محمد من اتخذ إلٰهه شهوته التي يهواها.

قال الزمخشري[2]: من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلاً ولا يصغي إلى برهان. فهو عابد هواه وجاعله آلهة، فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبوداً إلاّ هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى أفتتوكل عليه وتجبره على الإسلام وتقول لا بدّ أن تسلم شئت أو أبيت - ولا إكراه في الدين؟ وهذا كقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [قٓ: 45].

قال أبو السعود[3]: تعجيبٌ لرسول الله ﷺ من شناعةِ حالِهم بعد حكاية قبائحِهم من الأقوالِ والأفعالِ وبيانِ ما لهم من المصيرِ والمآلِ وتنبيهٌ على أنَّ ذلك من الغرابةِ بحيث يجبُ أنْ يرى ويتعجَّبَ منه. وإلٰهَهَ مفعول ثانٍ لاتَّخذ قُدِّم على الأوَّلِ للاعتناء به لأنَّه الذي يدورُ عليه أمرُ التَّعجيبِ. ومَن توهَّم أنهما على التَّرتيبِ بناء على تساويهما في التَّعريفِ فقد زلَّ منه أنَّ المفعولَ الثَّانِي في هذا الباب هو المتلبِّسُ بالحالة الحادثِة.

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) إرشاد العقل السليم.

آلى

(آلى - حلف - أقسم)

- **آلَى:** حلف غاضباً ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ [البقرة: 226].
- **الحَلْفَ:** اليمين التي تؤكد شيئاً مضى ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ [التوبة: 56].
- **القَسَمُ:** اليمين التي تؤكد أمراً مستقبلاً ﴿إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القَلَم: 17].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال الخَليل[1]: الألاء: النّعم، واحدتها: إلىً، وأليّة: يمين، ومنها أُلْوة. والأليّة: محمولة على «فَعُولة»، وألْوَة على «فَعْلة». والفعل: أَليْت إيلاءً.

قال ابن دُرَيْد[2]: الأليّة: اليمين، والجمع: ألايا، وربمّا قيل: الأُلوّة في معنى الأليّة. ويقال: أَلَى الرّجل يُؤلي إيلاءً: إذا حَلف. والألُوة: العُود الذي يُتبخّر به، فارسيّ معرّب، ويقال: أَلُوّة بالفتح أيضاً.

قال الأزهَريّ[3]: الألاء: النّعم، واحدتُها: إلْيٌ وأَلْيٌ، وأَلْوٌ وأَلَى، وإِلًى.

قال الجَوهَريّ[4]: أَلَا الرّجل يألوُ، أي: قَصَّر. وفلان لا يألُوك نُصْحاً، فهو

(1) العين.
(2) الجمهرة.
(3) تهذيب اللغة.
(4) الصحاح في اللغة.

آلٍ، والمرأة آلِيّة، وجمعها: أوالٍ. وفي المَثل: «إلّا حَظِيَّةٌ فَلاَ أَلِيَّةٌ» وقد فسّرناه في حظيّة. ويقال أيضاً: أَلَّى يُؤَلِّي تَأْلِيَةً. إذا قصّر وأبطأ وتقول: أَلَاهُ يَأْلُوه أَلْواً: استطاعه.

قال الرّاغِب[1]: أَلَوْتُ في الأمر: قصّرتُ فيه، هو منه، كأنّه رأى فيه الانتهاء. وأَلْوتُ، أي: أَوْلتُه تقصيراً، نحو كسَبْتهُ، أي: أَوْليتهُ كَسباً. وما أَلَوْته جَهداً، أي: ما أَوْليتهُ تقصيراً بحسب الجُهد، فقولك: جُهداً تمييز، وكذلك ما ألوَته نُصحاً.

قال الزَمخْشَريّ[2]: يقال: أَلا في الأمر يَأْلُو إذا: قصّر فيه، ثمّ استعمل معدًّى أَلَى مفعولين، في قولهم: لا ألوك نُصحاً ولا ألوك جُهداً على التّضمين، والمعنى لا أمنعك نُصحاً ولا أنقصكه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: 118].

قال الفَخْر الرّازي[3]: أي: لا يدعون جهدهم في مضرّتكم وفسادكم، يقال: ما أَلْوتُه نُصحاً، أي: ما قصّرت في نصيحته، وما أَلْوته شراً، مثله.

قال القُرطُبي[4]: لايتركون الجُهد في فسادكم، يعني أنّهم وإن لم يقاتلوكم في الظّاهر، فإنّهم لايتركون الجُهد في المكر والخديعة.

(1) مفردات الراغب.
(2) أساس البلاغة.
(3) التفسير الكبير.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

قال الألوسيّ[1]: أصل الأُلُو: التّقصير، يقال: أَلَا كغزا يألُو ألْواً: إذا قصّر وفتر وضعف. وهو لازم يتعدّى إلى المفعول بالحرف. وقد يستعمل متعديًّا إلى مفعولين في قولهم: لا ألوُك نُصحاً ولا ألُوك جُهداً، على تضمين معنى المنع، أي: لا أمنعك ذلك. وقد يجعل بمنع التّرك فيتعدَّى إلى واحد. ومعنى الآية على الأوّل: لايقصّرون لكم في الفساد والشّرّ، بل يجهدون في مضرّتكم؛ وعليه يكون الضّمير المنصوب والاسم الظّاهر منصوبين بنزع الخافض. وإليه ذهب ابن عَطيّة، وجوّز أن يكون الثّاني منصوباً على الحال، أي: مُخبلين، أو على التّمييز. واعترض ذلك بأنّه لا إبهام في نسبة التّقصير إلى الفاعل، ولا يصحّ جعله فاعلاً إلا على اعتبار الإسناد المجازيّ والنصب بنزع الخافض؛ ووقوع المصدر حالاً ليس بقياس إلا فيما يكون المصدر نوعاً من العامل، نحو أتاني سرعة وبُطء، كما نصّ عليه الرّضيّ في بحث المفعول به والحال - واعتمده - السّيالكوتيّ -، ونقل أبو حيّان أنّ التّمييز هنا محوَّل عن المفعول نحو: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: 12]، وهو من الغرابة بمكان، لأنّ المفروض أن الفعل لازم فمِن أينَ يكون له مفعول ليحوّل عنه؛ وملاحظة تعدّيه إليه بتقدير الحرف قول بالنّصب على نزع الخافض، وقد سمعت ما فيه. وأُجيب بالتزام أحد الأمرين، أو كونه منصوبًا على النّزع، مع القول بالسّماع هنا.

والمعنى على الثّاني: لا يمنعوكم خَبالاً، أي: إنّهم يفعلون معكم ما يقدرون عليه من الفساد، ولا يبقون عندهم شيئاً منه في حقّكم، وهو وجه وجيه. والتّضمين قياسِي على الصحيح، والخلاف فيه واهٍ ولا يُلتفت إليه، والمعنى والإعراب على الثّالث ظاهران بعد الإحاطة بما تقدّم.

● **قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾** [البقرة: 226].

الطّبَريّ[2]: الّذين يقسمون ألِيّة، والأليّة: الحلف.

---

(1) روح المعاني. (2) جامع البيان.

قال الزَمخْشَريّ[1]: قرأ عبد الله (أَلوُ من نِسائِهم) وقرأ ابن عبَاس (يقسمُون مِن نِسائِهم). فإن قلت: كيف عُدّي بـ (مِن) وهو مُعدّى بـ «على» قلت: قد ضمّن في هذا القسم المخصوص معنى البُعد، فكأنّه قيل: يبعدون من نِسائِهم مُؤلْين أو مقسمين. والإيلاء من المرأة أن يقول: والله لا أقربك على الإطلاق ولا يكون فيما دون أربعة أشهر إلاّ ما يُحكى عن إبراهيم النَّخعيّ.

قال القُرطُبي[2]: (يُؤُلونَ) معناه يحلفون، والمصدر إيلاء وأليّة وأُلُوة وأَلْوة. وقرأ أبيّ، وابن عَباس: للّذين يقسِمُون)، ومعلوم أنّ يقسمون تفسير يُؤُلون. وقرىء (للّذين آلوُ) يقال: أَلىَ يُؤلي إيلاءُ وتألّى تألّياً، وائتلى ائتلاءً، أي حلف ومنه: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ [النور: 22].

● **قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ . . .﴾ [النور: 22].**

قال الطبري[3]: واختلف القُرّاء في قراءة قوله: (ولا يَأتْل)، فقرأته عامّة قرّاء الأمصار (ولايأْتِلِ) بمعنى «يفتعل» من الأليّة، وهي القسم بالله، سوى أبي جعفر وزيد بن أسلم، فإنّه ذُكِر عنهما أنّهما قرءا ذلك (ولا يأتِلِ) بمعنى «يفتَعل» من الأليّة. والصّواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ (ولايأْتِلِ) بمعنى «يفتعل» من «الأليّة» وذلك أن ذلك في خطّ المصحف. فاتّباع المصحف مع قراءة جماعة القُرّاء، وصحّة المقروء به، أولى من خلاف ذلك كلّه.

قال السّجسْتانيّ[4]: يحلف «يفتعل» من الأليّة وهي اليمين. وقُرئت (يتألّ) على «يفتعل» من الأليّة أيضاً. ويأتَل أيضاً «يفتعل» من قولك: ما أَلَوْتُ جُهداً: أي ما قصّرت.

قال الفَخْر الرّازيّ[5]: ذكروا في قوله: (وَلاَ يأتِل) وجهين: الأول: وهو

---

(1) الكشاف.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) جامع البيان.
(4) نزهة القلوب.
(5) التفسير الكبير.

المشهور أنه من ائتلى، إذا حلف «افتعل» من «الأليّة» والمعنى لا يحلف. قال أبو مسلم: هذا ضعيف لوجهين. أحدهما: أن ظاهر الآية على هذا التّأويل يقتضي المنع من الحَلف على الإعطاء، وهو أَرادوا المنع من الحلف على ترك الإعطاء، فهذا المتأوّل قد أَقام النّفي مكان الإيجاب، وجعل المنهيّ عنه مأموراً به. وثانيهما: أنّه قلّما يوجد في الكلام «افتعلت» مكان «أفعلت» كما لا يقال: من ألزمت التزمت، ومن أعطيت. ثمّ قال في (يأتِلِ) إنّ أصله يأتلى، ذهبت الياء للجزم، لأنّه نهيّ، وهو من قولك: ما ألوتُ فلاناً نُصحاً، ولم آلُ في أمري جهداً، أي: ما قصّرت - ولا يألُ ولا يأتِلِ واحدٌ - فالمراد لا تقصّروا في أن تُحسنوا إليهم. ويوجد كثيراً «افتعلت» مكان «فعلت» تقول: كسبت واكتسبت، وصنعت واصطنعت، ورضيت وارتضيت. فهذا التّأويل هو الصّحيح دون الأوّل، [وهو: لا يحلف] ويُروى هذا التّأويل أيضاً عن أبي عُبَيْدة. أجاب الزّجّاج عن السّؤال الأوّل بأنّ «لا» تحذف في اليمين كثيراً، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ﴾ [البقرة: 224]، يعني أن لا تبرّوا، وأجابوا عن السّؤال الثّاني أنّ جميع المفسّرين الّذين كانوا قبل أبي مسلم فسّروا اللّفظة باليمين، وقول كلّ واحد منهم حجّة في اللّغة فكيف الكلّ، ويعضده قراءة الحسَن (ولا يأتِلِ).

● **قال الله تعالى:** ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69].

قال الطبري[1]: «الأَلاء» فإنّها جمع، واحدها: إِلىً، بكسر الألف، في تقدير مِعي، ويقال: أَلَى في تقدير قَفَا، بفتح الألف. وقد حُكي سماعاً من العرب إِلِيْ: مثل حِسِيْ.

قال الفَخْر الرّازي[2]: لابدّ في الآية من إضمار، والتّقدير: واذكروا آلاء الله واعملوا عملاً يليق بتلك الإنعامات لعلّكم تفلحون.

---

(1) جامع البيان. (2) التفسير الكبير.

قال أبو السُّعود[1]: الّتي أنعم بها عليكم من فنون النّعماء الّتي هذه من جملتها. وهذا تكرير للتّذكير لزيادة التّقرير، وتعميم أثر تخصيص.

● **قال تعالى**: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ [النجم: 55].

قال الفَخر الرّازي[2]: إن قيل: المذكور من قبلُ نعم وألاء نعم، فكيف قال: ألاء ربّك؟ نقول: لمّا عدّ من قبل النّعم وهو الخلق من النّطفة ونفخ الرّوح الشّريفة فيه والإغناء والإفناء، وذكر أنّ الكافر بنعمه أهلك، قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ فيصيبك مثل ما أصاب الّذين تماروا من قبل، أو تقول: لمّا ذكر الإهلاك، قال للشّاكّ: أنت ما أصابك الّذي أصابهم؛ وذلك بحفظ الله إيّاك ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ وسنزيده بياناً في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: 13].

قال أبو حَيّان[3]: وهو استفهام في معنى الإنكار، أي ألاؤه، وهي النّعم لايتشكّك فيها سامع. وقد سبق ذكر نعم ونقم، وأُطلق عليها كلّها ﴿ءَالَآءِ﴾ لما في النّقم من الزّجر والوعظ لمن اعتبر.

● **قال تعالى**: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: 13].

قال السّيوطيّ[4]: إنّها وإن تكرّرت نيّفاً وثلاثين مرّة، فكلّ واحدة تتعلّق بما قبلها؛ ولذلك زادت على ثلاثة. ولو كان الجميع عائداً إلى شيء واحد لما زاد على ثلاثة. لأنّ التّأكيد لايزيد عليها، قاله ابن عبد السّلام وغيره. وإن كان بعضها ليس بنعمة فذِكْر النّقمة للتحذير نعمة. وقد سئل: أي نعمة في قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمٰن: 26] فأجيب بأجوبة، أحسنها: النّقل من دار الهموم إلى دار السّرور، وإراحة المؤمن والبارّ من الفاجر.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) التفسير الكبير.
(3) البحر المحيط.
(4) الدر المنثور.

قال القاسميّ[1]: في «عروس الأفراح» فإن قلت: إذا كان المراد ما قبله فليس ذلك بإطناب، بل هي ألفاظ كلّ أُريد به غير ما أريد الآخر. قلت: إذا قلنا: العبرة بعموم اللّفظ، فكلّ واحد أريد بالآخر ولكن كرّر ليكون نصًّا فيما يليه، ظاهراً في غيره. فإن قلت: يلزم التّأكيد؟ قلت: والأمر كذلك، ولايرد عليه أنّ التّأكيد لا يزاد به عن ثلاثة، لأنّ ذاك في التّأكيد الّذي هو تابع. أمّا ذكر الشّيء في مقامات متعدّدة أكثر من ثلاثة، فلا يمتنع. وقال العزّ بن عبد السّلام في آخر كتابه: الإشارة إلى الإيجاز. وأمّا قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فيجوز أن تكون مكرّرة على جميع أنعمه ويجوز أن يراد بكلّ واحدة منهنّ ما وقع بينها وبين قبلها من نعمة، ويجوز أن يراد بالأُولى ما تقدّمها من النّعم، وبالثانية ما تقدّمها، وبالثّالثة ما تقدّم على الأولى والثّانية، وبالرّابعة ما تقدّم على الأولى والثّانية والثّالثة، وهكذا إلى آخر السّورة.

● **قال تعالى**: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ [آل عمران: 119].

قال الزَمخْشَريّ[2]: (ها) للتّنبيه، و(أنْتُم) مبتدأ، و(أولاء) خبره، أي أنتم أُولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب.

قال القُرطُبي[3]: **قال أبو حاتم**: **قال عيسى**: بنو تميم يقولون: «هم أُولى» مقصورة مرسلة، وأهل الحجاز يقولون: «أُولاءِ» ممدودة. وحكى القراء: (هُمْ أولايَ على أثري)، وزعم أبو إسحاق الزّجاج: أن هذا لا وجه له. قال النّحاس: وهو كما قال، لأنّ هذا ليس ممّا يضاف، فيكون مثل هُداي. ولايخلو من إحدى جهتين: إمّا أن يكون اسماً مبهماً فإضافته محال، وإمّا أن يكون بمعنى «الّذين» فلا يضاف أيضاً، لأنّ ما بعده من تمامه، وهو معرفة.

(1) محاسن التأويل.
(2) الكشاف.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

قال **الألوسي**[1]: (أولاءِ) اسم إشارة كما هو المشهور، مرفوع المحل على الخبريّة.

● **قال الله تعالى**: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم﴾ [البقرة: 85].

قال **الزَمخْشَريّ**[2]: ثمّ أنتم بعد ذلك هؤُلاء المشاهدون، يعني أنكم قوم آخرون غير أُوُلئك المقرّين تنزيلاً لتغيّر الصّفة منزلة تغيّر الذّات، كما تقول: رجعت بغير الوجه الّذي خرجت به.

قال **الفَخْر الرّازي**[3]: قوله تعالى: «**ثُمّ أنْتُم هَؤُلاء**» فيه إشكال، لأنّ قوله (أنتُمْ) للحاضرين و(هؤُلاء) للغائبين، فكيف يكون الحاضر نفس الغائب؟ وجوابه من وجوه: أحدهما: تقديره: ثمّ أنتم يا هؤُلاء. ثانيهما: تقديره: ثمّ أنتم أعني هؤُلاء الحاضرين. ثالثها: أنّه بمعنى «الّذين» وصِلتُه (تَقْتلُون). وموضع (تَقْتلُون) رفع إذا كان خبراً، ولاموضع له إذا كان صلة. رابعها: (هؤُلاءِ) تأكيد لـ (أنْتُم) والخبر (تَقْتلُونَ).

● **قال تعالى**: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5].

قال **الزَمخْشَريّ**[4]: في اسم الإشارة الّذي هو (أولئك) إيذان بأنّ ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله في أهل لاكتسابه. من أجل الخصال الّتي عَدّدت لهم.

قال **الفَخْر الرّازي**[5]: في تكرير (أولئك) تنبيه على أنّهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهُدى ثبت لهم الاختصاص بالفلاح أيضاً، فقد تميّزوا عن غيرهم

---

(1) روح المعاني.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.
(4) الكشاف.
(5) التفسير الكبير.

بهذين الاختصاصين. فإن قيل: فَلِم جاء مع العاطف، وما الفرق بينه وبين قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: 179]. قلنا: قد اختلف الخبران هنا، فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثَمّت، فإنّهما متّفقان، لأنّ التّسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد، وكانت الجملة الثّانية مقرّرة لما في الأُولى، فهي من العطف بمعزل.

إِل ياسين

● **قال تعالى:** ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ [الصَّافات: 130].

● **وقال تعالى:** ﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الصَّافات: 123].

وقد اشتدت الروايات المختلفة في (إلياس) في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾.

فقال الإمام علي كرم الله وجهه: «سلام على إل ياسين» محمد ونحن آل يس، قال ابن عباس: أي على آل محمد ﷺ، أما مجاهد والسدي إنه هو (إلياس) نفسه[1].

ويلاحظ ما يلي:

أولاً: أن إلياس جاء ذكره في القرآن الكريم ضمن أنبياء بني إسرائيل ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنعام: 85].

ثانياً: قال ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلًا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [الصَّافات: 125].

(وبعل) وهذا اللفظ ما جاء في القرآن إلا في هذه الآية فقط.. وقيل إنه يطلق على عدة آلهة عند الساميين، أشهرها معبود فينيقي هو إلٰه الخصب والتناسل وانتشرت عبادته في بني إسرائيل فقاومها الأنبياء.

وهذا يناسب المعنى اللغوي للفظة (بعل) حيث إنها تعني الزوج الذي منه الولد. وعليه فلم تكن عبادة (البعل) في بني إسرائيل مختصة بقوم إلياس حتى تعني عصره بالذات، إلا إنه يدعم أن إلياس من بني إسرائيل.

(1) الطبري/ جامع البيان، السيوطي/ الدر المنثور.

(إليسع)

● قال تعالى: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: 86].

كان اليسع بعد إلياس، فمكث ما شاء الله أن يمكث يدعوهم إلى الله مستمسكاً بمنهاج إلياس وشريعته حتى قبضه الله عز وجل إليه. ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل، وقتلوا الأنبياء، وكان فيهم ملك عنيد طاغٍ، ويقال: إنه الذي تكفل له ذو الكفل إن هو تاب ورجع دخل الجنة، فسمي ذا الكِفل(1)، وقيل: إنه اسم من أسماء الأنبياء والألف واللام زائدتان(2).

ويلاحظ: أن إليسع جاء في القرآن الكريم مرتين فقط وجاء مسبوقاً بإسماعيل في كلتا الآيتين: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ﴾ [الأنعام: 84-86]. . .

ثم قال: ﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام: 87].

ومن يتدبر ذلك لا يرتاب في أن (اليسع) من ذرية إبراهيم، بل من ذرية إسحاق ويعقوب، وكونه من أسماء بني إسرائيل، فالظاهر أن الضمير في (ومن ذريته) يرجع إلى يعقوب، وهو الأقرب إلى إبراهيم. وذكره مع إسماعيل ربما

(1) البداية والنهاية. (2) العين - الخليل بن أحمد.

يُشْعِر بأن إسماعيل هذا ليس بإسماعيل بن إبراهيم أخي إسحاق بل هو رجل أيضاً من بني إسرائيل عبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾[1].

(1) معجم لغة القرآن.

أمت

(أمت - رابية - جبل - كثيب - طود)

- **الأَمْتُ:** ما ارتفع من الأرض من تكدس التراب والماء ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: 107].
- **الرَّبْوَة:** الكتلة الصلبة المرتفعة ارتفاعاً ممدود الحدود عن ظاهر الأرض.
﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: 50].
- **الجَبَل:** الكتلة الصخرية الكبيرة نصفها داخل الأرض ونصفها الآخر ظاهرها بارتفاع ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النَّازعات: 32].
- **الكَثِيبُ:** الكتلة الترابية الرملية المتراكمة ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المُزمّل: 14].
- **الطَّوْدُ:** الجبل العظيم ارتفاعاً واتساعاً ﴿كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشُّعَرَاء: 63].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الهمزة والميم والتّاء أصل واحد لايقاس عليه، وهو: الأَمْتُ.

قال الخَليل[2]: والأَمْتُ: أن تُصب في السّقاء ماءً فلا تملؤه فينثني وذلك

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.

الثِّنْيُ هو الأمْتُ، وإذا مُلِىء وتمدّد فلا أَمْتَ فيه.. العِوَج والأمْت بمعنى واحد.

قال أبوزَيْد[1]: يقال: ما فيك ولا في ثوبك أَمْتٌ، أي: عيب.

قال الجَوهَريّ[2]: الأمْتُ: المكان المرتفع. والآمْتُ: النِّبَاك، الاختلاف في المكان ارتفاعاً، وقوله: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾، أي لا انخفاض فيها ولا ارتفاع، وتقول: امتلأ السِقّاء فما به أمْت. وأمْتُ الشّيء أمْتاً: قدّرته. يقال: هو إلى أجل مأموت، أي: موقوت.

قال القُرطُبي[3]: تقول: امتلأ فما به أمْتٌ، وملأتُ القِربَة مَلأ لا أَمْت فيه، أي: لا استرخاء فيه.

قال الفيروزآباديّ[4]: أمَتَه يأمِته: قَدّره وحَزَره، كأمتّه وقصده.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: 107].

قال الطّبَريّ[5]: واختلف أهل التّأويل في معنى «العِوجَ والأمْت» فقال بعضهم: عنى بالعِوجَ في هذا الموضع: الأودية، وبالأمْت: الرّوابي والنّشوز. وقال آخرون: بل عنى العِوجَ في هذا الموضع: الصُّدوع، وبالأَمْت: الارتفاع من الآكام وأشباهها. وقال آخرون: الأمْت المَحاني والأحداب. وقال آخرون: عنى العِوجَ: الميل، وبالأَمْت: الأثر. وأولى الأقوال في ذلك بالصّواب قول من قال: عنى بالعِوجَ: المَيْل، وذلك أنّ ذلك هو المعروف في كلام العرب. وأمّا الأمْتُ

(1) اللسان.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) تفسير القرآن للأبادي.
(5) جامع البيان.

فإنّه عند العرب: الانثناء والضّعف مسموع منهم، مَدّ حَبْله حتّى ما ترك فيه أمْتاً، فالواجِب إذا كان ذلك معنى الأَمَت عندهم أن يكون أصوب الأقوال في تأويله، ولا ارتفاع ولا انخفاض، لأنّ الانخفاض لم يكن إلّا عن ارتفاع، فإذ كان ذلك كذلك ؛ فتأويل الكلام: لا ترى فيها ميلاً عن الاستواء ولا ارتفاعاً ولا انخفاضاً، ولكنّها مستوية ملساء، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: 106].

قال الزَمخْشَريّ(1): النّتوّ اليسير، يقال: مَدّ حَبْله حتّى ما فيه أمْت.

قال الشعراوي(2): أي: كأنها مُسْتوية على «ميزان الماء «لا ترى فيها اعوجاجاً ولا (أَمْتاً)» يعني: منخفض ومرتفع، فهي مستوية استواءً تاماً، كما نفعل نحن في الجدار، ونحرص على استوائه. لذلك نرى المهندس إذا أراد استلام مبنى من المقاول يعتمد إما على شعاع الضوء؛ لأنه مستقيم ويكشف له أدنى عَيْب في الجدار أو على ذرات التراب؛ لأنها تسقط على استقامتها، وبعد عدة أيام تستطيع أن تلاحظ من ذرات التراب ما في الجدار من التواءات أو نتوءات.

قال ابن عاشور(3): والأمْت: النتوء اليسير، أي: لا ترى فيها وهدة ولا نتوءاً ما. والمعنى: لا ترى في مكان نسْفها عوجاً ولا أَمتاً.

---

(1) الكشاف.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) التحرير والتنوير.

أَمَدَ

(أمد - أبد - حقبة - سرمد - فترة)

- **الأَمَد:** الزمن الممتد وله آخر محدد ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: 30].
- **الأَبد:** الزمن الممتد المتروك الذي لا آخر له ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: 84].
- **الحِقبة / بالكسر:** مدة جيل من الناس ثمانون سنة ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: 23].
- **السَّرمَد:** دوام الزمن واتصاله من ليل أو نهار ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ [القصص: 71].
- **الفَتْرَة:** السكون الطويل بين نشاطين ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: 19].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الهمزة والميم والدّال، الأمَد: الغاية، كلمة واحدة لا يقاس عليها.

قال الخَليل(2): الأمَد: منتهى كلِّ شيء وآخره.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

الفَرّاء: أمِدّ عليه وأبِد، إذا غضب.

أبو عُبَيْدة: الأمَد: الغاية.

الصّاحب: **الأمَد**: منتهى كلّ شيء وآخره. وليس لهذا الأمر أمَد مأمود: أي منتهى إليه[1].

قال الجَوهَريّ[2]: الأمَد: الغاية كالمدّى، يقال: ما أمدُك؟ أي: منتهى عمرك. والأمَد أيضاً: الغضب. وقد أمِدَ عليه بالكسر، وأبِد عليه، أي: غضب. وآمِدُ: بلد في الثُّغور.

قال الرّاغِب[3]: الأمَد والأبَد يتقاربان لكنّ الأبَد عبارة عن مدّة الزمان الّتي ليس لها حدّ محدود ولا يتقيدّ، لا يقال: أبَد كذا. والأمَد: مدّة لها حَدّ مجهول إذا أُطلق، وقد ينحصر، نحو أن يقال: أمَدُ كذا، كما يقال: زمان كذا، والفرق بين الزّمان والأمَد: أنّ الأمّد يقال باعتبار الغاية، والزّمان عامّ في المبدأ والغاية، ولذلك قال بعضهم: المَدى والأمَد يتقاربان.

قال الزَمخْشَريّ[4]: ضرب له أمَداً وهو بعيد الآماد.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: 30].

قال الطبري[5]: يعني غاية بعيدة فإن مصيركم أيها القوم يومئذ إليه، فاحذروه على أنفسكم من ذنوبكم.

(1) اللسان، معجم فقه اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) أساس البلاغة.
(5) جامع البيان.

قال البَغوي(1): والأمَد: المسافة كقوله تعالى: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزخرف: 38].

قال الفَخْر الرَازيّ(2): الأمَد: الغاية الّتي ينتهي إليها. ونظيره قوله تعالى: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾. واعلم أنّ المراد من هذا التّمنيّ معلوم سواء حملنا لفظ الأمد على الزّمان أو على المكان إذ المقصود تمنّي بُعدْه.

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ [الكهف: 12].

قال الطبري(3): يعني بالأمَد: الغاية، وفي نصب قوله (أَمَدا) وجهان: أحدهما: أن يكون منصوباً على التّفسير من قوله: (أحْصى) كأنّه قيل: أي الحزبين أصوب عدداً لقدر لبثهم، وهذا هو أولى الوجهين في ذلك بالصّواب، لأنّ تفسير أهل التّفسير بذلك جاء. والآخر: أن يكون منصوباً بوقوع قوله: (لَبِثُوا) عليه، كأنّه قال: أي الحزبين أحصى للبثهم غاية.

قال أبو حَيّان(4): (أَمَداً) تمييز وهكذا أعربه من زعم أنّ (أحصْى) أفعل للتّفضيل، كما تقول: زيد أقطع النّاس سيفاً وزيد أقطع للهامّ سيفاً، ولم يعربه مفعولاً به. [إلى أن قال:] ذهب الطبري إلى نصب (أمَداً) بـ (لَبِثُوا). قال ابن عَطِيّة وهذا غير متّجه انتهى. وقد يتّجه ذلك أنّ «الأمَد» هو الغاية، ويكون عبارة عن المدّة من حيث أنّ للمدّة غاية على أمَد المدّة في الحقيقة و(ما) بمعنى الّذي و(أمَداً) منتصب على إسقاط أحرف، وتقديره: لما لبثوا من أمدَ، أي مدّة. ويصير من أمَد تفسيراً لما أُبهم في لفظ «ما لَبِثُوا» كقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: 106] و﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر: 2]، ولما سقط الحرف وصل إليه الفعل.

---

(1) معالم التنزيل.
(2) التفسير الكبير.
(3) جامع البيان.
(4) البحر المحيط.

قال الألوسي[1]: والأمَد على ما قال الرّاغِب: مدّة لها حدّ، والفرق بينه وبين الزّمان أنّ الأمَد يقال باعتبار الغاية بخلاف الزّمان، فأنّه عام في المدّة أو الغاية، ولذلك قال بعضهم: المَدى والأَمَدُ يتقاربان وليس اسماً للغاية حتّى يكون إطلاقه على المدّة مجازاً، كما أُطلقت الغاية عليها في قولهم: ابتداء الغاية وانتهاؤُها، أي ليعلم أيّهم أحصى مدّة كائنة للبثهم.

● **قال الله تعالى**: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيَ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ [الجن: 25].

قال الطَّبَريّ[2]: غاية معلومة تطول مدتها.

قال البَغَوي[3]: أي أجَلاً وغاية تطول مدّتها، والمعنى أنّ عِلْم وقت العذاب غيب لا يعلمه إلّا الله.

قال الزَمخْشَريّ[4]: والأمَد يكون قريباً وبعيداً ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: 30].

---

(1) روح المعاني.
(2) جامع البيان.
(3) معالم التنزيل.
(4) الكشاف.

أمر

(أمر - شأن - خطب - بال)

- **الأَمْرُ:** الحال السريعة المفاجئة إذا ظهرت في أي شيء ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: 18].
- **الشَّأْنُ:** الحال العظيمة المتقنة من أعمال الملوك ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: 29].
- **الخَطْبُ:** الحال العسيرة تقتضي التخاطب مع الآخر للنجاة ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ [القصص: 23].
- **البَالُ:** الحال المتبعة للانتباه ﴿مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: 50].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس(1): الهمزة والميم والرّاء أُصول خمسة: الأَمْرُ من الأُمور، والأمْر ضدّ النهي، والأمَر النّماء والبَركة بفتح الميم، والمَعْلَم والحَجَب. فأمّا الواحد من الأمور فقولهم: هذا أَمْرٌ رضيتُه، وأمْرٌ لا أرضاه. وفي المثل «أمْر ما أتى بك» ومِن ذلك في المثل: «لأمْر ما يُسوَّد من يَسُود». والأمْر الّذي هو نقيض النّهي قولك: افْعَل كذا. ومن هذا الباب الإِمَّر لايزال يستأمر النّاس وينتهي إلى أمرهم.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخَليل[1]: الأمْر: نقيض النّهي، والأمْر: واحد من أمور النّاس.

قال الأصمَعيّ[2]: أَمَرَ الرّجل إمارة، إذا: صار عليهم أميراً. وأمّر إمارة، إذا صيّر علماً.

قال ابن دُرَيْد[3]: أمَر يأمُر. وأمِر، إذا: صار أميراً. وأمِر القوم، إذا: كثروا. ولك عليّ إمْرة مُطاعة، والإِمْرة: الإمارة. والأَمَارة: العلامة.

قال الجَوهَريّ[4]: الأمْر: واحد الأُمور، يقال: أمْرُ فلان مستقيم، وأُموره مستقيمة. وقولهم: «لك عليّ أمْرَة مُطاعة» معناه لك عليّ أمْرة أُطيعك فيها، وهي المرّة الواحدة من الأمر. ولا تقل: إمْرَة بالكسر، إنمّا الإمْرَة من الولاية. وأمَرْتَه بكذا أمْراً، والجمع: الأوامِر. والأمير: ذو الأمر، وقد أمَر فلان وأمُر أيضاً بالضّمّ. أي صار أميراً، والأُنثى بالهاء.

قال السمين[5]: الحال الفريدة ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هُود: 97] ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ﴾ [يُوسُف: 18].

قال الرّاغِب[6]: الأمْر: الشّأن، وجمعه: أُمور. ومصدر أمَرْتَه، إذا كلّفته أن يفعل شيئاً، وهو لفظ عامّ للأفعال والأقوال كلّها.

قال الزّمَخْشَريّ[7]: «الائتمار» بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التّشاور، يقال: ائتمَر القوم وتآمَروا، إذا أمَر بعضهم بعضاً. إنّه لأَمور بالمعروف نَهْواً عن المنكر. وأمرتُ فلاناً أمْرَ، أي: أمَرْتَه بما ينبغي له من الخير.

الإمر - بالكسر: الشيء العجيب أو المنكر إذا ظهر.

الفرق بين الأمر والعجب: أنّ الإمر العجيب الظاهر المكشوف[8].

---

(1) العين.
(2) الأضداد.
(3) الجمهرة.
(4) الصحاح في اللغة.
(5) عمدة الحفاظ.
(6) مفردات الراغب.
(7) أساس البلاغة.
(8) المعجم الوسيط.

المعنى المشترك لكلمة (أ م ر)

وقد وردت كلمة (أمر) في القرآن الكريم على وجهين:

الوجه الأول: الأمر بالمعروف يعني: التوحيد والنهي عن المنكر يعني: الشرك ﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: 112].

الوجه الثاني: الأمر بالمعروف يعني: اتباع النبي ﷺ ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: 71].

المعنى المشترك لكلمة (أ م ر)

وقد وردت كلمة (أمر) في القرآن الكريم على ستة عشر وجهاً:

الوجه الأول: الأمر يعني: الدين ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [التّوبَة: الآية 48].

الوجه الثاني: الأمر يعني: القول ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ [الكهف: الآية 21].

الوجه الثالث: الأمر يعني: العذاب ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [إبراهيم: الآية 22].. يعني وجب العذاب

الوجه الرابع: الأمر يعني: به عيسى ابن مريم عليه السلام ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: 35].

الوجه الخامس: الأمر يعني: القتل ببدر ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ﴾ [غَافِر: الآية 78].

الوجه السادس: الأمر يعني: قتل بني قريظة (وجلاء بني النضير) ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البَقَرَة: الآية 109].

الوجه السابع: الأمر يعني: فتح مكة ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التّوبَة: الآية 24].

الوجه الثامن: الأمر يعني: القيامة ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل: 1].

الوجه التاسع: الأمر يعني: القضاء ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ﴾ [يُونس: 3].

الوجه العاشر: الأمر يعني: الوحي ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة: 5].. يعني ينزل الوحي من السماء إلى الأرض.

الوجه الحادي عشر: الأمر بعينه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: 90].

الوجه الثاني عشر: الأمر يعني: الذنب ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ﴾ [المائدة: 95].. يعني جزاء ذنبه.

الوجه الثالث عشر: الأمر يعني: النصر ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ [آل عمران: 154].

الوجه الرابع عشر: الأمر يعني: الفعل والشأن ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ [هُود: 97].

الوجه الخامس عشر: الأمر يعني: الغرق ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [هُود: الآية 43].

الوجه السادس عشر: أمرنا (بالتخفيف) وأمَّرنا (بتشديد الميم) وآمرنا (بالمد) أكثرنا ﴿أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾ [الإسرَاء: الآية 16] وأمرنا مشدداً يعني سلطنا جبابرتها وقيل جعلناهم أمراء (وتفسير الإمر بالكسر) المنكر ﴿لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا﴾ [الكهف: 71] (1).

---

(1) الدامغاني: الوجوه والنظائر.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [البقرة: 27].

قال الطّبَريّ(1): الّذي رغب الله في وصله، وذمّ على قطعه في هذه الآية: الرّحِم، وقد بيّن ذلك في كتابه، فقال تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ [محمد: 22]، وإنمّا عنى بالرّحِم: أهل الرّجل الّذين جمعتهم وإيّاه رحِم والدة واحدة، وقَطَع ذلك ظُلمُه في ترك أداء ما ألزم الله من حقوقها، وأوجب من برّها ووصلها، أداء الواجب لها إليها: من حقوق الله الّتي أوجب لها، والتّعطّف عليها بما يحقّ التّعطّف به عليها. و(أن) الّتي مع (يُوصَلُ) في محلّ خفض بمعنى ردّها على موضع الهاء الّتي في (به). وكان معنى الكلام: ويقطعون الّذي أمر الله بأن يوصل، والهاء الّتي في (به) هي كناية عن ذكر (أنْ يُوصَلَ).

قال الزَمخْشَريّ(2): قطع الأرحام وموالاة المؤمنين. وقيل: قطْعهم ما بين الأشياء من الوصلة والاتّحاد والاجتماع على الحقّ، في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض. فإن قلت: مالأمْر. قلت: طلب الفعل ممّن هو دونك وبعْثه عليه. وبه سُمّي «الأمْر» الّذي هو واحد الأُمور، لأنّ الدّاعي الّذي يدعو إليه من يَتَولاه، شُبّه بأَمر يأمره به؛ فقيل له: أمْر، تسمية للمفعول به بالمصدر، كأنّه مأمور به، كما قيل له: «شأن»، والشأن: الطلب والقصد، يقال: شأنت شأنه، أي قصدت قصده.

قال الفَخْر الرّازيّ(3): اختلفوا في المراد من قوله تعالى: ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [البقرة: 27]. فذكروا وجوهاً. أحدهما: أراد به قطيعة الرّحِم

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.

وحقوق القرابات الّتي أمَر الله بوصلها، وهو كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا﴾ [محمد: 22] ما بينهم وبين النّبي ﷺ من القرابة؛ وعلى هذا التّأويل تكون الآية خاصّة. وثانيها: أنّ الله تعالى أمرهم أن يصلوا حبلهم بحبل المؤمنين، فهم انقطعوا عن المؤمنين واتّصلوا بالكُفّار، فذاك هو المراد من قوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾. وثالثها: أنّهم نُهوا عن التّنازع وإثارة الفِتَن، وهم كانوا مشتغلين بذلك. **قال الزَمخْشَريّ**[1]: ﴿مَا أَمَرَهُمْ﴾ في محلّ النّصب على البدل، أي لا يعصون ما أمَر الله، أي: أمْره، كقوله تعالى: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: 93]، أو لا يعصونه فيما أمرهم. فإن قلت: أليست الجملتان في معنى واحد؟ قلت: لا فإن معنى الأولى أنّهم يتقبّلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها، ومعنى الثّانية أنّهم يُؤدّون ما يُؤمرون به، لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه.

● **قال الله تعالى**: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: 28].

قال القُرطُبيّ[2]: يدّل على ما يقوله الفقهاء: من أنّ «الأمْر» يقتضي الوجوب بمطلقه من غير قَرينة، لأنّ الذّمّ عُلّق على ترك الأمر المُطلَق الّذي هو قوله عزّ وجل للملائكة: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: 11]، وهذا بيّن.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: 16].

قال الشيخ أبو زهرة[3]: (التَّرَف أن يسترخي الإنسان في إرادته وعزيمته وصبره، فيكون كل شيء فيه مسترخياً، والمترف يختص بثلاث خصال: ضعف

(1) الكشاف.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) زهرة التفاسير.

في الإرادة، واندفاع وراء الشهوات، وأثرة تجعله يعيش في محيط نفسه، ولا يخرج عن دائرتها، ولهذا كان المترفون دائماً هم أعداء الأنبياء. . . وكل حق يحتاج إلى فداء وبلاء وجهاد وجلاد، وكان أتباع النبيين من الفقراء الذين لا يعيشون عيشةً راضيةً، وكان أعداء النبيين من المترفين يقولون: ﴿. . . وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ. . ﴾ [هود: 27].

وهذه الآية الكريمة ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: 16] فيها قراءات ثلاث، وكلها متواترة، وكلها ذات معنى صادق سليم.

القراءة الأولى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ بفتح الميم مع همزة من غير مدّ، والأمر هنا مجازيٌ ليس المقصود به الطلب، وإنما المقصود تسهيل أسباب الترف، وأسباب الاسترخاء الذي يلازمه ولا يفترقان. . وقد قال في ذلك الزمخشري كلمة حكيمة قال: حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم (انشقوا)، وهذا لايكون، فيفي أن يكون مجازاً، ووجه المجاز أنه سبحانه صبَّ عليهم النعمة صبًّا فجعلوها ذريعة إلى المعاصي، واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك حين آثروا الشهوات والفسوق، فلما فسقوا حق عليهم القول، وهو كلمة العذاب، فدمرهم. . هذا على قراءة الفتح بتخفيف الميم.

القراءة الثانية: بتشديد الميم أي (أَمّرَنا) مترفيها بأن جعلناهم أمراءها وحكامها فكانوا أمراء أشراراً. . والأمراء الأشرار هم أساس الفساد والبطش بشعوبهم، وقد قال رسول الله ﷺ: «. . **وإذا كان أمراؤكم شراركم، أغنياءكم بخلاءكم وأموركم إلى نسائكم؛ فبطن الأرض خيرٌ لكم من ظهرها**».

القراءة الثالثة: إن الميم مفتوحة بالتخفيف، ومدّ الهمزة، أي (آمرنا) ويكون المعنى كثر؛ أي إذا أكثر الله تعالى المترفين في الأمة عمها الفساد والفسق، فدمرها الله تدمراً.

ومعنى التدمير: الهلاك. وهو نوعان:

النوع الأول: ذهاب قوتها، حتى تكون طعمة لغيرها من الأعداء.

النوع الثاني: أن ينزل الله تعالى عليها عذاباً من عنده، كالريح والفيضان والطاعون، وحبس المطر، ونحو ذلك حتى تضمحل وتفنى.

وقد أشار الله إلى ذلك في مواضع كثيرة في القرآن الكريم عن هلاك القرى في السابق:

- ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: 4].
- ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الأنبياء: 11].
- ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: 208].
- ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القَمَر: 50].
- **قال الله تعالى:** ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: 11-12].

قال الزَمخْشَريّ[1]: بإخلاص الدّين (وأُمِرْتُ) بذلك لأجل «أنْ أكُونَ أوَّل المُسْلمين» أي مقدّمهم وسابقهم في الدّنيا والآخرة، والمعنى: أنّ الإخلاص له السّبقة في الدّين، فمن أخلص كان سابقاً. فإن قلت: كيف عطف (أُمِرتُ) على (أَمِرتُ) وهما واحد؟ قلت: ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما، وذلك أنّ الأمْر بالإخلاص وتكليفه شيء، والأمْر به ليحرز القائم به قَصَبَ السّبق في الدّين شيء، وإذا اختلف وجها الشّيء وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين. ولك أن تجعل اللّام مزيدة، مثلها في: أردت لأن أفعل، ولا تزاد إلّا مع «أن» خاصّة دون الاسم الصّريح، كأنّها زيدت عوضاً من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه، كما عوّض السّين

(1) الكشاف.

في اسطاع عوضاً من ترك الأصل الّذي هو «أطوع» والدّليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 72]. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 104]، و﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ [الأنعام: 14].

قال أبو حيان(1): أمره تعالى أن يصدع الكفار بما أمر به من عبادة الله، يخلصها من الشوائب، ﴿وَأُمِرْتُ﴾: أي أمرت بما أمرت، لأكون أول من أسلم، أي أنقاد لله تعالى، ويعني من أهل عصره أو من قومه، لأنه أول من خالف عباد الأصنام، أو أول من دعوتهم إلى الإسلام إسلاماً، أو أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره، لأكون مقتدى بي قولاً وفعلاً، لا كالملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون، أو أن أفعل ما أستحق به الأولية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب.

● **قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** [البَقَرَة: 169].

قال الزَمخْشَريّ(2): بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه [الشيطان] وظهور عداوته، أي لا يأمُركم بخير قطّ، إنمّا يأمُركم بالسّوء.

قال الفَخْر الرّازيّ(3): اعلم أنّ أمْر الشّيطان ووسوسته، عبارة عن هذه الخواطر الّتي نجدها من أنفسنا. وقد اختلف النّاس في هذه الخواطر من وجوه: أحدهما: اختلفوا في ماهيّاتها، فقال بعضهم: إنّها حروف وأصوات خفيّة. وقال الفلاسفة: إنّها تصوّرات الحروف والأصوات وتَخيّلاتها، على مثال الصّور المنطبعة في المرايا، فإنّ تلك الصّور تشبه تلك الأشياء من بعض الوجوه، وإن لم تكن متشابهة لها في كلّ الوجوه.

---

(1) البحر المحيط.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: 110].

قال الطَّبَريّ[1]: يقول: فأيّ شيء تأمُرون أن نفعل في أمْره، بأيّ شيء تُشيرون فيه. وقيل: فماذا تأمُرون، والخبر بذلك عن فرعون، ولم يُذكر فرعون. وقلَّما يجيء مثل ذلك في الكلام؛ وذلك نظير قوله: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف: 51-52] من قول يوسف، ولم يُذكر يوسف. ومن ذلك أن يقول: قلت لزيد: قم، فإنّي قائم، وهو يريد: فقال زيد: إنّي قائم.

قال الزَمخْشَريّ[2]: قولهم: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ من أمَرته فأمَرني بكذا، إذا شاورته فأشارَ عليك برأي، وقيل: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ من كلام فرعون. قال للملإِ لمّا قالوا له: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم﴾ [الأعراف: 109-110] كأنّه قيل: قال: فماذا تأمرون؟ قالوا: أرجئْه وأخاه..

● قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ﴾ [الزُّمَر: 64].

قال الزَمخْشَريّ[3]: ﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ﴾ اعتراض، ومعناه أفغير الله أعبدُ بأمْركم؛ وذلك حين قال له المشركون: استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلٰهك، أو ينصب بما يدلّ عليه جملة قوله: ﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ﴾ لأنّه في معنى تعبدونني، وتقولون لي: أعبد، والأصل: تأمرونني أن أعبد، فحذف (أن) ورفع الفعل. وقُرْىء (تأمرونني) على الأصل. و(تأمُرونّي) على إدغام النّون، أو حذفها.

● قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الشُّعَراء: 151].

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) الكشاف، وانظر إلى تفسير الطبري.

قال الزَمخْشَريّ[1]: استُعير لامتثال الأمْر، وارتسامه طاعة الآمِر المطاع، أو جعل الأمْر مطاعاً على المجاز الحكميّ، والمراد الآمِر. ومنه قولهم: لك عليّ إمْرة مطاعة، وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾ [طه: 90].

قال الألوسيّ[2]: نسبة الإطاعة إلى الأمْر مجاز، وهي للآمِر حقيقة. وفي ذلك من المبالغة ما لا يخفى، وكونه لا يناسب المقام، فيه بحث. ويجوز أن تكون الإطاعة مستعارة للامتثال لما بينهما من الشّبه في الإفضاء إلى فعل ما أُمِر به، أو مجازاً مرسلاً عنه للزومه له. ويحتمل أن يكون هناك استعارة مكنيّة وتخييليّة. وجوّز عليه أن يكون «الأمْر» واحد الأُمور، وفيه من البُعد مافيه.

● **قال تعالى**: ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [البَقَرَة: 210].

قال الطّبَريّ[3]: وإلى الله يؤول القضاء بين خلقه يوم القيامة، والحكم بينهم في أُمورهم الّتي جرت في الدّنيا وإنّما أدخل جلّ وعزّ الألف واللّام في (الأُمور) لأنّه جلّ ثناؤه عنى بها جميع الأُمور، ولم يَعْنِ بها بعضاً دون بعض، فكان ذلك بمعنى قول القائل: يعجبني العسل، والبغل أقوى من الحمار، فيدخل فيه الألف واللّام، لأنّه لم يقصد به قصد بعض دون بعض، إنمّا يراد به العموم والجمع.

● **قال تعالى**: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104].

قال الفخر الرازي[4]: المسألة الأولى: في قوله: ﴿مِّنكُمۡ﴾ قولان أحدهما: أن (مِنْ) هٰهنا ليست للتبعيض لدليلين الأول: أن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة في قوله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [آل عمران: 110] والثاني: هو أنه لا

(1) الكشاف.
(2) روح المعاني.
(3) جامع البيان.
(4) التفسير الكبير.

مكلف إلا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إما بيده، أو بلسانه، أو بقلبه، ويجب على كل أحد دفع الضرر عن النفس إذا ثبت هذا فنقول: معنى هذه الآية كونوا أمة دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، وأما كلمة (مِنْ) فهي هنا للتبيين لا للتبعيض كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: 30] ويقال أيضاً: لفلان من أولاده جند وللأمير من غلمانه عسكر يريد بذلك جميع أولاده وغلمانه لا بعضهم، كذا هٰهنا، ثم قالوا: إن ذلك وإن كان واجباً على الكل إلا أنه متى قام به قوم سقط التكليف عن الباقين، ونظيره قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: 41] وقوله: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [التوبة: 39] فالأمر عام، ثم إذا قامت به طائفة وقعت الكفاية وزال التكليف عن الباقين.

والقول الثاني: أن (مِنْ) هٰهنا للتبعيض، والقائلون بهذا القول اختلفوا أيضاً على قولين أحدهما: أن فائدة كلمة (مِنْ) هي أن في القوم من لا يقدر على الدعوة ولا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل النساء والمرضى والعاجزين والثاني: أن هذا التكليف مختص بالعلماء ويدل عليه وجهان الأول: أن هذه الآية مشتملة على الأمر بثلاثة أشياء: الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومعلوم أن الدعوة إلى الخير مشروطة بالعلم بالخير وبالمعروف وبالمنكر، فإن الجاهل ربما عاد إلى الباطل وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر، وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تمادياً، فثبت أن هذا التكليف متوجه على العلماء، ولا شك أنهم بعض الأمة، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: 122].

والثاني: أنا جمعنا على أن ذلك واجب على سبيل الكفاية بمعنى أنه متى قام

به البعض سقط عن الباقين، وإذا كان كذلك كان المعنى ليقم بذلك بعضكم، فكان في الحقيقة هذا إيجاباً على البعض لا على الكل، والله أعلم.

وفيه قول رابع: وهو قول الضحاك: إن المراد من هذه الآية أصحاب رسول الله ﷺ لأنهم كانوا يتعلمون من الرسول ﷺ ويعلمون الناس، والتأويل على هذا الوجه كونوا أمة مجتمعين على حفظ سنن الرسول ﷺ وتعلم الدين.

قال الطّبَريّ[1]: يأمرون النّاس باتّباع محمد ﷺ ودينه الّذي جاء به من عند الله، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ يعني وينهون عن الكفر بالله والتّكذيب بمحمد ﷺ وبما جاء به من عند الله، بجهادهم بالأيدي والجوارح، حتّى ينقادوا لكم بالطّاعة.

● **قال الله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ﴾ [القَصَص: 20].

قال الفخر الرازي[2]: ويقال الرجلان ﴿يَأْتَمِرُونَ﴾ لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر والمعنى يتشاور بسببك. وأكثر المفسرين على أن هذا الرجل مؤمن آل فرعون، فعلى وجه الإشفاق أسرع إليه ليخوفه بأن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك.

● **وقوله تعالى**: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: 71].

أي: منكراً، من قولهم أمر الأمر، أي: كبر وكثر كقولهم: استفحل الأمر.

وقوله تعالى ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ [النِّساء: 59]، قيل: عنى الأمراء في زمن النبي ﷺ. وقيل الأئمة من أهل البيت، وقيل: الآمرون بالمعروف، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هم الفقهاء وأهل الدين المطيعون لله.

---

(1) جامع البيان.

(2) الرازي/ التفسير الكبير.

أمس

النصوص اللغوية:

قال الخَليل[1]: أَمِس: ظرف مبنيّ على الكسر وينسب إليه إمسيّ.

قال الزّجاج[2]: إذا جمعت «أَمِس» على أدنى العدد قلت: ثلاثة أَمِس، مثل: فلس وأفلُس، وثلاثة أَماس، مثل: فَرْخ وأفراخ، فإذا كثرت فهي الأُموس، مثل فَلْس وفُلوس.

قال الجَوهَريّ[3]: أمس: اسم حُرّك آخره لالتقاء السّاكنين. واختلفت العرب فيه، فأكثرهم يبنيه على الكسر معرّفة، ومنهم من يعربه معرفة. وكلّهم يعربه إذا دخل عليه الألف واللّام أو صيّره نكرة، أو أضافه. تقول: مضى الأمسُ المبارك، ومضى أمسُنا، وكلّ غدٍ صائرٌ أمْساً.

قال الزَمخْشَريّ[4]: تقول: أصْبِحْ سالماً وأمْسِ، كأن لم تَغْنَ بالأمس.

❊ ❊ ❊

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾ [يُونس: 24].

---

(1) العين.

(2) اللسان، معجم فقه اللغة.

(3) الصحاح في اللغة.

(4) أساس البلاغة.

قال الزمخشري[1]: والأَمْسُ مثل في الوقت القريب كأنه قيل: كأن لم تغن آنفاً.

قال أبو حيان[2]: وليس الأمس عبارة عن مطلق الوقت، ولا هو مرادف كقوله: آنفاً، لأنّ آنفاً معناه الساعة، والمعنى: كأن لم يكن لها وجود فيما مضى من الزمان.

ولولا أنّ قائلاً قال في غير القرآن كأن لم يكن لها وجود الساعة لم يصح هذا المعنى، لأنه لا وجود لها الساعة، فكيف تشبه وهي لا وجود لها حقيقة بما لا وجود لها حقيقة؟ إنما يشبه ما انتفى وجوده الآن بما قدر انتفاء وجوده في الزمان الماضي، لسرعة انتقاله من حالة الوجود إلى حالة العدم، فكان حالة الوجود ما سبقت له.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ [القَصَص: 82].

قال الألوسي[3]: منذ زمان قريب وهو مجاز شائع، وجوز حمله على الحقيقة والجار والمجرور متعلق بتمنوا أو بمكانه، قيل: والعطف بالفاء التي تقتضي التعقيب في ﴿فَخَسَفْنَا﴾ [القَصَص: 81] يدل عليه.

قال أبو حيان[4]: والأمس يحتمل أن يراد به الزمان الماضي، ويحتمل أن يراد به ما قبل يوم الخسف، وهو يوم التمني، ويدل عليه العطف بالفاء التي تقتضي التعقيب في قوله: ﴿فَخَسَفْنَا﴾، فيكون فيه اعتقاب العذاب خروجه في زينته، وفي ذلك تعجيل العذاب.

قال الزمخشري[5]: قد يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك، ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة.

---

(1) الكشاف.
(2) البحر المحيط.
(3) روح المعاني.
(4) البحر المحيط.
(5) الكشاف.

أمل

(أمل - طمع - رجاء - تمني)

- **الأَمَلُ:** طلب ما يستبعد حصوله ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ [الحجر: 3].
- **الطَّمَع:** طلب ما يقرب حصوله ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: 82].
- **الرَّجَاء:** طلب حصول ما يكون فواته مخيفاً ﴿يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: 9].
- **التَّمَنِّي:** طلب حصول ما تعجز عنه ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ [آل عمران: 143].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارِس[1]: الهمزة والميم واللّام أصلان، الأول: التّثبّت والانتظار، والثّاني: الحبْلَ من الرّمل.

قال الخَليل[2]: الأمَلَ: الرّجاء، تقول: أمَلْتُه أمُلُه، وأمَلتُه أُؤمّلهُ تأميلاً. والتّأمّل: التّثبّت في النّظر. والأَمِيلُ: حَبْلٌ من الرّمْل معتزل على تقدير «فعيل» قال: «كالبرق يجتاز أمِيلاً أعرَفاً».

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الأصمَعَيّ[1]: الأَمِيْلُ: حَبْلٌ من الرَّمْل يكون عَرْضُه نحواً من مِيل.

قال الأزهَريّ[2]: ليس قول من زعم أنّهم أرادوا بـ «الأَمِيل» من الرّمل: الأمْيَل؛ فخُفّف بشيءٍ ولا نعلم في كلامهم ما يشبه هذا. ويقال: ما أطول إمْلَتَه من الأمَل.

قال الزَمخْشَري[3]: فلان بحرُ المؤمّل، بدرُ المتأمّل.

قال ابن منظور[4]: الأمَل والأَمْلُ والإِمْلُ: الرّجاء، والجمع: أمال.

قال الجَوهَري[5]: الأمَل: الرّجاء، يقال: أمَل خيرَه يأمُله أَمْلاً، وكذلك التّأميل وقولهم: ما أطول إمْلَتَه، أي: أمَلَه، وهو كالجِلسة والرّكبة. وتَأمَّلتُ الشّيء: أي نظرت إليه مستبيناً له. والأَمِيْلُ على «فَعيل»: حَبْلَ من الرّمل يكون عرضه نحواً من ميل، واسم موضع أيضاً.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الحِجر: 3].

قال الفخر الرازي[6]: دلت الآية على أن إيثار التلذذ والتنعم وما يؤدي إليه طول الأمل ليس من أخلاق المؤمنين، وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من أخلاق الهالكين، والأخبار في ذم الأمل كثيرة فمنها ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**يهرم ابن آدم ويشب فيه اثنان: الحرص على المال وطول الأمل**» وعنه ﷺ أنه نقط

(1) الأضداد.
(2) تهذيب اللغة.
(3) أساس البلاغة.
(4) اللسان.
(5) الصحاح في اللغة.
(6) التفسير الكبير.

ثلاث نُقط وقال: «**هذا ابن آدم، وهذا الأمل، وهذا الأجل، ودون الأمل تسع وتسعون منية فإن أخذته إحداهن، وإلا فالهرم من ورائه**» وعن علي عليه السلام أنه قال: إنما أخشى عليكم اثنين: طول الأمل واتباع الهوى، فإن طول الأمل ينسي الآخرة، واتباع الهوى يصد عن الحق.

قال القاسمي(1): أي: يشغلهم عن التوبة والتذكير، أملَ استقامة الحال. وأن لا يلقوا إلا خيراً في المآل.

قال الألوسي(2): ويشغلهم التوقع لطول الأعمار وبلوغ الأوطار واستقامة الأحوال وأن لا يلقوا إلا خيراً في العاقبة والمآل عن الإيمان والطاعة أو عن التفكر فيما يصيرون إليه.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46].

قال أبو حيان(3): أي: وخير رجاءً لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله.

قال الشعراوي(4): والأمل: ما يتطلع إليه الإنسان مما لم تكُنْ به حالته، فإنْ كان عنده خير تطلَّع إلى أعلى منه، فالأمل الأعلى عند الله تبارك وتعالى، كُلُّ هذا يُبيِّن لنا أن هذه الدنيا زائلة، وأننا ذاهبون إلى يوم بَاقٍ؛ لذلك أردف الحق سبحانه بعد الباقيات الصالحات ما يناسبها.

---

(1) محاسن التأويل.
(2) روح المعاني.
(3) البحر المحيط.
(4) تفسير الشعراوي.

أم

(أم - والدة)

- **الأُمّ:** باعتبار حسن الرعاية والعناية والمعاناة. ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [القصص: 7].
- **الوالدة:** مكان تكوين الإنسان وإرضاعه ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ﴾ [البقرة: 233].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: أمّا الهمزة والميم فأصل واحد، يتفرع منه أربعة أبواب وهي: الأصل، والمرجع، والجماعة والدّين. وهذه الأربعة متقاربة، وبعد ذلك أُصول ثلاثة، وهي: القامة، والحين، والقصد. وتقول العرب: «لا أُمّ له» في المدح والذّمّ جميعاً.

قال الخَليل[2]: اعلم أنّ كلّ شَّيء يُضم إليه سائر ما يليه، فإنّ العرب تُسمّي ذلك الشَّيء أُمًّا، فمن ذلك: أُمّ الرّأس: وهو الدّماغ، ورجل مأموم، والشّجة الأَمّة: الّتي تبلغ أُمَّ الدّماغ. والأَمِيم: المأموم، والأَميمة: الحجارة الّتي يُشدخ بها الرّأس. وقولهم: «لا أُمّ لك» مدح، وهو في موضع ذمَّ، وأُمّ القرى: مكّة، وكلّ مدينة هي أُمّ ما حولها من القرى. وأُمّ القرآن: كلّ آية محكمة من آيات الشّرائع والفرائض والأحكام، وفي الحديث: «**إنّ أُمّ الكتاب هي فاتحة الكتاب**»

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

لأنّها هي المتقدّمة أمام كلّ سورة في جميع الصّلوات. وأُمّ الرُّمح: لواؤُه، وما لُفَّ عليه.

قال اللّيث[1]: الأُمّ، هي الوالدة، والجمع: الأُمّهات يقال: تأمَّم فلان أُمًّا، أي اتخذها لنفسه أُمًّا. وتفسير «الأُمُ» في كلّ معانيها: أُمّة، لأنّ تأسيسه من حرفين صحيحين والهاء فيه أصليّة، ولكنّ العرب حذفت تلك الهاء إذا أَمِنوا اللَّبْس.

قال الجَوهَريّ[2]: أُمُّ الشّيء: أصله. ومكّة: أُمّ القرى، والأُمّ: الوالدة، والجمع: أُمَّات. وقال: «**فَرِجْتَ الظّلام بأمّاتِكا**» وأصل الأُمّ: أُمَهَة، ولذلك تُجمع على أُمّهات. وقال بعضهم: الأُمّهات للنّاس، والأُمّات للبهائم. ويقال: ماكنتِ أُمًّا، ولقد أمّمْتِ أُمُومَة. وتصغيرها: أُمَيمَة، وأُمَيمَة اسم امرأة.

قال الرّاغب[3]: الأُمّ بإزاء الأب، وهي الوالدة القريبة الّتي ولدته والبعيدة الّتي ولدت من ولدْته. ولهذا قيل لحوّاء: هي أُمّنا، وإن كان بيننا وبينها وسائط، ويقال لكلّ ما كان أصلاً لوجود شيءٍ أو تربيته أو إصلاحه أو مُبْدِئه: أُمّ. وقيل: أُمّ الأضياف وأُمّ المساكين، كقولهم: أبو الأضياف. ويقال للرّئيس: أُمّ الجيش. وقيل لفاتحة الكتاب: أُمّ الكتاب؛ لكونها مبدأ الكتاب، والأُمّ قيل: أصله أُمّهة لقولهم جمعاً: أُمهات - وأُميهة. وقيل: أصله من المضاعف، لقولهم: أُمّات وأُميمة. قال بعضهم: أكثر ما يقال: «أُمّات» في البهائم ونحوها، و«أُمّهات» في الإنسان. والأُمَّة: كلّ جماعة يجمعهم أمر ما، إمّا دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً أو اختياراً، وجمعها: أُمَم. والأُمّيّ: هو الّذي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب؛ وعليه حُمل. الإمام: المؤتمّ به إنساناً كأن يقتدي بقوله أو فعله، أو كتاباً، أو غير ذلك، محقّاً كان أو مبطلاً، وجمعه: أئمّة. الأَمّ: القصد المستقيم، وهو التّوجّه نحو مقصود.

(1) اللسان.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) مفردات الراغب.

قال السمين[1]: أحد الأبوين وتجمع في العقلاء على (الأمهات) وفي غيرهم على (أُمات).

المعنى المشترك لكلمة (أم)

وقد وردت كلمة (أم) في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

الوجه الأول: الأم أي الأصل ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: 7].

الوجه الثاني: الأم يعني: المرجع والمصير ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: 9].

الوجه الثالث: الأم يعني: الوالدة بعينها ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ [طه: 40].

الوجه الرابع: الأم يعني: المرضع ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ [النساء: 23].

الوجه الخامس: (أمهات المؤمنين) أزواج النبي ﷺ ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: 6].

المعنى المشترك لكلمة (أ م ة)

وقد وردت كلمة (أمة) في القرآن الكريم على تسعة أوجه:

الوجه الأول: أمة مسلمة لك يعني: عصبة ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: 128].

الوجه الثاني: أمة يعني: ملة ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: 213].

الوجه الثالث: أمة يعني: سنين معدودة ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ [هود: 8].

الوجه الرابع: أمة يعني: قوماً ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النحل: 92].

الوجه الخامس: أمة يعني: إماماً يقتدى به ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النّحل: 120].

---

(1) عمدة الحفاظ.

الوجه السادس: أمة يعني: من الأمم الخالية من الكفار وغيرهم ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ [يُونس: الآية 47]. . يعني من الأمم الخالية.

الوجه السابع: أمة يعني: أمة محمد ﷺ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: 110].

الوجه الثامن: أمة يعني: الكفار خاصة ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ [الرّعد: 30].

الوجه التاسع: أمة يعني: خلقاً ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: 38].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: 2].

قال الزمخشري[1]: وآمّو المسجد الحرام: قاصدوه، وهم الحجاج والعمار. وإحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها، وأن يحدثوا في أشهر الحج ما يصدّون به الناس عن الحج، وأن يتعرض للهدي بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله.

قال القرطبي[2]: يعني القاصدين له؛ من قولهم أَمَّمْت كذا أي قصدته. وقرأ الأعمش: ﴿وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ بالإضافة كقوله: «غَيْرَ مُحِلّي الصَّيدِ» والمعنى: لا تمنعوا الكفار القاصدين البيت الحرام على جهة التعبّد والقربة؛ وعليه فقيل: ما في هذه الآيات من نهيٍ عن مشرك، أو مراعاة حرمة له بِقلادة، أو أمّ البيت فهو

(1) الكشاف. (2) الجامع لأحكام القرآن.

كله منسوخ بآية السيف في قوله: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: 5]. وقوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: 28] فلا يُمكَّن المشرك من الحج، ولا يؤمَّن في الأشهر الحُرُم وإن أهدى وقلّد وحجّ؛ روي عن ٱبن عباس وقاله ٱبن زيد على ما يأتي ذكره. وقال قوم: محكمة لم تنسخ وهي في المسلمين، وقد نهى الله عن إخافة من يقصد بيته من المسلمين.

قال أبو السعود[1]: أي لا تُحلّوا قوماً قاصدين زيارته بأن تصُدّوهم عن ذلك بأي وجه كان، وقيل: هناك مضافٌ محذوف أي: قتالَ قومٍ أو أذى قوم آمين.

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البَقَرَة: 124].

قال الطبري[2]: إني مصيّرك للناس إماماً يؤتم به.

قال الفخر الرازي[3]: فالإمام اسم من يؤتم به، كالإزار لما يؤتزر به، أي: يأتمون بك في دينك. وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قال أهل التحقيق: المراد من الإمام هٰهنا النبي ويدل عليه وجوه. أحدها: أن قوله: ﴿لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يدل على أنه تعالى جعله إماماً لكل الناس والذي يكون كذلك لا بد وأن يكون رسولاً من عند الله مستقلاً بالشرع لأنه لو كان تبعاً لرسول آخر لكان مأموماً لذلك الرسول لا إماماً له، فحينئذ يبطل العموم.

وثانيها: أن اللفظ يدل على أنه إمام في كل شيء والذي يكون كذلك لا بد وأن يكون نبياً. وثالثها: أن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أئمة من حيث يجب على الخلق اتباعهم، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبيَاء: 73] والخلفاء أيضاً أئمة لأنهم رتبوا في المحل الذي يجب على الناس اتباعهم وقبول قولهم وأحكامهم والقضاة والفقهاء أيضاً أئمة لهذا المعنى، والذي يصلي بالناس يسمى

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.

أيضاً إماماً لأن من دخل في صلاته لزمه الائتمام به. قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما جعل الإمام إماماً ليؤتم به فإذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا ولا تختلفوا على إمامكم**» فثبت بهذ أن اسم الإمام لمن استحق الاقتداء به في الدين وقد يسمى بذلك أيضاً من يؤتم به في الباطل، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص: 41] إلا أن اسم الإمام لا يتناوله على الإطلاق بل لا يستعمل فيه إلا مقيداً، فإنه لما ذكر أئمة الضلال قيده بقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ كما أن اسم الإلٰه لا يتناول إلا المعبود الحق، فأما المعبود الباطل فإنما يطلق عليه اسم الإلٰه مع القيد، قال الله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [هود: 101] وقال: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طٰه: 97] إذا ثبت أن اسم الإمام يتناول ما ذكرناه، وثبت أن الأنبياء في أعلى مراتب الإمامة وجب حمل اللفظ هٰهنا عليه، لأن الله تعالى ذكر لفظ الإمام هٰهنا في معرض الامتنان، فلا بد وأن تكون تلك النعمة من أعظم النعم ليحسن نسبة الامتنان فوجب حمل هذه الإمامة على النبوة.

المسألة الثانية: أن الله تعالى لما وعده بأن يجعله إماماً للناس حقق الله تعالى ذلك الوعد فيه إلى قيام الساعة، فإن أهل الأديان على شدة اختلافها ونهاية تنافيها يعظمون إبراهيم عليه الصلاة والسلام ويتشرفون بالانتساب إليه إما في النسب وإما في الدين والشريعة حتى إن عبدة الأوثان كانوا معظمين لإبراهيم عليه السلام، وقال الله تعالى في كتابه: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: 123] وقال: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: 130] وقال في آخر سورة الحج: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: 78] وجميع أمة محمد عليه الصلاة والسلام يقولون في آخر الصلاة وارحم محمداً وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.

المسألة الثالثة: القائلون بأن الإمام لا يصير إماماً إلا بالنص تمسكوا بهذه الآية فقالوا: إنه تعالى بَيَّن أنه إنما صار إماماً بسبب التنصيص على إمامته ونظيره

قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30] فبين أنه لا يحصل له منصب الخلافة إلا بالتنصيص عليه وهذا ضعيف لأنا بينا أن المراد بالإمامة هٰهنا النبوة، ثم إن سلمنا أن المراد منها مطلق الإمامة لكن الآية تدل على أن النص طريق الإمامة وذلك لا نزاع فيه، إنما النزاع في أنه هل تثبت الإمامة بغير النص، وليس في هذه الآية تعرض لهذه المسألة لا بالنفي ولا بالإثبات.

المسألة الرابعة: قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يدل على أنه عليه السلام كان معصوماً عن جميع الذنوب لأن الإمام هو الذي يؤتم به ويقتدى، فلو صدرت المعصية منه لوجب علينا الاقتداء به في ذلك، فيلزم أن يجب علينا فعل المعصية وذلك محال لأن كونه معصية عبارة عن كونه ممنوعاً من فعله وكونه واجباً عبارة عن كونه ممنوعاً من تركه والجميع محال.

● **قال تعالى:** ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة: 12].

قال الزمخشري(1): فقاتلوهم، فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم: إشعاراً بأنهم إذا نكثوا في حال الشرك تمرّداً وطغياناً وطرحاً لعادات الكرام الأوفياء من العرب، ثم آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاروا إخواناً للمسلمين في الدين، ثم رجعوا فارتدوا عن الإسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الإيمان والوفاء بالعهود، وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء، فهم أئمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه، لا يشق كافر غبارهم. وقالوا: إذا طعن الذمي في دين الإسلام طعناً ظاهراً، جاز قتله؛ لأن العهد معقود معه على أن لا يطعن، فإذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمّة ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾ جمع يمين: «**وقرىء: لا إيمان لهم، أي لا إسلام لهم**» أو لا يعطون الأمان بعد الردّة والنكث، ولا سبيل إليه، فإن قلت: كيف أثبت لهم الإيمان في قوله: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم﴾ ثم

(1) الكشاف.

نفاها عنهم؟ قلت: أراد أيمانهم التي أظهروها ثم قال لا إيمان لهم على الحقيقة، وأيمانهم ليست بأيمان. وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن يمين الكافر لا تكون يميناً. وعند الشافعي رحمه الله: يمينهم يمين. وقال: معناه أنهم لا يوفون بها، بدليل أنه وصفها بالنكث ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ متعلق بقوله: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ أي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم أن تكون المقاتلة سبباً في انتهائهم عما هم عليه. وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد. فإن قلت: كيف لفظ أئمة؟ قلت: همزة بعدها همزة بين بين، أي: بين مخرج الهمزة والياء. وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة، وإن لم تكن بمقبولة عند البصريين. وأما التصريح بالياء فليس بقراءة. ولا يجوز أن تكون قراءة. ومن صرح بها فهو لاحن محرف.

قال الفخر الرازي[1]: معناه قاتلوا الكفار بأسرهم، إلا أنه تعالى خص الأئمة والسادة منهم الذكر، لأنهم هم الذين يحرضون الأتباع على هذه الأعمال الباطلة.

قال القرطبي[2]: «أئمّة» جمع إمام، والمراد صناديد قريش - في قول بعض العلماء - كأبي جهل وعتبة وشيبة وأُمية بن خلف. وهذا بعيد؛ فإن الآية في سورة «براءة» وحين نزلت وقُرئت على الناس كان الله قد استأصل شَأْفة قريش فلم يبق إلاَّ مسلم أو مسالم؛ فيحتمل أن يكون المراد ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾. أي من أقدم على نكث العهد والطعنِ في الدين يكون أصلاً ورأساً في الكفر؛ فهو من أئمة الكفر على هذا. ويحتمل أن يعني به المتقدِّمون والرؤساء منهم، وأن قتالهم قتالٌ لأتباعهم وأنهم لا حُرْمة لهم.

● **قال تعالى**: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [القِيَامَة: 5].

قال الطبري[3]: ما يجهل ابن آدم أن ربه قادر على أن يجمع عظامه، ولكنه

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) جامع البيان.

يريد أن يمضي أمامه قُدُماً في معاصي الله، لا يثنيه عنها شيء، ولا يتوب منها أبداً، ويسوّف التوبة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنه يركب رأسه في طلب الدنيا دائباً ولا يذكر الموت.

وقالوا: بل معنى ذلك: بل يريد الإنسان ليكفر بالحقّ بين يدي القيامة، والهاء على هذا القول في قوله: ﴿أَمَامَهُ﴾ من ذكر القيامة، وقد ذكرنا الرواية بذلك قبل.

قال الفخر الرازي(1): فيه قولان: الأول: أي ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه، وعن سعيد بن جبير: يقدم الذنب ويؤخر التوبة، يقول: سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله القول الثاني: ليفجر أمامه، أي ليكذب بما أمامه من البعث والحساب، لأن من كذب حقاً كان كاذباً وفاجراً، والدليل عليه قوله: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [القيامة: 6] فالمعنى يريد الإنسان ليفجر أمامه، أي ليكذب بيوم القيامة وهو أمامه، فهو يسأل أيان يوم القيامة، متى يكون ذلك تكذيباً له.

● **قال تعالى**: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا﴾ [البَقَرَة: 128].

قال البغوي(2): (أمة) جماعة، والأمة أتباع الأنبياء.

قال القرطبي(3): والأمّة: الجماعة هنا، وتكون واحداً إذا كان يُقْتدى به في الخير؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النّحل: 120]، وقال ﷺ في زيد بن عمرو بن نُفَيل: «**يُبعث أمّةً وحده**» لأنه لم يشرك في دينه غيره، والله أعلم. وقد يطلق لفظ الأمّة على غير هذا المعنى؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: 22] أي: على دين ومِلّة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ

---

(1) التفسير الكبير.
(2) معالم التنزيل.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: 92]. وقد تكون بمعنى الحين والزمان؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: 45] أي بعد حين وزمان. ويقال: هذه أُمّة زيد؛ أي أُمّ زيد. والأمّة أيضاً: القامة؛ يقال: فلان حسن الأمّة؛ أي: حسن القامة.

قال الألوسي(1): والمراد من الأمة الجماعة أو الجيل، وخصها بعضهم بأمة محمد ﷺ وحمل التنكير على التنويع، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَابْعَثْ﴾ [البقرة: 129] الخ ولا يخفى أنه صرف للفظ عن ظاهره واستدلال بما لا يدل، وجوز أبو البقاء أن يكون (أمة) المفعول الأول ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ حال لأنه نعت نكرة تقدم عليها - ومسلمة - المفعول الثاني وكان الأصل - واجعل أمة من ذريتنا مسلمة لك - فالواو داخلة في الأصل على (أمة) وقد فصل بينهما بالجار والمجرور، و(من) عند بعضهم على هذا بيانية على حد ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ﴾ [النور: 55] ونظر فيه أبو حيان بأن أبا علي وغيره منعوا أن يفصل بين حرف العطف والمعطوف بالظرف والفصل بالحال أبعد من الفصل بالظرف، وجعلوا ما ورد من ذلك ضرورة وبأن كون (من) للتبيين مما يأباه الأصحاب ويتأولون ما فهم ذلك من ظاهره؛ ولا يخفى أن المسألة خلافية وما ذكره مذهب البعض وهو لا يقوم حجة على البعض الآخر.

● **قال تعالى**: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عِمرَان: 104].

قال القاسمي(2): أي: جماعة، سُميا بذلك لأنها يؤمّها فِرق الناس، أي: يقصدونها ويقتدون بها.

المراغي(3): أي: ولتكن منكم طائفة متميزة تقوم بالدّعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(1) روح المعاني.
(2) محاسن التأويل.
(3) تفسير المراغي.

قال أبو حيان[1]: الأمر متوجه لمن يتوجه الخطاب عليهم، وقيل: هم الأوس والخزرج على ما ذكره الجمهور، وأمره لهم بذلك أمر لجميع المؤمنين ومن تابعهم إلى يوم القيامة، فهو الخطاب الخاصّ الذي يراد به العموم. ويحتمل أن يكون الخطاب عاماً فيدخل فيه الأوس والخزرج.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الأعراف: 157].

قال البغوي[2]: هو منسوب إلى الأم، أي هو على ما ولدته أمه، وقيل: هو منسوب إلى أمته. أصله أمتي، وسقطت التاء في النّسبة، كما سقطت في المكي والمدني.

قال البيضاويّ[3]: (الأميّ) الذي لايكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيهاً على أن كمال علمه مع حالة إحدى معجزاته.

قال القاسمي[4]: (الأُميّ)، أي: الذي لم يُحَصّل علماً من بشر.

قال الفخر الرازي[5]: كونه أمياً. قال الزجاج: معنى ﴿ٱلْأُمِّىَّ﴾ الذي هو على صفة أمة العرب. قال عليه الصلاة والسلام: «**إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب**» فالعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرؤون والنبي عليه الصلاة والسلام كان كذلك، فلهذا السبب وصفه بكونه أميًّا.

● **قال تعالى**: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة: 78].

قال الطبري[6]: يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ ومن هؤلاء اليهود الذين قصّ الله قصصهم في هذه الآيات، وأيأس أصحاب رسول الله ﷺ من

(1) البحر المحيط.
(2) معالم التنزيل.
(3) أنوار التنزيل.
(4) محاسن التأويل.
(5) التفسير الكبير.
(6) جامع البيان.

إيمانهم، فقال لهم: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البَقَرَة: 75] وهم الذين إذا لقوكم قالوا: آمنا.

وهذا التأويل تأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم، وذلك أن الأميّ عند العرب هو الذي لا يكتب.

قال أبو جعفر: وأرى أنه قيل للأمي أمي نسبة له بأنه لا يكتب إلى أمه، لأن الكتاب كان في الرجال دون النساء، فنسب من لا يكتب ولا يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتابة دون أبيه كما ذكرنا عن النبي ﷺ من قوله: «**إنّا أمّةٌ أُمِّيَّةٌ لا نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ**» وكما قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [**الجمعة: 2**] فإذا كان معنى الأمي في كلام العرب ما وصفنا، فالذي هو أولى بتأويل الآية ما قاله النخعي من أن معنى قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾: ومنهم من لا يحسن أن يكتب.

قال ابن عطية[1]: و﴿أُمِّيُّونَ﴾ هنا عبارة عن جهله بالتوراة، قال أبو العالية ومجاهد وغيرهما: المغنى ومن هؤلاء اليهود المذكورين، فالآية منبهة على عامتهم وأتباعهم، أي إنهم ممن لا يطمع في إيمانهم لما غمرهم من الضلال، وقيل: المراد هنا بالأميين قوم ذهب كتابهم لذنوب ركبوها فبقوا أميين، وقال عكرمة والضحاك: هم في الآية نصارى العرب، وقيل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه إنه قال: هم المجوس. والضمير في (منهم) على هذه الأقوال هو للكفار أجمعين، قال القاضي أبو محمد رحمه الله: وقول أبي العالية ومجاهد أوجه هذه الأقوال، وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة «أميون» بتخفيف الميم، والأمي في اللغة الذي لا يكتب ولا يقرأ في كتاب، نسب إلى الأم: إما لأنه بحَال أمه من عدم الكتاب لا بحال أبيه، إذ النساء ليس من شغلهن الكتاب، قاله الطبري، وإما لأنه بحال ولدته أمه فيها لم ينتقل عنها، وقيل نسب إلى الأمة وهي القامة والخلقة، كأنه ليس له من الآدميين إلا ذلك، وقيل نسب إلى الأمة على سذاجتها

---

(1) المحرر الوجيز.

قبل أن تعرف المعارف، فإنها لا تقرأ لا تكتب، ولذلك قال النبي ﷺ في العرب: «**إنا أمة أميّة لا نحسب ولا نكتب**».

● **قال تعالى**: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾ [آل عِمرَان: 7].

قال الطبري[1]: ثم وصف جل ثناؤه هؤلاء الآيات المحكمات بأنهنّ هنّ أمّ الكتاب، يعني بذلك أنهنّ أصل الكتاب الذي فيه عماد الدين والفرائض والحدود، وسائر ما بالخلق إليه الحاجة من أمر دينهم، وما كلفوا من الفرائض في عاجلهم وآجلهم. وإنما سماهنّ أم الكتاب، لأنهنّ معظم الكتاب، وموضع مفزع أهله عند الحاجة إليه، وكذلك تفعل العرب، تسمي الجامع معظم الشيء أُمًّا له، فتسمي راية القوم التي تجمعهم في العساكر أمهم، والمدبر معظم أمر القرية والبلدة أمها. وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته. ووحد أمّ الكتاب، ولم يجمع فيقول: هنّ أمهات الكتاب، وقد قال هنّ لأنه أراد جميع الآيات المحكمات أمّ الكتاب، لا أن كل آية منهنّ أمّ الكتاب، ولو كان معنى ذلك أن كل آية منهنّ أمّ الكتاب، لكان لا شكّ قد قيل: هنّ أمهات الكتاب. ونظير قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [آل عِمرَان: 7] على التأويل الذي قلنا في توحيد الأم وهي خبر لـ «هُنَّ» قوله تعالى ذكره: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: 50] ولم يقل آيتين، لأن معناه: وجعلنا جميعهما آية، إذ كان المعنى واحداً فيما جُعلا فيه للخلق عبرة. ولو كان مراده الخبر عن كل واحد منهما على انفراده، بأنه جعل للخلق عبرة، لقيل: وجعلنا ابن مريم وأمه آيتين؛ لأنه قد كان في كل واحد منهما لهم عبرة. وذلك أن مريم ولدت من غير رجل، ونطق ابنها فتكلم في المهد صبياً، فكان في كل واحد منهما للناس آية. وقد قال بعض

(1) جامع البيان.

نحويي البصرة: إنما قيل: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ولم يقل: «هنّ أمهات الكتاب» على وجه الحكاية، كما يقول الرجل: ما لي أنصار، فتقول: أنا أنصارك، أو ما لي نظير، فتقول: نحن نظيرك. قال: وهو شبيه «دعني من تمرتان».

قال أبو زهرة[1]: التعبير بـ (أم الكتاب) تعبير مجازي بالاستعارة، لأن الأم هي الأصل وهي التي تقوم على أولادها، ويرجعون إليها في غذائهم وعواطفهم، فشبهت بها الآيات المحكمات التي هي أصل الدين ومرجعه، وإذا كانت متشابهات، فهي تُفسر بالرجوع إلى هذا الأصل، وهو المحكمات.

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى﴾ [الأعراف: 150].

قال الزمخشري[2]: قرىء بالفتح تشبيهاً بخمسة عشر، وبالكسر على طرح ياء الإضافة. «وابن أمي»، وبالياء. «وابن إمِّ»، بكسر الهمزة والميم. وقيل: كان أخاه لأبيه وأمّه، فإن صحّ فإنما أضافه إلى الأم، إشارة إلى أنهما من بطن واحد. وذلك أدعى إلى العطف والرقة، وأعظم للحق الواجب، ولأنها كانت مؤمنة فاعتدّ بنسبها، ولأنها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها.

قال القرطبي[3]: وكان ٱبنَ أُمّه وأبيه. ولكنها كلمةُ لِين وعطف. قال الزَّجاج: قيل كان هارون أخا موسى لأُمه لا لأبيه. وقُرىء بفتح الميم وكسرها؛ فمن فتح جعل «ٱبن أُم» ٱسماً واحداً كخمسةَ عشر؛ فصار كقولك: يا خمسة عشر أقبلوا. ومن كسر الميم جعله مضافاً إلى ضمير المتكلم ثم حذف ياء الإضافة؛ لأن مبنى النداء على الحذف، وأبقى الكسرة في الميم لتدُلّ على الإضافة؛ كقوله: ﴿يَٰعِبَادِ﴾ [الزمر: 10]. يدلّ عليه قراءة ابن السَّمَيْقَع «يابنَ أُمّي» بإثبات الياء على

(1) زهرة التفاسير.
(2) الكشاف.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

الأصل. وقال الكسائي والفرّاء وأبو عبيد: «يابن أُمَّ» بالفتح، تقديره يابن أُمّاه. وقال البصريون: هذا القول خطأ؛ لأن الألف خفيفة لا تحذف ولكن جعل الاسمين اْسماً واحداً.

وقال الأخفش وأبو حاتم: «يابن أُمِّ» بالكسر كما تقول: يا غلام غلام أقبل، وهي لغة شاذّة والقراءة بها بعيدة. وإنما هذا فيما يكون مضافاً إليك؛ فأما المضاف إلى مضاف إليك فالوجه أن تقول: يا غلام غلامي، ويابن أخي. وجوّزوا يابن أُمَّ، يابن عمَّ، لكثرتها في الكلام. قال الزجاج والنحاس: ولكن لها وجه حسن جيّد، يجعل الابن مع الأُم ومع العَمّ اْسماً واحداً؛ بمنزلة قولك: يا خمسة عشر أقبلوا، فحذفت الياء كما حذفت من يا غلام.

● **قال تعالى**: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ [الشّورى: 7].

قال الطبري(1): هي مكة، ومن حولها شرقاً وغرباً.

قال البغوي(2): (أم القرى) يعني مكة، سميت أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها فهي أصل الأرض كلها، كالأم أصل النسل. وأراد أهل أم القرى.

قال الفخر الرازي(3): اتفقوا على أن هٰهنا محذوفاً، والتقدير: ولتنذر أهل أم القرى.

واتفقوا على أن أم القرى هي مكة، واختلفوا في السبب الذي لأجله سميت مكة بهذا الاسم. فقال ابن عباس: سميت بذلك، لأن الأرضين دحيت من تحتها ومن حولها، وقال أبو بكر الأصم: سميت بذلك لأنها قبل أهل الدنيا، فصارت هي كالأصل وسائر البلاد والقرى تابعة لها، وأيضاً من أصول عبادات أهل الدنيا الحج، وهو إنما يحصل في تلك البلدة، فلهذا السبب يجتمع الخلق إليها كما

(1) جامع البيان.
(2) معالم التنزيل.
(3) التفسير الكبير.

يجتمع الأولاد إلى الأم، وأيضاً فلما كان أهل الدنيا يجتمعون هناك بسبب الحج، لا جرم يحصل هناك أنواع من التجارات والمنافع ما لا يحصل في سائر البلاد، ولا شك أن الكسب والتجارة من أصول المعيشة، فلهذا السبب سميت مكة أم القرى. وقيل: إنما سميت مكة أم القرى لأن الكعبة أول بيت وضع للناس، وقيل أيضاً: إن مكة أول بلدة سكنت في الأرض. إذا عرفت هذا فنقول: قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ دخل فيه سائر البلدان والقرى.

● قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمَان: 14].

قال الزمخشري[1]: كيف اعترض به بين المفسر والمفسر؟ قلت: لما وصى بالوالدين: ذكر ما تكابده الأمّ وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدّة المتطاولة، إيجاباً للتوصية بالوالدة خصوصاً. وتذكيراً بحقها العظيم مفرداً، ومن ثمّ قال رسول الله ﷺ لمن قال له: من أبر؟ «**أمّك ثم أمّك ثم أمّك**» ثم قال بعد ذلك «**ثم أباك**».

قال الفخر الرازي[2]: إن قال قائل وصى الله بالوالدين وذكر السبب في حق الأم فنقول خص الأم بالذكر وفي الأب ما وجد في الأم فإن الأب حمله في صلبه سنين ورباه بكسبه سنين فهو أبلغ.

قال القرطبي[3]: لما خصّ تعالى الأم بدرجة ذكر الحمل وبدرجة ذكر الرضاع حصل لها بذلك ثلاث مراتب، وللأب واحدة؛ وأشبه ذلك قوله ﷺ حين قال له رجل: من أَبَرّ؟ قال: «**أمّك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**» فجعل له الرّبع من المَبَرَّة كما في هذه الآية؛ وقد مضى هذا كله في «سبحان».

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

● قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ [القَصَص: 59].

قال الزمخشري[1]: أي: أصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها ﴿رَسُولًا﴾ لإلزام الحجة وقطع المعذرة، مع علمه أنهم لا يؤمنون؛ أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى - يعني مكة - رسولاً وهو محمد ﷺ خاتم الأنبياء. وقرىء: «أمها» بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجرّ.

قال أبو حيان[2]: والظاهر أن القرى عامة في القرى التي هلكت، فالمعنى أنه تعالى لا يهلكها في كل وقت. حتى يبعث في أم تلك القرى، أي كبيرتها، التي ترجع تلك القرى إليها، ومنها يمتارون، وفيها عظيمهم الحاكم على تلك القرى. ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾، لإلزام الحجة وقطع المعذرة. ويحتمل أن يراد بالقرى: القرى التي في عصر الرسول، فيكون أم القرى: مكة، ويكون الرسول: محمداً ﷺ، خاتم الأنبياء.

قال الطبري[3]: حتى يبعث في مكه رسولاً، وهي أم القرى.

● قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ [النِّساء: 23].

قال الفخر الرازي[4]: كل امرأة رجع نسبك إليها بالولادة من جهة أبيك أو من جهة أمك بدرجة أو بدرجات، بإناث رجعت إليها أو بذكور فهي أمك. ثم هٰهنا بحث وهو أن لفظ الأم لا شك أنه حقيقة في الأم الأصلية، فأما في الجدات

(1) الكشاف.
(2) البحر المحيط.
(3) جامع البيان.
(4) التفسير الكبير.

فإما أن يكون حقيقة أو مجازاً، فإن كان لفظ الأم حقيقة في الأم الأصلية وفي الجدات، فإما أن يكون لفظاً متواطئاً أو مشتركاً، فإن كان لفظاً متواطئًا أعني أن يكون لفظ الأم موضوعاً بإزاء قدر مشترك بين الأم الأصلية وبين سائر الجدات فعلى هذا التقدير يكون قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ﴾ نصاً في تحريم الأم الأصلية وفي تحريم جميع الجدات، وأما إن كان لفظ الأم مشتركاً في الأم الأصلية وفي الجدات، فهذا يتفرع على أن اللفظ المشترك بين أمرين هل يجوز استعماله فيهما معاً أم لا؟ فمن جوزه حمل اللفظ هٰهنا على الكل، وحينئذ يكون تحريم الجدات منصوصاً عليه، ومن قال: لا يجوز، فالقائلون بذلك لهم طريقان في هذا الموضع:

أحدهما: أن لفظ الأم لا شك أنه أريد به هٰهنا الأم الأصلية، فتحريم نكاحها مستفاد من هذا الوجه، وأما تحريم نكاح الجدات فغير مستفاد من هذا النص، بل من الإجماع. والثاني: أنه تعالى تكلم بهذه الآية مرتين، يريد في كل مرة مفهوماً آخر، أما إذا قلنا: لفظ الأم حقيقة في الأم الأصلية مجاز في الجدات، فقد ثبت أنه لا يجوز استعمال اللفظ الواحد دفعة واحدة في حقيقته ومجازه معاً، وحينئذٍ يرجع الطريقان اللذان ذكرناهما فيما إذا كان لفظ الأم حقيقة في الأم الأصلية، وفي الجدات.

قال القرطبي(1): والأمهات جمع أُمّهَة؛ يُقال: أُمّ وأمّهة بمعنى واحد، وجاء القرآن بهما. وقد تقدّم في الفاتحة بيانه. وقيل: إن أصل أم أمّهة على وزن فُعَّلَة مثل قُبَّرَة وحُمَّرة لطيْرَيْن، فسقطت وعادت في الجمع.

فالأم اسم لكل أنثىٰ لها عليك ولادة؛ فيدخل في ذلك الأمّ دِنْيَةً، وأُمهاتها وجدّاتها وأُمُّ الأب وجدّاته وإن عَلَوْنَ.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

أمن

(أمن - اطمئنان - سكن - سلم - نجاة)

- **الأَمْنُ:** زوال خوفه الشديد ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قُرَيش: 4].
- **الاطْمِئْنَانُ:** هدوء القلب بعد قلق شديد ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البَقَرَة: 260].
- **السَّكَنُ:** الهدوء بعد الحركة الشديدة ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعَام: 96].
- **السِّلْم:** الخلاص من الخطر المتوقع ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحِجر: 46].
- **النَّجَاة:** بعد أن وقع الخطر الداهم فعلاً ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ [العَنكبوت: 33].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الهمزة والميم والنّون أصلان متقاربان ؛ أحدهما: الأمانة الّتي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر: التّصديق. والمعنيان - كما قلنا - متدانيان. يقال: أَمِنت الرّجل أمناً وأَمَنَةً وأماناً، وآمنني يُؤمنني إيماناً.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخَليل[1]: الأَمْنُ: ضدّ الخوف، والفعل منه: أَمِنَ يَأْمَن أَمْناً. والمَأْمَن: موضع الأَمْن. والأَمَنَة من الأمن: اسم موضوع من أمِنت، والأَمَان: إعطاء الأمنَة. والأمانة: نقيض الخيانة، والمفعول: مأمون وأمين، ومؤتمن من (ائتمنه). والتّأمين من قولك: آمين، وهو اسم من أسماء الله، وناقة أمُون: وهي الأمينة الوثيقة، وهذا فعول جاء في معنى المفعول. ومثله عضوب، يُعضب فخذها حين تُحلب حتى تدّر.

قال الجوهريّ[2]: الأمان والأمانة بمعنًى. وقد أمِنتُ فأنا آمِنْ. وَآمَنْتُ غيري من الأمن والأمان. والإيمان: التّصديق. والله تعالى المؤمن، لأنّه آمن عباده من أن يظلمهم. وأصل «آمن» أأْمن بهمزتين، لُيّنت الثّانية. ومنه المُهيمن، وأصله «مؤأمِن» لُينت الثّانية وقلبت ياء، وقلبت الأولى هاء. والأَمْنُ: ضدّ الخوف. والأَمَنَة بالتّحريك: الأمن ومنه قوله عزَ وجلّ: ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: 154]. والأَمَنَة أيضاً: الّذي يثق بكلّ أحد، وكذلك الأمنة مثال الهمزة.

قال الرّاغب[3]: أصل الأمن: طمأنينة النّفس وزوال الخوف. والأَمْنُ والأَمَانُ في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسماً للحالة الّتي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسماً لما يؤمن عليه الإنسان، نحو قوله: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ [الأنفال: 27]، أي ما ائتمِنتم عليه. و«آمن» إنمّا يقال على وجهين: أحدهما: متعديًّا بنفسه، يقال: آمنته، أي جعلت له الأمن. ومنه قيل لله: مؤمن. والثّاني: غير متعدّ، ومعناه صار ذا أمن. ويقال: رجل أَمَنة وأُمنة بكلّ أحد، وأمين وأمان: يؤمن به. والآمون: النّاقة يؤمن فتورها وعثورها.

قال الزمخشريّ[4]: أمِنته وآمننيه غيري، وهو في أمن منه وأمنة، وهو مُؤتمن على كذا، وقد ائتمنته عليه واستأمن الحربيّ: استجار ودخل دارَ الإسلام

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) أساس البلاغة.

مستأمناً، وهؤلاء قومٌ مستأمنة. ويقول الأمير للخائف: لك الأمان، أي: قد أمنتك. وفلان أمنة: أي يأمن كلّ أحد ويثق به، ويأمنه النّاس ولايخافون غائلته. وأَمَّنَ على دعائه. وتقول: رأيت جماعة مؤمنين: داعين لك مُؤَمِنِّين.

المعنى المشترك لكلمة (أ م ن)

وقد وردت كلمة (أمن) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: الأمانة يعني: الفرائض ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27].

الوجه الثاني: الأمانة يعني: الودائع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النِّساء: 58].

الوجه الثالث: الأمانة يعني: العفة ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القَصَص: 26].

المعنى المشترك لكلمة (أ م ن)

وقد وردت كلمة (أمن) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: الإيمان يعني به: الإقرار باللسان في العلانية ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ [المنافِقون: الآية 3] يعني أقروا باللسان ثم كفروا في السر.

الوجه الثاني: الإيمان يعني: التصديق في السر والعلانية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البيّنَة: 7].

الوجه الثالث: الإيمان يعني: التوحيد ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المَائدة: 5].

الوجه الرابع: الإيمان في شرك ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يُوسُف: 106].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ [البقرة: 283].

قال الفخر الرازي[1]: أَمِنَ فلان غيره: إذا لم يكن خائفاً منه، قال تعالى: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾ [يوسف: 64] فقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: لم يخف خيانته وجحوده.

قال الزمخشري[2]: فإن أَمِنَ بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به. وقرأ أبيّ «فإن أومن» أي: آمنه الناس ووصفوا المديون بالأمانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله.

قال أبو حيان[3]: أي: إن وثق رب الدين بأمانة الغريم، فدفع إليه ماله بغير كتاب ولا إشهاد ولا رهن، فليؤدّ الغريم أمانته، أي ما ائتمنه عليه رب المال.

● **قال تعالى:** ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: 75].

قال الطبري[4]: وهذا الخبر من الله عزّ وجلّ أن من أهل الكتاب، وهم اليهود من بني إسرائيل أهل أمانة يؤدونها ولا يخونونها، ومنهم الخائن أمانته، الفاجر في يمينه المستحلُّ. فإن قال قائل: وما وجه إخبار الله عزّ وجلّ بذلك نبيه ﷺ، وقد علمت أن الناس لم يزالوا كذلك منهم المؤدّي أمانته والخائنها؟ قيل: إنما أراد جلّ وعزّ بإخباره المؤمنين خبرهم على ما بينه في كتابه بهذه الآيات تحذيرهم أن يأتمنوهم على أموالهم، وتخويفهم الاغترار بهم،

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الكشاف.
(3) البحر المحيط.
(4) جامع البيان.

لاستحلال كثير منهم أموال المؤمنين. فتأويل الكلام: ومن أهل الكتاب الذي إن تأمنه يا محمد على عظيم من المال كثير، يؤدّه إليك، ولا يخنك فيه؛ ومنهم الذي إن تأمنه على دينار يخنك فيه، فلا يؤدّه إليك إلا أن تلحّ عليه بالتقاضي والمطالبة. والباء في قوله: ﴿بِدِينَارٍ﴾، وعلى يتعاقبان في هذا الموضع، كما يقال: مررت به، ومررت عليه.

قال النيسابوري[1]: وقيل: إن أصحاب الأمانة هم النصارى لغلبة الأمانة عليهم، وأهل الخيانة اليهود لكثرة ذلك فيهم. وقال ابن عباس: ﴿مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ﴾ هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفاً ومائتي أوقية ذهباً فأداه إليه و﴿مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ﴾ هو فنحاص بن عازورا استودعه رجل من قريش ديناراً فجحده وخانه. وقال أهل الحقيقة: هي فيمن يؤتى كثيراً من الدنيا فيخرج عن عهدته بعدم الالتفات إليه وقطع النظر عنه ثقة بالله وتوكلاً عليه واكتفاء به، وفيمن يمتحن بالدنيا فيكون همه مقصوراً عليها معرضاً عما سواها غير مؤدٍّ حقوقها. ويقال: أمنته بكذا وعلى كذا، فمعنى الباء إلصاق الأمانة بحفظها وحياطتها، ومعنى «على» استعلاؤها والاستيلاء عليها. والمراد بالقنطار والدينار هٰهنا العدد الكثير والعدد القليل فلا حاجة إلى تعيينه.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البَقَرَة: 126].

قال ابن عطية[2]: معناه من الجبابرة والمسلطين والعدو المستأصل والمثلات التي تحل بالبلاد.

وكانت مكة وما يليها حين ذلك قفراً لا ماء فيه ولا نبات، فبارك الله فيما حولها كالطائف وغيره، ونبتت فيها أنواع الثمرات. وروي أن الله تعالى لما دعاه

(1) غرائب القرآن. (2) المحرر الوجيز.

إبراهيم أمر جبريل صلوات الله عليه فاقتلع فلسطين، وقيل قطعة من الأردن فطاف بها حول البيت سبعاً وأنزلها بوجّ، فسميت الطائف بسبب ذلك الطواف. واختلف في تحريم مكة متى كان؟ فقالت فرقة: جعلها الله حراماً يوم خلق السمٰوات والأرض، وقالت فرقة: حرمها إبراهيم. قال القاضي أبو محمد عبد الحق ﷺ: والأول قاله النبي ﷺ في خطبته ثاني يوم الفتح، والثاني قاله أيضاً النبي ﷺ، ففي الصحيح عنه: «**اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة، ما بين لابتيها حرام**».

ولا تعارض بين الحديثين، لأن الأول إخبار بسابق علم الله فيها وقضائه، وكون الحرمة مدة آدم وأوقات عمارة القطر بإيمان، والثاني إخبار بتجديد إبراهيم لحرمتها وإظهاره ذلك بعد الدثور، وكل مقال من هذين الإخبارين حسن في مقامه، عظم الحرمة ثاني يوم الفتح على المؤمنين بإسناد التحريم إلى الله تعالى، وذكر إبراهيم عند تحريمه المدينة مثالاً لنفسه، ولا محالة أن تحريم المدينة هو أيضاً من قبل الله تعالى من نافذ قضائه وسابق علمه.

قال الطبري(1): آمناً: آمناً من الجبابرة وغيرهم أن يسلطوا عليه، ومن عقوبة الله أن تناله، كما تنال سائر البلدان، من خسف، وانتقال، وغرق، وغير ذلك من سخط الله ومثلاته التي تصيب سائر البلاد غيره.

فإن قال لنا قائل: أَوَ ما كان الحرم آمناً إلا بعد أن سأل إبراهيم ربه له الأمان؟ قيل له: لقد اختُلِف في ذلك، فقال بعضهم: لم يزل الحرم آمناً من عقوبة الله وعقوبة جبابرة خلقه، منذ خلقت السمٰوات والأرض.

وقال آخرون: كان الحرم حلالاً قبل دعوة إبراهيم كسائر البلاد غيره، وإنما صار حراماً بتحريم إبراهيم إياه، كما كانت مدينة رسول الله ﷺ حلالاً قبل تحريم رسول الله ﷺ إياها.

---

(1) جامع البيان.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الله تعالى ذكره جعل مكة حرماً حين خلقها وأنشأها، كما أخبر النبيّ ﷺ أنه حرّمها يوم خلق السمٰوات والأرض بغير تحريم منه لها على لسان أحد من أنبيائه ورسله.

قال القاسمي[1]: (آمِناً) أي: من الخوف، أي: لا يُرعَب أهله.. وقد أجاب الله دعاءه. كقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ [آل عِمرَان: 97]، وقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ﴾ [العَنكبوت: 67]، إلى غير ذلك من الآيات. وصحت أحاديث متعددة بتحريم القتال فيه، وفي صحيح مسلم عن جابر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحل لأحد أن يحمل بمكة السلاح**» فهو آمن من الآفات، لم يصل إليه جبار إلا قصمه الله. كما فعل بأصحاب الفيل. وقوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: 35]، بتعريف البلد مع جعله صفة لهذا، خلاف ما هنا، إمّا أن يحمل على تعدد السؤال بأن تكون الدعوة الأولى للمذكورة هنا، وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلداً. كأنه قال: اجعل هذا الوادي بلداً آمناً؛ لأنه تعالى حكى عنه أنه قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ [إبراهيم: 37]، فقال، هٰهنا: اجعل هذا الوادي بلداً آمناً. والدعوة الثانية وقعت وقد جعل بلداً. فكأنه قال: اجعل هذا المكان الذي صيرته بلداً ذا أمن وسلامة. وإمّا أن يحمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر، فالظاهر أن المسؤول كلا الأمرين، وقد حكى ذلك هنا، واقتصر هناك على حكاية سؤل الأمن، اكتفاء عن حكاية سؤال البلدية بحكاية سؤال أجعل أفئدة الناس تهوي إليه، هذا خلاصة ما حققوه. وعندي أن السؤال والمسؤول واحد، إلا أنه تفنن في الموضعين. فحذف من كل ما أثبته في الآخر احتباكاً. والأصل: رب اجعل هذا البلد بلداً آمناً. وبه تتطابق الدعوتان على أبدع وجه وأخلصه من التكلف. على ما فيه من إفادة المبالغة؛ أي: بلداً

(1) محاسن التأويل.

كاملاً في الأمن. كأنه قيل: اجعله بلداً معلوم الاتصاف بالأمن، مشهوراً به، كقولك: كان هذا اليوم يوماً حاراً.

● **قال تعالى:** ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: 68].

قال الفخر الرازي[1]: وأما الفرق الآخر في هذه الآية وهو أن نوحاً عليه السلام قال: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 62] وهوداً وصف نفسه بكونه أميناً. فالفرق أن نوحاً عليه السلام كان أعلى شأناً وأعظم منصباً في النبوة من هود، فلم يبعد أن يقال: إن نوحاً كان يعلم من أسرار حكم الله وحكمته ما لم يصل إليه هود، فلهذا السبب أمسك هود لسانه عن ذكر تلك الكلمة، واقتصر على أن وصف نفسه بكونه أميناً: ومقصود منه أمور: أحدها: الرد عليهم في قولهم: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف: 66].

وثانيها: أن مدار أمر الرسالة والتبليغ عن الله على الأمانة فوصف نفسه بكونه أميناً تقريراً للرسالة والنبوة. وثالثها: كأنه قال لهم: كنت قبل هذه الدعوى أميناً فيكم، ما وجدتم مني غدراً ولا مكراً ولا كذباً، واعترفتم لي بكوني أميناً فكيف نسبتموني الآن إلى الكذب؟ واعلم أن الأمين هو الثقة، وهو فعيل من أمن يأمن أمناً فهو آمن وأمين بمعنى واحد.

قال النسفي[2]: وإنما قال هنا: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ لقولهم: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أي ليقابل الاسم الاسم، وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من ينسبهم إلى الضلالة والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم، أدب حسن وخلق عظيم، وإخبار الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسلبون أذيالهم على ما يكون منهم.

---

(1) التفسير الكبير. (2) مدارك التنزيل.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: **72**].

قال أبو حيان[1]: لما أرشد المؤمنين إلى ما أرشد من ترك الأذى واتقاء الله وسداد القول، ورتب على الطاعة ما رتب، بيّن أن ما كلفه الإنسان أمر عظيم، فقال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾، تعظيماً لأمر التكليف. والأمانة: الظاهر أنها كل ما يؤتمن عليه من أمر ونهي وشأن دين ودنيا. والشرع كله أمانة، وهذا قول الجمهور.

قال الطبري[2]: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: إن الله عرض طاعته وفرائضه على السمٰوات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثيبت وجوزيت، وإن ضيعت عوقبت، فأبت حملها شفقاً منها أن لا تقوم بالواجب عليها، وحملها آدم.

وقال آخرون: بل عنى بالأمانة في هذا الموضع: أمانات الناس.

وقال آخرون: بل ذلك إنما عنى به ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده، وخيانة قابيل أباه في قتله أخاه.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا: إنه عُنِي بالأمانة في هذا الموضع: جميع معاني الأمانات في الدين، وأمانات الناس، وذلك أن الله لم يخصّ بقوله: ﴿عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ بعضَ معاني الأمانات لما وصفنا.

● **قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: **27**].

قال الماوردي[3]: فيه ثلاثة أوجه:

---

(1) البحر المحيط.
(2) جامع البيان.
(3) النكت والعيون.

أحدها: فيما أخذتموه من الغنيمة أن تحضروه إلى المغنم.

الثاني: فيما ائتمن الله العباد عليه من الفرائض والأحكام أن تؤدوها بحقها ولا تخونوها بتركها.

والثالث: أنه على العموم في كل أمانة أن تؤدى ولا تخان.

قال القرطبي[1]: والأمانات: الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد. وسميت أمانة لأنها يُؤمَن معها من منع الحق؛ مأخوذة من الأمن.

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [آل عمران: 154].

قال الزمخشري[2]: والأمنة: الأمن. وقرىء: «أمنة» بسكون الميم، كأنها المرة من الأمن و﴿نُّعَاسًا﴾ بدل من أمنة. ويجوز أن يكون هو المفعول، وأمنة حالاً منه مقدمة عليه، كقولك: رأيت راكباً رجلاً، أو مفعولاً له بمعنى نعستم أمنة. ويجوز أن يكون حالاً من المخاطبين، بمعنى ذوي أمنة، أو على أنه جمع آمن، كبار وبررة.

قال الألوسي[3]: مصدر كالمنعة وهو مفعول ﴿أَنزَلَ﴾ أي ثم أنزل عليكم أمناً ﴿نُّعَاسًا﴾ بدل اشتمال منها، وقيل: عطف بيان، وجوز أن يكون نعاساً منصوباً على المفعولية و أمنة حال منه؛ والمراد ذا أمنة ولا يضر كونها من النكرة لتقدمها أو حال من المخاطبين على تقدير مضاف أي ذوي أمنة، أو على أنه جمع آمن كبار وبررة. وقيل: إن أمنة مفعول له لنعاساً، واعترض بأنه يلزم على ظاهره تقديم معمول المصدر عليه، وإن التزم تقدير فعل أي: نعستم أمنة، ورد أنه ليس للفعل موقع حسن، وقيل: إنه مفعول له لأنزل. واعترض بأنه فاسد لاختلال شرطه وهو

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) الكشاف.
(3) روح المعاني.

اتحاد الفاعل إذ فاعل ﴿أَنزَلَ﴾ هو الله تعالى وفاعل الأمنة هو المنزل عليهم، ورد بأن الأمنة كما يكون مصدراً لمن وقع به الأمن يكون مصدراً لمن أوقعه، والمراد هنا الثاني كأنه قيل: أنزل عليكم النعاس ليؤمنكم به وحينئذ لا شبهة في اتحاد الفاعل؛ وقرىء بسكون الميم كأنها لوقوعها في زمن يسير مرة من الأمن فلا ينافي كون المقصود مطلق الأمن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح للاعتناء بشأن المقدم والتشويق إلى المؤخر.

● **قال تعالى:** ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التّوبَة: 61].

قال ابن عطية(1): ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ معناه: يصدق بالله، ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: معناه ويصدق المؤمنين واللام زائدة كما هي في قوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النَّمل: 72] وقال المبرد هي متعلقة بمصدر مقدر من الفعل كأنه قال وإيمانه للمؤمنين أي: تصديقه، ويقال: آمنت لك بمعنى صدقتك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يُوسُف: 17].

قال القاضي أبو محمد: وعندي أن هذه التي معها اللام في ضمنها باء فالمعنى ويصدق للمؤمنين بما يخبرونه، وكذلك ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يُوسُف: 17] بما نقوله لك والله المستعان.

قال القرطبي(2): المعنى يصدّق بالله ويصدّق المؤمنين؛ فاللام زائدة في قول الكوفيين. ومثله ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعرَاف: 154] أي: يرهبون ربهم. وقال أبو عليّ: كقوله ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ وهي عند المبرّد متعلقة بمصدر دلّ عليه الفعل، التقدير: إيمانه للمؤمنين؛ أي تصديقه للمؤمنين لا للكفار. أو يكون محمولاً على المعنى؛

(1) المحرر الوجيز.
(2) الجامع لأحكام القرآن.

فإن معنى يؤمن يصدّق، فعُدّي باللام كما عُدّي في قوله تعالىٰ: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البَقَرَة: 97].

● **قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾** [البَقَرَة: 3].

قال الطبري(1): ومعنى الإيمان عند العرب: التَّصديق، فيُدْعَى المصدّق بالشيء قولاً: مؤمناً به، ويُدْعَى المصدّق قوله بفعله: مؤمناً. ومن ذلك قول الله جل ثناؤه: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يُوسُف: 17] يعني: وما أنت بمصدق لنا في قولنا. وقد تدخل الخشية لله في معنى الإيمان الذي هو تصديق القول بالعمل. والإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله، وتصديق الإقرار بالفعل. وإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بتأويل الآية وأشبه بصفة القوم: أن يكونوا موصوفين بالتصديق بالغيب، قولاً، واعتقاداً، وعملاً، إذ كان جل ثناؤه لم يحصرهم من معنى الإيمان على معنى دون معنى، بل أجمل وصفهم به من غير خصوص شيء من معانية أخرجه من صفتهم بخبر ولا عقل.

قال الماوردي(2): وفي الأصل الإيمان ثلاثة أقوال: أحدها: أن أصله التصديق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي بمصدِّق لنا.

والثاني: أن أصله الأمان فالمؤمن يؤمن نفسه من عذاب الله، والله المؤمِنُ لأوليائه من عقابه.

والثالث: أن أصله الطمأنينة، فقيل للمصدق بالخبر مؤمن، لأنه مطمئن. وفي الإيمان ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنّ الإيمان اجتناب الكبائر.

والثاني: أن كل خصلة من الفرائض إيمان.

والثالث: أن كل طاعةٍ إيمان.

(1) جامع البيان.
(2) النكت والعيون.

● **قال تعالى**: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عِمرَان: 110].

قال الفخر الرازي[1]: لِمَ اكتفى بذكر الإيمان بالله ولم يذكر الإيمان بالنبوة مع أنه لا بد منه؟

والجواب: الإيمان بالله يستلزم الإيمان بالنبوّة، لأن الإيمان بالله لا يحصل إلا إذا حصل الإيمان بكونه صادقاً، والإيمان بكونه صادقاً لا يحصل إلا إذا كان الذي أظهر المعجز على وفق دعواه صادقاً لأن المعجز قائم مقام التصديق بالقول، فلما شاهدنا ظهور المعجز على وفق دعوى محمد ﷺ كان من ضرورة الإيمان بالله الإيمان بنبوّة محمد ﷺ، فكان الاقتصار على ذكر الإيمان بالله تنبيهاً على هذه الدقيقة.

قال أبو السعود[2]: أي إيماناً متعلقاً بكل ما يجب أن يؤمَنَ به من رسول وكتابٍ وحساب وجزاءٍ وإنما لم يصرِّح به تفصيلاً لظهور أنه الذي يؤمِن به المؤمنون، وللإيذان بأنه هو الإيمانُ بالله تعالى حقيقةً وأن ما خلا عن شيء من ذلك كإيمان أهلِ الكتابِ ليس من الإيمان بالله تعالى في شيء، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: 150-151] وإنما أُخِّر ذلك عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجوداً ورُتبةً لأن دَلالتَهما على خيريتهم للناس أظهرُ من دلالته عليها.

● **قال تعالى**: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البَقَرَة: 8].

---

(1) التفسير الكبير.

(2) إرشاد العقل السليم.

قال البيضاويّ[1]: إنكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا إثباته، وكان أصله وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيداً.

أو مبالغة في التكذيب، لأن إخراج ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفي الإيمان عنهم في ماضي الزمان، ولذلك أكد النفي بالباء وأطلق الإيمان على معنى أنهم ليسوا من الإيمان في شيء، ويحتمل أن يقيد بما قيدوا به لأنه جوابه. والآية تدل على أن من ادعى الإيمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمناً، لأن من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه أو ينافيه لم يكن مؤمناً. والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينهض حجة عليهم.

قال القرطبي[2]: لما ذكر الله جلّ وتعالى المؤمنين أوّلاً، وبدأ بهم لشرفهم وفضلهم، ذكر الكافرين في مقابلتهم؛ إذ الكفر والإيمان طرفان. ثم ذكر المنافقين بعدهم وألحقهم بالكافرين قبلهم؛ لنفي الإيمان عنهم بقوله الحق: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾. ففي هذا ردّ على الكَرَّامِيّة حيث قالوا: إن الإيمان قول باللسان وإن لم يعتقد بالقلب؛ واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ﴾ [المائدة: 85] ولم يقل: بما قالوا وأضمروا؛ وبقوله عليه السلام: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلٰه إلا الله فإذا قالوها عَصَمُوا منّي دماءهم وأموالهم**» وهذا منهم قصور وجمود، وترْكُ نظرٍ لما نطق به القرآن والسنة من العمل مع القول والاعتقاد؛ وقد قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان معرفةٌ بالقلب وقولٌ باللسان وعملٌ بالأركان**» أخرجه ابن ماجة في سُنَنه، فما ذهب إليه محمد بن كَرّام السّجستاني وأصحابه هو النفاق وعَيْن الشقاق؛ ونعوذ بالله من الخذلان وسوء الاعتقاد.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173].

(1) أنوار التنزيل. (2) الجامع لأحكام القرآن.

قال الفخر الرازي[1]: المراد بالزيادة في الإيمان أنهم لما سمعوا هذا الكلام المخوف لم يلتفتوا إليه، بل حدث في قلوبهم عزم متأكد على محاربة الكفار، وعلى طاعة الرسول ﷺ في كل ما يأمر به وينهى عنه ثقل ذلك أو خف، لأنه قد كان فيهم من به جراحات عظيمة، وكانوا محتاجين إلى المداواة، وحدث في قلوبهم وثوق بأن الله ينصرهم على أعدائهم ويؤيدهم في هذه المحاربة، فهذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾.

الذين يقولون إن الإيمان عبارة لا عن التصديق بل عن الطاعات، وإنه يقبل الزيادة والنقصان، احتجوا بهذه الآية، فإنه تعالى نص على وقوع الزيادة، والذين لا يقولون بهذا القول قالوا: الزيادة إنما وقعت في مراتب الإيمان وفي شعائره، فصح القول بوقوع الزيادة في الإيمان مجازاً.

قال القرطبي[2]: أي فزادهم قولُ الناس إيماناً، أي: تصديقاً ويقيناً في دينهم، وإقامةً على نُصرتهم، وقوّةً وجراءة واستعداداً. فزيادة الإيمان على هذا هي في الأعمال. وقد اختلف العلماء في زيادة الإيمان ونقصانه على أقوال. والعقيدة في هذا على أن نفس الإيمان الذي هو تاجٌ واحدٌ، وتصديق واحد بشيء مّا، إنما هو معنًى فَرْدٌ، لا يدخل معه زيادة إذا حصل، ولا يبقى منه شيء إذا زال؛ فلم يبق إلا أن تكون الزيادة والنقصان في متعلَّقاته دون ذاته.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطُّور: 21].

قال الزمخشري[3]: أي بسبب إيمان عظيم رفيع المحل، وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وإن كانوا لا يستأهلونها، تفضلاً عليهم وعلى آبائهم، لنُتِمَّ سرورهم ونكمل نعيمهم. فإن قلت: ما معنى تنكير الإيمان؟ قلت: معناه

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) الكشاف.

الدلالة على أنه إيمان خاص عظيم المنزلة. ويجوز أن يراد: إيمان الذرية الداني المحل، كأنه قال: بشيء من الإيمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم. وقرىء: «وأتبعتهم ذريتهم وأتبعتهم ذريتهم». وذرياتهم: وقرىء: «ذِرياتهم» بكسر الذال. ووجه آخر: وهو أن يكون ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مبتدأ خبره ﴿بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ وما بينهما اعتراض.

قال الفخر الرازي[1]: ما الفائدة في تنكير الإيمان في قوله: ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾؟ نقول هو إما التخصيص أو التنكير كأنه يقول: أتبعناهم ذرياتهم بإيمان مخلص كامل أو يقول أتبعناهم بإيمان ما أي شيء منه، فإن الإيمان كاملاً لا يوجد في الولد بدليل أن من له ولد صغير حكم بإيمانه فإذا بلغ وصرّح بالكفر وأنكر التبعية قيل بأنه لا يكون مرتداً وتبين بقول إنه لم يتبع وقيل بأنه يكون مرتداً لأنه كفر بعد ما حكم بإيمانه كالمسلم الأصلي فإذن بهذا الخلاف تبين أن إيمانه يقوى وهذان الوجهان ذكرهما الزمخشري، ويحتمل أن يكون المراد غير هذا وهو أن يكون التنوين للعوض عن المضاف إليه كما في قوله تعالى: ﴿بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ﴾ [البَقَرَة: 251] وقوله تعالى: ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [النساء: 95] وبيانه هو أن التقدير أتبعناهم ذرياتهم بإيمان أي بسبب إيمانهم لأن الاتباع ليس بإيمان كيف كان وممن كان، وإنما هو إيمان الآباء لكن الإضافة تنبىء عن تقييد وعدم كون الإيمان إيماناً على الإطلاق، فإن قول القائل ماء الشجر وماء الرمان يصح وإطلاق اسم الماء من غير إضافة لا يصح فقوله: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ يوهم أنه إيمان مضاف إليهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ﴾ [غافر: 85] حيث أثبت الإيمان المضاف ولم يكن إيماناً، فقطع الإضافة مع إرادتها ليعلم أنه إيمان صحيح وعوض التنوين ليعلم أنه لا يوجب الأمان في الدنيا إلا إيمان الآباء وهذا وجه حسن.

---

(1) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البَقَرَة: 143].

قال ابن عطية[1]: وقال ابن عباس والبراء بن عازب وقتادة والسدي والربيع وغيرهم: الإيمان هنا: الصلاة. وسمى الصلاة إيماناً لَمّا كانت صادرة عن الإيمان والتصديق في وقت بيت المقدس وفي وقت التحويل، ولما كان الإيمان قطباً عليه تدور الأعمال وكان ثابتاً في حال التوجه هنا وهنا ذكره، إذ هو الأصل الذي به يرجع في الصلاة وغيرها إلى الأمر والنهي، ولئلا تندرج في اسم الصلاة صلاة المنافقين إلى بيت المقدس فذكر المعنى الذي هو ملاك الأمر، وأيضاً فسميت إيماناً إذ هي من شعب الإيمان.

قال القاسمي[2]: أي: صلاتكم، وإنما عدل إلى لفظ الإيمان، الذي هو عام في الصلاة وغيرها، ليفيدهم أنه لم يضع شيء مما عملوه، ثم يصح عنهم، فيندرج المسؤول عنه اندراجاً أولياً، ويكون الحكم كلياً. وذكر بلفظ الخطاب دون الغائب، ليتناول الماضيين والباقين، تغليباً لحكم المخاطب على الغائب في اللفظ.

● قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [البَقَرَة: 283].

قال الزمخشري[3]: حث المديون على أن يكون عند ظن الدائن به وأمنه منه وائتمانه له، وأن يؤدّي إليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه. وسمي الدين أمانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه. والقراءة أن تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال أو ياء، فتقول: الذي اؤتمن، أو الذي تمن. وعن عاصم أنه قرأ: «الذي اتمن»، بإدغام الياء في التاء، قياساً على اتسر في الافتعال من اليسر،

(1) المحرر الوجيز.
(2) محاسن التأويل.
(3) الكشاف.

وليس بصحيح. لأنّ الياء منقلبة عن الهمزة، فهي في حكم الهمزة و«اتزر» عاميٌّ، وكذلك ريا في رؤيا.

قال أبو السعود[1]: وهو المديون وإنما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقاً للإعلام ولحمله على الأداء ﴿أَمَٰنَتَهُۥ﴾ أي دينه وإنما سمّي أمانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرىء ايتُمِن بقلب الهمزة ياء وقرىء بإدغام الياء في التاء وهو خطأ لأن المنقلبة من الهمزة لا تدغم لأنها في حكمها.

● **قال تعالى**: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشّورى: 52].

قال الماوردي[2]: فيه وجهان:

أحدهما: ما كنت تدري ما الكتاب لولا الرسالة، ولا الإيمان لولا البلوغ، قاله ابن عيسى.

الثاني: ما كنت تدري ما الكتاب لولا إنعامنا عليك، ولا الإيمان لولا هدايتنا لك وهو محتمل. وفي هذا الإيمان وجهان:

أحدهما: أنه الإيمان بالله، وهذا يعرفه بعد بلوغه وقبل نبوته.

الثاني: أنه دين الإسلام، وهذا لا يعرفه إلا بعد النبوة.

قال البغوي: يعني شرائع الإيمان ومعالمه. قال محمد بن إسحاق بن خزيمة: «الإيمان» في هذا الموضع: الصلاة، ودليله: قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: 143]. وأهل الأصول على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحي، وكان النبي ﷺ يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم، ولم يتبين له شرائع دينه[3].

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) النكت والعيون.
(3) معالم التنزيل.

أنـثى

(أنثى - امرأة - زوجة)

- **الأُنثَى:** رديفة الذكر في جميع المخلوقات الحيوانية ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النّجم: 45].
- **امْرَأَةٌ:** أنثى الرجل خاصةً ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ [مريم: 8] مقابل كونه زوجها.
- **امرءاً:** ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم: 28].
- وذلك باعتبار المروء في كليهما وهي مجموعة الخصال الكريمة.
- **الزَّوْجَةُ:** قرينة الذكر بعقد. ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: 37].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الخليل[1]: الأُنثى: خلاف الذّكر من كلّ شيء، والأنثيان: الخصيتان، والأنثيان: الأُذنان. والمؤنّث: ذكر في خلق أنثى. والإناث: جماعة الأنثى، ويجيء في الشّعر: أناثيّ. فإذا قلت للشّيء تؤنثه ؛ فالنّعت بالهاء، مثل: المرأة، فإذا قلت: يؤنّث فالنّعت مثل الرّجل بغير هاء. كقولك: مؤنثة ومؤنّث.

قال ابن الأعرابيّ[2]: أرضٌ أَنِيثَةٌ، أي: سهلة. الأنيث: اللّيّن السّهل.

---

(1) العين. (2) اللسان.

وسمّيت المرأة أُنثى، لأنّها ألين من الرّجل. وسيف أنيث: إذا لم يكن حديده جيِّد، ولم يقطع.

قال الأزهريّ(1): وقال غيره: يقال للرّجل: أَنَّثْتَ في أمرك تَأْنِيثاً، أي: لِنْتَ ولم تتشدّد. وبعضهم يقول: تأنّث في أمره وتخنّث. وسيف أَنِيثٌ: وهو الّذي ليس بقطّاع. ويقال: هذه امرأة أُنثى، إذا مُدحت بأنّها كاملة من النّساء، كما يقال: رجل ذَكَر: إذا وصف بالكمال. ومكان أَنيثٌ: إذا أسرع نباته وكثر. وقد قيل: أنثٌ، كأنه جمع إناث. وآنثت المرأة: إذا ولدت أنثى، فهي مؤنث. وإذا كان ذلك عادتها فهي مِئناث أيضاً، لأنّهما يستويان في «مفعال». وتأنيث الاسم خلاف تذكيره، وقد أَنَّثته فَتَأَنَّث. والأَنِيثُ: ما كان من الحديد غير ذكَر. والأُنثيان: الخصيان. والأنثيان أيضاً: الأُذنان.

قال الرّاغب(2): الأنثى خلاف الذّكر، ويقالان في الأصل اعتباراً بالفرجين. قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [النساء: **124**]. ولمّا كان الأنثى في جميع الحيوان تضعف عن الذّكر اعتبر فيها الضّعف، فقيل لما يضعف عمله: أُنثى، ومنه قيل: حديدٌ أَنِيثٌ. وقيل: أرض أنيث: سهل، اعتبارا بالسُّهولة الّتي في الأنثى، أو يقال: ذلك اعتباراً بجودة إنباتها تشبيهاً بالأُنثى، ولذا قال: أرض حرّة وولودة.

قال الزمخشريّ(3): امرأة مئناث، وقد آنثت. وهذه امرأة أُنثى للكاملة من النّساء، كما يقال: رجل ذَكَر للكامل. ومن المجاز: رجل مخنّث مؤنّث، وسيف أنيث ومئناث ومئناثة. ونزع أُنثييه ثمّ ضربه تحت أُنثييه، وهما أُذناه. والأُنوثة فيهما من جهة تأنيث الاسم. ويقال: أنَّثت في أمرك تأنيثاً: لِنت ولم تشدّد. وأرض أنيثة: بيّنة الإناثة، دميثَةٌ: بيِّنة الدّماثة.

(1) تهذيب اللغة.
(2) مفردات الراغب.
(3) أساس البلاغة.

المعنى المشترك لكلمة (أ ن ث)

وقد وردت كلمة (أنثى) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: الإناث يعني: البنات ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: 21].

الوجه الثاني: الإناث من الأنعام ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: 143].

الوجه الثالث: الإناث يعني: الأصنام والأوثان ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ﴾ [الزخرف: 19].. أي أصناماً.

في القرآن الكريم:

- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ﴾ [آل عِمرَان: 36].

قال الطبري[1]: فتأويل الكلام إذن: والله أعلم من كلّ خلقه بما وضعْت. ثمّ رجع جَلَّ ذكره إلى الخبر عن قولها، وأنّها قالت اعتذاراً إلى ربّها ممّا كانت نذرت في حملها، فحرّرته لخدمة ربّها ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ﴾ لأن الذّكر أقوى على الخدمة وأقوم بها، وإنّ الأُنثى لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدس، والقيام بخدمة الكنيسة، لما يعتريها من الحيض والنّفاس.

قال الزمخْشريّ[2]: إن قلت: كيف جاز انتصاب (أُنثى) حالاً من الضمّير في (وَضعْتَها) وهو كقولك: وضعت الأُنثى أُنثىً؟ قلت: الأصل وضعته أُنثىً، وإنمّا أنّث لتأنيث الحال، لأن الحال وذا الحال لشيء واحد، كما أنّث الاسم في ﴿وَمَا

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.

كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: 28]، لتأنيث الخبر، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ﴾ [النساء: 176]. وأمّا على تأويل الحبلة أو النّسمة فهو ظاهر، كأنّه قيل: إنّي وضعت الحبلة أو النّسمة أُنثى. فإن قلت: فلم قالت: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: 36] وما أرادت إلى هذا القول؟ قلت: قالته تحسّراً على ما رأت من خيبة رجائها، وعكس تقديرها، فتحزّنت إلى ربّها، لأنّها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكراً، ولذلك نذرته محرّراً للسَّدانة، ولتكمّلها بذلك على وجه التّحسّر والتحزّن. إن قلت: فما معنى قوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾؟ قلت: هو بيان لما في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ من التّعظيم للموضوع والرّفع منه، ومعناه: وليس الذّكر الّذي طلبت كالأُنثى الّتي وُهبت لها. واللّام فيهما للعهد.

قال القرطبي(1): (أُنثى) حال، وإن شئت بدل. فقيل: إنّها ربّتها حتى ترعرعت وحينئذ أرسلتها، رواه أشهب عن مالك. وقيل: لفَّتها في خرقتها وأرسلت بها إلى المسجد. فوفَّت بنذرها وتبرّأت منها. ولعلّ الحجاب لم يكن عندهم كما كان في صدر الإسلام.

● **قال الله تعالى**: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النّحل: 97].

قال الزمخشريّ(2): إن قلت: (مَنْ) متناول في نفسه للذّكر والأُنثى، فما معنى تبيينه بهما؟ قلت: هو مبهم صالح على الإطلاق للنّوعين، إلاّ أنّه إذا ذكر كان الظّاهر تناوله للذّكور فقيل: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ على التّبيين، ليعمّ الموعد النّوعين جميعاً.

قال الفخر الرازي(3): السّؤال الأوّل: لفظة (مَنْ) في قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ تفيد العموم، فما الفائدة في ذكر الذّكر والأُنثى؟ والجواب: أنّ هذه الآية

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.

للوعد بالخيرات والمبالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم والرّحمة، إثباتاً للتّأكيد وإزالة لوهم التّخصيص.

قال الألوسي[1]: في «الكشف»: كان الظّاهر تناوله للذُّكور، من حيث إنّ الإناث لا يدخلن في أكثر الأحكام والمحاورات، وإن كان التّناول على طريق التّعميم والتّغليب حاصلاً، لكن لمّا أُريد التّنصيص ليكون أغبط للفريقين، ونصًّا في تناولهما بُينّ بذكر النّوعين، انتهى. والقول الأصحّ أنّ «التّناول» لا يحتاج إلى التّغليب.

● **قال الله تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [الحُجرَات: 13].

قال الزمخشريّ[2]: من آدم وحوّاء، وقيل: خلقنا كلّ واحد منكم من أب وأُمّ، فما منكم أحد إلاّ وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء، فلا وجه للتّفاخر والتّفاضل في النّسب.

قال البيضاوي[3]: من آدم وحوّاء عليهما السلام، أو خلقنا كلّ شيء واحد منكم من أب وأُمّ، فالكلّ سواء في ذلك فلا وجه للتّفاخر بالنّسب ويجوز أن يكون تقريراً للأخوة المانعة عن الاغتياب.

قال الألوسي[4]: من آدم وحوّاء عليهما السلام، فالكلّ سواء في ذلك، فلا وجه للتّفاخر بالنّسب. وجوّز أن يكون المراد هنا: إنّا خلقنا كلّ واحد منكم من أب وأُمّ. ويبعده عدم ظهور ترتّب ذمّ التّفاخر بالنّسب عليه، والكلام مساق له كما ينبي عنه ما بعد. وقيل: هو تقرير للأخوة المانعة عن الاغتياب وعدم ظهور التّرتّب عليه على حاله، مع أنّ ملاءمة ما بعد له دون ملاءمته للوجه السّابق، لكن وجه تقريره للأُخوة ظاهر.

---

(1) روح المعاني.
(2) الكشاف.
(3) أنوار التنزيل.
(4) روح المعاني.

● **قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾** [النّجم: 21].

قال الطّبري[1]: يسمون ملائكة الله تسمية الإناث؛ وذلك أنّهم كانوا يقولون: هم بنات الله. (27: 63).

قال الزمخْشَريّ[2]: لأنّهم إذا قالوا: الملائكة بنات الله فقد سمّوا كلّ واحد منهم بنتاً، وهي تسمية الأُنثى.

● **قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾** [النِّساء: 117].

قال الطبري[3]: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: إن يدعون من دونه إلاّ اللّات والعُزى ومناة. فسماهن الله إناثاً، بتسمية المشركين إياهنّ بتسمية الإناث. قال آخرون: معنى ذلك: إن يدعون من دونه إلاّ مواتاً لا روح فيه. وقال آخرون: عنى بذلك: أنّ المشركين كانوا يقولون: إنّ الملائكة بنات الله. وقال آخرون: معنى ذلك أنّ أهل الأوثان كانوا يسمّون أوثانهم إناثاً، فأنزل الله ذلك كذلك. وقال آخرون: الإناث في هذا الموضع: الأوثان. روي عن ابن عباس أنّه كان يقرؤها (إنْ يدعون مِن دونهِ إلاّ أُثُناً) بمعنى جمع: «وثن» فكأنّه جمع و«ثنا» و«وُثُنا» ثم قلب الواو همزة مضمومة، كما قيل: ما أحسن هذه الأُجُوه، بمعنى الوجوه، وكما قيل: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات: 11]، بمعنى وُقِّتت. وذكر عن بعضهم أنّه كان يقرأ ذلك: (إنْ يَدْعون مِنْ دُونهِ إلاّ أُنُثاً) كأنّه أراد جمع الإناث، فجمعها أُنثاً، كما تجمع الثّمار ثُمُراً. والقراءة الّتي لا أستجيز القراءة بغيرها، قراءة من قرأ «إن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إلاَّ إِنَاثاً» بمعنى جمع أُنثى، لأنّها كذلك في مصاحف المسلمين، ولإجماع الحجّة على قراءة ذلك كذلك. وأولى التأويلات الّتي ذكرت بتأويل ذلك، إذ كان الصّواب عندنا من

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) جامع البيان.

القراءة ماوصفت: تأويل من قال: عنى بذلك الآلهة الّتي كان مشركو العرب يعبدونها من دون الله، ويسمّونها بالإناث من الأسماء: كاللّات والعزّى ونائلة ومناة، وما أشبه ذلك.

● **قال تعالى:** ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ [الشورى: 49-50].

قال الطّبري[1]: يهب لمن يشاء من خلقه من الولد الإناث دون الذّكور، بأن يجعل كلّ ماحملت زوجته من حمل منه أُنثى. ويهب لمن يشاء منهم الذُّكور، بأن يجعل كلّ حمل حملته امرأته ذكراً لا أُنثى فيهم.

قال الزَمخْشَريّ[2]: إن قلت لِمَ قدم الإناث أولاً على الذُكور مع تقدّمهم عليهنّ ثمّ رجع فقدّمهم؟ ولِمَ عرف الذُّكور بعد ما نكّر الإناث؟ قلتُ: لأنّه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى، وكفران الإنسان بنسيانه الرّحمة السّابقة عنده، ثمّ عقّبه بذكر ملكه ومشيئته. وذكر قسمة الأولاد، فقدم الإناث لأنّ سياق الكلام أنّه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الإنسان، فكان ذكر الإناث اللّاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهمّ، والأهم واجب التّقديم، وليَلِيِّ الجنس الذّي كانت العرب تعدّه بلاء. ذكر البلاء وأخّر الذكور، فلمّا أخّرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم أحقّاء بالتّقدّم بتعريفهم، لأنّ التّعريف تنويه وتشهير، كأنّه قال: ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الّذين لايخفون عليكم، ثمّ أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقّه من التّقديم والتّأخير، وعرّف أنّ تقديمهنّ لم يكن لتقدمهنّ ولكن لمقتضى آخر، فقال: (ذُكْرَاناً وإنَاثاً)، كما قال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: 13]، ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: 39].

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.

أَنَس

(أَنَس - إنسان - بشر)

- **الإنْسُ:** جماعة الناس المؤمنين بخلاف الجن ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: 56].
- **الإنسان:** الحيوان الناطق المستأنس بعقله وشهوته ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التّين: 4].
- **البَشَر:** الإنسان باعتبار ظهور جلد بشرته من الريش ونحوه ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [صٓ: 71].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الهمزة والنّون والسّين أصل واحد، وهو ظهور الشّيء، وكلّ شيء خالف طريقة التّوحشّ. قالوا: الإنس خلاف الجنّ، وسمّوا لظهورهم. يقال: آنَسْتُ الشّيءُ: إذا رأيته، والأُنس: أُنس الإنسان بالشّيء إذا لم يستوحش منه. والعرب تقول: كيف ابن إنسك؟ إذا سأله عن نفسه. ويقال: إنسان وإنسانان وأناسيّ. وإنسان العين: صبيّها الّذي في السّواد. الإِنْسُ من الظّهور، يقولون: آنست الشّيء: أبصرته.

قال الخليل(2): الإِنْسُ: جماعة النّاس وهم الأنسُ، تقول: رأيت بمكان كذا

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.

أنساً كثيراً، أي: ناساً. وإنسيّ القوس: ما أقبل عليك، والوحشيّ: ما أدبر عنك. وإنسيّ الإنسان: شِقَّه الأيسر، ووحشيَّه: شقَّه الأيمن، وكذلك في كلّ شيء. والاستئناس والأُنس والتّأنُس واحد، وقد أنِستُ بفلان. وقيل: إذا جاء اللّيل استأنس كلّ وحشيّ واستوحش كلّ إنسيّ. والآنسة: الجارية الطّيّبة النّفس، تحب قربها وحديثها.

قال ابن الأعرابيّ[1]: أَنِسْتُ بفلان: أي فرحت به. الأنيسة والمأنوسة: النّار، ويقال لها: السّكن، لأنّ الإنسان إذا آنسها ليلاً أنس بها وسكن إليها، وزالت عنه الوحشة، وإن كان بالبلد القفر.

قال الجوهريّ[2]: الإنْسُ: البشر. الواحد إنسيّ وَأَنسِيٌّ أيضاً بالتّحريك، والجمع: أناسِيُّ. وإن شئت جعلته إنساناً ثمّ جمعته: أناسِيَّ، فتكون الياء عوضاً من النّون. وقال تعالى: ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: 49]، وكذلك الأَنَاسِيَةُ، مثل الصّيارفة والصّياقلة. يقال للمرأة أيضاً: إنسان ولايقال: إنسانة، والعامّة تقوله.

قال الرّاغب[3]: الإِنْسُ: خلاف الجنّ، والإِنْسُ: خلاف النُّفور. والإنسِيُّ: منسوب إلى الإِنْسِ، يقال ذلك لمن كثر أُنسه ولكل ما يؤنس به، ولهذا قيل: إِنْسِيُّ الدّابة: للجانب الّذي يلي الرّاكب، وإنسيّ القوس: للجانب الّذي يقبل على الرّامي. والإنسّي من كلّ شيء: ما يلي الإنسان، والوحشيّ: ما يلي الجانب الآخر له. وجمع الإِنْسُ: أَنَاسيُّ، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾. وقيل: ابن إِنْسِكَ: للنّفس. والإنسان قيل: سمّي بذلك لأنّه خلق خِلْقَةً لا قوام له إلاّ بإِنْسِ بعضهم ببعض، ولهذا قيل: الإنسان مدنيّ بالطّبع من حيث لا قوام لبعضهم إلّا ببعض، ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه. وقيل: سمّي بذلك لأنّه يَأْنَسُ بكلّ ما يَأْلَفُه. وقيل: هو: «إفعلانُ» وأصله «إِنْسِيَان» سمّي بذلك لأنّه عهد إليه فنسي.

قال الزمخشريّ[4]: لقيت الأناسيّ فلا مثل له ولا سيّ وأنست به، وأتأنست

---

(1) اللسان.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) أساس البلاغة.

به، وأنست إليه، واستأنست إليه. وإذا جاء اللّيل استأنس كلّ وحشيّ واستوحش كلّ إنسّي. وهذه جارية آنسةٌ من جوارٍ أو إنس، وهي الطَّيبة النّفس المحبوب قربها وحديثها، وفلان جليسي وأنيسي. ومابالدارّ أنيسٌ: وهو من يؤنس به. وأين الأنس المقيم؟ وعهدت بها مأنساً. ومكان مأنوس: فيه أُنس كقولك: مأهول: فيه أهل.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًاۖ﴾ [القصص: 29].

قال البيضاوي(1): أبصر من الجهة الّتي تلي الطُّور.

قال النَّيسابوريّ(2): قال القاضي في قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ﴾، دليل على أنّه لم يزد على العشرة. وفيه نظر، لأنّه لا يفهم من هذا التّركيب إلّا أنّ الإيناس حاصل عقيب مجموع الأمرين، ولا يدلُّ على أنّ ذلك حصل عقيب إحدهما، وهو قضاء الأجل. ويؤيده ما روي عن مجاهد أنّه بعد العشر المشروط مكث عشر سنين أُخر.

● **قال تعالى:** ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْۖ﴾ [النِّساء: 6].

قال الزمخْشَريّ(3): الإيناس: الاستيضاح، فاستعير للتبيّن.

قال الفخر الرازي(4): أي عرفتم، وقيل: رأيتم. وأصل الإيناس في اللّغة «الإبصار» ومنه قوله: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾.

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) غرائب القرآن.
(3) الكشاف.
(4) التفسير الكبير.

قال النيسابوريّ[1]: أمّا الإيناس ففي اللّغة: الإبصار، والمراد في الآية التبيّن والعرفان.

● **قال تعالى**: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [طه: 10].

قال الطبري[2]: وجدت، ومن أمثال العرب: بعد إطلاع إيناس، ويقال أيضاً: بعد طلوع إيناس، وهو مأخوذ من الأُنس. نِفطويه: إنّي رأيت. وسمّي الإنس أنسيّين لأنّهم يؤنسون، أي: يرون.

قال الزَمخْشريّ[3]: الإيناس: الإبصار البيّن الّذي لا شبهة فيه، ومنه إنسان العين، لأنّه يتبينّ به الشّيء. والإنس لظهورهم، كما قيل: الجنّ لاستتارهم. وقيل: هو إبصار ما يؤنس به. لما وجد منه الإيناس فكان مقطوعاً متيقناً حقّقه لهم بكلمة «إن» ليوطّن أنفسهم.

قال أبو حيان[4]: آنس: وجد، تقول العرب: هل آنست فلاناً، أي: وجدته. وقيل: أحسّ، وهو قريب من وجد. أي: أحسستُ، والنّار على بعد لا تُحس إلّا بالبصر، فلذلك فسّره بعضهم بـ «رأيت». والإيناس أعمّ من الرّؤية، لأنّك تقول: آنست من فلان خبراً؟ والظّاهر أنّه رأى ناراً حقيقة.

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النُّور: 27].

قال الطبري[5]: اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: تأويله: يا أيّها الّذين آمنُوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتّى تستأذنوا. وقال آخرون: معنى ذلك: حتّى تؤنسوا أهل البيت بالتّنحنح والتّنخّم وما أشبهه، حتّى يعلموا أنّكم تريدون الدّخول عليهم. والصّواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنّ الاستئناس

---

(1) غرائب القرآن.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.
(4) البحر المحيط.
(5) جامع البيان.

«الاستفعال» من الأُنس، وهو أن يستأذن أهل البيت في الدّخول عليهم، مخبراً بذلك من فيه، وهل فيه أحد؟ وليؤذنهم أنّه داخل عليهم، فليأنس إلى أذنهم له في ذلك، ويأنسوا إلى استئذانه إيّاهم. وقد حكي عن العرب سماعاً: اذهب فستأنس، هل ترى أحداً في الدّار؟ بمعنى انظر هل ترى فيها أحداً؟ فتأويل الكلام إذن، إذا كان ذلك معناه: يا أيّها الّذين امنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتّى تسلّموا وتستأذنوا، وذلك أن يقول أحدكم: السّلام عليكم، أَدخل؟ وهو من المقدّم الّذي معناه التّأخير، إنمّا هو حتّى تُسلّموا أو تستأذنوا.

قال الزمخْشريّ(1): فيه وجهان: أحدهما: أنّه من الاستئناس من الظّاهر الّذي هو خلاف الاستيحاش، لأنّ الّذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا؟ فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أُذن له استأنس، فالمعنى حتّى يؤذن لكم، كقوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: 53]، وهذا من باب الكناية والإرداف، لأنّ هذا النّوع من الاستئناس يردف الإذن، فوضع موضع الإذن. والثاني: أن يكون من الاستئناس الّذي هو الاستعلام والاستكشاف «استفعال» من آنس الشّيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً، والمعنى حتّى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا؟ ومنه قولهم: استأنس هل ترى أحداً؟ واستأنست فلم أر أحداً، أي تعرفت واستعلمت، ومنه بيت النّابغة.

«على مستأنس وحد» ويجوز أن يكون من «الإنس» وهو أن يتعرّف هل ثمّة إنسان. وفي قراءة عبد الله (حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا). وعن ابن عباس وسعيد بن جبير: إنمّا هو (حتّى تستأذنوا) فأخطأ الكاتب، ولايعوّل على هذه الرّواية. وفي قراءة أبيّ (حتّى تستأذنوا).

● **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: 179].

(1) الكشاف.

قال الطبري[1]: والّذي هو من الإنس ابن آدم الّذي قتل أخاه.

قال البغويّ[2]: يعنون إبليس، وقابيل بن آدم الّذي قتل أخاه، لأنّهما سنّا المعصية.

● **قال تعالى**: ﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: 49].

قال الزمخشريّ[3]: الأناسيّ: جمع إنسيّ أو إنسان، ونحوه ظرابي في ظربان، على قلب النّون ياء. والأصل: أناسين وظرابين. وقرىء بالتّخفيف بحذف ياء «أفاعيل» كقولك: أناعم في أناعيم. فإن قلت: فما معنى تنكير الأنعام والأناسي، ووصفها بالكثرة؟

قلت: معنى ذلك أنّ عليَّة النّاس وجلهم منيخون بالقرب من الأودية والأنهار ومنابع الماء، فيهم غنية عن سقي السّماء وأعقابهم، وهم كثير، منهم لا يعيشهم إلّا ما ينزل الله من رحمته، وسقيا سمائه.

قال الفخر الرازي[4]: لِمَ خصّ الإنسان والأنعام هاهنا بالذّكر دون الطّير والوحش، مع انتفاع الكلّ بالماء؟ الجواب: لأنّ الطّير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشّرب، بخلاف الأنعام لأنّها قُنية الأناسيّ، وعامّة منافعهم متعلقة بها، فكأنّ الإنعام عليهم بسقي أنعامهم الإنعام عليهم بسقيهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ [يُونس: 12].

قال القرطبي[5]: قيل: المراد بـ (الإنسان) هنا الكافر. قيل: هو أبوحُذيفة بن المغيرة المشرك، تصيبه البأساء والشّدّة والجهد.

---

(1) جامع البيان.
(2) معالم التنزيل.
(3) الكشاف.
(4) التفسير الكبير.
(5) الجامع لأحكام القرآن.

قال المراغيّ[1]: أي إنّ الإنسان إذا أصابه من الضر ما يشعر فيه بشدّة ألمٍ أو خطر على نفسه كغرقٍ ومسغبةٍ وداءِ عضالٍ، دعانا مُلحًّا في كشفه عند اضطجاعه لجنبه أو قعوده في كسر بيته أو قيامه على قدميه حائراً في أمره ولاينسى حاجته إلى رحمة ربّه مادام يشعر بمسّ الضرّ، ويعلم من نفسه العجز عن النّجاة منه. وقدّم من هذه الحالات الثّلاث مايكون الإنسان أشدّ عجزاً وشعوره بالحاجة إلى ربه أقوى، ثمّ الّتي تليها ثمّ الّتي تليها.

(1) تفسير المراغي.

آنفاً

(آنفاً - الآن - الساعة)

- **آنفاً:** ما قبل الآن مباشرة ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ [محمّد: 16].
- **الآن:** الوقت الذي أنت فيه ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يُونس: 91].
- **الساعة:** ما بعد الآن مباشرة ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التّوبَة: 117].

نقول: لقد جاء أبي الساعة.

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الهمزة والنّون والفاء أصلان، منهما يتفرّع مسائل الباب كلّها: أحدهما أخذ الشّيء من أوّله، والثّاني: أنف كلّ ذي أنفٍ، وقياسه التّحديد.

قال الخليل(2): الأَنف معروف، والجمع: الأُنُوف. وبعير مَأْنُوف، أي: يساق بأنفه، لأنّه إذا عقره الخشاش انقاد. والأَنْفِ: الحميّة، ورجلٌ حمّي الأَنْفِ: إذا كان أَنِفاً يَأْنَف أن يُضَام. والأُنُفُ من المرعى والمسالك والمشارب: ما لم يسبق إليه. كلأٌ أُنُفٌ، وكأس أُنُفٌ، ومنهل أُنفٌ. والأَنِفُ أيضاً: الذّلول

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.

المنقاد لصاحبه. وقال: بعضهم: الأَنِفُ الّذي يأنف من الزّجر والسّوط والحنثّ، فهو سمحٌ مواتٍ، يعني الدّواب. وائْتَنَفْتُ ائْتِنَافاً. وهو أوّل ماتبتدىء به من كلّ شيءٍ من الأمر والكلام كذلك، وهو من أنْفِ الشّيء، يقال: هذا أَنْفُ الشَّدّ: أي أوّله، وأنفُ البرد: أوّله.

قال الأزهريّ[1]: رجل حميّ الأَنْفِ: إذا كان أَنِفاً يَأْنَفُ أن يُضَام، وقد أَنِفَ يَأْنَف أَنِفاً وأَنَفَةً، وفي الحديث: «كالجمل الأَنِف». وقال بعض الكلابيّن: أَنِفَت الإبل: إذا وقع الذباب على أنوفها، وَطَلَبَت أماكن لم تكن تَطْلُبها قبل ذلك. وهو الأَنَفُ، والأَنَفُ يؤذيها بالنّهار.

قال الجوهريّ[2]: الأَنْفُ للإنسان وغيره. والجمع: آنُفٌ وأُنُوفٌ وآنافٌ. وأَنْفُ كلّ شيء: أوّله. والأَنُوفُ: المرأة الطَّيبة ريح الأَنْفِ. وأَنفْتُ الرّجلَ: ضربت أَنْفَه. ويقال: آنَفَهُ الماء: بلغ أَنْفُهُ؛ وذلك إذا نزل في النّهر. وآنَفْتُها أنا فهي مُؤْنَفَة، إذا تتبّعتَ بها أُنُفَ المرعى. ويقال أيضاً: آتيك من ذي أُنُفٍ، كما يقال: من ذي قُبُل، أي فيما يُسْتَقْبَلُ. وأَنِفَ من الشّيء يَأْنَفُ أَنَفاً، أي: استنكف يقال: ما رأيت أحمى أَنْفاً ولا آنَفَ من فلان.

قال الرّاغب[3]: أصل الأَنْف «الجارحة» ثمّ يسمّى به طرف الشّيء وأشرفه، فيقال: أَنْفُ الجبلِ وأَنْفُ اللّحية، ونسب الحَمِيّة والغضب والعزّة والذّلة إلى الأَنْفِ.

قال الزمخْشريّ[4]: أرغم أُنوفهم، وآنفهم. ونفست عن أنفيه، أي: منخريه. وامرأةٌ أَنُوفُ: طيّبة الأَنْفِ. وتزوّج أعرابيٌ فقال: وجدتها رصُوفاً، رشُوفاً، أُنُوفاً. ومن المشتق منه: فيهم أَنَفَةٌ وَأَنَفٌ، وقد أَنِفَ من كذا، ألا ترى أنهم قالوا:

---

(1) تهذيب اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) أساس البلاغة.

الأنف في الأنْف، والمؤمن كالجمل الأَنِف، وهو الّذي أوجعت أَنْفَه الخِزامة. ومن المجاز: هو أَنْف قومه، وهم أُنُف النّاس.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ [محمّد: 16].

البغوي[1]: (آنفاً) يعني الآن. وهو من الائتناف ويقال: ائتنفت الأمر، أي: ابتدأته. وأَنْفُ الشيء: أوله.

الفخر الرازي[2]: قال بعض المفسرين: معناه الساعة، ومنه الاستئناف وهو الابتداء، فعلى هذا فالأولى أن يقال: يقولون ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾.. بمعنى أنهم يستعيدون كلامه من الابتداء. كما يقول المستعيد للمعيد: أعد كلامك من الابتداء حتى لا يفوتني شيء منه.

البيضاوي[3]: (أنفاً) من قولهم: أَنْفُ الشيء لما تقدم منه، مستعار من الجارحة. ومنه اسْتَأْنَفَ وائْتَنَفَ وهو ظرف، بمعنى وقتاً مؤقتاً، أو حؤال من الضمير في (قال) وقرئ (أنفاً)..

(1) معالم التنزيل.
(2) التفسير الكبير.
(3) أنوار التنزيل.

أنم

(الأنام - الشعب - الملأ - الأمة - القبيلة - الفصيل - العيلة)

- **الأَنَامُ:** ما على ظهر الأرض من خلق ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمٰن: 10].
- **الشَّعْبُ:** مجموعة قبائل شعبية ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ [الحجرات: 13].
- **المَلأُ:** جماعة يجتمعون على رأي ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ [البقرة: 246].
- **الأُمَّةُ:** مجموعة شعوب من أصل واحد ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92].
- **القَبِيلَةُ:** مجموعة فصائل ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ [الأعراف: 27].
- **الفَصِيلُ:** مجموعة عوائل ﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾ [المعارج: 13].
- **العائلة:** زوج وزوجة وأولاد وأحفاد.

* * *

النصوص اللغوية:

قال الخليل[1]: الأنام: ما على ظهر الأرض من جميع الخلق. ويجوز في الشّعر: الأنيم.

---

(1) العين.

قال ابن دريد[1]: الأنام معروف. وقال الكوفيّون: واحد الأنام: نِيمٌ. ولم يعرفه البصريّون.

قال الزمخْشريّ[2]: لو رزقنا الله عدل سلطانه لأنام أنامه في ظلّ أمانه.

قال الفيروزآباديّ[3]: الأنام كسحابٍ وساباطٍ وأميرٍ: الخلق، أو الجنّ والإنس، أو جميع ما على وجه الأرض.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرَّحمٰن: 10].

الزمخشري[4]: (للأنام) للخلق: وهو كل ما على ظهر الأرض من دابة.

وعن الحسن: الإنس والجن، فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها.

النيسابوري[5]: أي لكل ما على ظهر الأرض من دابة وقيل: للإنسان. وخص بالذكر لشرفه، ولأن الباقي خلق لأجله.

عبد الكريم الخطيب[6]: (للأنام) إشارة إلى أن هذه الأرض هي في خلافة الأنام، وهم الناس، وأن معهم الميزان الذي يضبطون به أمور الأرض، أشبه بذلك الميزان الذي وضعه الله سبحانه لضبط السماء وعوالمها.

قال ابن كثير[7]: أي: كما رفع السماء، وضع الأرض ومهدها، وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات؛ لتستقر؛ لما على وجهها من الأنام، وهم الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم في سائر أقطارها وأرجائها.

---

(1) الجمهرة.
(2) الكشاف.
(3) تفسير القرآن للأبادي.
(4) الكشاف.
(5) غرائب القرآن.
(6) تفسير الخطيب.
(7) تفسير ابن كثير.

(أنو - ي)

(انو - ي - وقت - حقبة - أمد - سرمد - أبد - فترة)

■ **الأَنَاءُ:** ساعة من ساعات الليل، قال تعالى: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: 113].

■ **الوَقْتُ:** نهاية المدة المفروضة للعمل ﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: 50].

■ **الحِقْبَةُ:** / بالكسر – مدة جيل من الناس ثمانون سنة ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: 23].

■ **الأَبَدُ:** الزمن الممتد المتروك الذي لا آخر له ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ﴾ [التوبة: 84].

■ **الأَمَدُ:** الزمن الممتد وله آخر ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: 30].

■ **السَّرْمَدُ:** دوام الزمن واتصاله من ليل أو نهار ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ [القصص: 71].

■ **الفَتْرَةُ:** السكون الطويل بين نشاطين ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: 19].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الهمزة والنّون وما بعدهما من المعتلّ له أُصول أربعة: البطء وما أشبه من الحلم وغيره. وساعة من الزّمان، وإدراك الشّيء، وظرف من الظّروف.

قال الخليل[2]: الإنيُ والإنَى، مقصور: ساعة من ساعات اللّيل، والجميع آناء. وكلّ إنْي ساعة. والإنَى، مقصور أيضاً: الإدراك والبلوغ، وإنَي الشّيء: بلوغه وإدراكه.

قال الأزهريّ[3]: الإناء ممدود: واحد الآنية: الأواني، على فواعل جمع «فاعلة». ويقال: لا تُؤْنَ فرصتك، أي: لا تؤخّرها إذا أمكنتك وكلّ شيء أخّرته فقد آنَيْته. وقيل: امرأة أناة، أي: رزينة لا تصخب ولا تُفْحِش.

قال الجوهريّ[4]: أَنَى الشّيءُ يَأْنِي إنًى، أي: حان، وأَنَى أيضاً: أدرك، قال الله تعالى: ﴿غَيْرَ نَظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: 53]. أي: نضجه. ويقال: أيضاً: أَنَى الحميمُ، أي: انتهى حرُّه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمٰن: 44]. أي: بالغ إِنَاهُ في شدّة الحرّ. وكلّ مدرك آنٍ. وآنَاهُ يُؤْنِيه إِينَاءً، أي: أخّره وحبسه وأبطأه.

قال الرّاغب[5]: آنَ الشّيء: قرب إِنَاهُ. ويقال: آنَيْتُ الشّيء إِينَاءً، أي: أخّرته عن أوانه، وَتَأَنَّيْتُ: تأخّرت، والأناة: التُّؤدة. وتأنّى فلان تأنّيًا، وأَنَى يَأْنِي فهو آنٍ، أي: وقورٌ. واسْتَأْنَيْتهُ: انتظرت أوانَهُ، ويجوز في معنى استبطأته،

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) تهذيب اللغة.
(4) الصحاح في اللغة.
(5) مفردات الراغب.

واسْتَأْنَيْتُ الطّعام كذلك. والإناء: ما يوضع فيه الشّيء، وجمعه آنية، نحو كِساء وأكسية. والأواني جمع الجمع.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عِمرَان: 113].

الطبري(1): أما (آناء الليل): فساعات، وأحدها إِنْيُ.

وقد قيل: إن واحد الآناء (إني) مقصور، كما واحد الأمعاء معي. واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: تأويله: ساعات الليل، كما قلنا.

وقال آخرون: آناء الليل: جوف الليل.

وقال آخرون: بل عني بذلك قوم كانوا يصلون العشاء الأخير.

وقال آخرون: بل عني بذلك قوم كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء.

وهذه الأقوال التي ذكرتها على اختلافها متقاربة المعاني، وذلك أن الله تعالى ذكره، وصف هؤلاء القوم بأنهم يتلون آيات الله في ساعات الليل، وهي آناؤه وقد يكون تاليها في صلاة العشاء تاليها آناء الليل، وكذلك من تلاها فيما بين المغرب والعشاء ومن جوف الليل، فكل تالٍ له ساعات الليل.

غير أن أولى الأقوال بتأويل الآية قول من قال: عني بذلك تلاوة القرآن في صلاة العشاء، لأنها صلاة لا يصليها أحد من أهل الكتاب، فوصف الله أمة محمد ﷺ بأنهم يصلون دون أهل الكتاب، الذين كفروا بالله ورسوله..

---

(1) جامع البيان.

الفخر الرازي[1]: ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ أصلها في اللغة: الأوقات والساعات، وواحدها (إِنًى) مثل مِعًى وأمعاء، و(إِنْي) مثل نِحْي وأنحاء، مكسور الأول ساكن الثاني.

قال القرطبي[2]: ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعته، واحد إني وأنى وإني، وهو منصوب على الظرف..

● **قال تعالى**: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: 53].

الزمخشري[3]: ﴿غَيۡرَ نَـٰظِرِينَ﴾ حال من ﴿لَا تَدۡخُلُواْ﴾ وقع الاستثناء على الوقت والحال معاً، كأنه قيل: لا تدخلوا بيوت النبي ﷺ إلا وقت الإذن، ولا تدخلوها إلا غير ناظرين. وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه.

ومعناه: لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه، وإلا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصاً لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبي ﷺ إلا أن يؤذن له إذناً خاصاً، وهو الإذن إلى الطعام فحسب.

وعن ابن عبلة أنه قرأ (غير ناظرين) مجروراً صفة لـ (طعام). وليس بالوجه، لأنه جرى على غير ما هو له، من حق ضمير ما هو له أن يبرز إلى اللفظ، فيقال: غير ناظرين إناه أنتم، كقولك: هند زيد ضاربته هي. وإِنَى الطعام: إدراكه يقال: أَنَى الطعام إنًى، كقولك: قَلَاه قِلًى.

ومنه قوله: ﴿وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: 44]، بالغ إناه.

وقيل: إناه وقته، أي غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله..

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) الكشاف.

قال الفخر الرازي[1]: قوله: ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ﴾ يعني: أنتم لا تنظرون وقت الطعام فإنه ربما لا يتهيأ. و(إناه) قيل: وقته، وقيل: استواؤه.

قال القرطبي[2]: أي غير منتظرين وقت نضجه. و(إناه) مقصور، وفيه لغات: إِنًى بكسر الهمزة.

● **قال تعالى:** ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ . . .﴾ [الإنسان: 15].

قال المراغي[3]: وآنية: واحدها إناء، وهو ما يوضع فيه الشراب. (إلى أن قال):

أي يدير عليهم خدمهم كؤوس الشراب والأكواب من الفضة. وقد تكونت وهي جامعة لصفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها، وقد قدرها لهم السقاة الذين يطوفون عليهم للسقيا، على قدر كفايتهم وريهم، وذلك ألذ لهم وأخف عليهم، فهي ليست بالملأى التي تفيض، ولا بالناقصة التي تغيض.

والخلاصة: أن آنية أهل الجنة من فضة بيضاء في صفاء الزجاج، فيرى ما في باطنها من ظاهرها.

● **قال تعالى:** ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغَاشِيَة: 5].

قال الطبري[4]: تسقى أصحاب هذه الوجوه من شراب عين قد أنى حرها، فبلغ غايته في شدة الحر.

وقال بعضهم: عني بقوله (من عين آنية): من عين حاضرة. .

قال الفخر الرازي[5]: الآني: الذي قد انتهى حره، من الإيناء: بمعنى التأخير.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) تفسير المراغي.
(4) جامع البيان.
(5) التفسير الكبير.

وفي الحديث: أن رجلاً أخر حضور الجمعة ثم تخطى رقاب الناس، فقال له النبي ﷺ: **(آنيت آذيت)** ونظير هذه الآية في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: 44].

قال ابن كثير[1]: أي: حارة شديدة الحر، ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ أي: قد انتهى حرها وغليانها، قاله ابن عباس ومجاهد والحسن والسدي.

أهل

(أهل - آل - صاحب - ذو)

- **الأَهْلُ:** خاصة الرجل، ما يجمعه وإياهم سبب أو نسب أو دين أو ما يجري مجراها من صناعة وبيت وبلد ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: 33].
- **الآلُ:** أشراف أهله المنسوب إليهم من الأعلام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمرَان: 33].
- **الصَّاحِبُ:** لمن كثرت ملازمته أيًّا كان ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البَقَرَة: 39].
- **ذو:** لمن عرف بوصف ثابت ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البَقَرَة: 251].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الخليل[1]: أهل الرّجل: زوجه، وأخصُّ النّاس به. والتَّأَهُّل: التّزوج، وأهل البيت: سكانه، وأهل الإسلام: من يدين به، ومن هذا يقال: فلان أهل كذا أو كذا. وجمع الأهل: أهلون وأهلات. والأهالي: جمع الجمع، وجاءت الياء الّتي في «الأهالي» من الواو الّتي في «الأهلون».

(1) العين.

قال ابن دريد[1]: والإهالة: الشَّحم المذاب.

قال الجوهريّ[2]: الأَهلُ: أَهْلُ الرّجل وأَهْلُ الدّار، وكذلك الأَهْلَةُ. والجمع: أهْلَاتٌ وأَهَلَاتٌ وأَهَالٍ، زادوا فيه الياء على غير قياس، كما جمعوا لَيْلاً على ليَالٍ. وقد جاء في الشّعر: «آهَالٌ» مثل فرْخٍ وأفراخٍ، وزندٍ وأزنادٍ. والإهَالةُ: الوَدَكُ، والمُسْتَأْهِلُ: الّذي يأخذ الإهَالَةَ أو يأكلها.

قال الرّاغب[3]: أَهلُ الرّجل: من يجمعه وإياهم نسب أو دين أومايجري مجراهما من صناعة وبيت وبلد، فأَهْلُ الرّجل في الأصل: من يجمعه وإيّاهم مسكن واحد، ثمّ تُجُوِّزَ به فقيل: أهل بيت الرّجل: لمن يجمعه وإيّاهم نسب. وتُعورف في أسرة النبي محمد ﷺ مطلقاً إذا قيل: أهل البيت، لقوله عزّ وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: 33]. وعُبِّر بأَهْلِ الرّجل: عن امرأته، وأهل الإسلام: الّذين يجمعهم. ولمّا كانت الشّريعة حكمت برفع حكم النسب في كثير من الأحكام بين المسلم والكافر قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: 46]. وقال تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ [هود: 40]. وقيل: أَهَلَ الرّجلُ يَأْهُلُ أُهُولاً، وقيل: مكانٌ مَأْهُولٌ: فيه أَهلُهُ، وأُهِلَ به، إذا صار ذا أناسٍ وأَهْلٍ، وكلُّ دابّة ألف مكاناً يقال: أَهِلٌ وأَهْلِيٌّ. وَتَأَهَّلَ: إذا تزوّج، ومنه قيل: أَهَّلَكَ اللهُ في الجنّة، أي: زَوَّجَك فيها وجعل لك فيها أَهْلاً يجمعك وإيّاهم. ويقال: فلان أَهْلٌ لكذا: أي خليقٌ به. ومرحباً وأهلاً في التّحية للنّازل بالإنسان، أي وَجَدْتُ سعَةَ مكانٍ عندنا، ومن هو أَهْلُ بيتٍ لك في الشفقة. وجمع الأَهْلِ: أَهلُونَ وأَهَالٍ وأَهْلاتٌ.

قال الزمخْشريّ[4]: الأَهْلُون: جمع أَهْل، ويقال: أَهْلَات. على تقدير تاء التأنيث، كأَرضٍ وأَرْضَات، وقد جاء أهلة. وأمّا: «أَهَالٍ» فاسم جمع كليال.

(1) الجمهرة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) أساس البلاغة.

المعنى المشترك لكلمة (أ هـ ل)

وقد وردت كلمة (أهل) في القرآن الكريم على ثمانية أوجه:

الوجه الأول: الأهل يعني: ساكن القرى ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الأعراف: 97].

الوجه الثاني: الأهل يعني: قراء التوراة والإنجيل ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ [آل عمران: 64].

الوجه الثالث: الأهل يعني: الأصحاب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 58].. يعني: أصحابها.

الوجه الرابع: الأهل يعني: الزوجة والأولاد ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ [القصص: 29].

الوجه الخامس: الأهل يعني: القوم والعشيرة ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النِّساء: 35].

الوجه السادس: الأهل يعني: المختار له ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: 26].

الوجه السابع: الأهل هم القوم الذين بعث فيهم نبي ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [مريَم: 55].

الوجه الثامن: الأهل يعني: المستحق ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: 56].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: 199].

قال الطبري[1]: اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية، فقال بعضهم: عنى بها أصحاب النجاشي، وفيه أنزلت. وقال آخرون: بل عنى بذلك مسلمو أهل الكتاب.

قال الفخر الرازي[2]: قال مجاهد: نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم، وهذا هو الأولى، لأنه لما ذكر الكفار بأن مصيرهم إلى العقاب بين فيمن آمن منهم بأن مصيرهم إلى الثواب.

● **قال تعالى**: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النّحل: 43].

قال الطبري[3]: هم الذين قد قرأوا الكتاب من قبلهم التوراة والإنجيل وغير ذلك، من كتب الله التي أنزلها على عباده.

قال ابن عطية[4]: (أهل الذكر) هنا أحبار اليهود والنصارى الذين لم يسلموا، وهم في هذه النازلة خاصة إنما يخبرون بأن الرسل من البشر وإخبارهم حجة على هؤلاء، فإنهم لم يزالوا مصدقين لهم، ولا يتهمون لشهادة لنا، لأنهم مدافعون في صدر ملة محمد ﷺ، وهذا هو كسر حجتهم من مذهبهم، لا أنا افتقرنا إلى شهادة هؤلاء، بل الحق واضح في نفسه وقد أرسلت قريش إلى يهود يثرب يسألون ويستندون إليهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ [التوبة: 101].

الطبري[5]: يقول تعالى ذكره: ومن القوم الذين حول مدينتكم من الأعراب منافقون ومن أهل مدينتكم أيضاً أمثالهم أقوام منافقون.

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) جامع البيان.
(4) المحرر الوجيز.
(5) جامع البيان.

النيسابوري[1]: عبد الله بن أبي وجد بن قيس ومعتب بن قشير وأبو عامر الراهب وأضرابهم..

● **قال تعالى**: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدَّثِّر: 56].

الطبري[2]: الله أهل أن يتقي عباده عقابه على معصيتهم إياه، فيجتنبوا معاصيه ويسارعوا إلى طاعته. ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ يقول: هو أهل أن يغفر ذنوبهم..

● **قال تعالى**: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: 73].

الزمخشري[3]: ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نصب على النداء أو على الاختصاص، لأن ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ مدح لهم، إذ المراد أهل بيت خليل الرحمٰن.

القرطبي[4]: هذه الآية تعطي أن زوجة الرجل من أهل البيت، فدل هذا على أن أزواج الأنبياء من أهل البيت، فعائشة رضي الله عنها من جملة أهل بيت النبي ﷺ ممن قال الله تعالى فيهم ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33].

قال أبو السعود[5]: نصب على المدح أو الاختصاص، لأنهم أهل بيت خليل الرحمٰن، وصرف الخطاب من صيغة الواحدة إلى الجمع المذكر لتعميم حكمة لإبراهيم عليه السلام أيضاً، ليكون جوابهم لها جواباً له أيضاً إن خطر بباله مثل ما خطر ببالها، فالجملة كلام مستأنف علل به إنكار تعجبها..

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33].

---

(1) غرائب القرآن.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.
(4) الجامع لأحكام القرآن.
(5) إرشاد العقل السليم.

قال الطبري(1): اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله: ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ فقال بعضهم: عني به رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين، رضوان الله عليهم.

وقال آخرون: بل عني بذلك أزواج رسول الله ﷺ..

قال الزمخشري(2): ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نصب على النداء أو على المدح. وفي هذا دليل بيِّن على أن نساء النبي ﷺ من أهل البيت..

قال الفخر الرازي(3): إن الله تعالى ترك خطاب المؤنثات، وخاطب بخطاب المذكرين بقوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ ليدخل فيه نساء أهل بيته، ورجالهم.

واختلف الأقوال في ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾، والأولى أن يقال: هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم وعلي منهم لأنه كان من أهل بيته، بسبب معاشرته ببنت النبي ﷺ وملازمته للنبي..

● **قال تعالى**: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾ [البَقَرَة: 196].

القرطبي(4): والقول عندي في هذا قول الزهري: في أن الإباحة من الله عَزَّوَجَلَّ لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام أن يقيم لبعد المسافة يتعالج وإن فاته الحج.

فأما من كان بينه وبين المسجد الحرام، ما لا تقصر في مثله الصلاة، فإنه يحضر المشاهد وإن نعش نعشاً، لقرب المسافة بالبيت..

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التّحريم: 6].

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

الزمخشري[1]: قرئ (وأهلوكم) عطفاً على واو (قوا) وحسن العطف للفاصل.

فإن قلت: أليس التقدير قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم؟ قلت: لا، ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو و(أنفسكم) واقع بعده، فكأنه قيل: قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم. جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه، فجعلت ضميرها معاً على لفظ المخاطب..

(1) الكشاف.

أوب

(أوب - رجع - عاد - نكص)

- **آبَ:** الرجوع الدائم ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشِيَة: 25].
- **رَجَعَ:** عاد إلى حيث كان قبل مكانه الآن ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [المنَافِقون: 8].
- **عَادَ:** رجع إلى ما كان قد انصرف عنه كارهاً ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ [الأعرَاف: 89].
- **نَكَصَ:** رجع خوفاً أو خيانة ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [الأنفَال: 48].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الخليل(1): يقال: آبَ فلان إلى سيفه، أي: ردَّ يده إلى سيفه. وآب الغائب يؤوب أوباً، أي: رجع. والأَوْبُ: ترجيع الأيدي والقوائم في السّير، والفعل من ذلك: التأويب. والأَوْب في قولك: جاءوا من كلّ أَوْبٍ، أي: من كلّ وجه وناحية. والمُؤَاوَبة: تباري الركاب في السير. والمآب: المرجع. والمُتَأَوِّب: الجيد الأوْب، أي: سريع الرّجوع.

قال الأصمعي(2): أَوَبَتْ الإبل: إذا روحتها إلى مبادتها. ويقال: تَأَوَّبَني، أي: أتاني ليلاً.

(1) العين. (2) الأضداد.

قال ابن دريد[1]: يقال: آبَ الرّجلُ يَؤوُبُ إِيَاباً: إذا رجع إلى مستقرّه. والمَآب: المرجع، والأَوْب: الرّجوع، وآبَ الهمُّ إِيَاباً، وكلُّ راجع مع اللّيل فهو: آئب. ويقال: جاء القوم من كلِّ أَوْبٍ، أي: من كلّ وجه.

قال الأزهريّ[2]: قال أهل اللّغة: الأَوّابُ: الرجّاع الّذي يرجع إلى التّوبة والطّاعة، مِن آبَ يَؤوُبُ: إذا رجع، تَأَوّبَهُ منها عقابيل، أي: راجعه.

قال الجوهريّ[3]: يقال: جاءوا من كلّ أَوْبٍ، أي: من كلّ ناحيةٍ. وآبَ، أي: رجع، يَؤوبُ أَوْباً وأَوْبةً وإِيَاباً. والأَوّاب: التّائب، والمَآبُ: المرجع، وائْتَابَ: مثل آبَ، فعل وافتعل بمعنى. وفلان سريع الأَوْبَةِ. وقوم يحولون الواو «ياء» فيقولون: سريع الأَيْبَةِ.

قال الرّاغب[4]: الأَوْبُ: ضربٌ من الرّجوع، وذلك أنّ «الأَوْب» لا يقال إلاّ في الحيوان الّذي له إرادة، و«الرّجوع» يقال فيه وفي غيره؛ يقال: آبَ أَوْباً وإِيَاباً ومَآباً.

قال الزمخْشريّ[5]: تهنئك أَوْبَةُ الغائب. وفلان أَوّاهٌ أَوّابٌ تَوّابٌ، أي: رجّاع إلى التّوبة. وآبَتِ الشّمس: غابت، الحديث: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى آبَتِ الشَّمس، ملأ الله قلوبهم ناراً**» وغابت الشمس في مآبها، أي: في مغربها.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: **14**].

(1) الجمهرة.
(2) تهذيب اللغة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) مفردات الراغب.
(5) أساس البلاغة.

قال الطبري[1]: يعني حسن المرجع، هو مصدر على مثال (مفعل) من قول القائل: آبَ الرجل إلينا، إذا رجع فهو يَؤوبُ إيَاباً وأَوْبَةَ وأَيْبَةَ ومَآباً. غير أن موضع الفاء منها مهموز، والعين مبدلة من الواو إلى الألف بحركتها إلى الفتح.

فلما كان حظها الحركة إلى الفتح، وكانت حركتها منقولة إلى الحرف الذي قبلها، وهو فاء الفعل، انقلب فصارت ألفاً، كما قيل: (قال) فصارت عين الفعل ألفاً، لأن حظها الفتح. والمآب، مثل: المقال والمعاد والمحال، كل ذلك (مفعل) منقولة حركة عينه إلى فائه، فتصير واوه أو ياؤه ألفاً لفتحه ما قبلها.

قال الفخر الرازي[2]: اعلم أن ﴿ٱلْمَـَٔابِ﴾ في اللغة المرجع، يقال: آبَ الرجلُ إيَاباً وأَوْبَةَ وأَيْبَةَ ومَآبَةً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ [الغَاشِيَة: 25]، والمقصود من هذا الكلام بيان أن من آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه أن يصرفها إلى ما يكون فيه عمارة لمعاده، ويتوصل بها إلى سعادة آخرته. ثم لما كان الغرض الترغيب في المآب، وصف المآب بالحسن فإن المآب بالحسن.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: 25-26].

قال الزمخشري[3]: قرأ أبو جعفر المدني (إيابهم) بالتشديد، ووجهه أن يكون (فيعالاً) مصدر أيب (فيعل) من الإياب، أو أن يكون أصله: أواباً (فعالاً) من أوب، ثم قيل: إيواباً، كديوان في دوان، ثم فعل به ما فعل بأصل سيد وميت.

فإن قلت: ما معنى تقديم الظرف؟

قلت: معناه التشديد في الوعيد، وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام..

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) الكشاف.

قال أبو حيان[1]: قرأ الجمهور (إيابهم) بتخفيف الياء مصدر آب، وأبو جعفر وشيبة مصدراً، لفعل من آب على وزن (فيعال) أو مصدر كـ (فوعل) كحوقل على وزن (فيعال) أيضاً كحيقال، أو مصدراً (فعول) كـ (جمهور) على وزن (فعوال) كجمهوار، فأصله أوواب، قلبت الواو الأولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها واجتمع في هذا البناء والبناءين قبله واو وياء وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء وأدغم، ولم يضع الإدغام من القلب، لأن الواو والياء ليستا عينين من الفعل بل الياء في (فيعل) والواو في (فعول) زائدتان.

قال ابن كثير[2]: أي: مرجعهم ومنقلبهم، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغَاشِيَة: 26] أي: نحن نحاسبهم على أعمالهم، ونجازيهم بها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

● **قال تعالى**: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صٓ: 17].

قال الفخر الرازي[3]: أي إن داود كان رجّاعاً في أموره كلها إلى طاعتي، والأوّاب (فعال) من آبَ: إذا رجع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ [الغَاشِيَة: 25] وفعال: بناء المبالغة كما يقال: قتال وضراب، فإنه أبلغ من قاتل وضارب. .

قال الألوسي[4]: أي رجّاع إلى الله تعالى وإلى طاعته عز وجل. وعن عمرو ابن شرحبيل: أنه المسبح بلغة الحبشة.

● **قال تعالى**: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسرَاء: 25].

قال الطبري[5]: اختلف أهل التأويل، في تأويل قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾.

---

(1) البحر المحيط.
(2) تفسير ابن كثير.
(3) التفسير الكبير.
(4) روح المعاني.
(5) جامع البيان.

فقال بعضهم: هم المسبحون.

وقال آخرون: هم المطيعون المحسنون.

وقال آخرون: بل هم الذين يصلون بين المغرب والعشاء.

وقال آخرون: هم الذين يصلون الضحى.

وقال آخرون: بل هو الراجع عن ذنبه، التائب منه.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: الأَوّاب هو التائب من الذنب الراجع من معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه، لأن الأواب إنما هو فعال، من قول القائل: آبَ فلان من كذا، إما من سفره إلى منزله، أو من حال إلى حال فهو يَؤوبُ أَوْباً، وهو رجل آيب من سفره وأواب من ذنوبه.

قال الفخر الرازي(1): أي رَجَّاعين إلى الله، منقطعين إليه في كل الأعمال. وسنة الله وحكمه في الأولين أنه غفور لهم يكفر عنهم سيئاتهم. والأَوَّاب هو الذي من عادته وديدنه الرجوع إلى أمر الله تعالى والالتجاء إلى فضله ولا يلتجئ إلى شفاعة شفيع، كما يفعله المشركون الذين يعبدون من دون الله جماداً، يزعمون أنه يشفع لهم.

ولفظ الأَوَّاب على وزن (فعال) وهو يفيد المداومة والكثرة، كقولهم: قتال وضراب.

أود

(أود - ثقل - حمل - وسق - وقر)

- **الأَوْدُ:** الحمل الشاق ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255].
- **الثِّقْلُ:** الحمل الثقيل ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: 6].
- **الحِمْلُ:** ما تحمله الدواب من أمتعة في الظاهر بكسر الحاء، وما تحمله الأمهات في الباطن، الحَمل، بفتح الحاء ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: 7].
- **الوَسَقُ:** الحمل المتفرق، وهو ما يحمل في الظلام من أشياء مختلفة ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: 17].
- **الوِقْرُ:** بالكسر – الثقل على حمار أو بغل. والوَقر: بالفتح – الثقل في الأذى ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: 25].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الهمزة والواو والدّال أصلٌ واحد، وهو العطف والانثناء. أُدْتَ الشّيء: عطفته، وتَأَوَّد النبت: مثل تعطف وتعوج. وإلى هذا يرجع آدَني الشّيء يؤودُني، كأنّه ثقل عليك حتّى ثناك وعطفك.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: الأوْد: مصدر آدَ يَؤُودُ أَوداً. وتقول: أَدَتُ العُود فأنا أَؤودُه أوْداً، وتفسيره: عجته فانعاج، وتقول: آدَنِي هذا الأمر، يَؤُودُني أَوْداً وأؤوداً: إذا بلغ منك المشقة.

قال الأصمعي[2]: آدَ العود يَؤودُه أَوْداً: إذا حناه، وقد انآد العود ينآدُ انئياداً فهو مُنآدٌ، إذا تثنىَّ واعوجّ.

قال الأزهريّ[3]: يقال: آدَ النّهار فهو يَؤُودُ أَوْداً: إذا رجع في العشيّ. ويقال: أَوِد الشّيءُ يَأْوَدُ أَوَداً: إذا اعوج فهو أَوِدٌ، وأوْدٌ: قبيلة، وأُدُدُ: موضع.

قال الجوهريّ[4]: أوِدَ الشّيء بالكسر يَأْوَدُ أَوَداً، أي: اعوَجَّ. وتَأَوَّد: تَعَوَّجَ. يقال: ما آدَكَ فهو لي آيِدُ. وآدَهُ أيضاً: بمعنى حناه. وآدَ العشيّ. أي مال. والانْئِيَاد: الانحناء.

قال الكرجاني[5]: آده: أثقله، الأود: العوج.

قال الرّاغب[6]: آدَ يَؤُودُ أَوَداً وإِيَاداً: إذا أثقله، نحو: قالَ يقولُ قولاً. وفي الحكاية عن نفسك أُدْتَ مثل: قلت؛ فتحقيق آدَهُ: عَوَّجَهُ من ثقله في ممرّه.

قال الزمخْشريّ[7]: آدَهُ الحِمْل، أي: أثقله. وآدت الخيل الأرض بكثرتها. وآدَ العود: اعتمد عليه فثناه. انآد: انعطف. وتقول: رجعت منه بالدّاهية النَّآد، وبالصلب المُنآد. وأَوَدَ الشّيء وَتأَوَّد وفيه أَوْد، أي: عوج. ومن المجاز: آدني هذا الأمر: بلغ منّي المجهود والمشقة، وآدَ الفيءُ: انثنى ورجع، وآدَ العَشِيّ.

---

(1) العين.
(2) الأضداد.
(3) تهذيب اللغة.
(4) الصحاح في اللغة.
(5) بحار الأنوار.
(6) مفردات الراغب.
(7) أساس البلاغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: 255].

أبو حيان[1]: قرأ الجمهور (يَؤُودهُ) بالهمز، وقرئ شاذاً بالحذف، كما حذفت همزة (أناس) وقرئ أيضاً (يَووده) بواو مضمومة على البدل من الهمزة، أي: لا يشقه ولا يثقل عليه، قال ابن عباس، والحسن وقتادة، وغيرهم.

وقال أبان بن ثعلب[2]: لا يتعاظمه حفظهما. وقيل: لا يشغله حفظ السماوات عن حفظ الأرضين ولا حفظ الأرضين عن حفظ السماوات، والهاء تعود على الله تعالى..

قال السيواسي[3]: (لا يؤوده) أي: لا يثقله (حفظهما) أي: حفظ السمٰوات والأرض.

---

(1) البحر المحيط.
(2) تفسير ابن ثعلب.
(3) عيون التفاسير.

آل

(آل - أهل - صاحب - ذو)

■ **آل:** أشراف أهله المنسوب إليهم من الأعلام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمرَان: 33].

■ **أهل:** أهل الرجل، ما يجمعه وإياهم سبب أو نسب أو دين أو ما يجري مجراها من صناعة وبيت وبلد ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزَاب: 33].

■ **صاحب:** لمن كثرت ملازمته أيًا كان. ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: 82].

■ **ذو:** لمن عرف بوصف ثابت ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البَقَرَة: 251].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): آل الرّجل: أهل بيته، لأنّه إليه مآلهم وإليهم مآله. وآل الرّجل: شخصه وكذلك آل كلّ شيء؛ وذلك أنّهم يعبرون عنه بآله، وهم عشيرته يقولون: آل أبي بكر، وهم يريدون أبا بكر، وفي هذا غموض قليل.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: الآل: السّراب. وآل الرّجل: ذو قرابته، وأهل بيته. وآل البعير: ألواحه، وما أشرف من أقطار جسمه. وآل الخيمة: عمدها. وآل الجبل: أطرافه ونواحيه.

قال الأزهري[2]: قال الأصمعي: السّراب والآل واحد. وخالفه غيره. فقال: الآل: من الضّحى إلى زوال الشّمس، والسّراب: بعد الزّوال إلى صلاة العصر. واحتجوّا بأنّ «الآل» يرفع كلّ شيء حتّى يصير له آل، أي: شخص. وآل كلّ شيء: شخصه. وأنّ السّراب: يخفض كلّ شيء فيه حتّى يصير لاصقاً بالأرض. لا شخص له.

قال الجوهريّ[3]: آل الرّجل: أهله وعياله، وآله أيضاً: أتباعه. والآل: الشّخص، والآل: الّذي تراه في أوّل النّهار وآخره، كأنّه يرفع الشّخوص، وليس هو السّراب.

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ۝٥٨ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٩﴾ [الحجر: 58-59].

قال الزمخشري[4]: إن قلت: قوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ استثناء متصل أم منقطع؟

قلت: لا يخلو من أن يكون استثناء من (قوم) فيكون منقطعاً، لأن القوم موصوفون بالإجرام، فاختلف لذلك الجنسان. وأن يكون استثناء من الضمير في

(1) العين.
(2) تهذيب اللغة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) الكشاف.

مجرمين فيكون متصلاً، كأنه قيل: إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم، كما قال: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذّاريَات: 36].

فإن قلت: فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين؟

قلت: نعم، وذلك أن (آل لوط) مخرجون في المنقطع من حكم الإرسال، وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة، ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلاً، ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال الحجر أو السهم إلى المرمى. في أنه في معنى التعذيب والإهلاك، كأنه قيل: أهلكنا قوماً مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم. وأما في المتصل فهم دخلوا جميعاً ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء، فلا يكون الإرسال مخلصاً بمعنى الإهلاك والتعذيب، كما في الوجه الأول.

فإن قلت: فقوله: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾ بم يتعلق على الوجهين؟

قلت: إذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر (لكن) في الاتصال بـ (آل لوط) لأن المعنى لكن آل لوط منجون.

واذا اتصل كان كلاماً مستأنفاً كأن إبراهيم عليه السلام قال لهم: فما حال آل لوط؟ فقالوا: إنا لمنجوهم.

فإن قلت: استثنى من الضمير المجرور في قوله: (لمنجوهم) وليس من الاستثناء في شيء، لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه، وأن يقال: أهلكناهم إلا آل لوط إلا امرأته، كما اتحد الحكم في قول المطلق: أنت طالق ثلاثاً إلا اثنتين إلا واحدة، وفي قول المقر: لفلان علي عشرة دراهم إلا ثلاثة إلا درهماً. فأما في الآية فقد اختلف الحكمان، لأن (إِلَّا آلَ لُوطٍ) متعلق بـ (أرسلنا) أو بـ (مجرمين) أو (إلا امرأته) قد تعلق بـ (منجوهم) فأنى يكون استثناء من استثناء؟!

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القَمَر: 34].

قال الفخر الرازي[1]: (إلا آل لوط) استثناء من ماذا؟ إن كان من الذين قال فيهم ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ فالضمير في (عليهم) عائد إلى قوم لوط، وهم الذين قال فيهم ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ﴾ [القمر: 33]، ثم قال ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [القَمَر: 19] لكن لم يستثن عند قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ﴾ وآله من قومه، فيكون آله قد كذبوا ولم يكن كذلك؟

الجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أن الاستثناء ممن عاد إليهم الضمير في (عليهم) وهم القوم بأسرهم، غير أن قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ﴾ لا يوجب أن آله مكذبين أن قول القائل: عصى أهل بلدة كذا، يصح وإن كان فيهم شرذمة قليلة يطيعون، فكيف إذا كان فيهم واحد أو اثنان من المطيعين لا غير.

الجواب الثاني: أن الاستثناء من كلام مدلول عليه، كأنه قال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ فما أنجينا من الحاصب إلا آل لوط. وجاز أن يكون الإرسال عليهم والإهلاك يكون عاماً، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: 25] فكأن الحاصب أهلك من كان ومن لم يكن كذلك، كأطفالهم ودوابهم ومساكنهم، فما نجا منهم أحد إلا آل لوط.

قال الزمخشري[2]: إن قلت: من آل موسى وآل هارون؟

قلت: الأنبياء من بني يعقوب بعدهما، لأن عمران هو ابن قاهث ابن لاوي ابن يعقوب، فكان أولاد يعقوب آلهما. ويجوز أن يراد مما تركه موسى وهارون، والآل مقحم لتفخيم شأنهما.

قال القرطبي[3]: أسند (الترك) إلى آل موسى وآل هارون من حيث كان الأمر مندرجاً من قوم إلى قوم، وكلهم آل موسى وآل هارون. وآل الرجل: قرابته.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الكشاف.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

● **قال تعالى**: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾ [غافر: 28].

قال الزمخشري[1]: (من آل فرعون) صفة لـ (رجل) أو صلة لـ (يكتم)، أي يكتم إيمانه من آل فرعون، واسمه سمعان أو حبيب، وقيل: خربيل أو حزبيل، والظاهر أنه كان من آل فرعون، فإن المؤمنين من بني إسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا، والدليل عليه قول فرعون في قوله تعالى: ﴿أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ [غافر: 25]، وقول المؤمن: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر: 29]، دليل ظاهر على أنه يتنصح لقومه.

الفخر الرازي[2]: اختلفوا في ذلك الرجل الذي كان من آل فرعون، فقيل: إنه كان ابن عم له وكان جارياً مجرى ولي العهد ومجرى صاحب الشرطة. وقيل: كان قبطياً من آل فرعون وما كان من أقاربه. وقيل: إنه كان من بني إسرائيل.

والقول الأول أقرب، لأن لفظ (الآل) يقع على القرابة والعشيرة.

---

(1) الكشاف. (2) التفسير الكبير.

أول

(أول - سابق - بادىء)

■ **الأَوَّل:** ليس قبله شيء ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 163].

■ **البَادِىءُ:** ليس قبله فاعل ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ [هود: 27].

■ **السَّابِقُ:** من تقدم على من ينافسه ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: 10-11].

* * *

أوّلَ

(أوّلَ - فسَر - بيّنَ - شرحَ)

- **التَّأويل:** الذي يحتمل معناه أكثر من وجه ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾ [آل عِمران: 7].
- **التَّفْسِيرُ:** خاص لمعاني المفردات كي يصير إلى فهم الجملة ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفُرقان: 33].
- **التَّبْيينُ:** ما كان فيه أكثر من وجه و يخفى المراد منه ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [النّحل: 39].
- **الشَّرْحُ:** أخرج من اللفظ القليل أسراراً ومعانيَ كثيرة ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعَام: 125] الإمعان في التفصيل حتى يحيط بمعانٍ كثيرة.

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الهمزة والواو واللام أصلان: ابتداء الأمر وانتهاؤه. أما الأوَّل فالأوّل، وهو مبتدأُ الشيء، والمؤنَّثة الأولى، مثل أفعل وفُعْلى، وجمع الأُولى أولَيات مثل الأخرى. فأَمَّا الأوائل فمنهم من يقول: تأسيس بناء «أوّل» من

(1) معجم مقاييس اللغة.

همزة وواو ولام، وهو القولُ. ومنهم مَن يقول: تأسيسُه من وَاوَينِ بعدهما لام.

قال ابن دريد[1]: أوّل «فوعل»، قال قوم: هو فوعل أيضاً ليس أفعل، كان الأصل «وولاً» فقلبت الواو الأولى همزة وأُدغمت واو فوعل في عين الفعل فهي واو، فقالوا: أوّل.

قال الجوهريّ[2]: التأويل: تفسير ما يؤول إليه الشّيء وقد أَوَّلتُهُ وتَأَوَّلتْهُ تأوَّلاً؛ بمعنى. والآلة: الأداة، والجمع: الآلات. والآلة أيضاً: واحدة والآلة: الجنازة. الآلة: الحالة، يقال: هو بآلة سوء.

قال الرّاغب[3]: التّأويل: من الأوّل، أي الرّجوع إلى الأصل، ومنه الموئِل: للموضع الّذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشّيء إلى الغاية المرادة منه علماً كان أو فعلاً، ففي العلم نحو: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 7]. وإذا قيل في صفة الله: هو الأول فمعناه: أنه الذي لم يسبقه في الوجود شيء. وإلى هذا يرجع قول من قال: هو الذي لا يحتاج إلى غيره.

قال السمين[4]: الأول الرجوع في الأصل. والتأويل تفعيل منه وذلك ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه، ويكون ذلك في العلم.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: 53].

---

(1) الجمهرة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) عمدة الحفاظ.

قال الطبري[1]: (إلا تأويله) يقول: إلا ما يؤول إليه أمرهم من ورودهم على عذاب الله وصليهم جحيمه، وأشباه هذا مما أوعدهم الله به.

قال الزمخشري[2]: إلا عاقبة أمره، وما يؤول إليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به، من الوعد والوعيد.

قال الألوسي[3]: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف: 53] وهو يوم القيامة، وقيل هو يوم بدر.

● **قال تعالى**: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: 39].

قال الزمخشري[4]: إن قلت: ما معنى التوقع في قوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: 39]؟

قلت: معناه أنهم كذبوا به على البديهة، قبل التدبر ومعرفة التأويل، تقليد للآباء، وكذبوه بعد التدبر تمرداً وعناداً، فذمهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به.

قال القرطبي[5]: أي ولم يأتهم حقيقة عاقبة التكذيب من نزول العذاب بهم، أو كذبوا بما في القرآن من ذكر البعث والجنة والنار.

قال الفخر الرازي[6]: قال أهل التحقيق: قوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ يدل على أن من كان غير عارف بالتأويلات وقع في الكفر والبدعة، لأن ظواهر النصوص قد يوجد فيها ما تكون متعارضة، فإذا لم يعرف الإنسان وجه التأويل فيها وقع في قلبه أن هذا الكتاب ليس بحق. أما إذا عرف وجه التأويل طبق التنزيل على التأويل فيصير ذلك نوراً على نور يهدي الله لنوره من يشاء.

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) روح المعاني.
(4) الكشاف.
(5) الجامع لأحكام القرآن.
(6) التفسير الكبير.

● **قال تعالى:** ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 41].

قال الطبري[1]: إن قال لنا قائل: كيف قيل: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾ والخطاب فيه لجمع، و(كافر) واحد؟ هل نجيز إن كان ذلك جائزاً أن يقول قائل: لا تكونوا أول رجل قام؟

قيل له: إنما يجوز توحيد ما أضيف له (أفعل) وهو خبر لجمع إذا كان اسماً مشتقاً من (فعل ويفعل) لأنه يؤدي عن المراد معه المحذوف من الكلام، وهو (من) ويقوم مقامه في الأداء عن معنى ما كان يؤدي عنه (من) من الجمع والتأنيث، وهو في لفظ واحد. إلا ترى أنك تقول: ولا تكونوا أول من يكفر به (من) بمعنى جمع، وهو غير متصرف تصرف الأسماء للتثنية والجمع والتأنيث، فإذا أقيم الاسم المشتق من (فعل ويفعل) مقامه جرى وهو موحد مجراه في الأداء عما كان يؤدي عنه من معنى الجمع والتأنيث، كقولك: الجيش ينهزم، والجند يقبل، فتوحد الفعل لتوحيد لفظ الجيش والجند. وغير جائز أن يقال: الجيش رجل، والجند غلام حتى تقول: الجند غلمان، والجيش رجال، لأن الواحد من عدد الأسماء التي هي غير مشتقة من (فعل ويفعل) لا يؤدي عن معنى الجماعة منهم ومن ذلك قول الشاعر:

وإذا همو طعموا فألأم طاعم وإذا همو جاعوا فشَرَّ جياع

فوحد مرة على ما وصفت من نية (من) وإقامة الظاهر من الاسم الذي هو مشتق من (فعل ويفعل) مقامه. وجمع أخرى على الإخراج على عدد أسماء المخبر عنهم ولو وحد حيث جمع أو جمع حيث وحد كان صواباً جائزاً.

فأما تأويل ذلك فإنه يعني به: يا معشر أحبار أهل الكتاب صدقوا بما أنزلت

---

(1) جامع البيان.

على رسولي محمد ﷺ من القرآن المصدق كتابكم، والذي عندكم من التوراة والإنجيل المعهود إليكم فيهما أنه رسولي ونبيي المبعوث بالحق، ولا تكونوا أول من كذب به، وجحد أنه من عندي، وعندكم من العلم به ما ليس عند غيركم.

قال أبو حيان[1]: تَأَوَّلَوا (أَوَّل كافر) بمن كفر، وأول حزب كفر، أو لا يكن كل واحد منكم أول كافر.

والنهي عن أن تكونوا أول كافر به لا يدل ذلك على إباحة الكفر لهم ثانية أو آخراً، فمفهوم الصفة هنا غير مراد. ولما أشكلت الأولية هنا زعم بعضهم أن (أول) صلة، يعني زائدة، والتقدير: ولا تكونوا كافرين به. زعم بعضهم: أن ثم محذوفاً معطوفاً، تقديره: ولا تكونوا أول كافر به، وجعل مما حذف فيه المعطوف لدلالة المعنى عليه.

وخص (الأولية) بالذكر، لأنها أوحش، لما فيها من الابتداء بها، وهذا شبيه بقول الشاعر:

من الناس ليس في أخلاقهم... عاجل الفحش ولا سوء جزع

لا يريد أن فيهم فحشاً آجلاً بل أراد لا فحش عندهم، لا عاجلاً ولا آجلاً.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 51].

قال الزمخشري[2]: كانوا أول جماعة مؤمنين من أهل زمانهم، أو من رعية فرعون، أو من أهل المشهد.

قال الفخر الرازي[3]: المراد لأن كنا أول المؤمنين من الجماعة الذين

(1) البحر المحيط، وانظر إلى تفسير البغوي - معالم التنزيل.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.

حضروا ذلك الموقف، أو يكون المراد من السحرة خاصة، أو من رعية فرعون، أو من أهل زمانهم.

قال الألوسي(1): يحتمل أنهم أرادوا به (أول المؤمنين) من أتباع فرعون، أو (أول المؤمنين) من أهل المشهد، أو (أول المؤمنين) من أهل زمانهم.

ولعل الإخبار بكونهم كذلك لعدم علمهم بمؤمن سبقهم بالإيمان، فهو إخبار مبني على غالب الظن ولا محذور فيه، كذا قيل.

وقيل: أرادوا أول من ظهر الإيمان بالله تعالى وبرسوله عند فرعون كفاحاً بعد الدعوة وظهور الآية، فلا يرد مؤمن آل فرعون وآسية، وكذلك لا يرد بنو إسرائيل لأنهم - كما في (البحر) - كانا مؤمنين قبلهم، إما لعدم علم السحرة بذلك، أو لأن كلاً من المذكورين لم يظهر الإيمان بالله تعالى ورسوله عند فرعون كفاحاً بعد الدعوة وظهور الآية، فتأمل.

● **قال تعالى**: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحَديد: 3].

قال النيسابوري(2): تفسير أسماء الله الحسنى المذكورة في أول هذه السورة قد سبق في البسملة، فلا حاجة إلى إعادة كلها، إلا أننا نذكر ما أورده الإمام فخر الدين ها هنا على سبيل الإيجاز مع تنقيح ما يجب تنقيحه.

قال: هذا مقام مهيب، والبحث فيه وجوه:

الأول: أن تقدم الشيء على الشيء إما تقدم التأثير، كتقدم حركة الإصبع على حركة الخاتم، وإما التقدم بالحاجة لا بالتأثير - كتقدم الإمام على المأموم، أو معقول، بالحاجة لا بالتأثير، كما إذا جعلنا المبدأ هو الجنس العالي، وإما بالزمان كتقدم الأب على الابن.

---

(1) روح المعاني. (2) غرائب القرآن.

قال: وتقدم بعض أجزاء الزمان، عندي ليس من هذه الأقسام الخمسة.

● **قال تعالى:** ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: 51].

الطبري[1]: فما شأن الأمم الخالية من قبلنا، لم تقر بما تقول، ولم تصدق بما تدعو إليه، ولم تخلص له العبادة.

قال الألوسي[2]: لما شاهد اللعين ما نظمه عليه السلام في سلك الجواب من البرهان النير على الطراز الرائع، خاف أن يظهر للناس حقية مقالاته عليه السلام، وبطلان خرافات نفسه ظهوراً بيناً، أراد أن يصرفه عليه السلام، عن سننه إلى ما لا يعينه من الأمور التي لا تعلق لها نفس الأمر بالرسالة من الحكايات، موهماً أن لها تعلقاً بذلك ويشغله عما هو بصدده، عسى يظهر فيه نوع غفلة فيتساق بذلك إلى أن يدعي بين يدي قومه نوع معرفة، فقال: ﴿فَمَا بَالُ﴾ إلخ، أي إذا كنت رسولاً فأخبرني ما حال القرون الماضية، والأمم الخالية، وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة.

● **قال تعالى:** ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: 35].

قال الطبري[3]: الذين لم ينههم عن النفوذ لأمره، ما نالهم فيه من شدة.

وقيل: إن أولي العزم منهم، كانوا الذين امتحنوا في ذات الله في الدنيا بالمحن، فلم تزدهم المحن إلا جداً في أمر الله، كنوح، وإبراهيم، وموسى، ومن أشبههم..

قال الفخر الرازي[4]: في الآية قولان:

الأول: أن تكون كلمة (من) للتبعيض، ويراد بـ (أولو العزم) بعض الأنبياء.

---

(1) جامع البيان.
(2) روح المعاني.
(3) جامع البيان.
(4) التفسير الكبير.

قيل: هم نوح صبر على أذى قومه وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه، وإبراهيم على النار وذبح الولد، وإسماعيل على الذبح، ويعقوب على فقدان الولد وذهاب البصر، ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر، وموسى قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: 61]، قال: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشُّعَرَاء: 62]، وداود بكى على زلته أربعين سنة، وعيسى لم يضع لبنة على لبنة، وقال: إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها، وقال الله تعالى في آدم ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: 115] وفي يونس: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القَلَم: 48].

والقول الثاني: أن كل الرسل أولو عزم ولم يبعث الله رسولاً إلا كان ذا عزم وحزم، ورأي وكمال وعقل. ولفظة (من) في قوله: (من الرسل) تبين لا تبعيض، كما يقال: كسيته من الخز. وكأنه قيل: اصبر كما صبر الرسل من قبلك على أذى قومهم، ووصفهم بـ (العزم) لصبرهم وثباتهم.

أوه

(أوه - ويلتاه)

- **أوّاه:** شدة التوجع من فعلة أليمة ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هُود: 75].
- **ويلتي:** شدة الخوف من أمر يثير اللغط أو الفضيحة. ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ [هُود: 72].

للدعاء على النفس أو الغير والتحذير.

يا ويلتنا: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: 49].

ويلك: ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ﴾ [الأحقاف: 17].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الهمزة والواو والهاء كلمة ليس أصلاً يقاس عليها. يقال: تأوَّه، إذا قال: أوْه، والعرب تقول ذلك.

قال الخليل(2): آهِ: حكاية المتأوّه في صوته، وقد يفعله الإنسان من التوجُّع. وأوَّه فلانٌ وأهَةَ، إذا توجع فقال: آهِ، أو قال: هاه عند التّوجع، فأخرج نفسه بهذا الصّوت، ليتفرّج عنه ما بهِ. والأوّاه: الدّعّاء للخير.

---

(1) معجم مقاييس اللغة (2) العين.

قال السّجستانيّ[1]: التأوَّه أن يقول: أَوَّه. وفيه خمس لغات: أَوْهُ، وآوٍ، وأوْهِ، وآهٍ، وأوَّه، ويقال: هو يَتَأَوَّه ويتَأَوَّى.

قال الجوهريّ[2]: قولهم عند الشّكاية: أَوْهِ من كذا، ساكنة الواو، إنمّا هو توجّع. وربمّا قلبوا الواو فقالوا: آهِ من كذا، وربمّا شدّدوا الواو وكسروها وسكّنوا الهاء فقالوا: أَوِّهْ من كذا، وربّما حذفوا مع التّشديد الهاء فقالوا: أَوِّ من كذا، بلا مدّ وبعضهم يقول: آوَّه بالمدّ والتّشديد وفتح الواو ساكنة الهاء، لتطويل الصّوت بالشّكاية. وربمّا أدخلوا فيه التّاء فقالوا: أَوَّتَاهُ، يُمَدُّ ولا يُمَدُّ. وقد أوَّه الرّجل تَأْوِيهاً، وتَأَوَّه تَأَوُّهاً، إذا قال: أوَّه. والاسم منه الآهَةُ بالمدّ.

قال الرّاغب[3]: الأوّاهُ: الّذي يكثر التَّأَوُّهَ، وهو أن يقول: أَوَّه، وكل كلام يدلّ على حزن يقال له: التَّأَوُّه، ويعبر بالأَوَّاهِ عمَّن يُظْهِر خشية الله تعالى. وقيل في قوله تعالى: ﴿أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: 75]. أي المؤمن الدّاعي، وأصله راجع إلى ما تقدّم.

قال الزمخشريّ[4]: تَأَوَّهَ من خشية الله تعالى. وفلان مُتألهٌ متأوِّهٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التّوبة: 114].

الطبري[5]: اختلف أهل التأويل في (الأَوَّاه)، فقال بعضهم: هو الدَّعَاء.

---

(1) نزهة القلوب.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) أساس البلاغة.
(5) جامع البيان.

وقال آخرون: بل هو الرحيم.

وقال آخرون: بل هو الموقن.

وقال آخرون: هي كلمة بالحبشية معناها المؤمن.

وقال آخرون: هو المسبِّح الكثير الذِّكر لله.

وقال آخرون: هو الذي يكثر تلاوة القرآن.

قال آخرون: هو من التَّأَوُّه.

وقال آخرون: معناه أنه فقيه.

وقال آخرون: هو المتَضرِّع الخاشع.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله عبد الله بن مسعود الذي رواه عنه زر أنه: الدَّعَّاء.

قال الفخر الرازي[1]: واعلم أن اشتقاق (الأَوَّاه) من قول الرجل عند شدة حزنه: أَوِّه، والسبب فيه أن عند الحزن يختنق الروح القلبي في داخل القلب ويشتد حرقه، فالإنسان يخرج ذلك النفس المحترق من القلب ليخفف بعض ما به، هذا هو الأصل في اشتقاق هذا اللفظ.

وقيل: كان إبراهيم عليه السلام أَوَّاهاً، كلما ذكر لنفسه تقصيراً أو ذكر شيء من شدائد الآخرة كان يَتَأَوَّه إشفاقاً من ذلك واستعظاماً له.

وأما وصفه بأنه حليم فهو معلوم.

واعلم أنه تعالى إنما وصفه بهذين الوصفين في هذا المقام لأنه تعالى وصفه بشدة الرقة والشفقة والخوف والوجل. ومن كذلك فإنه تعظم رقته على أبيه وأولاده، فبين تعالى أنه مع هذه العادة تبرأ من أبيه وغلظ قلبه عليه، لما ظهر له إصراره على الكفر، فأنتم بهذا المعنى أولى. وكذلك وصفه أيضاً بأنه حليم، لأن

(1) التفسير الكبير.

أحد أسباب الحلم رقة القلب، وشدة العطف، لأن المرء إذا كان حاله هكذا اشتد حلمه عند الغضب.

وقال أبو ذر: كان رجل يكثر الطواف بالبيت ويقول في دعائه: أَوِّه أَوِّه، فشكاه أبو ذر إلى النبي ﷺ فقال: (**دعه فإنه أَوَّاه**) فخرجت ذات ليلة فإذا النبي ﷺ يدفن ذلك الرجل ليلاً ومعه المصباح.

أوى

(أوى - لجأ)

■ **أَوَى:** ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [الكهف: 10].

■ **لَجَأ:** طلب الأمان ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: 118].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الخليل(1): تقول العرب: أَوَى الإنسان إلى منزله يَأْوِي أُوِيًّا وإِيوَاءً. والأُوِيُّ أحسن، وآويتُهُ إِيوَاءً. والتَّأَوِّي: التّجمع. وتَأَوَّت الطّير: إذا انضمّ بعضها إلى بعض، فهن أوِيٌّ، ومُتَأَوِّيات.

قال ابن دريد(2): وأَوَيْتُ إلى فلان وآوَانِي هو، وأَوَيْتُ للرّجل: إذا رحمتهُ. وأوَى الرّجل إلى الموضع يَأْوِي أُوِيًّا، وآوَيتُهُ إلى نفسي إِيوَاءً.

قال الجوهريّ(3): المَأْوَى: كلّ مكان يَأْوِي إليه شيء لَيْلاً أو نهاراً. وقد أَوَى فلانٌ إلى منزله يَأْوِي أُوِيًّا، على «فُعولٍ» وإِوَاءً.

قال الأزهريّ(4): تقول العرب: أَوَى إلى منزله يَأْوِي أُوِيًّا وآوَيْتُهُ أنا إِيوَاءً.

(1) العين.
(2) الجمهرة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) تهذيب اللغة.

هذا الكلام الجيّد. ومن العرب من يقول: أَوَيْتُ فلاناً، إذا أنزلته بك. وَأَوَيْتُ الإبل، بمعنى آوَيْتُها. وسمعت أعرابيًّا فصيحاً من بني نُمير كان استُرْعِيَ إبلاً جُرْباً، فلمّا أراحَها مَلَثَ الظَّلام نَحَّاها عن مَأْوَى الإبل الصِّحَاح، ونادى عريفَ الحيّ، وقال: ألا أين آوِي هذه الإبل المُوَقَّسة؟ ولم يقل: أُووِي.

قال الرّاغب[1]: المَأْوَى: مصدر آوَى يَأْوِي أُوِيًّا ومَأْوِيًّ. تقول: أَوَى إلى كذا: انضمّ إليه يَأْوِي أُوِيًّا ومَأْوِيًّ، وآوَاهُ غيره يُؤْوِيه إِيوَاءً.

قال الزمخشريّ[2]: اللّهمّ آوِني إلى ظل كرمك وعفوِك. وتقول: أنا أهوي إلى معاقلك هُوِيًّا، وآوِي إلى ظلالك أُوِيًّا. وما لفلان امرأة تُؤْوِيه.

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ. . .﴾ [الكهف: 10].

قال البغوي[3]: أي صاروا إلى الكهف، يقال: أَوَى فلان إلى موضع كذا: أي اتخذه منزلاً (إلى الكهف).

- **قال تعالى**: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى: 6].

الزمخشري[4]: قرئ (فأوى) وهو على معنيين: إما من أَوَاهُ بمعنى آواه، سمع بعض الرعاة يقول: أين آوِي هذه المُوَقَّسة. وإما من: أَوَى له: إذا رحمه.

القرطبي[5]: أي جعل لك مَأْوَىَ تَأْوِي إليه عند عمك أبي طالب فكفلك.

(1) مفردات الراغب.
(2) أساس البلاغة.
(3) معالم التنزيل.
(4) الكشاف، وانظر تفسير الرازي.
(5) الجامع لأحكام القرآن.

وقيل لجعفر بن محمد الصادق: لم أوتم محمد ﷺ أبويه؟ فقال: لئلا يكون لمخلوق عليه حق.

وعن مجاهد: هو من قول العرب: درة يتيمة، إذا لم يكن لها مثل.

فمجاز الآية: ألم يجدك واحداً في شرفك لا نظير لك، نحوه النسفي.

● **قال تعالى:** ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ﴾ [الأحزاب: 51].

قال الطبري[1]: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ﴾ فقال بعضهم: عنى بقوله: (تُرْجِي): تُؤَخِّر، وبقوله: (تُؤْوِي): تَضُم.

وقال آخرون: معنى ذلك تطلق وتخلي سبيل من شئت من نسائك، وتمسك من شئت منهن، فلا تطلق.

وقال آخرون: بل معنى ذلك تترك نكاح من شئت، وتنكح من شئت من نساء أمتك.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره جعل لنبيه أن يرجي من النساء اللواتي أحلهن له من يشاء، ويُؤْوِي إليه منهن من يشاء، وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء والإيواء على المنكوحات اللواتي كن في حباله - عندما نزلت هذه الآية - دون غيرهن ممن يستحدث إيواؤها أو إرجاؤها منهن.

وإذا كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك، وأحللت لك نكاحها، فلا تقبلها ولا تنكحها، أو ممن هن في حبالك فلا تقربها، وتضم إليك من تشاء ممن وهبت نفسها أو أردت من النساء التي أحللت لك نكاحهن فتقبلها، وممن هي في حبالك فتجامعها إذا شئت، وتتركها إذا شئت بغير قسم.

(1) جامع البيان.

أيد

(أَيْد - طاقة - قدرة - قوة)

- **أَيْدٌ:** القوة الخارقة ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذّاريات: 47].
- **طَاقَةٌ:** قوة التحريك لتفعيل شيء معطل ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ [البَقَرَة: 184].
- **قُدْرَةٌ:** عدم العجز عن الفعل ﴿وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ﴾ [الفَتْح: 21].
- **قُوَّةٌ:** سبب وجود القدرة، فقدرة الملك من قوة الجيش وقدرة الإنسان من قوة الجسم، باستثناء قدرة الله المطلقة ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ [النمل: 33].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الهمزة والياء والدال أصلٌ واحد، يدلّ على القُوَّة والحِفْظ. يقال: أَيَّدَه الله أي: قَوَّاه الله.

قال الجوهري(2): آدَ الرجلُ يَئِيدُ أَيْداً: اشتدَّ وقَوِيَ. والأَيْدُ والآدُ: القوة.

قال العجاج: مِنْ أَنْ تَبَدَّلْتُ بآدِيْ آدَا

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.

يعني قوّة الشباب. تقول منه: أَيَدْتُهُ على أَفْعَلْتُهُ، فهو مُؤْيَدٌ. وتقول من الأَيْدِ: أَيَّدْتُهُ تأْييداً، أي: قوّيته. والفاعل مُؤَيِّدٌ، وتصغيره مُؤَيِّدٌ أيضاً، والمفعول مُؤَيَّدٌ. وتَأَيَّد الشيء: تقوَّى. ورجلٌ أَيِّدٌ، أي: قويّ. والإِيَادُ: ترابٌ يُجْعَل حول الحوض أو الخباء يقوّى به. أو يمنع ماء المطر. ويقال لميمنة العسكر وميسرته: إِيَادٌ. والمُؤْيِدُ، مثال المؤمن: الأمرُ العظيمُ، والدَّاهيةُ.

والإياد: كل مَعْقل أَو جبل حصين أَو كنف وستر ولجأ؛ وقد قيل: إِن قولهم أَيَّدَهُ الله مشتق من ذلك؛ قال ابن سيده: وليس بالقوي، وكل شيء كَنَفَك وسترك: فهو إِيَادَ. وكل ما يحرز به: فهو إِيَادٌ؛ وقال امرؤ القيس يصف نخيلاً:

فأَثَّتْ أَعاليه وآدتْ أُصولُه ... ومال بِقِنْيانَ من البُسْرِ أَحمرا

آدت أُصوله: قويت، تَئِيدُ أَيْداً. والإِيادُ: التراب يجعل حول الحوض أَو الخباءَ يقوى به أَو يمنع ماء المطر.

وقال الزجاج: يجوز أن يكون فاعلت، نحو عاونت، وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البَقَرَة: 255]، أي: لا يثقله، وأصله من الأَوْد، آدَ يَؤُودُ أَوْداً وإِيَاداً/ إذا أثقله. والإِيَادُ: كل معقل أو جبل حصين أو كنف وستر وملجأ، والإِيَادُ: التراب يجعل حول الحوض أو الخباء يقوى به أو يمنع ماء المطر. وإِيَاد: اسم رجل. والمُؤَيَّد: مثال المؤمن[1].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [صٓ: 17].

قال الزمخشري[2]: ذا القوة في اليدين، المضطلع بمشاقه وتكاليفه، كان

(1) اللسان.

(2) الكشاف، وانظر إلى تفسير مدارك التأويل للنسفي.

على نهوضه بأعباء النبوة والملك، يصوم يوماً ويفطر يوماً وهو أشد الصوم، ويقوم نصف الليل.

يقال: فلان أَيْدٌ وذو أَيْدٍ وذو آد. وأياد كل شيء ما يتقوّى به.

قال الفخر الرازي[1]: أي ذا القوة على أداء الطاعة والاحتراز عن المعاصي، وذلك لأنه تعالى لما مدحه بالقوة وجب أن تكون تلك القوة موجبة للمدح. والقوة التي توجب المدح العظيم ليست إلا القوة على فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

(الأيد) المذكور ها هنا كالقوة المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريَم: 12]، وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعرَاف: 145]، أي باجتهاد في أداء الأمانة، وتشدد في القيام بالدعوة، وترك إظهار الوهن والضعف. والأيد والقوة سواء، ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفَال: 62]، وقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البَقَرَة: 87] وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ﴾ [الذّاريَات: 47].

ولا شك أن المراد منه القوة في الدين لأن القوة في غير الدين كانت موجودة في ملوك الكفر، ولا معنى للقوة في الدين إلا القوة الكاملة في أداء الواجبات والاجتناب عن المحظورات، وأي قوة لمن لم يملك نفسه عن القتل، والرغبة في زوجة المسلم.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ﴾ [الذّاريَات: 47].

قال الزمخشري[2]: بقوة، والأَيْدُ: القوة، وقد آد نظامها.

قال المراغي[3]: أي: ولقد بنينا السماء ببديع قدرتنا وعظيم سلطاننا، وإنا لقادرون على ذلك لا يمسنا نصب ولا لغوب.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الكشاف.
(3) تفسير المراغي.

● **قال تعالى: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [المَائدة: 110].**

الطبري[1]: يقول: يا عيسى اذكر أياديّ عندك وعند والدتك، إذ قويتك بروح القدس، وأعنتك به.

وقد اختلف أهل العربية في (أَيَّدْتُكَ) ما هو من الفعل؟

فقال بعضهم: هو (فعلتك)، كما في قولك: قَوِّيتُكَ - فعلت - من القوة.

وقال آخرون: بل هو (فاعلتك) من الأَيْدِ.

وروى مجاهد أنه قرأ: (آيَدْتُكَ) بمعنى (أفعلتك) من القوة والأيد.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: 13].

الطبري: يقوّي بنصره من يشاء من قول القائل: قد أَيَّدْتُ فلاناً بكذا: إذا قَوَيَّته وأعنته، فأنا أُؤَيِّدُهُ تَأْييداً.

و(فعلت) منه إدته فأنا أَئيدُه أَيْداً. ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [ص: 17]، يعني: ذا القوة.

(1) جامع البيان.

أيك

(أيك - شجر - زرع - نبت - أثل)

- **الأَيكَةُ:** الشجر الكثيف المثمر ﴿وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾ [الحجر: 78].
- **الشَّجَرُ:** من النبات ماله ساق ﴿إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: 18].
- **الزَّرْعُ:** عملية غرس النبات وبداية نموه ﴿ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة: 64].
- **النَّبَاتُ:** ما يخرجه الله من الأرض بعد غرسه ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾﴾ [عبس: 27-28].
- **أَثْلٌ:** شجر ثابت الأصل ﴿ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ﴾ [سبأ: 16].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الهمزة والياء والكاف أصلٌ واحد، وهي اجتماعُ شجر.

قال الخليل[2]: الأيكة: غَيضةٌ تُنْبِتُ السِّدرَ والأراك. ويقال [أَيكةٌ] أَيِّكَةٌ، وتكون من ناعم الشّجر.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال **الجوهري**[1]: الأَيْكُ: الشجرُ الكثير الملتفُّ، الواحدة أَيْكَةٌ.

قال سيبويه: واعلم أن ما لا ينصرف إذا دخلت عليه الألف واللام أو أضيف انصرف، ولا نعلم أحداً خالف سيبويه في هذا.

قال ابن سيده: أراه أيكِ الأَرَاك فخفف، وأيْكٌ أيِكٌ مُثْمر، وقيل هو على المبالغة[2].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾ [الحِجر: 78].

قال الطبري[3]: وقد كان أصحاب الغيضة ظالمين، يقول كانوا بالله كافرين. والأَيْكَةُ: الشجر الملتف المجتمع.

قال الخازن[4]: يعني ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ وهي الغيضة، واللام في قوله تعالى: ﴿لَظَٰلِمِينَ﴾ للتأكيد.

وهم قوم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف، وكان عامة شجرهم المقل، وكانوا قوماً كافرين فبعث الله عَزَّوَجَلَّ إليهم شعيباً رسولاً فكذبوه، فأهلكهم الله.

● **قال تعالى**: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 176].

الزمخشري[5]: قرئ (أَصْحَابُ الأَيْكَةِ) بالهمزة وبتخفيفها، وبالجر على الإضافة وهو الوجه.

---

(1) الصحاح في اللغة.
(2) اللسان.
(3) جامع البيان.
(4) لباب التأويل.
(5) الكشاف.

ومن قرأ بالنصب وزعم أن (ليكة) بوزن (ليلة) اسم بلد، فتوهم، قاد إليه خط المصحف، بحيث وجدت مكتوبة في السورة وفي سورة (صٓ) بغير ألف.

وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه، وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب أصحاب النحو (لان ولولى) على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف.

وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل، والقصة واحدة على أن (ليكة) اسم لا يعرف.

قال القرطبي[1]: الأَيْكُ: الشجر الملتف الكبير، الواحدة: أَيْكَةٌ. ومن قرأ (أَصْحَابُ الْايْكَةِ) فهي الغيضة، ومن قرأ (ليكة) فهو اسم القرية، ويقال: هما مثل بكة ومكة، قاله الجوهري.

قال النسفي[2]: بالهمزة والجر هي غيضة تنبت ناعم الشجر. عن الخليل: ليكة حجازي وشامي، وكذا في (صٓ) علم لبلد.

قيل: (أَصْحَابَ الْأَيْكَةِ) هم أهل مدين التجؤوا إلى غيضة، إذ ألح عليهم الوهج. والأصح أنهم غيرهم نزلوا غيضة بعينها بالبادية، وأكثر شجرهم المقل.

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) مدارك التنزيل.

أين
(أين - أيان - أيا - أنى)

شرح المعاني:

لفظ يبحث به عن المكان. وهو يدلّ على الإعياء وقرب الشيء.

أما الأوّل فالأين: الإعياء ويقال: لا يُبنى منه فعلٌ. والإعياء يقال: (أنى يأني) وقد قالوا: آن يَئِينُ أَيْناً.

أما القرُب فقالوا: آنَ لك يَئِينُ أيْناً. وأما الحية التي تُدعى: الأين فذلك إبدال الأين والأصل الميم[1].

وخصّ الآن بالألف واللام المعرف بهما، وافعل كذا آونةً، أي: وقتاً بعد وقت وهو من قولهم: الآن.

وقولهم: هذا الوقت وقتك.

قال سيبويه رحمه الله: الآن آنك. أي: هذا الوقت وقتك وآنَ يَؤُون، يقول أبو العباس رحمه الله[2]: ليس من الأول، وإنما هو فعل على حدته، وأما بلغ إِنَاه فقد قيل: هو مقلوب من أنى يني - أنياً وقد ذكر[3].

وآنك: حان حِينك، والآن: الوقت الذي أنت فيه، ظرف غير متمكن وقع

(1) اللسان، مقاييس اللغة، الصحاح.
(2) وهو أحمد بن يحيى المعروف بثعلب المتوفى سنة 291.
(3) مفردات الراغب.

معرفة ولم يدخل عليه ألْ التعريف، لأنه ليس له ما يشركه وربما فتحوا اللام، وحذفوا الهمزتين.

قال أبو العباس: قال قوم: آن يئين أنياً والهمزة مقلوبة فيه عن الحاء وأصله: حان يحين حيناً/ قال: وأصل الكلمة من الحين.

❊ ❊ ❊

عبارة عن وقت الشيء وهي أيضاً يقارب معنى (متى).. قال الله تعالى: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعرَاف: 187].

أَيَّان: معناه الاستفهام عن الوقت الذي يجيء وهو سؤال عن الزمان وحاصل الكلام أن أيان بمعنى متى وفي اشتقاقه قولان: المشهور أنه مأخوذ من الأين وأنكره ابن جني (أيّان) سؤال عن الزمان وأين سؤال عن المكان، فكيف يكون أحدهما مأخوذاً من الآخر، والثاني هو الذي اختاره ابن جني، أن اشتقاقه من أي. فعلان منه، لأن معناه أي وقت. ولفظة أي: فعل من أويت إليه. لأن البعض آوى إلى مكان، الكل متسانداً إليه هكذا قال ابن جني: وقرأ السلمي (إيان) بكسر الهمز[1].

وقوله تعالى: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الذّاريَات: 12]، من قولهم: أيُّ. وقيل: أصله أيُّ وقت فحذفت الألف ثم جعل الواو ياءً فصارت أيّان[2].

❊ ❊ ❊

إِيَّا: اسمٌ مبهم، وتتّصل به جميع المضمرات المتصلة التي للنصب، تقول إيَّاك وإيَّايَ وإيَّاه وإيَّانا. وجعلت الكاف والهاء والياء والنون بياناً عن المقصود، ليعلم المخاطب من الغائب، ولا موضع لها من الإعراب[3].

(1) الرازي/ التفسير الكبير.
(2) مفردات الراغب.
(3) الصحاح في اللغة.

وإيَّا: لفظ موضوع ليتوصل به إلى الضمير المنصوب إذا انقطع عما يتصل به، وذلك يستعمل إذا تقدم الضمير نحو ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: 5]، أو فصل بينهما بمعطوف عليه أو بإلا نحو ﴿نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسرَاء: 31][1].

وأَيَا: حرف لنداء البعيد لا القريب وإِيا بالكسر والفتح اسم مضمر مضاف إلى الكاف وهذا قول الخليل.

وقال الأخفش: اسمٌ مضمَّر مفردٌ يتغير آخرهُ كما تغير أواخرُ المضمرات أعداد المضمرين[2].

* * *

أَنَّى: معناه: أيْن مع الاحتجاج. تقول: أَنَّى لك هذا، أي: من أين لك هذا، وهي من الظروف التي يجازى بها، تقول: أَنَّى تأتني أكرمك، معناه: من أي جهة تأتني أكرمك. وقد تكون كيف، تقول: أَنَّى لك أن تفتح الباب، أي: كيف لك ذلك.

وعليه نقول أنها تفيد البحث عن الحال والمكان، لتضمنه معناها: قال تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عِمرَان: 37]، أي: من أين، وكيف[3].

قال ابن الأنباري: قرأ بعضهم ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ [عبس: 24-25]، قال: من قرأ بهذه القراءة قال الوقف على طعامه ومعنى أنى أين إلا أن فيها كناية عن الوجوه وتأويلها من أي وجه صببنا الماء.

(1) مفردات الراغب.
(2) القاموس المحيط.
(3) اللسان.

إي

(أي - بلى - نعم)

إي: ثبوت ما يراد إثباته بالسؤال عنه ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يُونس: 53].

نعم: جواب الاستفهام

﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ﴾ [الأعراف: 44].

بلى: لنفي ما بعد أداة الاستفهام ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾ [البَقَرَة: 260].

إي: كلمة تحقيق وإيجاب وتأكيد أشد من قول (نعم).

وقيل: (إي) حرف جواب وتصديق بمعنى نعم، ولا تستعمل كذلك إلاّ مع القسم خاصة. ولذلك سُمع من كلامهم وصلها بواو القسم إذا لم يذكر المقسم به، فيقولون: أيو. ويوصلون به هاء السكت أيضاً، فيقولون: أيوه. وهذه اللفظة شائعة في لسان المصريين وأهل الشام وغيرهم[1].

ولم تأت في القرآن إلا مرة واحدة ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

ويلاحظ ما يلي:

1 - جاءت مرة واحدة فقط في آية مكية مع أن (نعم) جاءت أربع مرات كلها مكية، في حين أن (بلى) جاءت اثنتين وعشرين مرة في الآيات المكية والمدنية والسبب في ذلك هو:

(1) تفسير الألوسي/ روح المعاني.

أولاً: إن (إي) تختص بالقسم كما قلنا ولم يتفق هذا السياق في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في آية مكية. مع أن موارد (نعم) و(بلى) قد اتفقت كثيراً.

ثانياً: أن السؤال بدأ بـ ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ وهو من النبأ وهو الخبر المهم الذي يحتاج إلى من يوصله إليك ليعجزك عن الإتيان به وحدك، وكأنهم باستماع القرآن واجهوا نبأً مهماً.

ثم إن جملة ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ بتقديم الخبر على المبتدأ مع حرف الاستفهام فيها اهتمام بليغ بموضع السؤال (وهو القرآن)[1].

(1) فقه لغة القرآن.

حرف الباء

بتر

(بتر - بتك - بتّ - بتل - حسم - صرم - فصل - فصم - قطع)

- **البَتْر:** قطع الذنب والعقب ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: 3].
- **البَتْك:** قطع الأعضاء ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [النّساء: 119].
- **البَتْل:** قطع الاختلاط بالآخرين لحساب أمر مهم آخر ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المُزمّل: 8].
- **الحَسْم:** إزالة أثر الشيء بعد قطعه ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ [الحاقّة: 7].. وذلك بإزالة أثر الحياة عنهم تماماً بعد قتلهم وكأنهم أشياء يابسة.
- **الصَّرْم:** القطع الذي لا رجعة فيه ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القَلَم: 17].
- **الفَصْل:** قطع صلة أحد الشيئين بالآخر حتى صار بينهما فجوة ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ﴾ [يوسف: 94].
- **الفَصْم:** قطع الجزء الذي يمسك منه الشيء ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البَقَرَة: 256].
- **القَطْع:** إزالة بعض الشيء عن بعضه ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأعراف: 72].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والتاء والراء أصلٌ واحد، وهو القطع قبل أن تتمَّه. والسيفُ الباتر: القَطَّاع. ويقال للرجُل الذي لا عقِب له: أَبتَر. وكلُّ من انقطع من الخَيْر أثرُه فهو أَبْتَر.

قال الجوهري[2]: بَتَرْتُ الشيء بَتْراً: قطعتُه قبل الإتمام. والانْبِتارُ: الانقطاعُ. والباتِرُ: السيفُ القاطعُ. والأَبْتَرُ: المقطوعُ الذَّنَبِ. تقول منه: بَتِرَ بالكسر يَبْتَرُ بَتَراً. والأَبْتَرُ الذي لا عَقِبَ له. وكل أمرٍ انقَطَع من الخيْر أثرهُ فهو أَبْتَرُ.

قال ابن منظور[3]: البَتْرُ: اسْتِئْصالُ الشيء قطعاً. غيره: البَتْرُ قَطْعُ الذَّنَبِ ونحوه إذا استأْصله. بَتَرْتُ الشيءَ بَتْراً: قطعته قبل الإتمام. والانْبتارُ: الانْقِطاعُ. وفي حديث الضحايا: أَنه نهى عن المبتورةِ، وهي التي قطع ذنبها.

قال ابن سيده: وقيل: كُلُّ قطع بَتْرٌ؛ بَتَرَهُ يَبْتُرُهُ بَتْراً فانْبَتَرَ وتَبَتَّر. وسَيْفٌ باتِرٌ وبَتُورٌ وبَتَّارٌ: قطَّاع. والباتِرُ: السيفُ القاطعُ. والأَبْتَرُ: المقطوعُ الذَّنَب من أَيِّ موضع كان من جميع الدواب؛ وقد أَبْتَرَهُ فَبَتَر، وذَنَبٌ أَبْتَرُ. وتقول منه: بَتِرَ، بالكسر، يَبْتَرُ بَتَراً.

وقيل على طريق التشبيه: خطبة بتراء لما لم يذكر فيها اسم الله تعالى، وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام: «**كل أمر لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أبتر**».

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) اللسان.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: 3].

قال القشيري[1]: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ أي: الخير الكثير، ويقال: هو نهر في الجنة ويقال: النبوة والكتاب. وقيل: كثرة أمته ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ جمع الله له في الأمر بين العبادة البدنية والعبادة المالية ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ لا يذكر بخير منقطع عنه كل خير.

قال الزمخشري[2]: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ الشانئ: لكونه مضافاً إلى المعرفة صار معرفة، ولا يلزم المعرفة أن يكون معيناً، ولكن بعض المفسرين حاولوا التعيين واستنبطوه من طريق النظر في أسباب الأمور فاختلفت أقوالهم فيه كما يقع كثيراً في مثل ذلك، والأسلم إطلاقه على كل من يعادي رسول الله ﷺ فهو أبتر من حيث أن (الأبتر) هو المقطوع عما يقحمه ويمدده، حتى أن الشمس إذا غربت وذهب عنها بتلها، وانجردت قرصاً صغيراً سميت: بتيراء، وكذلك من بتر رحمه، وانقطع عن عصبته وأنصاره سمي: أبتر. وعلى هذا الأصل قال قتادة في تفسير هذه الآية، الأبتر: الحقير الدقيق الذليل، فتبين أن معنى هذه الآية تندرج من «المقطوع» إلى الصغير القصير، وإلى المخذول الحقير».

---

(1) لطائف الإشارات. (2) الكشاف.

بتك

(بتك - بتر - بتّ - بتل -

حسم - صرم - فصل - فصم - قطع)

■ **البَتَك:** قطع الأعضاء ﴿وَلَأَمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [النّساء: 119].

■ **البَتْر:** قطع الذنب والعقب ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: 3].

■ **البَتْل:** قطع الاختلاط بالآخرين لحساب أمر مهم آخر ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المُزمّل: 8].

■ **الحَسْم:** إزالة أثر الشيء بعد قطعه ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ [الحَاقَّة: 7].. وذلك بإزالة أثر الحياة عنهم تماماً بعد قتلهم وكأنهم أشياء يابسة.

■ **الصَّرْم:** القطع الذي لا رجعة فيه ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القَلَم: 17].

■ **الفَصْل:** قطع صلة أحد الشيئين بالآخر حتى صار بينهما فجوة ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يُوسُف: 94].

■ **الفَصْم:** قطع الجزء الذي يمسك منه الشيء ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البَقَرَة: 256].

■ **القَطْع:** إزالة بعض الشيء عن بعضه ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأعراف: 72].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والتاء والكاف أصلٌ واحد، وهو: القطع. قالوا: بَتَكْتُ الشيء: قَطعته أبْتِكه بَتْكاً.

قال: والبَاتِكُ: السَّيف القاطع. قال: والبَتْك: أن تقبض على شَعَرٍ أو ريشٍ أو نحوِ ذلك ثم تجذبَه إليك فينْبَتِكَ من أصله، أي: ينقطع ويَنْتَتِفُ، وكل طائفةٍ من ذلك بِتْكَةٌ، والجمع بِتَكٌ.

قال الخليل[2]: البَتْكُ قطع: الأذن. والبَتْكُ يقارب البت، لكن البَتْك يستعمل في قطع الأعضاء والشعر، يقال: بَتَكَ شعره وأذنه.

قال الجوهري[3]: البَتْكُ: القطعُ. وقد بَتَكَهُ يَبْتِكُهُ ويَبْتُكُهُ، أي: قَطَعه. وسيفٌ باتِكٌ، أي: صارمٌ. والبَتْكُ أيضاً: أن تقبِض على الشيء فتجذبه فَيَنْبَتِكَ. وكلُّ طائفةٍ منه بِتْكَةٌ بالكسر، والجمع بِتَكٌ.

والبِتْكَةُ أيضاً: جَهْمةٌ من الليل. وبَتَّكَ آذانَ الأنْعامِ، أي: قطَّعها، شُدِّدَ للكثرة.

قال الراغب[4]: البَتْكُ يقارب البت، لكن البَتْك يستعمل في قطع الأعضاء والشعر، يقال: **بَتَكَ** شعره وأذنه.

قال الله تعالى: ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [النِّساء: **119**]، ومنه سيف باتك (انظر: أساس البلاغة ص 14): قاطع للأعضاء، وبتكت الشعر: تناولت قطعة منه، والبِتْكَة: القطعة المنجذبة، جمعها بِتَكٌ.

وأما البت فيقال في قطع الحبل والوصل، ويقال: طلقت المرأة بتة وبتلة، وبتت الحكم بينهما، وروي: (**لا صيام لمن لم يبتت الصوم من الليل**) بلفظ: (لم

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) مفردات الراغب.

يبيت) وأخرجه أصحاب السنن وإسناده صحيح إلا أنه اختلف في رفعه ووقفه، وصوب النسائي وقفه، وسيأتي الكلام عليه ثانية.

والبشك مثله، يقال في قطع الثوب، ويستعمل في الناقة السريعة، ناقة بِشْكَى، وذلك لتشبيه يدها في السرعة بيد الناسجة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [النِّساء: 119].

قال الفخر الرازي(1): التبتيك هاهنا هو قطع آذان البحيرة بإجماع المفسرين، وذلك أنهم كانوا يشقون آذان الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكراً، وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها. وقال آخرون: المراد أنهم يقطعون آذان الأنعام نسكاً في عبادة الأوثان فهم يظنون أن ذلك عبادة مع أنه في نفسه كفر وفسق.

وقال أبو السعود(2): في قوله: ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [النِّساء: 119] أي: فلَيقْطَعُنَّها بموجب أمري ويشُقُّنّها من غير تلعثم في ذلك ولا تأخير وذلك ما كانت العربُ تفعله بالبحائر والسوائب.

قال الألوسي(3): ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي: فليقطعنها من أصلها أو ليشقنها - بموجب أمري من غير تلعثم في ذلك ولا تأخير كما يؤذن بذلك الفاء، وهذا إشارة إلى ما كانت الجاهلية تفعله من شق أو قطع أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكراً وتحريم ركوبها والحمل عليها وسائر وجوه الانتفاع بها.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) روح المعاني.

بتل

(بتل - نسك - عبد)

■ **البَتْلُ:** انقطع في العبادة بإخلاص النية انقطاعاً يختص به ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المُزمّل: 8].

■ **النَسك:** انقطع في العبادة باعتزال الناس حال قيامه بعبادة معينة ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحَجّ: 67].

■ **العِبَادَةُ:** العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الأفضال، وهو الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: 23].

يقال: تعبد فلان وتنسك، وقعد في معبده.

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والتاء واللام أصلٌ واحد، يدلُّ على إبانةِ الشيء من غيره. يقال: بتَلْتُ الشيءَ: إذا أبَنْتَهُ من غيره. ويقال: طلّقها بَتَّةً بَتْلَةً.

ومنه يقال لمريمَ العذراء «البَتُول» لأنها انفردت فلم يكن لها زوج. ويقال: نخلةٌ مُبْتِلٌ: إذا انفردت عنها الصغيرة النابتةُ معها. والبَتِيلة: كلُّ عضوٍ بلحمه مُكْتَنِزٍ

(1) معجم مقاييس اللغة.

اللّحم، الجمع بتائِل، كأنه بكثْرةِ لحمه بائنٌ عن العضو الآخر. ومنه قولهم: امرأةٌ مبَتَّلَةُ الخلق. والتَّبتُّل إخلاص النية لله تعالى والانقطاعُ إليه.

قال الجوهري(1): بَتَلْتُ الشيء أَبْتِلُهُ بالكسر بَتْلاً: إذا أَبَنْتَه من غيره. ومنه قولهم: طلَّقَها بَتَّةً بَتْلَةً. والبَتولُ من النساء: العذْراء المنقطِعة من الأزواج، ويقال: هي المنقطعة إلى الله تعالى عن الدنيا. والبَتولُ والبَتيلَةُ: فسيلةٌ تكون للنَخلة قد استغنَتْ عن أمِّها، وتلك النخلة مُبْتِلٌ، يستوي فيه الواحد والجمع. والبَتيلَةُ: كلُّ عضوٍ بلحمه، والجمع بَتائِلُ. يقال: امرأةٌ مُبَتَّلَةٌ؛ بتشديد التاء مفتوحةً، أي تامّة الخَلْقِ لم يركب لحمُها بعضُه بعضاً. والتَبَتُّلُ: الانقطاعُ عن الدُنيا إلى الله، وكذلك التَبْتيلُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾. فهو مُنْبَتِلٌ، أي: انقطع، وهو مثل المُنْبَتِّ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المُزمّل: 8].

قال الفخر الرازي(2): وَتبَتَّل إلى الله تعالى: انقطع وأخلص. إن جمهور المفسرين فسروا «التَبتُّل» بالإخلاص، وأصل التَبتُّل: في اللغة القطع، وقيل لمريم عليها السلام وفاطمة الزهراء رضي الله عنها. يقال للعابد إذا ترك كل شيء وأقبل على العبادة قد تَبتَّل أي: انقطع عن كل شيء إلى أمر الله وطاعته، وقيل: التَبتُّل رفض الدنيا مع كل ما فيها والتماس ما عند الله، وتَبَتَّل: أي: انقطع عن كل ما سواه إليه، والمشغول بطلب الآخرة. وإلى هذا المعنى أشار بقوله عز وجل: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعَام: 91]. وليس هذا منافياً لقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا رهبانية**

(1) الصحاح في اللغة.

(2) التفسير الكبير الرازي.

في الإسلام»[1]، فإن التَبَتُّل المنهيّ عنه هو الانقطاع عن النكاح، والرغبة عنه محظور لقوله عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النُّور: 32]، وقوله ﷺ: «**تناكحوا تكاثروا فإني أباهي بكم الأمم**»[2].

قال الألوسي[3]: (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ) أي: وانقَطِعْ إليه تعالى بالعبادة وجَرِّد نفسك عما سواه عَزَّوَجَلَّ واسْتَغْرِق في مراقبته سبحانه، وكان هذا أمر بما يتعلق بالباطن بعد الأمر بما يتعلق بالظاهر ولتأكيد ذلك قال سبحانه: (تَبْتِيلاً) ونصبه بتبتل لتضمنه معنى بتل على ما قيل.

وقال العز بن عبد السلام[4]: «انقطع إليه انقطاعاً لعبادتك وحوائجك دون غيره».

---

(1) روح المعاني.
(2) رواه الشافعي عن ابن عمر.
(3) روح المعاني.
(4) التفسير العظيم.

بجس

(بجس - فجر - نبع)

■ **البَجْسُ:** اندفاع السائل من مكان ضيق ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعرَاف: 160].

■ **الانْفِجَارُ:** اندفاع السائل بقوة من مكان واسع ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البَقَرَة: 60].

■ **النَّبعُ:** اندفاع السائل برقة من العين في أرض لا ماء فيها ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسرَاء: 90].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والجيم والسين: تفتُّح الشيءِ بالماء خاصّة.

وهذه أرضٌ تَبَجَّسُ عُيوناً، والسَّحاب يتبجَّسُ مطراً. وذلك من كثرة الدَّسَم. وذكر عن رَجُلٍ يقال له: أبو تُراب، ولا نعرِفُه نحنُ: بَجَسْتُ الجرح مثل بطَطْتُه.

قال الخليل[2]: البَجْسُ: انشقاقٌ في قِربةٍ أو حَجَرٍ أو أرض يَنْبع منها ماء؛ فإنْ لم ينْبع فليسَ بانبِجاس.

قال الجوهري[3]: بَجَسْتُ الماء فانْبَجَسَ، أي: فجَّرته فانفجر. وبَجَسَ الماءُ

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

بنفسهُ يَبْجُسُ. يتعدَّى ولا يتعدَّى. وسحائب بُجْسٌ. وانْبَجَسَ الماء وتَبَجَّسَ، أي: تفجَّر. الانبجاس: شق ضيق في قربة أو حجر أو أرض ينبع منه الماء برتابة فإن لم ينبع فليس بانبجاس ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ [الأعراف: 160]، وهو بخلاف الانفجار، فإنه اندفاع الماء بقوة من شق واسع ﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ [البَقَرَة: 60].

ومن هنا تظهر دقة لغة العرب في رسم الصورة الصادقة والدقيقة بنفس الوقت.

فإن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ضرب بعصاه الحجر انبجس انبجاساً في البداية ولم ينفجر، وإنما كان الشق ضيقاً يسيل منه خيط الماء ويجري، وهذا ما تعبر عنه الآية في سورة الأعراف، ثم لم يلبث أن اتسع الشق كعادة الانشقاق في كل ينبوع من ينابيع الماء وتدفقت المياه بقوة، وهذا ما عبرت عنه الآية في سورة البقرة، وهذه زاوية من زوايا قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النِّساء: 87].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ [الأعراف: 160].

قال الألوسي[1]: (فَٱنۢبَجَسَتۡ) أي: انفجرت كما قال ابن عباس وقيل: أن الانبجاس خروج الماء بقلة والانفجار خروجه بكثرة، والتعبير بهذا تارة وبالأخرى أخرى باعتبار أول الخروج وما انتهى إليه والعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام، أي: فضرب فانبجست، وحذف المعطوف عليه لعدم الإلباس.

(1) روح المعاني.

وللإشارة إلى سرعة الامتثال حتى كأن الإيحاء وضربه أمراً واحداً وأن الانبجاس بأمر الله تعالى حتى كأن فعل موسى عليه السلام لا دخل فيه.

وذكر بعض المحققين أن هذه الفاء على ما قرر فصيحة وبعضهم يقدر شرطاً في الكلام فإذا ضربت فقد انبجست.

قال القشيري[1]: لقد أغدق الله على بني إسرائيل، فقد كفاهم ما أهمهم وأعطاهم ما لم يكن لهم بدّ منه فيما نابهم، فظللنا عليهم ما وقاهم أذى الحر والبرد، وأنزلنا عليهم المن والسلوى مما ينفي عنهم تعب الجوع والجهد والسعي والكد، وفجرنا لهم العيون عند النزول حتى كانوا يشاهدون الملائكة عياناً، وألقينا بقلوبهم من البراهين ما أوجب لهم قوة اليقين، ولكن ليست العبرة بأفعال الخلق ولا بأعمالهم وإنما المراد على مشيئة الحق سبحانه وتعالى فما يمضي عليهم من فنون أحوالهم.

قال الشعراوي[2]: «انبجست»، وهناك تعبير «انفجرت»، ونعلم أن الانبجاس يحدث أولاً ثم يتبعه الانفجار ثانياً، فالانبجاس أن يأتي الماء قطرة قطرة، ثم يأتي الانفجار وتتدفق المياه الكثيرة، فكان موسى عليه السلام أول ما يضرب الضربة تأتي وتجيء المياه قليلة ثم تنفجر بعد ذلك. إذن فقد تكلم الحق عن المراحل التي أعقبت الضربة في لقطات متعددة لمظهر واحد؛ له أولية وله آخرية.

(1) لطائف الإشارات.
(2) تفسير الشعراوي.

بحث

(بحث - حس - جس - حري - نبط - نقب)

■ **البَحْثُ:** طلب المعرفة علناً بشيء يفقده ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ﴾ [المائدة: 31].

■ **التَجَسُّسُ:** طلب المعرفة سرّاً بشيء يخافه ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ [الحُجرَات: 12].

■ **الحَسُّ:** طلب المعرفة بقوة الحواس ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يُوسُف: 87].

■ **التَحَرِّي:** طلب المعرفة بدلالة الأثر ومؤثرات الحركة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾ [الجنّ: 14].

■ **التَّنْقِيبُ:** طلب المعرفة بمطلوب دفين ﴿فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [ق: 36].

■ **الاسْتِنْبَاطُ:** طلب المجهول فيما وراء الثابت المعلوم ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ﴾ [النِّساء: 83].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والحاء والثاء أصلٌ واحد، يدلُّ على إثارة الشيء.

(1) معجم مقاييس اللغة.

البَحْثُ يدل على إثارة الشيء.

قال الخليل[1]: البَحْثُ: طَلَبُكَ الشيءَ في التُّراب؛ بَحَثَه يَبْحَثُه بَحْثاً.

قال الأزهري[2]: والبَحْثُ أَن تَسْأَل عن شيء، وتَسْتَخْبر. وبَحَثَ عن الخَبر وبَحَثَه يَبْحَثُه بَحْثاً: سأَل، وكذلك اسْتَبْحَثَه، واسْتَبْحَثَ عنه.

وقال: والبحث لا يكون إلّا باليد. وهو بالرِّجْل الفَحْص.

قال الراغب[3]: البَحْثُ: الكشف والطلب، يقال: بحثت عن الأمر، وبحثت كذا، قال الله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [المَائدة: 31].

وقيل: بَحَثَتِ الناقة الأرض برجلها في السير: إذا شددت الوطء تشبيهاً بذلك.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [المَائدة: 31].

قال الفخر الرازي[4]: قال الأصم: لما قتله وتركه بعث الله غراباً يحثو التراب على المقتول، فلما رأى القاتل أن الله كيف يكرمه بعد موته ندم وقال: يا ويلتي.

وقال أبو مسلم: عادة الغراب دفن الأشياء فجاء غراب فدفن شيئاً فتعلم ذلك منه.

وذكر الألوسي[5]: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ

---

(1) العين.
(2) تهذيب اللغة.
(3) مفردات الراغب.
(4) التفسير الكبير.
(5) روح المعاني.

أَخِيهِۚ﴾ أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن عطية قال: لما قتله ندم فضمه إليه حتى أروح وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله، وكره أن يأتي به آدم عليه الصلاة والسلام فيحزنه؛ وتحير في أمره إذ كان أول ميت من بني آدم، فبعث الله تعالى غرابين قتل أحدهما الآخر وهو ينظر إليه ثم حفر له بمنقاره وبرجله حتى مكن له ثم دفعه برأسه حتى ألقاه في الحفرة ثم بحث عليه برجله حتى واراه، وقيل: إن أحد الغرابين كان ميتاً. والغراب: طائر معروف، قيل: والحكمة في كونه المبعوث دون غيره من الحيوان كونه يتشاءم به في الفراق والاغتراب وذلك مناسب لهذه القصة.

وذهب الأصم إلى أن الله تعالى بعث من بعثه فبحث في الأرض ووارى هابيل، فلما رأى قابيل ما أكرم الله تعالى به أخاه ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ [المائدة: 31].

قال الطنطاوي[1]: وقوله: ﴿يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [المائدة: 31] أي: ينبش التراب بمنقاره ورجليه بحيث يستخرجه من الأرض، ليعمل ما يشبه الحفرة.

والتعبير بالمضارع، للإشارة إلى أن البحث قد مكث وقتاً، وكان مجال استمرار.

(1) الوسيط في تفسير القرآن.

بحر

(بحر - نهر - يم)

■ **البَحْرُ:** مكان واسع جامع الماء الراكد والمالح ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الرُّوم: 41].

■ **النَّهَرُ:** مكان واسع جامع الماء الجاري العذب ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف: 33].

■ **اليَمُّ:** البحر حين يكون على ضفتيه مساكن لكثرة من يؤمه من الناس ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه: 39].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والحاء والراء أصل واحد وهو استنباطه وسعته.

البَحْرُ: الماءُ الكثيرُ، مِلْحاً كان أو عَذْباً، وهو خلاف البَرِّ، سمي بذلك لعُمقِهِ واتساعه، قد غلب على المِلْح حتى قَلّ في العَذْبِ، وجمعه أَبْحُرٌ وبُحُورٌ وبِحارٌ.

وماءٌ بَحْرٌ: مِلْحٌ، قَلَّ أو كثر.

قال الجوهري[2]: البَحْرُ: خلاف البرِّ. يقال: سمِّي بحراً لعُمقه واتساعه. والجمع أَبْحُرٌ وبِحارٌ وبُحورٌ. وكلُّ نهرٍ عظيمٍ بَحْرٌ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

ويسمَّى الفَرَسُ الواسعُ الجري بَحْراً. وماءٌ بَحْرٌ، أي: مِلْحٌ. وأَبْحَرَ الماءُ: مَلُحَ.

قال الراغب[1]: أصل البحر: كل مكان واسع جامع للماء الكثير، هذا هو الأصل، ثم اعتبر تارة سعته المعاينة، فيقال: بَحَرْتُ كذا: أوسعته سعة البحر، تشبيهاً به، ومنه: بَحَرْتُ البعير: شققت أذنه شقاً واسعاً، ومنه سميت البَحِيرة. قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ [المَائدة: 103]، وذلك ما كانوا يجعلونه بالناقة إذا ولدت عشرة أبطن شقوا أذنها فيسيبونها، فلا تركب ولا يحمل عليها، وسموا كل متوسع في شيء بحراً، حتى قالوا: فَرَسٌ بَحْرٌ، باعتبار سعة جريه، وقال عليه الصلاة والسلام في فرس ركبه: **(وجدته بَحْراً)** (الحديث: كان فزع بالمدينة فاستعار النبي ﷺ فرساً من أبي طلحة يقال له: المندوب. فركب، فلما رجع قال: **(ما رأينا من شيء، وإن وجدناه لبحراً)** أخرجه البخاري، وللمتوسع في علمه. بَحْر، وقد تَبَحَّر أي: تَوَسَّع في كذا، والتَبَحُّر في العلم: التَوَسُّع واعتبر من البحر تارة ملوحته فقيل: ماء بَحْرَانِيٌّ، أي: مِلحٌ، وقد أَبْحَرَ الماء.

وقال بعضهم: البحر يقال في الأصل للماء المِلْحِ دونَ العذب (وهذا قول نفطويه، حيث قال: كل ماء ملح فهو بحر وقول الأموي كذا). وقوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفُرقان: 53] إنما سمي العذب بحراً لكونه مع الملح، كما يقال للشمس والقمر: قمران، وقيل السحاب الذي كثر ماؤه: بَنَاتُ بَحْرٍ (ونقل هذا أيضاً الأزهري عن الليث، ثم قال الأزهري: وهذا تصحيف منكر، والصواب: بنات بحر. قال أبو عبيد [استدراك] عن الأصمعي: يقال لسحائب يأتين قبل الصيف منتصبات: بنات بخر، وبنات مخر بالباء والميم والخاء، فقد تصحفت على المؤلف.

---

(1) مفردات الراغب.

المعنى المشترك لكلمة (ب ح ر)

وقد وردت كلمة (بحر) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: بحر يعني اليم ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ﴾ [الدّخان: 24].

الوجه الثاني: موسى والخضر عليهما السلام على قول بعض أهل التفسير ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ [الكهف: 60].

الوجه الثالث: الماء العذب والملح ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 19].

الوجه الرابع: البحر بَحْرِ تحت العرش ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ [الطُّور: 6].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ﴾ [المَائدة: 103].

قال الفخر الرازي(1): البحيرة: وهي فعيلة من البَحْرِ وهو الشق، يقال: بَحَرَ ناقته: إذا شق أذنها، وهي بمعنى المفعول، قال أبو عبيدة والزجاج: الناقة إذا نتجت خمسة أبطن، وكان آخرها ذكراً شَقُّوا أذن الناقة وامتنعوا من ركوبها وذبحها وسيَّبُوها لآلهتهم، ولا يجز لها وبر، ولا يحمل على ظهرها، ولا تطرد عن ماء، ولا تمنع عن مرعى، ولا ينتفع بها وإذا لقيها المعيي لم يركبها تحريجاً.

قال القرطبي(2): والبَحِيرة فعِيلة بمعنى مفعولة، وهي على وزن النَّطِيحة والذَّبيحة. وفي الصحيح عن سعيد بن المسيّب: البَحِيرة: هي التي يمنع دَرُّها للطواغيت، فلا يَحتلبها أحدٌ من الناس. وأما السّائبة: فهي التي كانوا يُسيِّبونها لآلهتهم. وقيل: البَحِيرة لغة هي الناقة المشقوقة الأذن؛ يقال: بَحَرْتُ أذن الناقة أي: شققتها شقاً واسعاً، والناقة بَحِيرَةٌ ومَبْحُورَة، . وقال ابن عُزيز: البحيرة:

(1) التفسير الكبير. (2) الجامع لأحكام القرآن.

الناقة إذا نُتِجَت خمسة أبطن فإذا كان الخامس ذكراً نحروه فأكله الرجال والنساء، وإن كان الخامس أنثى بحروا أذنها - أي شقوه - وكانت حراماً على النساء لحمها ولبنها - وقاله عِكْرمة -: فإذا ماتت حلّت للنساء. والسائبة: البعير يُسيّب بنذر يكون على الرجل إن سلّمه الله من مرض، أو بلّغه منزلة أن يفعل ذلك، فلا تُحبَس عن رعي ولا ماء، ولا يركبها أحد.

● **قال تعالى:** ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفُرقان: 53].

قال أبو السعود[1]: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الفرقان: 53] أي: خلَّاهما متجاورينِ مُتلاصقين بحيثُ لا يتمازجانِ، من مَرَجَ دابَّته: إذا خلَّاها ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ قامعٌ للعطشِ لغايةِ عذوبتِه ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ بليغُ المُلوحةِ.

وقُرىء: مَلْحٌ فلعلَّه تخفيفُ مالحٍ كبَرْدٍ في باردٍ ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ [الفُرقان: 53] حاجزاً غيرَ مرئيَّ من قُدرتِه كما في قولِه تعالى: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرّعد: 2]، ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفُرقان: 53] وتنافراً مُفرطاً كأنَّ كلاً منهما يتعوَّذُ من الآخرِ بتلك المقالِة وقيل: حَدًّا محدُوداً وذلك كدجلةَ تدخلُ البحرَ وتشقُّه وتجري في خلالِه فراسخَ لا يتغيَّرُ طعمُها، وقيل: المرادُ بالبحرِ العذبِ النَّهرُ العظيمُ وبالمالحِ البحرُ الكبيرُ وبالبرزخ ما بينهما من الأرضِ فيكون أثرُ القُدرة في الفصلِ واختلافِ الصِّفةِ، مع أنَّ مُقتضى طبيعةِ كلِّ عُنصرٍ التَّضامُّ والتَّلاصقُ والتَّشابهُ في الكيفيَّةِ.

وقال الزمخشري[2]: سمى الماءين الكثيرين الواسعين: بحرين، والفرات: البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة. والأجاج: نقيضه. ومرجهما: خلاهما متجاورين متلاصقين، وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج. وهذا من عظيم اقتداره. وفي كلام بعضهم: وبحران: أحدهما مع الآخر ممروج، وماء العذب منهما بالأجاج ممزوج.

---

(1) إرشاد العقل السليم. (2) الكشاف.

بخل

(بخل - شح - قتر - غل - ضنّ)

- **البُخْلُ:** حبس المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ [النِّساء: 37].
- **الشُّحُ:** لذة الحرص على ما تملك فلا تعطيه لمن يحتاجه ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ [النِّساء: 128].
- **القَتْرُ:** شدة تقليل النفقة إمعاناً ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾ [الإسرَاء: 100].
- **غُلُّ اليد:** انعدام النفقة إلّا ما يمسك الحياة. ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسرَاء: 29].
- **الضَّنُّ:** البخل بالشيء النفيس ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ﴾ [التّكوير: 24].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والخاء واللام كلمة واحدة، وهي: البُخْل والبَخَلُ بضم الباء أو بفتحها.

قال الجوهري[2]: البُخْلُ، والبَخْلُ بالفتح، عن الكسائي، والبَخَلُ بالتحريك، كلُّه بمعنىً. وقد بَخِلَ الرجلُ بكذا، فهو باخِلٌ وبَخيلٌ. وأَبْخَلْتُهُ، أي: وجدتُه بَخيلاً.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

وبَخّلْتُهُ، أي: نَسَبْتُهُ إلى البُخْلِ. ويقال: الولدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ. والبَخّالُ: الشديد البُخْلِ.

قال الراغب[1]: البُخْلُ: إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه، ويقابله الجود، يقال: بَخِلَ فهو بَاخِلٍ، وأما البخيل: فالذي يكثر منه البُخْل، كالرَّحيم من الرَّاحِم. والبُخْلُ ضربان: بُخْلٌ بقِنيَّات نفسه، وبُخْلُ بقِنَّياتِ غيره، وهو أكثرها ذمًّا.

دليلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ [النِّساء: 37].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ [النِّساء: 37].

قال الفخر الرازي[2]: قال ابن عباس: أنهم اليهود، بخلوا أن يعترفوا بما عرفوا من نعت محمد عليه الصلاة والسلام وصفته في التوراة، وأمروا قومهم أيضاً بالكتمان ﴿وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ يعني من العلم بما في كتابهم من صفة محمد ﷺ (وَأَعْتَدْنَا) في الآخرة لليهود (عَذَاباً مُّهِيناً). واحتج من نصر هذا القول: بأن ذكر الكافر في آخر الآية يدل على أن المراد بأولها الكافر. وقال آخرون: المراد منه البخل بالمال، لأنه تعالى ذكره عقيب الآية التي أوجب فيها رعاية حقوق الناس بالمال، فإنه قال: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ ومعلوم أن الإحسان إلى هؤلاء إنما يكون بالمال، ثم ذم المعرضين عن هذا الإحسان فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾. ثم عطف عليه ﴿ٱلَّذِينَ

(1) مفردات الراغب.
(2) التفسير الكبير.

﴿يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ فوجب أن يكون هذا البخل بخلاً متعلقاً بما قبله، وما ذاك إلا البخل بالمال.

وقال الزمخشري[1]: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بدل من قوله: ﴿مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ أو نصب على الذم. كأنه قيل: الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون، أحقاء بكل ملامة. وقرىء «بالبخل» بضم الباء وفتحها. وبفتحتين. وبضمتين: أي يبخلون بذات أيديهم، وبما في أيدي غيرهم. فيأمرونهم بأن يبخلوا به مقتاً للسخاء ممن وجد. وفي أمثال العرب: أبخل من الضنين بنائل غيره.

ولقد رأينا ممن بُلِيَ بداء البخل، من إذا طرق سمعه أنّ أحداً جاد على أحد. شخص به وحلّ حبوته، واضطرب، ودارت عيناه في رأسه، كأنما نهب رحله وكسرت خزانته، ضجراً من ذلك وحسرة على وجوده. وقيل: هم اليهود كانوا يأتون رجالاً من الأنصار يتنصحون لهم ويقولون: لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون. وقد عابهم الله بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاقر إلى الناس. وعن النبي ﷺ: «**إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته على عبده**». وبنى عامل للرشيد قصراً حذاء قصره، فنمّ به عنده. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن الكريم يسره أن يرى أثر نعمته، فأحببت أن أسرك بالنظر إلى آثار نعمتك، فأعجبه كلامه. وقيل: نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله ﷺ.

---

(1) الكشاف.

بخس

(بخس - نقص - غبن - طفف)

■ **البَخْسُ:** نقص قيمة الشيء على سبيل الظلم المتعمد. قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [الأعراف: 85].

■ **النَّقْصُ:** الخسران في الحظ قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [هُود: 109].

■ **الغُبْنُ:** أن تبخس صاحبك في معاملة بينك وبينه مستغلاً عدم خبرته. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابُن: 9].

■ **التَّطْفيف:** تقليل وزن المكيل له في إيفائه واستيفائه. قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطفّفِين: 1].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الباء والخاء والسين أصلٌ واحد، وهو النَّقْصُ.

البَخْسُ: النَّقْصُ. بَخَسَه حَقَّه يَبْخَسُه بَخْساً إذا: نقصه من قيمة الشيء عمداً؛ وامرأة باخِسٌ وباخِسَةٌ. وفي المثل في الرجل تَحْسَبُه مغفلاً وهو ذو نَكْراءَ: تَحسَبُها حمقاءَ وهي باخِسٌ أو باخِسَةٌ؛ أبو العباس: باخِسٌ بمعنى ظالم، ولا تَبْخَسُوا الناس: لا تظلموهم.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال ابن منظور: والبَخْسُ من الظلم أَنْ تَبْخَسَ أَخاك حَقَّه فتنقصه قيمة الشيء كما يَبْخَسُ الكيالُ مكياله فينقصه في الكيل والميزان[1].

قال الجوهري[2]: البَخْسُ: الناقص. يقال: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾. وقد بَخَسَهُ حقَّه يَبْخَسُهُ بَخْساً: إذا نقَصه. يقال للبيع إذا كان قَصْداً: لا بَخْسَ فيه ولا شَطَط. وفي المثل: تَحْسَبُها حمقاءَ وهي باخِسٌ. والبَخْسُ أيضاً: أرضٌ تُنْبِتُ من غير سَقْي.

قال الراغب[3]: البَخْسُ: نَقْصُ الشيء على سبيل الظُّلم، قال تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هُود: 15]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعرَاف: 85]، والبَخْسُ والبَاخِسُ: الشيء الطفيف الناقص، وقوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يُوسُف: 20] قيل: معناه: بَاخِسٌ، أي: نَاقِصٌ، وقيل: مَبْخُوسٌ أي: منقوصٌ، ويقال: تَباخَسُوا أي: تناقصوا وتغابنوا فَبَخَسَ بعضهم بعضاً.

المعنى المشترك لكلمة (ب خ س)

وقد وردت كلمة (بخس) في القرآن الكريم على وجهين:

الوجه الأول: بَخْس: يعني الحرام ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يُوسُف: 20].

الوجه الثاني: البَخْس: يعني النقصان ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعرَاف: 85].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هُود: 15]، وقوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعرَاف: 85].

---

(1) اللسان.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) مفردات الراغب.

قال الطبري[1]: (يقول: ولا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم قيمة الشيء لقدم خبرتهم. ومن ذلك قولهم: تحسبها حمقاء وهي باخسة، بمعنى ظالمة، ومنه قول الله: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يُوسُف: 20] يعني به: رديء.

وقال أبو السعود[2]: ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾ أي: لا يُنقَصون، وإنما عبّر عن ذلك بالبَخْسِ الذي هو نقصُ الحقِّ مع أنه ليس لهم شائبةُ حقّ فيما أوتوه كما عبّر عن إعطائه بالتوفية التي هي إعطاءُ الحقوقِ، مع أن أعمالَهم بمعزل من كونها مستوجبةً لذلك بناءً للأمر على ظاهر الحالِ ومحافظةً على صور الأعمالِ ومبالغةً في نفي النقص، كأن ذلك نقصٌ لحقوقهم فلا يدخُل تحت الوقوعِ والصدورِ عن الكريم أصلاً، والمعنى أنهم فيها خاصةً لا يُنقصون ثمراتِ أعمالِهم وأجورَها نقصاً كلياً مطرداً ولا يُحرَمونها حِرماناً كلياً، وأما في الآخرة فهم في الحِرمان المطلقِ واليأسِ.

وقوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يُوسُف: 20] قيل: معناه: بَاخِسٌ، أي: ناقص، وقيل: مَبْخُوسٌ أي: منقوص، ويقال: تَبَاخَسُوا أي: تناقصوا وتغابنوا فَبَخَس بعضهم بعضاً[3].

وقيل: المراد بقوله: (بَخْسٍ) الحرام. وقيل: الظلم، هذا وإن كان كذلك، لكن ليس هو المراد هنا؛ لأن هذا معلوم يعرفه كل أحد أن ثمنه حرام على كل حال، وعلى كل أحد؛ لأنه نبي ابن نبي ابن نبي ابن خليل الرحمٰن، فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، وإنما المراد هنا بالبخس الناقص، أو الزيوف، أو كلاهما، أي: إنهم إخوته، وقد باعوه، ومع هذا بأنقص الأثمان...[4]

---

(1) جامع البيان.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) مفردات الراغب.
(4) تفسير ابن كثير.

بخع

(بخع - أهلك - أمات - قتل)

- **البَخْعُ:** قتل النفس غمّاً ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الكهف: 6].
- **القَتْلُ:** فعل به ما يزيل روحه عن جسده ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: 17].
- **الإهْلاكُ:** فعل به ما يزيل روحه حيث لا عقب له ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ [النجم: 50-51].
- **المَوْت:** عندما يأخذ الله روح الإنسان فعلاً ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عبس: 21]، ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: 44].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والخاء والعين أصلٌ واحد، وهو القتل وما داناه من إذلالٍ وقهر.

بخَعَ نفْسَه يَبْخَعُها بَخْعاً وبُخوعاً: قتلَها غيْظاً أَو غَمًّا.

قال الخليل[2]: بخَع الرّجلُ نفسَه: إذا قتلَها غَيْظاً من شدّة الوَجْد.

قال الجوهري[3]: يقال بَخَعَ نفسَه بَخْعاً، أي: قتَلَها غمًّا.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾. وبَخَعَ بالحق بُخوعاً: أقرّ به وخضع له. وكذلك بَخِعَ بالكسر بُخوعاً وبَخاعَةً.

قال الفرّاء[1]: أَي مُخْرِجٌ نفسَك وقاتلٌ نفسَك جهداً وتكلفاً؛ وقال ذو الرمة: (أَلا أَيُّهذا الباخِعُ الوَجْدِ نفسَه بشيءٍ نَحَتْه عن يدَيْكَ المَقادِرُ).

قال الأَخفش: يقال بَخَعْتُ لك نفسي ونُصْحِي أَي: جَهَدْتها، أَبْخَعُ بُخوعاً.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها، أَنها ذكرت عمر رضي الله عنه، فقالت: بَخَعَ الأَرضَ فقاءتْ أُكُلَها، أَي: قَهر أَهلَها وأَذلَّهم واستخرَج ما فيها من الكُنوز وأَموال المُلوك. وبَخَعْتُ الأَرضَ بالزِّراعةِ أَبْخَعُها إِذا: نَهَكْتُهَا وتابَعْت حِراثَتها ولم تُجِمَّها عاماً. وبخَع الوَجْدُ نفسَه إِذا: نَهَكَها.

وبَخَعَ فلان بالطاعة وبما عليه من الحق: إِذا أَقرَّ به وأَذعن مع كراهة شديدة تجري مجرى بخع نفسه في شدته.

وفي حديث عمر، رضي الله عنه: فأَصبَحْتُ بجَنبتَي الناسِ ومَن لم يكن يَبْخَعُ لنا بطاعة.

وفي حديث عُقْبة بن عامر: أَن النبي ﷺ، قال: «**أَتاكُم أَهلُ اليَمنِ هم أَرَقُّ قُلوباً وأَلْيَنُ أَفئدةً وأَبْخَعُ طاعةً**» أَي: أَنْصَحُ وأَبْلَغُ في الطاعةِ من غيرهم كأَنهم بالَغُوا في بَخْعِ أَنفسهم أَي قَهرِها وإِذْلالِها بالطاعةِ. قال ابن الأَثير: قال الزمخشري هو من بَخَع الذَّبيحةَ: إِذا بالَغ في ذَبْحِها وهو أَن يَقْطَع عظْم رقبتها ويَبْلُغَ بالذَّبح البِخاع، بالباء، وهو العِرْق الذي في الصُّلْب؛ والنخْعُ، بالنون، دون ذلك وهو أَن يبلُغ بالذبح النُّخاع، وهو الخيْط الأَبيض الذي يَجري في الرَّقبة، هذا أَصله ثم كثُر حتى استعمل في كل مبالغة؛ قال ابن الأَثير: هكذا ذكره في الكشاف وفي كتاب الفائق في غريب الحديث ولم أَجده لغيره، قال: وطالما بحثت عنه في كتب اللغة والطب والتشريح فلم أَجد البِخاع، بالباء، مذكوراً في شيء منها[2].

---

(1) معاني القرآن. (2) اللسان/ ابن منظور.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6].

قال الفخر الرازي[1]: المقصود منه أن يقال للرسول: لا يعظم حزنك وأسفك بسبب كفرهم فإنا بعثناك منذراً ومبشراً، فأما تحصيل الإيمان في قلوبهم فلا قدرة لك عليه.

قال الألوسي[2]: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ﴾ أي: قاتل (نَفْسَكَ) وفي معناه ما في «صحيح البخاري» مهلك.

وفي «البحر»: «عن الليث بخع الرجل نفسه بخعاً وبخوعاً قتلها من شدة الوجد».

وهو من بخع الأرض بالزراعة أي: جعلها ضعيفة بسبب متابعة الزراعة كما قال الكسائي. وذكر الزمخشري: أن البخع أن يبلغ الذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن القفا، وقد رده ابن الأثير وغيره بأنه لم يوجد في كتب اللغة والتشريح، لكن الزمخشري ثقة في هذا الباب واسع الاطلاع. وقرىء ﴿بَٰخِعُ نَفْسِكَ﴾ بالإضافة وهي خلاف الأصل في اسم الفاعل إذا استوفى شروط العمل عند الزمخشري، وأشار إليه سيبويه في «الكتاب». وقال الكسائي: العمل والإضافة سواء، وزعم أبو حيان أن الإضافة أحسن من العمل.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) روح المعاني.

بدر

(بدر - سرع - عجل - سبق)

■ **البِدَارُ:** استعمال غاية قدرته على فعل الشيء ليسبق غيره. ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ [النِّساء: 6].

أي: بادر في أكل مال اليتيم قبل بلوغه بداراً.

■ **الإِسْرَاعُ:** فعل الشيء في أقرب أوقاته وهو صفة محمودة. ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عِمران: 133].

■ **العَجَلَةُ:** فعل الشيء قبل وقته وهو صفة مذمومة ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النّحل: 1] وقوله: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 83].

■ **السَّبْقُ:** تقدم على المسبوق، فلا سابق إلا وله مسبوق، بخلاف الأول فهو لا ثاني له. ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحَديد: 21].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والدال والراء، أصلان: أحدهما: كمال الشيء وامتلاؤه، والآخر: الإسراع إلى الشيء. [أمّا] الأوّل فهو قولهم لكلّ شيء تَمَّ بَدْرٌ، وسمِّي البدرُ بدراً لتمامه وامتلائه.

وقيل لعشرة آلاف درهمٍ: بَدْرةٌ، لأنَّها تمام العدد ومنتهاه. وعينٌ بَدْرَةٌ أي: ممتلئةٌ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الجوهري[1]: بَدَرْتُ إلى الشي أَبْدُرُ بُدوراً: أسرعْت إليه، وكذلك بادَرْتُ إليه. وتَبادَرَ القومُ: تسارعوا. وابْتَدَروا السلاحَ: تسارعوا إلى أَخْذه.

وليلةُ البدرِ: ليلةُ أربعَ عشرةَ. ويسمَّى بَدْراً لمبادرته الشمسَ بالطلوع، كأنَّه يعجِّلها المَغِيبَ. ويقال: سُمِّيَ بَدْراً لتمامه. وأَبْدَرْنا فنحن مُبْدِرونَ: إذا طلع لنا البَدْرُ. والبَدْرَةُ مَسْكُ السَّخْلَةِ، لأنَّها ما دامت تَرضَع فَمسْكُها للّبن شكوة وللسمن عكة فإذا افطمت فمسكها اللبن: بَدْرَةٌ، وَللسَمْنِ مِسْأَدٌ. والبَدْرَةُ: عشرة آلاف درهم.

وعينٌ بَدْرَةٌ، أي: تَبْدُرُ بالنظر، ويقال: تامَّةٌ كالبَدْرِ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ [النساء: 6].

أي: مسارعة، يعني جلّ ثناؤه بقوله: (وَبِدَاراً) ومبادرة؛ وهو مصدر من قول القائل: بَادَرْتُ هذا الأمر مُبَادَرَةَ وبِدَاراً. وإنما يعني بذلك جلّ ثناؤه: ولاة أموال اليتامى، يقول لهم: لا تأكلوا أموالهم إسرافاً، يعني: ما أباح الله لكم أكله، ولا مبادرة منكم بلوغهم، وإيناس الرشد منهم حذراً أن يبلغوا فيلزمكم تسليمه إليهم.

عن ابن عباس، قوله: ﴿إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ يعني: أكل مال اليتيم مبادراً أن يبلغ فيحول بينه وبين ماله.

عن قتادة والحسن: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ يقول: لا تسرف فيها، ولا تبادر.

(1) الصحاح في اللغة.

عن السديّ: (وَبِدَاراً) تبادراً أن يكبروا، فيأخذوا أموالهم.

فقوله: ﴿إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ [النِّساء: 6] هذه لوليّ اليتيم خاصة، جعل له أن يأكل معه إذا لم يجد شيئاً يضع يده معه، فيذهب بوجهه، يقول: لا أدفع إليه ماله، وجعلتَ تأكله تشتهي أكله، لأنك إن لم تدفعه إليه لك فيه نصيب، وإذا دفعته إليه فليس لك فيه نصيب[1]. . .

● **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ [آل عِمرَان: 123].

كانت بدر يوم سبعة عشر من رمضان، يوم جمعة لثمانية عشر شهراً من الهِجرة، وبدر مَاءٌ هنالك وبه سُمِّي الموضِع.

وقال الشعبيّ: كان ذلك الماء لرجل من جُهَينة يسمى بدراً وبه سُمِّي الموضع. والأوّل أكثر. وقال الواقِدِي وغيره: بدر اسم لموضع غير منقول. . . .[2].

وقد ميَّز الله أهل معركة بدر العظيمة وعرفوا في تاريخ هذه الأمة المشرق بـ (البدريين) وقد بشرهم رسول الله ﷺ فقال: «**كأن الله اطلع على أهل بدر فقال: افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» وقد يبلغ المسلم درجتهم بحبه لهم، فالمتحابان في الله شريكان.

(1) الطبري/ جامع البيان.
(2) الطبري جامع البيان.

بدع

(بدع - خلق - برأ - صور)

■ **البَدِيْعُ:** موجد الشيء بلا آلة ولا مادة، وليس ذلك إلا لله عَزَّوَجَلَّ ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البَقَرة: 117].

■ **الخَالِقُ:** يوجد الشيء من شيء آخر ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عِمرَان: 59].

■ **البَارِئُ:** يوجد الشيء بترتيب مسبق لا تفاوت فيه ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ [الحشر: 24]، ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [المُلك: 3].

■ **المُصَوِّرُ:** يعطي كل شيء صورته التي يعرف بها ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غَافر: 64].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والدال والعين أصلان: أحدهما: ابتداء الشيء وصنعُه لا عَنْ مِثال، والآخر: الانقطاع والكَلال.

بدَع الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعاً وابْتَدَعَه: أنشأه وبدأه. وبدَع الرَّكِيّة: اسْتَنْبَطَها وأَحدَثها. والبَدِيعُ والبِدْعُ: الشيء الذي يكون أَوّلاً. والبِدْعةُ: الحَدَث وما ابْتُدِعَ من الدِّينِ بعد الإكمال. ابن السكيت: البِدْعةُ كلُّ مُحْدَثةٍ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

وفي حديث عمر، رضي الله عنه، في قِيام رمضانَ: نِعْمتِ البِدْعةُ هذه.

قال ابن الأَثير[1]: البِدْعةُ بدْعتان: بِدْعَةُ هُدًى، وبِدْعَةُ ضلال، فما كان في خلاف ما أَمر الله به ورسوله ﷺ، فهو في حَيزّ الذّمِّ والإِنكار، وما كان واقعاً تحت عُموم ما ندَب اللهُ إِليه وحَضّ عليه أَو رسولُه فهو في حيِّز المدح، وما لم يكن له مِثال موجود كنَوْع من الجُود والسّخاء وفِعْل المعروف فهو من الأَفعال المحمودة، ولا يجوز أَن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به لأَن النبي ﷺ، قد جعل له في ذلك ثواباً فقال: «**مَن سنّ سُنّة حسَنة كان له أَجرُها وأَجرُ مَن عَمِلَ بها**»، وقال في ضدّه: «**مَن سنّ سُنّة سَيئة كان عليه وِزْرها ووِزْر مَن عَمِلَ بها**»، وذلك إِذا كان في خلاف ما أَمر الله به ورسوله، قال: ومن هذا النوع قول عمر، رضي الله عنه: نعمتِ البِدْعةُ لزيادة عدد صلاة التراويح هذه لمّا كانت من أَفعال الخير وداخلة في حيّز المدح سَمّاها بدعة ومدَحها لأَنَّ النبي ﷺ لم يَسُنَّها لهم، وإِنما صلاَّها لَيالِيَ ثم تركها ولم يحافظ عليها ولا جمع الناس لها ولا كانت في زمن أَبي بكر وإِنما عمر رضي الله عنهما، جمع الناسَ عليها وندَبهم إِليها فبهذا سماها بِدْعَة، وهي على الحقيقة سنَّة لقوله ﷺ: «**عليكم بسنّتي وسنة الخُلفاء الراشدين من بعدي**».

وقوله ﷺ: «**اقْتَدُوا باللذين من بعدي: أَبي بكر وعمر**»، وعلى هذا التأْويل يُحمل الحديث الآخَر: «**كلُّ مُحْدَثةٍ بدعة**»، إِنما يريد ما خالَف أُصولَ الشريعة ولم يوافق السنة، وأَكثر ما يستعمل المُبْتَدِعُ عُرْفاً في الذمِّ.

والإبداع: إنشاء صنعة بلا احتذاءٍ واقتداءٍ ومنه قيل: رَكيَّةٌ بديعٌ أي: جديدة الحفر، وإذا استعمل في الله تعالى فهو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان، وليس ذلك إلا لله[2].

---

(1) اللسان/ابن منظور.
(2) الأسماء والصفات.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 9].

قال الطبري(1): أي أوّل من أرسل، قد كان قبلي رسل؛ عن ابن عباس وغيره. والبِدْعُ: الأوّل. وقرأ عكرمة وغيره «بِدَعاً» بفتح الدال، على تقدير حذف المضاف؛ والمعنى: ما كنت صاحب بِدَع. وقيل: بِدْع وبديع بمعنًى؛ مثلُ نصف ونصيف.

قال البيضاوي(2): وفيه وجوه الأول: ﴿مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: ما كنت أولهم، فلا ينبغي أن تنكروا إخباري بأني رسول الله إليكم، ولا تنكروا دعائي لكم إلى التوحيد، ونهيي عن عبادة الأصنام، فإن كل الرسل إنما بعثوا بهذا الطريق: الوجه الثاني: أنهم طلبوا منه معجزات عظيمة وأخباراً عن الغيوب فقال: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ والمعنى أن الإتيان بهذه المعجزات القاهرة والإخبار عن هذه الغيوب ليس في وسع البشر، وأنا من جنس الرسل واحد منهم لم يقدر على ما تريدونه فكيف أقدر عليه؟ الوجه الثالث: أنهم كانوا يعيبونه أنه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وبأن أتباعه فقراء فقال: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ وكلهم كانوا على هذه الصفة وبهذه المثابة فهذه الأشياء لا تقدح في نبوتي كما لا تقدح في نبوتهم...

قال الزمخشري(3): كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به إليه من الغيوب. فقيل له: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ فآتيكم بكل ما تقترحونه، وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات؛ فإنّ الرسل لم يكونوا يأتون إلا بما

---

(1) جامع البيان.
(2) أنوار التنزيل.
(3) الكشاف.

قال أبو السعود[1]: وقيل: لتكون لمن بعدك من الأمم إذا سمعوا فكان أمرك لمن شاهدك عبرة ونكالاً من الطغيان، وحجة تدلهم على أن الإنسان وإن بلغ الغاية القصوى في عظم الشأن وعلو الكبرياء وقوة السلطان، فهو مملوك مقهور.

وقرئ (لمن خلقك) بالقاف. أي: لتكون لخالقك آية كسائر الآيات، فإن مراده سبحانه وتعالى إياك بالإلقاء إلى الساحل دليل على أنه قصد منه كشف تزويرك وإماطة الشبه في أمرك وبرهان على كمال علمه وقدرته.

وقال ابن عباس: لما جاوز موسى البحر بجميع من آمن معه، التقى البحر عليهم، يعني على فرعون وقومه، فأغرقهم، فقال أصحاب موسى: إنا نخاف أن لا يكون فرعون قد غرق، ولا نؤمن بهلاكه، فدعا ربه فأخرجه، فنبذه البحر حتى استيقنوا بهلاكه.

وقال الطبري[2]: يقول تعالى ذكره لفرعون: فاليوم نجعلك على نجوة من الأرض ببدنك، ينظر إليك هالكاً من كذب بهلاكك.

الماوردي[3]: فيه وجهان:

أحدهما: يعني: بجسدك من غير روح.

الثاني: بدرعك وكان له درع من حديد يعرف بها.

الزمخشري[4]: (ببدنك) في موضع الحال، أي في الحال التي لا روح فيك، وإنما أنت بدن، أو ببدنك كاملاً سوياً، لم ينقص منه شيء ولم يتغير، أو عرياناً لست إلا بدناً، من غير لباس، أو بدرعك، وكان له درع من ذهب يعرف بها. وقرأ أبو حنيفة رحمه الله: (بأبدانك) وهو على وجهين: إما أن يكون مثل قولهم هوى بإجرامه، يعني ببدنك كله وافياً بأجزائه، أو يريد بدروعك.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) جامع البيان.
(3) النكت والعيون.
(4) الكشاف.

الإنسان، ولهذا يقال للدرع القصير الذي يلبس الصدر إلى السرة: بَدُنٌ، لأنها تقع على البدن، وجسم الإنسان كله جسد[1].

والشاهد، أنه يقال لمن قطع بعض أطرافه: إنه قطع شيء من جسده ولا يقال: شيء من بدنه، وقد يتداخل الاسمان إذا تقاربا في المعنى. ولما كان البَدَنُ هو أعلى الجسد وأغلظه قيل لمن غلظ من السمن: قد بَدُنَ، وهو بَدِينٌ.

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾.. أي: نلقيك على نجوة من الأرض، وذلك أن بني إسرائيل لم يصدقوا أن فرعون قد غرق، وقالوا هو أعظم شأناً من ذلك. بجسد لا روح فيه. ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ فلا يخدع أحد بعبادة المخلوق مهما كان عظيماً.

المعنى المشترك لكلمة (ب د ن)

وقد وردت كلمة (بدن) في القرآن الكريم على وجهين:

الوجه الأول: البدن: يعني الجسد ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يُونس: 92].

الوجه الثاني: البُدن واحدته بَدنة: يعني السمين من الإبل ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ [الحَجّ: 36].

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يُونس: 92].

(1) الفروق/ أبو هلال العسكري.

آتاهم الله من آياته، ولا يخبرون إلا بما أوحي إليهم. ولقد أجاب موسى صلوات الله وسلام عليه عن قول فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: 51]؟ بقوله: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [الأعراف: 187].

بدل

(بدل - ثمن - جزاء - أجر)

■ **البَدَلُ:** شيء يحل مكان آخر. ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: 50].

■ **الثَّمَنُ:** بدل عينيّ في البيع. ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ [يوسف: 20].

ويطلق مجازاً على البدل المعنوي. ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: 41].

والثُّمُنُ: بالضم - واحد من الثمانية والثامن آخر الثمانية.

■ **الجَزَاءُ:** عوض يتناسب وكمال العمل أو نقصه ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: 76].

■ **الأَجْرُ:** عوض الأجير عن عمله ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾ [القصص: 27].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والدال واللام أصلٌ واحد، وهو قيام الشيءِ مَقامَ الشيءِ الذاهب.

قال الفراء[2]: بَدَلٌ وبِدْلٌ لغتان، ومَثَل ومِثْل، وشَبَه وشِبْه، ونَكَل ونِكْل. قال أَبو عبيد: ولم يُسْمَع في فَعَل وفِعْل غير هذه الأَربعة الأَحرف. والبَدِيل: البَدَل.

وبَدَلُ الشيء: غَيْرُه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) المحكم.

قال ابن سِيدَه: بِدْل الشيء وبَدَله وبَدِيله الخَلَف منه، والجمع أَبْدَال.

قال سيبويه(1): إنَّ بَدَلك زَيد أَي: إنَّ بَديلك زَيْد، قال: ويقول الرجل للرجل اذهب معك بفلان، فيقول: معي رجل بَدَلُه أَي: رجل يُغْني غَناءه ويكون في مكانه.

الإِبْدَالُ والتَّبْدِيلُ والتَبَدُّل والاسْتِبْدَال: جعل شيء مكان آخر، وهو أعلم من العوض، فإن العوض هو:

أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول، والتَّبْدِيلُ قد يقال للتغيير مطلقاً وإن لم يأت ببدله(2).

المعنى المشترك لكلمة (ب د ل)

وقد وردت كلمة (بدل) في القرآن الكريم على ستة أوجه:

الوجه الأول: بدَّل: يعني أهلك ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [الإنسان: **28**].

الوجه الثاني: بَدَّل: بمعنى نسخ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ [النّحل: **101**].

الوجه الثالث: بَدَّل: بمعنى غَيَّر ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ [البَقَرَة: **181**].

الوجه الرابع: بَدَّلَ: بمعنى جَدَّدَ ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النِّساء: **56**].

الوجه الخامس: بَدَّلَ: بمعنى حَوَّل من حال إلى حال ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفُرقان: **70**].

الوجه السادس: تَبدَّل: بمعنى اختار ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البَقَرَة: **108**].

---

(1) الكتاب. (2) معجم فقه اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البَقَرَة: 59].

قال الفخر الرازي[(1)]: ففيه قولان: الأول: قوله تعالى: (فَبَدَّلَ) يدل على أنهم لم يفعلوا ما أمروا به، لا على أنهم أتوا له ببَدَلٍ، والدليل عليه أن تبديل القول قد يستعمل في المخالفة، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ [الفتح: 11] إلى قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفَتْح: 15] ولم يكن تبديلهم إلا الخلاف في الفعل لا في القول فكذا هٰهنا: فيكون المعنى أنهم لما أمروا بالتواضع وسؤال المغفرة لم يمتثلوا أمر الله ولم يلتفتوا إليه. الثاني: وهو قول جمهور المفسرين: إن المراد من التبديل أنهم أتوا ببدل له لأن التبديل مشتق من البدل، فلا بد من حصول البدل، وهذا كما يقال: فلان بدل دينه، يفيد أنه انتقل من دين إلى دين آخر، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البَقَرَة: 59] ثم اختلفوا في أن ذلك القول والفعل أي شيء كان؟ فروي عن ابن عباس أنهم دخلوا الباب الذي أمروا أن يدخلوا فيه سجداً زاحفين على أستاههم، قائلين حطّة: أي اللهم حطّ عنا ذنوبنا. وعن مجاهد أنهم دخلوا على أدبارهم وقالوا: (حنطة) استهزاء، وقال ابن زيد: استهزاء بموسى. وقالوا: ما شاء موسى أن يلعب بنا إلا لعب بنا حطة حطة، أي شيء حطة.

وقال مجاهد والضحاك: أن يبدلهم الله من الشرك الإيمان، وروي نحوه عن الحسن. قال: قوم يقولون التبديل في الآخرة وليس كذلك، إنما التبديل في الدنيا؛ يبدلهم الله إيماناً من الشرك، وإخلاصاً من الشك، وإحصاناً من الفجور.

---

(1) التفسير الكبير.

● **قال تعالى:** ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [قٓ: 29].

قال الراغب[1]: أي: لا يغير ما سبق في اللوح المحفوظ، تنبيهاً على أن ما علم أنه سيكون يكون على ما قد علمه لا يتغير عن حاله. وقيل: لا يقع في قوله خلف.

قال ابن عاشور[2]: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾، أي: لست مبطلاً ذلك الوعيد، وهو القول، إذ الوعيد من نوع القول، والتعريف للعهد، أي فما أوعدتكم واقع لا محالة لأن الله تعهد أن لا يغفر لمن يشرك به ويموت على ذلك.

قال السيواسي[3]: وقوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الرُّوم: 30] قيل: معناه أمرٌ وهو نهي عن الخصاء. والأبدال: هم قوم صالحون يجعلهم الله مكان آخرين مثلهم ماضين.

وقيل: (لا تبديل لخلق الله): أي لا تبديل لهذه القابلية من جهة الخالق. وقال مجاهد، وابن جبير، والضحاك، والنخعي، وابن زيد: لا تبديل لدين الله، والمعنى: لمعتقدات الأديان، إذ هي متفقة في ذلك. وقال الزمخشري: أي ما ينبغي أن تبدل تلك الفطرة أو تغير. وقال ابن عباس: لا تبديل لقضاء الله بسعادتهم وشقاوتهم، وقيل: هو نفي معناه: النهي، أي: لا تبدلوا ذلك الدين. وقيل: (لا تبديل لخلق الله) بمعنى: الوحدانية مترشحة فيه، لا تغير لها، حتى لو سألته: من خلق السماوات والأرض؟ تقول: الله. ويستغرب ما روي عن ابن عباس أن معنى (لا تبديل لخلق الله): النهي عن خصاء الفحول من الحيوان.

---

(1) مفردات الراغب.
(2) التحرير والتنوير.
(3) عيون التفاسير.

بدن

(بدن - جسد - جسم)

■ **البَدَنُ:** كل حيوان ضخم الوزن والشكل.

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس: 92].

■ **الجِسْمُ:** ما له طول وعرض وعمق من كل شيء ويتميز بالعناية والتناسق

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: 4].

﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: 247].

■ **الجَسَدُ:** يختص بإطلاقه على جسم العقلاء، الإنسان والملائكة، والجن

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: 8].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والدال والنون أصلٌ واحد، وهو شخص الشيء دون شَوَاه، وشَواهُ أطرافُه. يقال: هذا بَدَنُ الإنسان، والجمع الأبدان.

قال الخليل: البَدَنُ من الجسد: ما سوى الشوى والرأس، والبَدَنُ: شبه درع إلا أنه قصير قدر ما يكون على الجسم، قصير الكمية.

ويجمع على أَبْدَانٌ، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يُونس: 92].

وقال أبو هلال: الفرق بين الجسد والبَدَن: إن البَدَن هو ما علا من جسد

(1) معجم مقاييس اللغة.

بدنة

(بدنة - الإبل - بعير - جمل)

■ **البُدَنَة:** ذات البدن من الإبل ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجّ: 36].

■ **الإبل:** بُعران كثيرة ولا واحد له من لفظة ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: 144].

■ **البَعِير:** واحد الإبل ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: 72].

■ **الجَمَل:** يقال للبعير إذا بزل – أي: انشق نابه ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: 40] ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: 33] جمع جمالة. والجمالة جمع جمل وقرئ «جُمالات» بالضم.

ويقال: فلان حسن الإبالة أي: السياسة والقيام على ماله. لأن مال العرب الإبل يقال: فلان تَأَبَّلَ إِبْلاً أخذها.

البعران من حيث ما خلق الله فيها من أسرار وميزات وطبائع من حيث شدة الصبر والتحمل، والحقد، والمطاولة ونحو ذلك من صفات وسجايا ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغَاشِيَة: 17] فالجمال مخلوقات حيوانية من حيث مواصفاتها المادية.

* * *

النصوص اللغوية:

قال الزمخشري[1]: جمع بُدْنَة، سميت لعظم بدنها، وهي الإبل خاصة، ولأن رسول الله ﷺ، ألحق البقر بالإبل، حيث قال: «**البُدْنة عن سبعة والبقرة عن سبعة**» فجعل البقرة في حكم الإبل.

صارت البُدْنة في الشريعة متناولة للجنسين، عند أبي حنيفة وأصحابه.

وإلا فالبدن هي الإبل، وعليه تدل الآية[2].

وقرأ الحسن: «وَالْبدْنَ» بضمتين، كثُمُر في جمع ثمرة، وابن أبي إسحاق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾ [يسٓ: 39].

اختلف العلماء في (البُدْنِ) هل تطلق على غير الإبل من البقر أم لا؟

فقال ابن مسعود وعطاء والشافعي: لا، وقال مالك وأبو حنيفة: نعم.

وفائدة الخلاف فيمن نذر بُدْنَةً فلم يجد البُدْنةَ ولم يقدر عليها، وقدر على البقرة فهل تجزئه أم لا؟

فعلى مذهب الشافعي وعطاء لا تجزئه، وعلى مذهب مالك تجزئه والصحيح ما ذهب إليه الشافعي وعطاء لقوله عليه السلام في الحديث الصحيح في يوم الجمعة: «**من راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بُدْنةً، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة**».

فتفريقه عليه السلام بين البقرة والبُدْنة يدل على أن البقرة لا يقال عليها بُدْنَة، والله أعلم.

---

(1) الكشاف.

(2) تفسير فتح الرحمٰن، وانظر أبو السعود والبيضاويّ.

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه: ما يؤيد مذهب مالك رحمه الله:

كنا ننحر البُدْنة عن سبعة، فقيل: البقرة؟ فقال: وهل هي إلا من البُدَن.

ولعل مراد جابر بقوله في البقرة: «وهل هي إلا من البدن» أن حكمها حكمها، وإلا فيبعد جهل السائل بالمدلول اللغوي ليرد عليه ذلك.

ويمكن أن يقال فيما روي عن ابن عمر: إن مراده بـ «البُدْنِ» فيه البُدْن الشرعية، ولعله إذا قيل باشتراكهما بين ما يكون من النوعين، يحكم العرف أو نحوه في التعيين فيما إذا نَذَر الشخص بُدْنة.

ويشير إلى ذلك ما أخرجه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد عن يعقوب الراحي عن أبيه قال: أوصى إلي رجل، وأوصى ببُدْنة، فأتيت ابن عباس فقلت له: إن رجلاً أوصى إلي وصية وأوصى ببدنة فهل تجزئ عني بقرة؟ قال: نعم.

قال الدامغاني[1]: البُدن على وجهين: الجسد، والبُدن.

فوجه منها: البُدن هو الجسد، قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يُونس: 92] أي بجسك.

والوجه الثاني[2]: البُدن يعني البُدْنة، قوله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ [الحَجّ: 36].

في القرآن الكريم:

وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ هذه الكلمة مرتين في القرآن:

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يُونس: 92]، ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ [الحَجّ: 36].

(1) الوجوه والنظائر. (2) تهذيب اللغة.

يلاحظ أولاً: إن لفظ (ببدنك) في الآية الأولى يصلح أن يكون حالاً من (ننجيك) فمعنى الآية - كما ذهب إلى ذلك أكثر المفسرين -: اليوم يا فرعون ننجيك ملابساً بدنك دون روحك، لتكون عبرة للأجيال بعدك.

أما من فسر (البَدَن) بالدرع - كما ذهب إليه بعض المفسرين.

فلا يستقيم له هذا المعنى.

ثانياً: يرى الشيخ الطنطاوي صاحب (الجواهر) أن التنجية بالبَدَن في الآية، هو التحنيط الذي كان معروفاً عند قدماء المصريين، إذ عثر على مومياء فرعون موسى المسمى (منفطه) منذ سنين في جهات الوجه البحري، في مديرية الشرقية من مصر. ولا زال محفوظاً إلى يومنا هذا في القاعة العليا من المتحف القومي في القاهرة، ولما مررت عليه هناك تلا الدليل هذه الآية المباركة ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يُونس: 92]، ولا شك إنه إخبار غيبي عن المستقبل.

وقيل: إن فرعون موسى هو (سبتي) الثاني ابن (منفطه) وقد عثر على جثته منذ سنين أيضاً بطيبة.

ثالثاً: عد الله تعالى (البُدْن) في الآية الثانية من شعائره، وبذا ساواها بالصفا والمروة، وكلاهما ذو تقوى، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحَجّ: 32].

رابعاً: لما أتى القرآن على ذكر الشعائر لم يتعرض لمردودها على الإنسان، إلا عند ذكر البدن والأنعام، وبين ذلك بلفظ (لكم فيها) أو (لهم فيها)، ثم أردفها (منافع) أو (دفء) أو (خير)، كما في هذه الآية.

وهذا يدل على منافع الأنعام وخيرها دنيا وآخرة، وانحصار أثر سائر الشعائر في الآخرة فقط[1].

(1) معجم فقه اللغة - الوسيط في القرآن للطنطاوي.

بدو

(بدو - بزغ - طلع - ظهر - برز - خرج)

■ **البُدُوّ:** وضوح بعد خفاء، كالشفق قبل الشروق ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزُّمَر: 47].

■ **البُزُوغ:** بداية الطلوع، إطلالة الشيء الأولى قبل الطلوع ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ [الأنعام: 78].

■ **الطُّلُوع:** اتساع البزوغ للشيء واكتمال رؤيته ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ [طه: 130].

■ **الظُّهُور:** استواء الشيء وانتشاره بشكل مفاجئ ودائم ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الرُّوم: 41].

■ **البُرُوز:** خروج الشيء بقوة من موانع وعقبات ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم: 21].

■ **الخُرُوج:** نقيض الدخول، والسحاب أول ما يبدأ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ [مريم: 11].

* * *

شرح المعاني:

1 – بَدَا: تُقال إذا كان الشيء خفيًّا ثم يظهر بجلاء ظهوراً غير متوقع. والكلمة مأخوذة من البادية (من بدا جفا) والبادية تكون على مدّ البصر لا ترى شيئاً

من حولك وعلى حين غرة ترى رجلاً ينتصب أمامك واضحاً وليس هناك ما يستتر به عنك. وقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤٨)﴾ [الزمر: 47-48] وهي تدل على أنه على غفلة رأى كل أعماله وسيرى شيئاً لم يكن يخطر بباله، وفي سورة الأعراف: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: 22] وسورة طه: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: 121] بدت لهما سوءاتهما على غفلة وفجأة وبدون سابق توقّع منهما. ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 29] ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: 149] ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: 28] [الجاثية: 33].

2 - ظَهَرَ: إذا كان الشيء متوقعاً يُقال له ظهر وهي عكس بدا. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 151]، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 33].

3 - طَلَعَ: عندما تقع عينك على الشيء لأول مرة. كأن نقول للشمس أول ما تظهر نقول طلعت الشمس فإذا ارتفعت يُقال أشرقت. ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ [الكهف: 17].

4 - بَزَغَ: إذا بدا من الشيء رأسه وتُقال لسنّ الطفل ساعة يشق اللثة. وتُقال للشمس أول ما تبرز في السماء بزغت الشمس. وفي قوله تعالى في قصة إبراهيم

في سورة الأنعام ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ هذا يدل على أن إبراهيم عليه السلام كان يسخر من قومه لعبادتهم، فهو ما إن بزغ القمر والنجم والشمس قال مقولته ولم ينتظر إلى أن تكبر هذه النجوم وتذهب في الأفق وهذا يدل على حكمة إبراهيم عليه السلام.

5 - بَرَزَ: مأخوذة من البراز أو الفضاء ويُقال تبرّز بمعنى تغوّط والأصل فيه أن يذهب الإنسان لقضاء حاجته دون أن يكون معه أو يراه أحد. ويُقال: برز فلان لفلان في المعركة بمعنى أن يخرج من كل جيش مقاتل يبارز مقاتلاً آخر من العدو بدون أن يساعدهما أحد. قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 21 و48] أي برزوا جميعاً لله تعالى ليس معهم شيء ولا أحد مؤيّد ولا ناصر. ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 250] ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: 154] ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: 81] ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 47] ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: 91] ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والدال والواو أصلٌ واحد، وهو ظُهور الشيء.

وبدا: من افتتاح الشيء، يقال: بدأت بالأمر وابتدأت، من الابتداء. من أسماء الله عز وجل: المبدئُ: هو الذي أنشأ الأشياء واخترعها ابتداء من غير سابق مثال.

قال الخليل[2]: بَدَا الشيء يَبْدُو بَدْواً وبُدُوًّا، أي: يظهر، وبَدَاني فلان بكذا، وبدا له في هذا الأمر بَدَاءً وبُدُواً.

والبادية: اسم للأرض التي لا خضر فيها، أي: لا جماعة فيها دائمة فإذا خرجوا من الحضر إلى المراعي والصحاري قيل: بدوا بدواً.

ويقال: أهل البدو وأهل الحضر.

قال الجوهري[3]: بَدَا الأمر بُدُوًّا مثل: قعد قعوداً، أي: ظهر.

وأَبْدَيْتُهُ: أظهرته وقرئ قوله تعالى: ﴿هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هُود: 27]. . أي: في ظاهر الرأي. ومن همزه جعله من (بدأت) ومعناه أول الرأي.

الفرق بين البدو والظهور، أن البدو يكون بغير قصد تقول: بدا الفجر، والظهور يكون بقصد وبغير قصد.

تقول: استتر فلان ثم ظهر، ويدل هذا على قصده للظهور. ويقال: ظهر أمر فلان، وإن لم يقصد لذلك.

قال الأزهري[4]: البداوة والحضارة، بفتح الباء وكسر الحاء. وفي الحديث: «**لا يبيعن حاضر لبادٍ**» وتأويل ذلك أن البادي يقدم، وقد عرف أسعار ما معه وما مقدار ربحه، فإذا جاءه الحاضر عرفه سنة البلد، فأغلى على الناس.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) تهذيب اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: 284].

قال القشيري(1): من المعاني والدعاوي، ويقال: من القصود والغرائب وفنون الحوائج والمطالب.

ويقال: ما تخفيه الخطرات وما تبديه العبارات.

ويقال: ما تخفيه السكنات، وتبديه الحركات.

ويقال: الإشارة إلى استدامة المراقبة، واستصحاب المحاسبة، فلا تغفل خطرة، ولا تحمل وقتك نفساً.

وقال الألوسي(2): ﴿وَإِن تُبْدُوا۟﴾ أي تظهروا للناس ﴿مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: ما حصل فيها حصولاً أصلياً بحيث يوجب اتصافها به كالملكات الرديئة والأخلاق الذميمة كالحسد والكبر والعجب والكفران وكتمان الشهادة.

● **فأما قوله تعالى:** ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الرُّوم: 41].

فمعنى ذلك: الحدوث، وكذلك قولك: ظهرت في وجهه حمرة، أي: حدثت، ولم يعنِ أنها كانت فيه وظهرت.

وقيل: في هذا بَدُوّ، وفي الأول: بدء، وبين المعنيين فرق، والأصل واحد.

والبَدَاء: استصواب شيء علم ذلك فيه بعد أن لم يعلم، وذلك على الله عَزَّوَجَلَّ غير جائز، لأنه قد علم جميع ما يكون.

وأَبْدَى الشيء: أظهره، ومنه سميت البادية لظهورها.

---

(1) لطائف الإشارات. (2) روح المعاني.

● **قال تعالى:** ﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ﴾ [الأنعام: 28].

قال أبو حيان[1]: هم اليهود والنصارى، وذلك أنهم لو سئلوا في الدنيا هل تعاقبون على ما أنتم عليه؟ قالوا: لا، ثم ظهر عقوبة شركهم في الآخرة، فذلك قوله تعالى: ﴿بَلۡ بَدَا لَهُم﴾...

وقال قتادة: يظهر ما كانوا يخفون من شركهم.

وقال مقاتل[2]: بدا بنطق الجوارح ما كانوا يخفون من قبل بألسنتهم.

ما قصد هؤلاء العادلين بربهم، الجاحدين نبوتك يا محمد في قلبهم، إذا وقفوا على النار: ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنعام: 27] الأسى والندم على ترك الإيمان بالله والتصديق بك، لكن بهم الإشفاق مما هو نازل بهم من عقاب الله وأليم عذابه، على معاصيهم التي كانوا يخفونها عن أعين الناس ويسترونها منهم، فأبدا الله منهم يوم القيامة، وأظهرها على رؤوس الأشهاد، ففضحهم بها، ثم جازاهم جزاءهم.

﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ﴾ من أعمالهم السيئة التي كانوا يخفونها.

قال الزمخشري[3]: من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم، وبشهادة جوارحهم عليهم، فلذلك تمنوا ضجراً، لا إنهم عازمون على أنهم لو ردوا لآمنوا.

قيل: هو في أهل الكتاب، وأنه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله ﷺ.

وقيل: بدا لمشركي العرب ما كان أهل الكتاب يخفونه عنهم من البعث وأمر النار، لأنه سبق ذكر أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ﴾ [الأنعام: 20].

---

(1) البحر المحيط.
(2) الأشباه والنظائر.
(3) الكشاف.

ويصح أن يكون مقصود الآية الإخبار عن هول يوم القيامة، فعبر عن ذلك بأنهم ظهرت لهم مستوراتهم في الدنيا من معاصي وغيرها، فكيف الظن على هذا بما كانوا يعلنون به من كفر ونحوه. وينظر إلى هذا التأويل قوله تعالى في الدنيا في تعظيم شأن يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطّارق: 9].

وإنما قال (لهم) ولم يقل (لهن) مع تقدم ذكر النسوة لأمرين:

أحدهما: قال الحسن: إنه أراد بذلك الملك.

والثاني: إنه أراد ذكر الذكور معهن من أعوانهم فغلب المذكر، فقال: (لهم).

● **قال تعالى:** ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزُّمَر: 47].

قال مجاهد: عملوا أعمالاً توهموا أنها حسنات فإذا هي سيئات.

قال الزمخشري: وعيد لهم لكنه لفظاعته وشدته، وهو نظير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾ [السَّجدَة: 17].

والمعنى: وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم.

قال مقاتل(1): ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا أنه نازل بهم. فهذا القول يحتمل وجهين:

أحدهما: إنهم كانوا يرجون القرب من الله بعبادة الأصنام، فلما عوقبوا عليها بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون.

والثاني: إن البعث والجزاء لم يكن في حسابهم.

● **قال تعالى:** ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ [الأعراف: 22].

---

(1) الأشباه والنظائر.

قال ابن عباس: قبل أن ازدروا أخذتهما العقوبة، والعقوبة إن (بدت): ظهرت (لهما سواتهما): عوراتها، وتهافت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ما ووري عنه من عورة صاحبه. وكانا لا يدريان لباساً. فلما وقعا في الذنب، بدت لهما سوءاتهما، فاستحييا.

قال البغوي[1]: قيل: انكشفت لهما سوآتها، لأن الله أعراهما من الكسوة التي كان كساهما قبل الذنب والخطيئة، فسلبهما ذلك بالخطيئة التي أخطآ، أو المعصية التي ارتكبا.

قال الماوردي[2]: فإن قيل: فلم بدت لهما سوآتهما ولم تكن بادية لهما من قبل؟ ففي ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدهما: إنهما مستورين بالطاعة فانكشف الستر عنهما بالمعصية.

والثاني: إنهما كانا مستورين بنور الكرامة، فزال عنهما جذل المهانة.

والثالث: إنهما خرجا بالمعصية من أن يكونا من ساكني الجنة، فزال منهما ما كانا فيه من الصيانة.

● **قال تعالى:** ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ [هُود: 27].

قال أبو عمر وابن العلاء: بادي الرأي مهموز، لأنه من (بدأت).

﴿ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾ [الحَجّ: 25].. وغير المقيم، بالياء مكي، ووافقه أبو عمرو في الوصل، وغيره بالرفع على أنه خبر والمبتدأ مؤخر، أي العاكف فيه والباد سواء.

● **قال تعالى:** ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ [يُوسُف: 100].

---

(1) معالم التنزيل. (2) النكت والعيون.

قال ابن عباس[1]: إنه كان قد نزل «بدا» وبني تحت جبلها مسجداً، ومنها مقصد.

قال قتادة: كان يعقوب وبنوه بأرض كنعان، أهل مواش وبرية..

قال الماوردي[2]: وفي قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: (قول قتادة المتقدم).

الثاني: (قول ابن عباس المتقدم، وبعد نقل قول ابن عباس قال: (يقال بدا يبدو إذا نزل (بدا) فلذلك قال: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: 100] وإن كانوا سكان المدن.

الثالث: لأنهم جاءوا في البادية وكانوا سكان مدن ويكون بمعنى (فيها).

● **قال تعالى**: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: 20].

قال البغوي[3]: أي يظهر لهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما.

قيل: اللام فيه لام العاقبة، لأن إبليس لم يوسوس لهذا، ولكن كان عاقبة أمرهم ذلك وهو ظهور عوراتهما، كقوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: 8].

قال الزمخشري[4]: جعل ذلك غرضاً له ليسوءهما، إذا رأيا ما يؤثران ستره، وأن لا يطلع عليه مكشوفاً.

● **قال تعالى**: ﴿قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ﴾ [يوسف: 77].

---

(1) جامع البيان/ الطبري.
(2) النكت والعيون.
(3) معالم التنزيل.
(4) الكشاف.

لا قولاً ولا فعلاً، صفحاً عنهم وحلماً، وهو تأكيد لما سبق.

● **قال تعالى:** ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القَصص: 10].

قال النبي ﷺ: كادت أم موسى أن تقول وا ابناه، وتخرج صائحة على وجهها.

قال ابن مسعود: كادت تقول أنا أمه. وقبله ابن عباس(1).

أي أنها كادت لتظهر بموسى، أي: بأمره وقصته من فرط الحيرة والدهشة والفرح بتبنيه.

وعن مقاتل(2): أنها كادت تصيح وا ابناه، عند رؤيتها تلاطم الأمواج به، شفقة عليه من الغرق.

وقيل: المعنى أنها كادت تظهر أمره من شدة الفرح بنجاته، وتبني فرعون إياه.

● **قال تعالى:** ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 33].

قال ابن مسعود: قولهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: 30].

فهذا الذي أبدوا، و﴿وَمَا كُنتُمْ﴾ يعني ما أسر إبليس في نفسه من الكبر.

قال الشيخ أبو زهرة رحمه الله(3): «والأسماء» هي الأشياء، من قبيل ذكر الاسم وإرادة الله. إن جهل الملائكة بأسماء الأشياء وعلم آدم بها هو الأمر الذي ميز آدم على الملائكة الذين خلقوا للطاعة ولا يعلمون طبائع الأشياء والوجود الأرضي، إلا ما أعلمهم الله تعالى إياه، أما آدم فإن الله تعالى أودعه القدرة على

---

(1) جامع البيان/ الطبري.
(2) الأشباه والنظائر.
(3) زهرة التفاسير.

العلم بالأشياء، وكان في طبيعة نفسه التي أوجدها الله تعالى العلم بالأجناس أو مثلها، فالإنسان يولد وفي استعداده العلم بالمثل في هذه الأرض كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [النّحل: 78].

بهذه الخاصية التي وهبها الله تعالى للإنسان وهي الاستعداد للمعرفة والعلم بكل ما في الأرض، فكان بذلك يمتاز على الملائكة ويتبعهم الجن.

● **قال تعالى**: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السَّجدَة: 7].

ومبدأ الشيء: هو الذي منه يتركب، أو منه يكون، فالحروف مبدأ الكلام والخشب مبدأ الباب والسرير، والنواة مبدأ النخل، يقال للسيد الذي يبدأ به إذا عد السادات: بدء[1].

قال الفخر الرازي[2]: قيل المراد آدم عليه السلام فإنه خلق من طين، ويمكن أن يقال بأن الطين ماء وتراب مجتمعان والآدمي أصله مني والمني أصله غذاء، والأغذية إما حيوانية، وإما نباتية، والحيوانية بالآخرة ترجع إلى النباتية والنبات وجوده بالماء والتراب الذي هو طين...

والله هو المُبدئ المعيد، أي هو السبب في المبدأ والنهاية، ويقال: رجع عوده على بدْئه ذلك عائداً وبادئاً، ومعيداً ومبدئاً، وأبدأت من أرض كذا، أي: ابتدأت منها بالخروج، وقوله تعالى: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود: 27].

● **قال تعالى**: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [العَنكبوت: 20].

قال الألوسي[3]: ﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ﴾ الله تعالى (الْخَلْقَ) أي كيف خلقهم ابتداءً على أطوار مختلفة وطبائع متغايرة وأخلاق شتى، فإن ترتيب النظر على

---

(1) مفردات الراغب.
(2) التفسير الكبير.
(3) روح المعاني.

السير في الأرض مؤذن بتتبع أحوال أصناف الخلق القاطنين في أقطارها، وعلى هذا تتغاير الكيفية في الآية السابقة والكيفية في هذه الآية لما أن الأولى كما علمت باعتبار المادة وعدمها وهذه باعتبار تغاير الأحوال. ولعل التعبير في الآية الأولى بالمضارع أعني (يبديء) دون الماضي كما هنا لاستحضار الصورة الماضية لما أن بدء الخلق من مادة وغيرها أغرب من بدء الخلق على أطوار مختلفة على معنى أن خلق الأشياء أغرب من جعل أطوارها مختلفة، وأنت إذا لاحظت أن خلق الأشياء يعود في الآخرة إلى إيجادها من كتم العدم من غير سبق مادة دفعاً للتسلسل وأن جعل أطوارها مختلفة إنما هو بعد سبق المادة ولو سبقاً ذاتياً وهو ما قام به الاختلاف أعني ذوات الأشياء لا تشك في أن الأول أغرب من الثاني، ولذا ترى التمدح بأصل الخلق في القرآن العظيم أكثر من التمدح بالجعل المذكور.

● **وقال تعالى:** ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29].

قال الفخر الرازي(1): ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ وفيه قولان:

القول الأول: قال ابن عباس: (كَمَا بَدَأَكُمْ) خلقكم مؤمناً أو كافراً (تَعُودُونَ) فبعث المؤمن مؤمناً، والكافر كافراً، فإن من خلقه الله في أول الأمر للشقاوة، أعمله بعمل أهل الشقاوة، وكانت عاقبته الشقاوة، وأن خلقه للسعادة أعمله بعمل أهل السعادة، وكانت عاقبته السعادة.

والقول الثاني: قال الحسن ومجاهد: (كَمَا بَدَأَكُمْ) خلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئاً، كذلك تعودون أحياء.

وقال الطبري(2): اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ فقال بعضهم: تأويله: كما بدأكم أشقياء وسعداء، كذلك تُبعثون يوم القيامة.

---

(1) التفسير الكبير. (2) جامع البيان.

عن ابن عباس، قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف: 29-30] قال: إن الله سبحانه بدأ خلق ابن آدم مؤمناً وكافراً، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التّغابن: 2] ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمناً وكافراً.

بَذَرَ

(بذر - سرف - سفه)

■ **التَّبْذِير:** إنفاق المال في غير ما ينبغي ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: 27].

■ **السَّرَف:** إنفاق المال أكثر مما ينبغي ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف: 31].

■ **السَّفَه:** العبث المطلق بالمال: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: 5].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والذال والراء أصل واحد، وهو نثر الشيء وتفريقه.

قال الخليل[2]: بَذَرْتُ الشيء والحَبُّ بَذْراً، بمعنى نثرت ويقال للنسل: البِذْرُ، يقال: هؤلاء بذر سوء.

والبِذْرُ: اسم جامع لما يذرت من الحب.

والبَذِيرُ من لا يستطيع أن يمسك سر نفسه.

ورجل بَذِيرٌ وبذور: مذياع، وقوم بَذْرٌ: مذاييع، والفعل والمصدر في القياس: بَذَرَ بَذَارَةَ وفي الحديث: «**ليسوا بالمسابيح البذر**» ويقال: بذر بذراً.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

والتبذير: إفساد المال وإنفاقه في غير ما ينبغي مما لا ينفع ولا حاجة، قال الله جل وعز: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: 26].

وقيل: التَّبذير: إنفاق المال في المعاصي، وقيل: هو أن يبسط يده في إنفاقه حتى لا يبقى منه ما يقتاته، واعتباره بقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29].

قال الزمخشري[1]: بَذُرَ الحب في الأرض، وبَذَرَ الله الخلق في الأرض: فرقهم، وتَبَذَّر من يدي كذا: تفرق.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: 26].

قال الزمخشري[2]: التبذير: تفريق المال فيما لا ينبغي، وإنفاقه على وجه الإسراف.

قال أبو السعود[3]: ضن عن طريق المال إلى من سواهم ممن لا يستحقه. فإن التبذير: تفريق حبات وإلقائها كيفما كان، من غير تعهد لمواقعة، لا عن الإكثار في صرفه إليهم، وإلا لناسبه الإسراف: الذي هو تجاوز الحد في صرفه، وقد نهى الله عنه في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: 29]...

والتبذير في اللغة إفساد المال وإنفاقه في السرف. قال عثمان بن الأسود:

(1) أساس البلاغة.
(2) الكشاف.
(3) إرشاد العقل السليم.

كنت أطوف في المساجد مع مجاهد حول الكعبة فرفع رأسه إلى أبي قبيس وقال: لو أن رجلاً أنفق مثل هذا في طاعة الله لم يكن من المسرفين، ولو أنفق درهماً واحداً في معصية الله كان من المسرفين. وأنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقيل له: لا خير في السرف فقال: لا سرف في الخير، وعن عبد الله بن عمر قال: مر رسول الله ﷺ بسعد وهو يتوضأ فقال: «**ما هذا السرف يا سعد؟**» فقال: أو في الوضوء سرف؟ قال: «**نعم: وإن كنت على نهر جارٍ**» ثم نبه تعالى على قبح التبذير بإضافته إياه إلى أفعال الشياطين.. عن أبي العبُيدين، ضرير البصر، أنه سأل عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ قال: **إنفاق المال في غير حقه..**

وقال عبد الكريم الخطيب[1]: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ فإن النهي عن التبذير هنا يشير إلى أن الدعوة إلى الإنفاق قد وجدت، أو من شأنها أن تجد قلوباً رحيمة، وأيادٍ سخية تنفق حتى تجاوز حد الاعتدال أي الإسراف والتبذير، فجاء قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ ليمسك المسرفين في البذل والعطاء على طريق الاعتدال.

وهذا الإغراء إنما هو لما يغلب على النفوس من شح وبخل.

النهي عن التبذير حقيقة، وذلك أن بعضاً من الناس قد يشتد بهم الحرص على مرضاة الله، والمبالغة في تنفيذ أمره، فيجاوزون حد الاعتدال، ويجورون على أنفسهم، سواء في العبادة أم في غير العبادة، من القربات والطاعات، فإلى هؤلاء يكون النهي عن التبذير، طلباً موجهاً إليهم حتى يلتزموا الطريق الوسط، كما يقول سبحانه في مدح المنفقين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67] ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: 27].

(1) التفسير القرآني.

● **قال الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسرَاء: 27].

قال الفخر الرازي[1]: فإنه يعني: إنّ المفرّقين أموالهم في معاصي الله المنفقيها في غير طاعته أولياء الشياطين وكذلك تقول العرب لكلّ ملازم سنة قوم وتابع أثرهم: هو أخوهم.

والمراد من هذه الأخوة التشبه بهم في هذا الفعل القبيح، وذلك لأن العرب يسمون الملازم للشيء أخاً له، فيقولون: فلان أخو الكرم والجود، وأخو السفر إذا كان مواظباً على هذه الأعمال، وقيل قوله: ﴿إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسرَاء: 27] أي قرناءهم في الدنيا والآخرة.

(1) التفسير الكبير.

بَـرَّ

(البر - الخير - الإحسان - الفضل - المنة)

■ **البِرُّ:** التوسع في فعل الخير قصداً. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: 28].

■ **الخَيْرُ:** ما تفعله للغير وإن كان سهواً أو خطأ ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: 197].

■ **الإحْسَانُ:** التوسع في إكرام من لايستحق ذلك منك. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: 90].

■ **الفَضْلُ:** التوسع في عطية غير لازمة لمعطيها. ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النور: 22].

■ **المِنَّةُ:** عطية لا يقدر عليها غير هذا المعطي ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: 11].

* * *

شرح المعاني:

1 - البِـرُّ: قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 92].

وأخوات البر في القرآن الكريم: الإحسان والتفضل.

والبِرُّ هو العمل الواجب الشاق جداً فكل عمل سواء كان عبادة أو جهاداً أو إكراماً أو إنفاقاً يكون براً إذا كان واجباً لا هوادة فيه وكان شاقاً جداً وهو دليل

الصدق لا يعرف صدقك عند الله إلا بالفتنة والابتلاء قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: 1-3].

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾ [آل عمران: 179].

هذا بالعمل الشاق إذا أديته فقد نلت البر.

قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾، فأنت عندك عدة أموال ولكن أحبها إليك المال الفلاني فتنفقه في سبيل الله إنفاقاً واجباً وهذا هو البر.

2 - **الإحسان**: هو السلوك الأخلاقي مثل كظم الغيظ على من أغاظك وأنت قادر على إنفاذ غيظك وإنما تكظمه لوجه الله ندباً وليس فرضاً ولمشقته الزائدة فإن هذا من الإحسان قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عِمران: 134].

قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشّورى: 40].

ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝٣٥﴾ [فصلت: 34-35].

3 - **الإنعام**: هو ابتداء النعمة على الآخر قبل أن يسألها منك، والنعمة لا تكون إلا من الأعلى إلى الأدنى، فتكون من أمير إلى رعيته فينعم عليها إنعاماً ابتدائياً لا يسأل فيه، أما إذ سألتها فليست نعمة.

4 - **أما التفضل**: فهو تمييز أحد الناس بميزة لكي يتميز عن غيره، فأنت تخص واحداً من الناس بميزة معينة إذا كنت ذا شأن فأكرمت واحداً من الناس إكراماً لكي يتميز عن بقية أقرانه فهذا هو التفضل.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70].

وقال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النِّساء: 34].

5 - **أما المنة**: النعمة التي لا يستطيع أحد أن يفعلها إلا صاحب تلك المنة، كأن تهب واحداً حياته، أو أن تنقذه من الغرق أو أن تعفو عنه وقد حكم عليه بالإعدام وهذا في الدنيا لا يفعلها إلا الملوك أصحاب النفوذ الواسع، ورب العالمين هو أولى بها ولا تليق إلا بالله تعالى ولقد مَنَّ الله على سيدنا موسى قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ [طه: 37].

ولقد منّ علينا بسيدنا محمد ﷺ قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: 164].

وهذه منّة عظيمة لا أحد يفعلها إلا الله سبحانه وتعالى.

ولقد عرفنا الفرق الدقيق بين هذه الكلمات التي تبدو في الظاهر كأنها واحدة، فنقول بررت بأبيك، وتفضل إليك أخوك، وأنعم عليك الملك، وتفضل عليك رئيسك ومنَّ الله عليك.

وهي كلها عطاء ولكن لكل كلمة جرساً وهمساً ونفساً ولفتة ودقة تختلف عن الكلمة الأخرى قطعاً، نعود الآن لكي نشرح الكلمات كلمة كلمة، ونبين كيف استعملها القرآن الكريم وكيف وظفها ذلك التوظيف الهائل، فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 113] ولم يقل إنعامه عليك فالله منّ على الناس منًّا وتفضل على محمد تفضلاً لأن محمداً متميز وهو أفضل الناس.

نبدأ بكلمة **البِرُّ**: البِرُّ هو العمل الصالح الشاق بكل أنواعه ما دام واجباً، وإذا

صار البِرَّ منك سجية ودأباً وعادة فأنت بَرٌّ - بفتح الباء - قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطُّور: 28].

فالبَرُّ هو كثير البِرُّ بالآخرين وما من أحد أكثر بَرًّا بعباده من الله.

فسيدنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من معجزاته أنه كان بَرًّا مطلقاً بأمه ولم يسيء إليها يوماً. حينئذٍ البَرُّ مأخوذ من البَرِّ ضد البحر، والبَرُّ واسع ولو أن واقع الحال أن المياه أكثر من اليابسة ولكن كما نعرف أن المحيطات والبحار مساحتها أكبر من اليابسة ما قيمة ذلك إذا كانت حركتك في البحر محدودة أن لا تتحرك داخلها إلا في الفلك، فحركتك في البحار على سعة البحار هي حركة محدودة أما في البَرِّ فأنت تركض قال تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [صَ: 42].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [النساء: 97]. فمن وسعة البَرِّ استخدم الله سبحانه وتعالى هذه الكلمات على كل الأعمال التي ينبغي أن يكون أداؤها واسعاً. ولاحظ دقة الآيات الكريمة أن الأعمال متنوعة منها أعمال فروض ومنها أعمال أركان وواجبات ومنها سنن وهناك أولويات، رب العالمين سبحانه يحدثنا عن الأمم التي لا تأبه بصغائر الأعمال تؤديها كيفما اتفق لا تقف عندها طويلاً لأنها مشغولة بأداء المهام العظمى، فإذا رأيت الأمة تنشغل بصغائر الأمور فاعلم أن هذا دليل على عجزها.

قال الشاعر:

وتعظم في عين الصغير صغارها   وتصغر في عين العظيم العظائم

العظيم يرى في مهام الأمور أنها سهلة ويقوم بها ولكن الصغير ينشغل بالتفاهات والصغائر.

لاحظ في القرآن لمّا حَوَّل الله القبلة - والله له المشارق والمغارب - كيف ضَجَّ الناس من يهود ونصارى ومشركين قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: 142]. فجعلوا منها مشكلة كبيرة وكأن الدنيا قامت وهذا دليل التفاهة قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: 177].

فنلاحظ في هذه الآية أنها جمعت العمل الصالح الشاق من ألفه إلى يائه، ابتداءً بالإيمان بالله وانتهاءً باليوم الآخر وما بينهما من إيمان بالرسل والغيب. قال تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾. هذه كلمة عظيمة؛ واحد عنده مال هو أغلى من عينيه والمال أغلى من النفس فالغني يبذل نفسه في سبيل ماله ولا يبذل ماله في سبيل نفسه وكم من إنسان قتل في سبيل ماله قال ﷺ: «**من قتل دون ماله فهو شهيد**» [سنن النسائي: 1898].

وهنا ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: يحب المال حبًّا عظيماً ومع ذلك يعطيه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، ثم أقام الصلاة وآتى الزكاة، فقد يقول قائل: هل تسقط الزكاة نقول: لا... الزكاة هي الحد الأدنى المفروض عليك في الحالات. وإعطاء المساكين وابن السبيل واليتامى وذي القربى هذه فرض كفاية أما إيتاء الزكاة فهي فرض عين.

وهذه كلها تصب في هذه الخانة وقلنا أن البرَّ هو من الأعمال الشاقة، فأنت أصبت بأمراض جسدية لها ألم هائل فقلت: الحمد لله، أو أصبت بخسائر اقتصادية كبيرة أو فقر أو جوع، أو قال: الحمد لله حين البأس في الحرب وهو صابر قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ [البَقَرَة: 177].

قال ﷺ: «**عليكم بالصِّدق فإن الصِّدق يهدي إلى البِرِّ وإن البِرَّ يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صِدِّيقاً وإياكم والكذب فإن**

الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذَّاباً» [سنن الترمذي: 2038 وقال حديث حسن صحيح].

ولقد انشغل الصحابة بالأمور العظام قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ **[الحشر: 9]**.

الإحسان: هو السلوك الاجتماعي المندوب الشاق الذي يكون غير ملزم إنما مندوب إليه أخلاقياً، «وأقرب الناس إلى رسول الله ﷺ يوم القيامة أحاسنهم أخلاقاً».

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ **[التوبة: 100]**. فالمندوب أفضل من الفرض من حيث الأجر، فالذي يرفع الدرجات هو المندوب وليس الفرض والفرض ينقذك من النار فالصوم في رمضان ينقذك من النار أما أن تحسن الصوم فهذا يرفع الدرجات، والصلاة هكذا فالركوع وقراءة الفاتحة والسجود تنقذك من النار لكن خشوعها واطمئنانها ترفع درجاتك، فالنوافل إذاً أرجى من الفروض ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ **[النّحل: 90]**.

والإحسان أفضل من العدل مع أن العدل واجب، فالإحسان هو زيادة على العدل، فأنت تعفو عمن ظلمك هذا ليس عدلاً بل هو إحسان فالعدل أن تأخذ حقك منه لكن الأجر ورفع الدرجات بالعفو عنه، لذلك قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ **[العَنكبوت: 69]**.

ثم تعفو وأنت قادر على أخذ حقك، لا يمكن أن تفعل ذلك إلا لله، فالإحسان أن تعفو عمن ظلمك وأن تعطي من حرمك وأن تصل من قطعك.

الناس تأبى هذا وهي مجبولة على الانتقام وحب التعالي، فأن تتواضع وتعفو لوجه الله تعالى فالله معك: قال تعالى: (من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيماناً) [كنز العمال: 5822] فالإحسان يقابل البِرّ في السلوك ولكنه مندوب وليس فرضاً. لذلك قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، أما الحج المبرور لمشقته فمن الصعب جداً أن تؤديه كما أراد الله، ففي كل عام لو قمنا بإحصاء كم من الناس أدى مناسك الحج كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: 197] تجدهم قلة.

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «إني جبان وإني ضعيف! فقال: **هلم إلى جهاد لا شوكة فيه: الحج**» [مجمع الزوائد: 5257]. ولهذا كم من الحجاج يكون حجه مبروراً...

وسيدنا يوسف لما دخل السجن ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 36] فقد كان يداوي المريض ويعطي المحتاج وقد أوقف نفسه لتخفيف ويلات المسجونين المادية والمعنوية وهو ليس ملزماً بهذا وبمشقة هذا العمل.

الله سبحانه وتعالى أمرنا بالإحسان للوالدين قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: 83]. ولم يقل الله بالوالدين براً، فعلينا أن نفهم القرآن، قال تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وفي آية أخرى قال (حُسنا) أي: حسناً وإحساناً، أي: حسناً بالقول وإحساناً بالفعل فلذلك بكل السلوكيات الأخلاقية عليك أن تتعامل مع أمك وأبيك وليس فقط بالبر قال ﷺ: عن جابر بن عبد الله أن رجلاً قال: يا رسول الله ! إن لي مالاً وولداً. وإن أبي يريد أن يجتاح مالي. فقال: «**أنت ومالك لأبيك**») [سنن ابن ماجه: 2291].

وهذا إحسان وليس بِرًّا والبِرُّ لا يقتضي ذلك، وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان تحتي امرأة وكنت أحبها، وكان عمر يكرهها، فقال لي: طلقها، فأبيت، فأتى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «**طلقها**» قال الترمذي حديث حسن صحيح. [البخاري: 5973].

قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: **23**] هذا إحسان، عن عبد الله بن عمرو قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال: ألك والدان؟ قال: نعم، قال: **ففيهما فجاهد**» [سنن الترمذي: 1722] حسن صحيح.

وجاء رجلٌ النبي ﷺ وقال: يا رسول الله! ما حق الوالدين على ولدهما؟ قال: «**هما جنتك ونارك. .**» [سنن ابن ماجه: 3662].

وإذا غضب عليك أحد أبويك لا يقبل منك عمل، ولهذا فإن هذه الأمة المباركة التي كرمها الله سبحانه وتعالى بالإسلام وشاعت فيها الأسرة الرائعة بحيث ما من أمة في الدنيا لها من الأسرية المترابطة مثل هذه الأمة. هذه أمة مترابطة عرضها مصون وشرفها كامل وترابطها الأسري مشهود.

قال ﷺ: «**بروا آباءكم تبركم أبناؤكم**» [الجامع الصغير للسيوطي: 3138]. ولذلك قال الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿أَحْسَنُوٓاْ﴾ ولم يقل: برّوا فإنه مطلوب في كل شيء حتى في القتل قال ﷺ: «**وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة**».

وعن رب العالمين ربط زيادة الرزق وزيادة العمر بالبر بالوالدين والأرحام. قال ﷺ: «**من أحب أن يوسع له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه**» [متفق عليه]. لهذا يأبى كرم الله ويأبى حياء الله سبحانه وتعالى أن يعذب عبداً وأبوه وأمه راضيان عنه وتأبى غيرة الله أن ينعم صالحاً أو صحابياً أو ولياً وأمه أو أبوه غضبان عليه.

الإنعام: قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: **34**].

أي: أنكم قد تقصرون في شكر نعمي ولكن بما أنتم من أهل القبلة فأغفر لكم بعض التقصير، ولهذا من قال عندما يصبح أو يمسي: «اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر حتى ترضى» فقد أدى شكر يومه.

التفضل: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: 55]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70].

قطعاً ما من مخلوق إلا وقد فضل عليه ابن آدم ولهذا جعله الله المخلوق الوحيد المختار وسخر كل ما في هذا الكون له من أجل هذا، فإن صالحي البشر أفضل من صالحي الملائكة لأنهم ليسوا مجبرين.

المنَّة: هي النعمة التي لا يستطيعها غير المنان، والمنة هي النعمة التي لا يسأل المنعم عن ثوابها، قال تعالى: ﴿قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحُجرَات: 17].

الرحمة: هي إعطاء النعمة لمن لا يستحقها وأن يرفع العقوبة عمن يستحقها.

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والراء في المضاعف أربعة أصول: الصدق، وحكايةُ صَوتٍ، وخلاف البَحْرِ، ونبتٌ. فأمّا الصِّدق فقولهم: صدَق فلانٌ وبَرَّ، وبَرَّتْ يمينُه صدَقت، وأَبَرَّها أمضاها على الصِّدق. وتقول: بَرَّ الله حَجَّك وأَبَرَّهُ، وحِجَّةٌ مَبْرُورة، أي: قُبِلَتْ قَبولَ العملِ الصَّادق.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: البَرُّ: خلاف البحر، ونقيض الكن، تقول: خرجت براً وجلست براً على النكرة، تستعمله العرب.

والبِرُّ: البارّ بذوي قرابته، وقوم بَرَرَة وأبْرارٌ.

والمصدر والاسم: البِرُّ، مستويان.

وبُرَّتْ يمينه، أي: صدقت، وأبَرّها الله، أي: أمضاها على الصدق، وأبرَرْت يميني إبراراً. وبَرَّ الله حجك فهو مَبْرُورٌ.

ابن عيينة: قال رسول الله ﷺ: «**الحج المبرور ليس له جزاءً إلا الجنة**».. تفسير (المبرور) طيب الكلام، وإطعام الطعام..

والبِرُّ: فعل كل خير من أي ضرب كان..

وقيل: في تفسير قوله ﷺ: «**عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البر**».

اختلف العلماء في تفسير (البر)، فقال بعضهم: البر: الصلاح، وقال بعضهم: البر: الخير[2].

ولا أعلم تفسيراً أجمع منه، لأنه يحيط بجميع ما قالوا.

الحج المبرور: الذي لا يخالطه شيء من المآثم.

والبيع المبرور: الذي لا شبهة فيه، ولا كذب، ولا خيانة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ [المُمتَحنَة: 8].

(1) العين.
(2) معجم فقه لغة القرآن.

وجمع البَارُّ: أبرارٌ وبَرَرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطفّفين: 18] وقال في صفة الملائكة ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عَبَس: 16].

خص بها الملائكة في القرآن الكريم، من حيث أنه أبلغ من الأبرار، فإنه جمع بَرٌّ، وأبرار جمع بَارٌّ، وبَرٌّ أبلغ من بَارٌّ، كما أن عدلاً أبلغ من عادل.

وبَرَّت بي السلعة: إذا نفقت وربحت فيها[1].

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: 224].

ابن عباس: أن لا تَبَرُّوا[2]. هو أن يحلف الرجل أن لا يكلم قرابته ولا يتصدق، أو يكون بينه وبين إنسان مغاضبة، فيحلف لا يصلح بينهما، ويقول: قد حلفت، يكفر عن يمينه.

قال الطبري[3]: اختلف في تأويل (البِرّ) الذي عناه الله تعالى ذكره. وأولى ذلك بالصواب قول من قال: عنى به فعل الخير كله، وذلك أن أفعال الخير كلها من البِرّ، ولم يخصص الله في قوله: ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ معنى دون معنى من معاني البِرّ/ فهو على عمومه، والبر بذوي القرابة أحد معاني البِرّ.

ومعنى الآية الكريمة أنهم كانوا يعتلون في البر بأنهم حلفوا، فأعلم الله أن الإثم إنما هو في الإقامة على ترك البر والتقوى، وأن اليمين إذا كفرت فالذنب فيها مغفور.

قال الماوردي[4]: وفي قوله تعالى: ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ قولان:

أحدهما: أن تبروا في أيمانكم، والثاني: أن تبروا في أرحامكم.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطُّور: 28].

---

(1) أساس البلاغة.
(2) تنوير المقباس.
(3) جامع البيان.
(4) النكت والعيون.

قال الخازن[1]: قيل (البَرّ) العطوف على عباده، المحسن إليهم الذي عَمّ بِرُّه جميع خلقه.

قال أبو حيان[2]: أنه هو البَرُّ المحسن الرحيم الكثير الرحمة، إذا عُبد أثاب، وإذا سُئل أجاب، أو ندعوه من الدعاء.

قال الشربيني[3]: أي: الواسع الجود، الذي عطاؤه حكمة ومنعه رحمة، لأنه لا ينقصه إعطاء ولا يزيده منع، فهو يَبَرُّ عبده المؤمن بما يوافق نفسه، فربما برّه بالنعمة.

وقد قال في حكم ابن عطاء: متى أعطاك أدهشك بره وإحسانه وفضله، ومتى منعك أدهشك قهره وجلاله وعظمته - فهو في كل ذلك متعرف إليك تارة بجماله وأخرى بجلاله، ومقبل بوجود لطفه عليك إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه، إذ لو فهمت عنه كنت تشكره على ما واجهك منه.

● **قال تعالى**: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: 14].

قال ابن عباس: لطيفاً بوالديه...

قال الطبري[4]: يقول تعالى ذكره: وكان بَرًّا بوالديه: مسارعاً في طاعتهما ومحبتهما، غير عاقًّا بهما.

قال الفخر الرازي[5]: قوله: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ وذلك لأنه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى مثل تعظيم الوالدين ولهذا السبب قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء: 23]...

● **قال تعالى**: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: 32].

قال الطبري[6]: يقول تعالى ذكره، مخبراً عن قول عيسى للقوم: وجعلني

---

(1) لباب التأويل.
(2) البحر المحيط.
(3) السراج المنير.
(4) جامع البيان.
(5) التفسير الكبير.
(6) جامع البيان.

مباركاً وبَرًّا، أي: جعلني بَرًّا بوالدتي. والبَرّ هو البَارُّ، يقال: هو بَرّ بوالده، وبارٌّ به، وبفتح الباء قرأت هذا الحرف قرّاء الأمصار.

قال الزجاج[1]: (بَرًّا) عطف على (مباركاً) المعنى: وجعلني مباركاً وبراً بوالدتي.

يحتمل وجهين:

أحدهما: بما برأها به من الفاحشة.

الثاني: بما تكفل لها من الخدمة.

● **قال تعالى**: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: **193**].

قال الطبري[2]: يعني بذلك واقبضنا إليك إذا قبضتنا إليك في عداد الأبرار، واحشرنا معهم. والأبرار: جمع بر، وهم الذين بَرُّوا الله تبارك وتعالى بطاعتهم إياه، وخدمتهم له، حتى أرضوه، فرضي عنهم...

قال الزمخشري[3]: مخصوصين بصحبتهم، معدودين في جملتهم. والأبرار: جمع بَرٍّ أو بارٍّ، كرب وأرباب، وصاحب وأصحاب.

● **قال تعالى**: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عِمرَان: **198**].

قال ابن عباس: للموحدين مما أعطى الكفار في الدنيا.

قال الطبري[4]: وهم أهل طاعته.

---

(1) معاني القرآن.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.
(4) جامع البيان.

قال أبو حيان[1]: و(الأبرار): هم المتقون الذين أخبر عنهم بأن (لهم جنات).

● **قال تعالى**: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عَبَسَ: 16].

قال الماوردي[2]: **أحدها**: مطيعين.

الثاني: صادقين واصلين.

الثالث: متقين مطهرين.

ويحتمل قولاً رابعاً: إن البررة: من تعدى خيرهم إلى غيرهم، والخيرة: من كان خيرهم مقصوراً عليهم...

وقال الراغب[3]: خص (البررة) بهم من حيث أنه أبلغ من أبرار، فإنه جمع بَرٌّ، وأبرار، وبَرٌّ أبلغ من بَاٌّر، كما أن عدلاً أبلغ من عادل، وكأنه عنى أن الوصف ببر أبلغ لكونه من قبيل الوصف بالمصدر - من الوصف ببار.

وقيل: إن الأبرار أبلغ من البَرَرة، إذ هو جمع بَارٌّ، والبررة جمع بر، وبار أبلغ منه لزيادة بنيته، ولما كانت صفات الكمال في بني آدم تكون كاملة وناقصة وصفوا بالأبرار إشارة إلى مدحهم بأكمل الأوصاف.

إن المراد أنهم كانوا يأمرون اتباعهم بالتمسك بالتوراة وتركوا هم التمسك به، لأن جحدهم النبي ﷺ وصفته فيه، ترك للتمسك به.

● **قال تعالى**: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البَقَرَة: 44].

قال قتادة: كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وتقواه وبالبرّ، ويخالفون، فعيّرهم الله.

---

(1) البحر المحيط.
(2) النكت والعيون.
(3) مفردات الراغب.

قال ابن زيد: هؤلاء اليهود كانو إذا جاء الرجل يسألهم ما ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء، أمروه بالحق، فقال الله لهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البَقَرَة: 44].

قال القشيري[1]: أتحرضون الناس على البرار وترضون بالتخلف؟

ويقال: أتدعون الخلق إلينا وتقعدون عنا؟

أتسرحون الوفود، وتقصرون في الورود؟

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم**».

وقال النبي ﷺ: «**يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار، فيقولون لهم: ما أدخلكم النار، وإنما أدخلنا في الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم؟**».

قاموا: «**وقالوا إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله**».

● **قال تعالى**: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: 177].

قال ابن عباس ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾: كل البرِّ، ويقال ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾: ليس الإيمان.. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾: الإيمان هو اقرار ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾..

يعني الصلاة، يقول: ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا، فهذا منذ تحول من مكة إلى المدينة، ونزلت الفرائض وحد الحدود، فأمر الله بالفرائض والعمل بها.

● **قال تعالى**: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المَائدة: 2].

---

(1) لطائف الإشارات.

قال الزمخشري[1]: على العفو والإغضاء.

قال القرطبي[2]: والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه، فواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم، ويعينهم الغني بماله، والشجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة: «**المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم**». ويجب الإعراض عن المعتدي وترك النصرة له، ورده عما هو عليه.

قال البيضاوي[3]: على العفو والإغضاء، ومتابعة الأمر، ومجانبة الهوى..

● **قال تعالى**: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: 59].

قال الماوردي[4]: فيه وجهان:

أحدهما: أن (ما في البَرِّ) ما على الأرض، وما في (البحر) ما على الماء، وهو الظاهر، وبه قال الجمهور.

والثاني: أن (البَرّ) القفر، (والبحر) القرى، لوجود الماء فيها، فلذلك سميت بحراً.

قال القرطبي[5]: خصها بالذكر، لأنهما أعظم المخلوقات المجاورة للبشر: أي يعلم ما يهلك في البحر والبحر.

ويقال: يعلم ما في البر من النبات والحب والنوى، وما في البحر من الدواب، ورزق ما فيها...

---

(1) الكشاف.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) أنوار التنزيل.
(4) النكت والعيون.
(5) الجامع لأحكام القرآن.

برج

(برج - قصر - بيت - دار - حصن)

■ **البُرُج:** البناء الصخري العالي لحراسة بيوت الملوك والمراقبة العالية ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النّساء: 78].

■ **القَصْرُ:** المسكن المشيد بأسباب البقاء للأولاد والأحفاد. ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحَجّ: 45].

■ **البَيْتُ:** مأوى الإنسان يبيت فيه في الليل فيقال: بات. ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ [النّمل: 52].

■ **الدَّارُ:** البيت الذي تطول فيه مدة سكن صاحبه به حتى يدور عليه جيل فيعرف بأهله ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: 145].

■ **الحِصْنُ:** غرف على امتداد السور للمراقبة ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم﴾ [الحَشر: 2].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الباء والراء والجيم أصلان: أحدهما البُروز والظُّهور، والآخر الوَزَرُ والملجأ.

قال الخليل(2): البُرْجُ: واحد من بروج الفلك، وهو اثنا عشر برجاً.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.

وبُرْجُ سور المدينة، والحصن: بيوت تبنى على السور، وتسمى البيوت تبنى على أركان القصر بروجاً.

وثوب مُبَرَّجٌ: صورت فيه تصاوير كبُرُوج السور.

البُرْجُ في السماء: منزلة القمر، وقيل: الكوكب العظيم، وقيل: باب السماء، الجمع بُرُوج، وأبْرَاجٌ.

قال الراغب[1]: البُرُوج: القصور، الواحد: بُرْجٌ، وبه سمي بُرُوج النجوم، لمنازلها المختصة بها، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البُرُوج: 1] وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفُرقان: 61]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النِّساء: 78].

يصح أن يراد بها بُروجٌ في الأرض، وأن يراد بها بروج النجم ويكون استعمال لفظ (المشيدة) فيها على سبيل الاستعارة.

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزَاب: 33].

المعنى المشترك لكلمة (ب ر ج)

وقد وردت كلمة (برج) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: البرج: يعني النجم ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البُرُوج: 1].

الوجه الثاني: البروج: يعني القصور العالية ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النِّساء: 78].

الوجه الثالث: التبرج: يعني التوسع ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزَاب: 33]. . أي: لا تتوسعن في المشي.

---

(1) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البُرُوج: 1].

قال رسول الله ﷺ: في حديث عن جابر سئل عن ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾؟ فقال: «**الكواكب**». وسئل عن ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفُرقان: 61]؟ فقال: «**الكواكب**».

قيل: فـ ﴿بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النِّساء: 78]، فقال قصور[1]..

قال الفخر الرازي[2]: اعلم أن في البروج ثلاثة أقوال: أحدها: أنها هي البروج الاثنا عشر وهي مشهورة وإنما حسن القسم بها لما فيها من عجيب الحكمة، وذلك لأن سير الشمس فيها ولا شك أن مصالح العالم السفلي مرتبطة بسير الشمس فيدل ذلك على أن لها صانعاً حكيماً، قال الجبائي: وهذه اليمين واقعة على السماء الدنيا لأن البروج فيها، واعلم أن هذا خطأ وتحقيقه ذكرناه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصَّافات: 6].

وثانيها: أن البروج هي منازل القمر، وإنما حسن القسم بها لما في سير القمر وحركته من الآثار العجيبة وثالثها: أن البروج هي عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: معنى ذلك: والسماء ذات منازل الشمس والقمر، وذلك أن البروج: جمع برج، وهي منازل تتخذ عالية عن الأرض مرتفعة، ومن ذلك قول الله: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النِّساء: 78]، وهي منازل مرتفعة عالية في السماء، وهي اثنا عشر برجاً، فمسير القمر في كلّ برج منها يومان وثلث، فذلك ثمانية وعشرون منزلاً، ثم يستسرّ ليلتين، ومسير الشمس في كلّ برج منها شهر.

---

(1) الدر المنثور. (2) التفسير الكبير.

● **قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾** [النِّساء: 78].

قال الطبري[1]: يصح أن يراد بها بروج في الأرض، وأن يراد بها بروج النجم، ويكون استعمال لفظ المشيدة فيها على سبيل الاستعارة، وتكون الإشارة بالمعنى إلى نحو ما قال زهير:

ومن هاب أسباب المنايا ينلْنهُ ولو نال أسباب السماء بسُلم

وأن يكون البروج في الأرض، وتكون الإشارة إلى ما قال الآخر:

ولو كنت في غمدان يحرس بابه أراجيل أحبوش وأسود آلف
إذا لأتتني حيث كنت منيتي يخب بها هاد لإثري قائف

﴿فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ قاله ابن عباس في رواية أبي صالح عنه. وواحد البروج: بُرْج.

قال أبو السعود[2]: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ في حصون رفيعةٍ أو قصور مُحصَّنة، وقال السدي وقتادة: بروجُ السماء، يقال: شادَ البناء وشيّده رفعه، وقرىء مُشيِّدةٍ بكسر الياءِ وصفاً لها بفعل فاعلها مجازاً، ومَشِيدةٍ من شاد القصرَ إذا رفعه أو طلاه بالشِّيدِ وهو الجِصُّ، وجوابُ لو محذوفٌ اعتماداً على دِلالة ما قبله عليه أي لو كنتم في بروج مشيدةٍ يدرككم الموتُ، والجملةُ معطوفةٌ على أخرى مثلِها، أي لو لم تكونوا في بروج مشيدةٍ ولو كنتم إلخ، وقد اطَّرد حذفُها لدِلالة المذكورِ عليها دِلالةً واضحةً، فإن الشيءَ إذا تحقق عند وجودِ المانعِ فلأَنْ يتحقَّقَ عند عدمِه أولى، وعلى هذه النكتةِ يدورُ ما في لو الوصليةِ من التأكيد والمبالغةِ، وهو البناء المرتفع والقصر العظيم.

● **قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾** [الحِجر: 16].

---

(1) جامع البيان.
(2) إرشاد العقل السليم.

قال ابن كثير[1]: يذكر تعالى خلقه السماء في ارتفاعها، وما زينها به من الكواكب الثوابت والسيارات، لمن تأمل وكرر النظر فيما يرى من العجائب والآيات الباهرات، ما يحار نظره فيه، وبهذا قال مجاهد وقتادة: البروج هٰهنا هي الكواكب. (قلت): وهذا كقوله تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: 61] ومنهم من قال: البروج هي منازل الشمس والقمر. وقيل: البروج هٰهنا هي قصور الحرس. وجعل الشهب حرساً لها من مردة الشياطين؛ لئلا يسمعوا إلى الملأ الأعلى، فمن تمرد وتقدم منهم لاستراق السمع، جاءه شهاب مبين فأتلفه، فربما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى الذي هو دونه، فيأخذها الآخر، ويأتي بها إلى وليه، كما جاء مصرحاً به في الصحيح. كما قال البخاري في تفسير هذه الآية: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة، عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله؛ كأنه سلسلة على صفوان** - قال علي: وقال غيره: صفوان ينفذهم ذلك - فإذا فزع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: للذي قال الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا، واحد فوق آخر - ووصف سفيان بيده، وفرج بين أصابع يده اليمنى، نصبها بعضها فوق بعض - فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه، وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض - وربما قال سفيان: حتى تنتهي إلى الأرض - فتلقى على فم الساحر أو الكاهن، فيكذب معها مائة كذبة، فيصدق، فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا، فوجدناه حقاً؛ للكلمة التي سمعت من السماء» ثم ذكر تعالى خلقه الأرض ومده إياها وتوسيعها وبسطها، وما جعل فيها من الجبال الرواسي، والأودية والأراضي والرمال، وما أنبت فيها من الزروع والثمار المتناسبة.

---

(1) تفسير ابن كثير.

● **قال تعالى:** ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزَاب: 33].

قال الفخر الرازي[1]: قيل: معناه لا تتكسرن ولا تتغنجن، ويحتمل أن يكون المراد لا تظهرن زينتكن أن المرأة كانت تخرج فتمشي بين الرجال، فهو التبرج.

قال قتادة: أي إذا خرجتن من بيوتكن. كانت لهن مشية وتكسر وتغنج، يعني بذلك الجاهلية الأولى، فنهاهن الله عن ذلك.. وقيل: أن التبرج هو إظهار الزينة، وإبراز المرأة محاسنها للرجال..

قال مقاتل: التبرج: إنها كانت تلقي الخمار على رأسها ولا تشده، فيرى قرطها وقلائدها..

قال ابن الجوزي[2]: المرأة منهن كانت تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه، ثم تمشي وسط الطريق ليس عليها غيره، وذلك في زمن إبراهيم عليه السلام..

● **قال تعالى:** ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ﴾ [النور: 60].

قال أبو السعود[3]: أن يضعن الملحفة والرداء.

قال القرطبي[4]: هذا في بيوتهن، فإذا خرجت فلا يحل لها وضع الجلباب.

في (الصحيح) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات، مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وأن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**».

قال ابن العربي[5]: وإنما جعلهن كاسيات، لأن الثياب عليهن، وإنما

---

(1) التفسير الكبير.
(2) زاد المسير.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) الجامع لأحكام القرآن.
(5) أحكام القرآن.

وصفهن بأنهن عاريات، لأن الثوب إذا رق يصفهن، ويبدي محاسنهن، وذلك حرام. قلت: هذا أحد التأويلين للعلماء في هذا المعنى.

والثاني: أنهن كاسيات من الثياب، عاريات من لباس التقوى الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: 26].

وهذا التأويل أهم التأويلين، وهو اللائق بهن في هذه الأزمان، وخاصة الشابات فإنهن يتزين ويخرجن متبرجات، فهن كاسيات بالثياب، عاريات من التقوى حقيقة، ظاهراً وباطناً. حيث تبدي زينتها ولا تبالي بمن ينظر إليها، بل ذلك مقصود هنا، وذلك مشاهد في الوجود منهن. فلو كان عندهن شيء من التقوى لما فعلن ذلك، ولم يعلم أحد ما هنالك.

● **قال تعالى:** ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: 33].

يلاحظ أولاً أنه لم يرد من هذه المادة أفعال، سوى فعل واحد ثلاثي مزيد فيه، وهو (تبرجن)، مسبوق بـ (لا) الناهية، وهو خطاب للناس، نهاهن الله فيه عن السفور وإظهار محاسنهن لغير محارمهن، وعَدَّ سبحانه ذلك تقليداً من تقاليد الجاهلية الأولى، وقد أكد الفعل في الآية الأولى لمصدر نوعي هو (تبرج)، وورد مثل هذا التحذير في استعمال اسم من هذا الفعل من الآية الثانية.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ [النُّور: 31].

ومنهن أيضاً من ضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن، تأكيد لعدم إبداء الزينة.

والمطلوب في الآية إبطال إبداء الزينة، إلا ما استثنى في موردين:

احدهما: إبداء ما ظهر منها طبعاً. وثانيهما: إبداؤها لأشخاص معدودين. ويبدو أن إبداء الزينة جزء من التبرج وليس عينه[1].

(1) المعجم في فقه اللغة.

برح - لا أبرح

(لا أبرح - لا أزال - لا أفتأ)

- **لا أبرح:** لا أستريح في البراح حتى أفعل كذا، ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ [الكهف: 60].
- **لا أفتأ:** تكرار بين الحين والحين ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 85].
- **لا أزال:** تكرارالفعل بإصرار ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ [هود: 118].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الباء والراء والحاء أصلان يتفرّع عنهما فروعٌ كثيرة. فالأول: الزَّوال والبروزُ والانكِشاف.

والثاني: الشِّدَّة والعِظَم وما أشبههُما، أمّا الأول فقال الخليل: بَرَحَ يَبْرَحُ بَرَاحاً: إذا رَامَ مِن موضِعِه، وأبرحته أنا. قال العامريّ: يقول الرّجُل لراحلتهِ إذا كانت بطيئةً: لا تَبْرَحُ بَرَاحاً يُنْتَفَعُ به.

قال الجوهري(2): لَقيت منه بَرْحاً بارِحاً، أي: شِدَّةً وأَذىً.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.

ولقيت منه بناتِ بَرْحٍ، وبني بَرْحٍ، ولقيت منه البِرَحين وَالبُرَحينَ، بكسر الباء وضمها، أي: الشدائد والدواهي. ويقال: هذه بُرْحَةٌ من البُرَح بالضم، للناقة إذا كانت من خيار الإبل. والبارِحُ: الريح الحارة. قال أبو زيد: البوَارِحُ: الشَمالُ الحارَّةُ في الصيفِ. والبارحَةُ: أقرب لَيْلَةٍ مَضَتْ. تقول: لَقيته البارحةَ ولقيته البارحةَ الأولى، وهو من بَرِحَ أي: زال. وبُرَحاء الحُمَّى وغيرِها: شِدّة الأذى.

قال الراغب(1): البَرَاحُ: المكان المتسع الظاهر الذي لا بناء فيه ولا شجر، فيعتبر تارة ظهوره فيقال: فعل كذا بَرَاحاً، أي: صراحاً لا يستره شيء، وبَرَحَ الخفاء: ظهر، كأنه حصل في براح يُرَى. ومنه: بَرَاحُ الدار، وبَرِحَ: ذهب في البراح، ومنه: البَارِحُ: للريح الشديدة. والبَارِحَةُ: الليلة الماضية، وما بَرِحَ: ثبت في البَرَاحِ.

المعنى المشترك لكلمة (ب ر ح)

وقد وردت كلمة (برح) في القرآن الكريم على وجهين:

الوجه الأول: البراح: يعني الزوال ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: 60].

الوجه الثاني: البراح: يعني الانتقال ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ [يُوسُف: 80].

(1) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ [الكهف: 60].

قال الزجاج(1): قوله: (لا أَبْرَحُ) ليس معناه لا أزول، لأنه لو كان كذلك لم يقطع أرضاً، أقول يمكن أن يجاب عنه بأن الزوال عن الشيء عبارة عن تركه والإعراض عنه، يقال: زال فلان عن طريقته في الجود أي: تركها، فقوله: لا أبرح: بمعنى لا أزول عن السير والذهاب بمعنى: لا أترك هذا العمل وهذا الفعل - وأقول المشهور عند الجمهور أن قوله لا أبرح معناه: لا أزول، والعرب تقول: لا أبرح ولا أزال ولا أنفك ولا أفتأ بمعنى واحد. قال القفال: وقالوا: أصل قولهم لا أبرح من البَرَاحِ، كما أن أصل لا أزال من الزوال. يقال: زَالَ يُزَالُ ويَزُولُ كما يقال دَامَ يُدَامُ ويَدُومُ، ومَات يُمَاتَ ويَمُوتُ. إلا أن المستعمل في هذه اللفظة يزال فقوله: لا أبرح أي: أقيم لأن البراح هو العدم فقوله: (لا أبرح) يكون عدماً للعدم فيكون ثبوتاً، فقوله: لا أزال ولا أبرح يفيد الدوام والثبات على العمل فإن قيل: إذا كان قوله لا أبرح بمعنى: لا أزال فلا بد من الخبر، قلنا: حذف الخبر لأن الحال والكلام يدلان عليه، أما الحال فلأنها كانت حال سفر، وأما الكلام فلأن قوله: ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ [الكهف: 60] غاية مضروبة تستدعي شيئاً هي غاية له فيكون المعنى: لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، ويحتمل أن يكون المعنى: لا أبرح مما أنا عليه، يعني ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ، كما تقول: لا أبرح المكان.

قال الشعراوي(2): لا أبرح: أي لا أترك، والبعض يظن أن لا أبرح تعني: لا أترك مكاني الذي أنا فيه، لكنها تعني: لا أترك ما أنا بصدده، فإنْ كنتُ قاعداً لا أترك القعود، وإنْ كنتُ ماشياً لا أترك المشي، وقد قال موسى عليه السلام هذا

(1) معاني القرآن. (2) تفسير الشعراوي.

القول وهو يبتغي بين البحرين، ويسير متجهاً إليه، فيكون المعنى: لا أترك السير إلى هذا المكان حتى أبلغ مجمع البحرين.

وخص بالإثبات، كقولهم: لا أزال؛ لأن بَرِحَ وزَالَ اقتضيا معنى النفي لا للنفي، والنفيان يحصل من اجتماعهما إثبات، وعلى ذلك قوله عز وجل: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ﴾ [طه: 91] قال عَبَدة العجل من قوم موسى: لن نزال على العجل مقيمين نعبده حتى يرجع إلينا موسى.

● **قال تعالى:** ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ [يوسف: 80].

قال الطبري(1): وقوله: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ التي أنا بها، وهي مصر فأفارقها.

قال الألوسي(2): و(بَرِحَ) تامة وتستعمل إذا كانت كذلك بمعنى ذهب، وبمعنى: ظهر، كما في قولهم: برح الخفاء. وقد ضمنت هنا معنى فارق فنصبت (الأرض) على المفعولية.

ولا يجوز أن تكون ناقصة، لأن الأرض لا يصح أن تكون خبراً عن المتكلم هنا، وليست منصوبة على الظرفية، ولا بنزع الخافض. وعني بها أرض مصر، أي: فلن أفارق أرض مصر جرياً على، أي جرياً على قضية الميثاق.

قال القرطبي(3): ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: ألزمها، ولا أبرح مقيماً فيها؛ يقال: بَرِحَ بَرَاحاً وبُرُوحاً أي: زال، فإذا دخل النفي صار مثبتاً.

---

(1) جامع البيان.
(2) روح المعاني.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

برد

(برد - زمهرير)

■ **البَرْدُ:** بالسكون: ضد الحر ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبإ: 24].

■ **البَرَدُ:** بالفتح: قطع صغيرة مدورة من الثلج تنزل حين تشتد برودة الشتاء ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النُّور: 43].

■ **الزَّمْهَرِيرُ:** شدة البرد ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسَان: 13].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والراء والدال أصول أربعة: أحدها: خلاف الحَرّ، والآخَر: السُّكون والثبوت، والثالث: الملبوس، والرابع: الاضطراب والحركة.

فأما الأول فالبَرْدُ خلاف الحَرِّ، يقال: بَرَدَ فهو بَارِدٌ، وبرد الماء حرارة جوفي يبردها. ويقال للسيوف: البَوَارِدُ. قال قوم: هي القواتل، وقال آخرون مس الحديد بارد وأما الأصل الآخر فالبَرْدُ: النوم، قال الله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النّبإ: 24].

ويقال: بَرَدَ الشيء: إذا دام. وبَرَدَ لي على فلان من المال كذا، أي: ثبت، وبَرَدَ في يدي كذا، أي: حصل. ويقولون: بَرَدَ الرجل: إذا مات فيحتمل أن يكون من هذا، وأن يكون من الذي قبله.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

وأما الأصل الثالث: فالبَرْد، معروف.

والأصل الرابع: بريد العساكر، لأنه يجيء ويذهب البَرْد - بسكون الراء - : ضد الحر.

قال الجوهري[1]: والبُرْدَة: كساء أسود مربَّع فيه صورٌ، تلبسه الأعراب. والجمع بُرَدٌ. والثور الأَبْرَدُ: فيه لُمَعُ بياضٍ وسوادٍ. والبُرْديُّ بالضم: ضربٌ من أجود التمر. والبَريدُ المُرَتَّبُ. يقال: حُمِلَ فلان على البريد.

والبَريدُ أيضاً: اثنا عشر ميلاً. أي سيرها في البَريدُ. وصاحبُ البَريدِ قد أَبْرَدَ إلى الأمير، فهو مُبْرِدٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النُّور: 43].

قال الطبري[2]: قيل في ذلك قولان: أحدهما: أن معناه: وأن الله ينزل من السماء من جبال في السماء من بَرَد، مخلوقة هنالك خلقه. كأن الجبال على هذا القول، هي من بَرَد، كما يقال: جبال من طين. والقول الآخر: أن الله ينزل من السماء قَدْر جبال وأمثال جبال من بَرَد إلى الأرض، كما يقال: عندي بَيْتان تبناً.

والمعنى: قدر بيتين من التبن، والبيتان ليسا من التبن.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ قال الألوسي: وهو معروف، وسمي برداً لأنه يبرد وجه الأرض أي: يقشره، من بَرَدْتُ الشيء بالمِبْرَدِ مفعول (يُنَزِّلِ) على أن (من) تبعيضية، وقيل: زائدة على رأي الأخفش والأوليان لابتداء الغاية، والجار

(1) الصحاح في اللغة. (2) جامع البيان.

والمجرور الثاني بدل من الأول بدل اشتمال أو بعض أي: ينزل مبتدأ من السماء من جبال كائنة فيها بعض بَرَدٍ أو بَرَداً(1).

● **قال تعالى: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقِعَة: 44]**

قال الزمخشري(2): نفي لصفتي الظل عنه، يريد: أنه ظل، ولكن لا كسائر الظلال: سماه ظلاً، ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوي إليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه.

● **قال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النَّبَإِ: 24]** أي: نوماً.

قال الطبري(3): لا يَطْعَمون فيها بَرْداً يُبَرّد حرّ السعير عنهم، إلاَّ الغساق، ولا شراباً يَرْوِيهم من شدّة العطش الذي بهم، إلاَّ الحميم. وقد زعم بعض أهل العلم بكلام العرب أن البَرْدَ في هذا الموضع: النوم، وأن معنى الكلام: لا يذوقون فيها نوماً ولا شراباً:

يعني بالبَرْدِ: النُّعاس والنوم إن كان يُبرد غليلَ العَطَش، فقيل له من أجل ذلك البَرْد، فليس هو باسمه المعروف، وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب، دون غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ [النبأ: 24-25] فاستثنى من الشراب الحميم، ومن البَرْد: الغَسّاق...

وفي الحديث: «**إذا أَبصر أَحدكم امرأَة فليأْت زوجته فإِن ذلك بَرْدُ ما في نفسه**»؛ قال ابن الأَثير: هكذا جاء في كتاب مسلم، بالباء الموحدة، من البَرْد، فإِن صحت الرواية فمعناه أَن إِتيانه امرأَته يُبرِّد ما تحركت له نفسه من حر شهوة

---

(1) روح المعاني.
(2) الكشاف.
(3) جامع البيان.

الجماع أَي: تسكنه وتجعله بارداً، والمشهور في غيره يردّ، بالياء، من الرد أَي: يعكسه.

وذكر: ليس ذلك الظلّ ببارد، كبرد ظلال سائر الأشياء، ولكنه حارّ، لأنه دخان من سعير جهنم، وليس بكريم لأنهم مؤلم من استظلّ به، والعرب تتبع كلّ منفيّ عنه صفة حمد نفي الكرم عنه، فتقول: ما هذا الطعام بطيب ولا كريم، وما هذا اللحم بسمين ولا كريم وما هذه الدار بنظيفة ولا كريمة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا النضر، قال: ثنا جويبر، عن الضحاك، في قوله: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقِعَة: 44] قال: كلّ شراب ليس بعذب فليس بكريم. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ قال: لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر.

● **قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾** [الأنبياء: 69].

قال الفخر الرازي[1]: ففيه مسائل:

المسألة الأولى: قال أبو مسلم الأصفهاني في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا﴾ المعنى أنه سبحانه جعل النار برداً وسلاماً، لا أن هناك كلاماً كقوله: ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسٓ: 82] أي: يكونه، وقد احتج عليه بأن النار جماد فلا يجوز خطابه، والأكثرون على أنه وجد ذلك القول. ثم هؤلاء لهم قولان: أحدهما: وهو قول السدي: أن القائل هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ. والثاني: وهو قول الأكثرين أن القائل هو الله تعالى، وهذا هو الأليق الأقرب بالظاهر، وقوله: النار جماد فلا يكون في خطابها فائدة، قلنا: لم لا يجوز أن يكون المقصود من ذلك الأمر مصلحة عائدة إلى الملائكة.

(1) التفسير الكبير.

المسألة الثانية: اختلفوا في أن النار كيف بردت على ثلاثة أقوال: أحدها: أن الله تعالى أزال عنها ما فيها من الحر والإحراق، وأبقى ما فيها من الإضاءة والإشراق والله على كل شيء قدير. وثانيها: أن الله تعالى خلق في جسم إبراهيم كيفية مانعة من وصول أذى النار إليه، كما يفعل بخزنة جهنم في الآخرة، وكما أنه ركب بنية النعامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة، وبدن السمندل بحيث لا يضره المكث في النار.

وثالثها: أنه سبحانه خلق بينه وبين النار حائلاً يمنع من وصول أثر النار إليه، قال المحققون: والأول أولى لأن ظاهر قوله: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا﴾ أن نفس النار صارت باردة حتى سلم إبراهيم من تأثيرها، لا أن النار بقيت كما كانت، فإن قيل: النار جسم موصوف بالحرارة واللطافة، فإذا كانت الحرارة جزء من مسمى النار امتنع كون النار باردة، فإذاً وجب أن يقال: المراد من النار الجسم الذي هو أحد أجزاء مسمى النار وذلك مجاز فلم كان مجازكم أولى من المجازين الآخرين؟ قلنا: المجاز الذي ذكرناه يبقى معه حصول البرد وفي المجازين اللذين ذكرتموهما لا يبقى ذلك فكان مجازنا أولى.

أما قوله تعالى: ﴿كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69] فالمعنى أن البَرْدَ إذا أفرط أهلك كالحَرِّ بل لا بد من الاعتدال ثم في حصول الاعتدال ثلاثة أوجه: أحدها: أنه يقدر الله تعالى بَرْدَها بالمقدار الذي لا يؤثر. وثانيها: أن بعض النار صار بَرْداً وبقي بعضها على حرارته فتعادل الحَرّ والبَرْد. وثالثها: أنه تعالى جعل في جسمه مزيد حر فسلم من ذلك البَرْد بل قد انتفع به.

برز

(برز - بدا - ظهر)

■ **بَرَز:** قوة البدوّ. ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 250].

■ **بَدا:** مقدمة الظهور، فإذا استمر صار ظهوراً. ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزُّمَر: 47].

■ **الظُّهور:** استشرت البداية حتى صارت حالة دائمة. ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبَة: 48].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الباء والراء والزاي أصلٌ واحد، وهو ظهور الشيء وبُدُوُّه، قياسٌ لا يُخْلِفُ.

البَرازُ، بالفتح: المكان الفَضاء من الأَرض البعيدُ الواسعُ.

وإذا خرج الإنسان إلى ذلك الموضع قيل: قد بَرَزَ يَبْرُزُ بُرُوزاً أَي: خرج إلى البَرازِ. والبَرازُ، بالفتح أَيضاً: الموضع الذي ليس به خَمَر من شجر ولا غيره.

قال الخليل(2): رجل بَرْزٌ: طاهرٌ عفيف. وهذا هو قياسُ سائرِ الباب، لأنَّ المُرِيبَ يدُسُّ نفسَه ويُخْفيها. ويقال: بَرَّزَ الرّجُلُ والفَرَسُ: إذا سَبَقَا، وهو [من] الباب. ويقال أبرزْتُ الشّيءَ أُبرِزُهُ إبرازاً.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الجوهري(1): بَرَزَ الرجل يَبْرُزُ بُروزاً: خرج. وأَبْرَزَهُ غيره. والبِرازُ: المُبارَزَةُ في الحرب. والبِرازُ أيضاً: كنايةٌ عن ثُفْلِ الغِذاء، وهو الغائِط. والمَبْرَزُ: المُتَوَضَّأُ.

والبَرازُ بالفتح: الفَضاء الواسع. وتَبَرَّزَ الرجل، أي: خرج إلى البَرازِ للحاجة. وبَرَّزْتُ الشيءَ تَبْريزاً، أي: أظهرتُهُ وبيَّنْتُه. وبَرَّزَ الرجلُ أيضاً: فاقَ على أصحابه. وكذلك الفرس، إذا سبق. وامرأةٌ بَرْزَةٌ، أي: جليلةٌ تَبْرُزُ وتجلسُ للناس.

وقال بعضهم: رجل بَرْزٌ وامرأةٌ بَرْزَةٌ، يوصفان بالجَهارة والعقل.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: 47].

قال الفخر الرازي(2): من أحوال القيامة قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ وفي تفسيره وجوه: أحدها: أنه لم يبق على وجهها شيء من العمارات، ولا شيء من الجبال ولا شيء من الأشجار، فبقيت بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها، وهو المراد من قوله: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: 107]. وثانيها: أن المراد من كونها بارزة أنها أبرزت ما في بطنها وقذفت الموتى المقبورين فيها: فهي بارزة الجوف والبطن فحذف ذكر الجوف، ودليله قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: 4].

وقوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: 2] وقوله: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم: 21]. أن وجوه الأرض كانت مستورة بالجبال والبحار، فلما أفنى الله

(1) الصحاح في اللغة. (2) التفسير الكبير.

تعالى الجبال والبحار فقد برزت وجوه تلك البقاع بعد أن كانت مستورة. . .

وقوله تعالى: ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾ [آل عِمرَان: 154] ومنه قوله: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48] وقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 91].

تنبيهاً أنهم يعرضون عليها. وامرأة بَرِزَة: عفيفة؛ لأن رفعتها بالعفة، لا أن اللفظة اقتضت ذلك.

قال أبو حيان[1]: وقرأ أبيّ ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ [النبأ: 20]﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أي: منكشفة ظاهرة لذهاب الجبال والظراب والشجر والعمارة، أو ترى أهل الأرض بارزين من بطنها

وقال الألوسي[2]: (بَارِزَةً) بادية ظاهرة أما ظهور ما كان منها تحت الجبال فظاهر، وأما ماعداه فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك أو تراها بارزة لذهاب جميع ما عليها من الجبال والبحار والعمران والأشجار وإنما اقتصر على زوال الجبال لأنه يعلم منه زوال ذلك بطريق الأولى، وقيل: إسناد البروز إلى الأرض مجاز، والمراد ترى أهل الأرض بارزين من بطنها وهو خلاف الظاهر.

(1) البحر المحيط.
(2) روح المعاني.

برزخ

(برزخ - سد - سور - حاجز - حد)

■ **البَرْزَخُ:** الفاصل المكين بين شيئين ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 20].

■ **السَّدُّ:** المانع من الاكتساح ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [يسٓ: 9].

■ **السُّورُ:** المانع العالي من الاختراق ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ [الحديد: 13].

■ **الحَاجِزُ:** المانع من طغيان أحد الطرفين المختلفين على الآخر ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ﴾ [النَّمل: 61].

■ **الحَدُّ:** ما يمنع من تجاوز المحدود ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ﴾ [البَقَرَة: 229].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

البَرْزَخُ: ما بين كل شيئين، وفي الصحاح: الحاجز بين الشيئين.

والبَرْزَخُ ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البَرْزَخَ.

وفي حديث المبعث عن أبي سعيد: «في بَرْزَخٍ ما بين الدنيا والآخرة»؛ قال: البَرْزَخُ ما بين كل شيئين من حاجز.

وقال الفراء: في قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100]؛ قال: البَرْزَخُ من يوم يموت إلى يوم يبعث.

وبَرازِخُ الإيمانِ: ما بين الشك واليقين؛ وقيل: هو ما بين أَول الإِيمان وآخره.

وفي حديث عبد الله: وسئل عن الرجل يجد الوسوسة، فقال: «تلك بَرازِخُ الإِيمانِ»؛ يريد ما بين أَوّله وآخره، وأَوّلُ الإِيمان الإِقرار بالله عَزَّوَجَلَّ وآخره إماطة الأَذَى عن الطريق.

والبَرازخ: جمع بَرْزَخ[1].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 20].

قال الألوسي[2]: والبَرْزَخُ في القيامة: الحائل بين الإنسان وبين بلوغ المنازل الرفيعة في الآخرة.

أي: حاجز، فعلى القول الأوّل: ما بين السماء والأرض؛ قاله الضحاك. وعلى القول الثاني: الأرض التي بينهما وهي الحجاز؛ قاله الحسن وقتادة. وعلى غيرهما من الأقوال القدرة الإلاهية على ما تقدّم في «الفرقان». وفي الخبر عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ: «**أن الله تعالى كلّم الناحية الغربية فقال: إني جاعل فيك عباداً لي يُسبِّحوني ويُكَبِّروني ويهلِّلُوني ويُمجّدوني فكيف أنت لهم؟ فقالت: أُغرقُهم يا ربّ. قال: إني أحملهم على يدي، وأجعل بأسك في نواحيك. ثم كَلّمَ الناحية الشرقية فقال: إني جاعل فيك عباداً لي يُسبِّحوني ويكَبِّروني ويهلِّلُوني ويمجِّدوني فكيف أنت لهم؟ قالت: أسبِّحكَ معهم إذا سَبَّحوكَ، وأكبّرك معهم إذا كبروك، وأُهَلِّلكَ معهم إذا هَلَّلُوكَ، وأُمَجِّدُك معهم إذا مجَّدوك؛ فأثابها الله الْحِلية**

(1) اللسان. (2) روح المعاني.

وجعل بينهما برزخاً، وتحوّل أحدهما مِلحاً أُجَاجاً، وبقي الآخر على حالته عذباً فُرَاتاً».

وقال ابن عاشور[1]: والمراد بالبرزخ الذي بينهما: الفاصل بين الماءين الحلو والملح بحيث لا يغير أحد البحرين طعم الآخر بجواره. وذلك بما في كل ماء منهما من خصائص تدفع عنه اختلاط الآخر به. وهذا من مسائل الثقل النوعي. وذكر البرزخ تشبيه بليغ، أي: بينهما مثل البرزخ وهو معنى: ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾، أي: لا يبغي أحدهما على الآخر، أي: لا يغلب عليه فيُفسدَ طعمه فاستعير لهذه الغلبة لفظ البغي الذي حقيقته الاعتداء والتظلم. ويجوز أن تكون التثنية تثنية بحرَيْن ملحين معينين، والتعريف حينئذٍ تعريف العهد الحضوري، فالمراد: بحران معروفان للعرب. فالأظهر أن المراد: البحر الأحمر الذي عليه شطوط تهامة مثل: جُدّة ويُنبع النخل، وبحر عُمان وهو بحر العرب الذي عليه حَضْرموت وعَدَن من بلاد اليمن. والبَرْزَخُ: الحاجز الفاصل، والبَرْزَخُ الذي بين هذين البحرين هو مضيق باب المَنْدَبَ حيث يقع مرسى عَدَن ومرسى زَيلع. ولما كان في خلق البحرين نعم على الناس عظيمة منها معروفة عند جميعهم فإنهم يسيرون فيهما كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ **[النحل: 14]** وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس: 22] واستخراج سمكه والتطهر بمائه. ومنها معروفة عند العلماء وهي مَا لأَمْلاَح البحر من تأثير في تنقية هواء الأرض واستجلاب الأمطار وتلقي الأجرام التي تنزل من الشهب وغير ذلك.

● **وقوله تعالى**: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100].

قال ابن عاشور[2]: بَرْزَخٌ: هو الحاجز والمانع كقوله في البحرين: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 20] أي فهؤلاء صائرون إلى حالة مانعة من التلاقي

---

(1) التحرير والتنوير.

(2) المصدر نفسه.

حاجزة عن الاجتماع وذلك هو الموت، وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث، إنما هو إقناط كلي لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلا إلى الآخرة.

قال القرطبي[1]: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ [الفرقان: 53] أي: حاجزاً. قال: والبَرْزَخُ والحاجز والمُهْلَة متقاربات في المعنى، وذلك أنك تقول بينهما حاجزٌ أن يَتزاوَرا، فتنوي بالحاجز المسافةَ البعيدة، وتنوي الأَمر المانع مثل اليمين والعداوة، فصار المانع في المسافة كالمانع من الحوادث، فوَقَعَ عليها البَرْزَخُ.

قال الماوردي[2]: قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ الآية. أي من أمامهم برزخٌ، البَرْزَخُ. الحاجز ومنه قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 20] وفيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه حاجز بين الموت والبعث، قاله ابن زيد.

الثاني: حاجز بين الدنيا والآخرة. قاله الضحاك.

الثالث: حاجز بين الميت ورجوعه للدنيا، قاله مجاهد.

الرابع: أن البرزخ الإمهال ليوم القيامة، حكاه ابن عيسى.

الخامس: هو الأجل ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة، قاله الكلبي.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) النكت والعيون.

برق

(برق - سنو - ضيىء - نور - وهج - شفق)

■ **البَرْقُ:** لمعان السحاب ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البَقَرَة: 19].

■ **السَّنَا:** الضوء الساطع من مرتفع ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النُّور: 43].

■ **الضَّوءُ:** ما انتشر من ذات الجسم النيرّ المضيء ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ [البَقَرَة: 17].

■ **النُّورُ:** ما استفاد من غيره، وقد جمع الله النّدّين بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يُونس: 5].

فضياء الشمس من ذاتها ونور القمر استفادة من الشمس.

فالقرآن نور يستمده من نور الله.

■ **الوَهَجُ:** ضوء مختلط بحرارة من شعلة ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النَّبإ: 13].

■ **الشَّفَقُ:** اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس. قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ [الانشقاق: 16].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والراء والقاف أصلانِ تتفرع الفروع منهما: أحدهما:

(1) معجم مقاييس اللغة.

لمعانُ الشيء؛ والآخر: اجتماع السَّوادِ والبياضِ في الشيء. وما بَعْدَ ذلك فكلُّه مجازٌ ومحمولٌ على هذين الأصلين. أمّا الأول فقال الخليل: البرق وَمِيضُ السَّحاب، يقال: بَرَقَ السَّحَابُ بَرْقاً وبَريقاً. قال: وأبْرَقَ أيضاً لغة. قال بعضهم: يقال بَرْقَة للمرّة الواحدة: إذا بَرَقَ، وبُرْقَة بالضم: إذا أردْتَ المقدار من البرق.

قال الجوهري[1]: بَرَقَ السيف وغيره يَبْرُقُ بُروقاً، أي: تلألأ. والاسمُ البَريقُ. والبَرْقُ واحد بُروقِ السحاب. يقال: بَرْقُ الخُلَّبِ، وبَرْقُ خُلَّبٍ بالإضافة، وبَرْقٌ خُلبٌ بالصفة، وهو الذي ليس فيه مطر. ويقال: رعدت السماء وبَرَقَتْ بَرَقاناً، أي: لمعتْ. ورَعَدَ الرجل وبَرَقَ، أي: تهدَّدَ. ورَعَدَتِ المرأة وبَرَقَتْ، أي: تَزيَّنتْ. وأرعد القوم وأَبْرَقوا، أي: أصابهم رعدٌ وبَرْقٌ. وأَبْرَقَ الرجلُ: إذا لَمَعَ بسيفه.

المعنى المشترك لكلمة (ب ر ق)

وقد وردت كلمة (برق) في القرآن الكريم على وجهين:

الوجه الأول: بَرِقَ أي: شَخَصَ، ويقال: عجب ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ [القِيَامَة: 7].

الوجه الثاني: البرق بعينه ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البَقَرَة: 19].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البَقَرَة: 19].

والبرق أصله من البريق والضوء؛ ومنه البُرَاق: دابّة ركبها رسول الله ﷺ ليلة

(1) الصحاح في اللغة.

أُسرِيَ به وركبها الأنبياء عليهم السلام قبله. ورَعَدت السماء من الرعد، وبَرَقت من البرق. وَرَعَدت المرأة وبَرَقت: تحسّنت وتزينّت. ورَعَد الرجل وبَرَق: تهدّد وأوعد.

وأَرعد القوم وأبرقوا: أصابهم رعد وبرق. وحكى أبو عبيدة وأبو عمرو: أرعدت السماء وأبرقت، وأرعد الرجل وأبرق: إذا تهدّد وأوعد؛ وأنكره الأصمعي.

وبَرَقَ يقال في كل ما يلمع، نحو: سيف بَارِقٌ، وبَرِقَ وبَرَقَ يقال في العين إذا اضطربت وجالت من خوف قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ [القِيَامَة: 7] وقرئ (وبَرَقَ) وتُصُوِّر منه تارة اختلاف اللون فقيل البَرْقَةُ للأرض ذات حجارة مختلفة الألوان، والأبرق: الجبل فيه سواد وبياض، وسموا العين بَرْقَاء لذلك، وناقة بَرُوقٌ: تلمع بذنبها، والبَرْوَقَةُ: شجرة تَخْضَرُّ إذا رأت السحاب، وهي التي يقال فيها: أشكر من بَرْوَقَةٍ[1].

وقال تعالى هٰهنا: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ قرأ أبو عمرو بن العلاء: (بَرِقَ) بكسر الراء، أي: حَارَ، وهذا الذي قاله شبيه بقوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم: 43].

أي: بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا، لا يستقر لهم بصر على شيء من شدة الرعب، وقرأ آخرون (بَرَقَ) بالفتح، وهو قريب في المعنى من الأول والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة، وتخشع وتحار وتذل من شدة الأهوال، ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور[2].

وبرَق الطعامَ يبرُقه: إذا صب فيه الزيت.

والبَريقةُ: طعام فيه لبن وماء يُبْرَقُ بالسمْن والإهالةِ؛ ابن السكيت عن أَبي صاعد: البَرِيقةُ وجمعها بَرائقُ وهي اللبن يُصَبُّ عليه إهالةٌ أو سمن قليل.

---

(1) مفردات الراغب. (2) ابن كثير.

ويقال: ابْرُقوا الماء بزيت أي: صبُّوا عليه زيتاً قليلاً. وقد بَرَقُوا لنا طعاماً بزيت أو سمْن برْقاً: وهو شيء منه قليل لم يُسَغْسِغُوه أي: لم يُكثروا دُهْنه. المُؤرِّج: بَرَّق فلان تبريقاً: إذا سافر سفراً بعيداً، وبَرَّقَ منزله أي: زَيَّنه وزَوَّقَه، وبرَّقَ فلان في المعاصي إذا أَلَحَّ فيها، وبَرَّق لي الأَمْرُ أي: أعْيا علَيَّ[1].

(1) اللسان.

بركة

(بركة - نعمة - زيادة)

- **البَرَكَةُ:** ثبوت الخير الإلٰهي والنماء في الشيء الواحد بسبب غير محسوس، ولا يثبت فعل البركة إلّا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدّخان: 3].
- **النِّعْمَةُ:** ثبوت المنفعة في كل شيء ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: 18].
- **الزِّيَادَةُ:** ثبوت الخير الإلٰهي والنماء بحس ظاهر وسبب معروف ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فَاطِر: 1].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والراء والكاف أصلٌ واحدٌ، وهو ثَباتُ الشيءِ، ثم يتفرع فروعاً يقاربُ بعضُها بعضاً.

البَرَكة: النَّماء والزيادة.

والتَّبْريك: الدعاء للإنسان أو غيره بالبركة. يقال: بَرَّكْتُ عليه تَبْريكاً أي: قلت له بارك الله عليك.

وبَارَكَ الله الشيءَ وَبارَكَ فيه وعليه: وضع فيه البَرَكَة، وطعام بَرِيك: كأنه مُبارك.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الجوهري(1): بَرَكَ البعيرُ يَبْرُكُ بُروكاً، أي: اسْتَناخَ. وأَبْرَكْتُهُ أنا فَبَرَكَ، وهو قليلٌ، والأكثر أَنَخْتُهُ فاستناخ. ويقال: فلان ليس له مَبْرَكُ جملٍ. وكلُّ شيء ثبتَ وأقامَ فقد بَرَكَ. والبَرْكُ، الإبلُ الكثيرةُ؛ والجمعُ البُروكُ. والبَرْكُ أيضاً: الصدر، فإذا أدخلت عليه الهاء كسَرت وقلت بِرْكَةٌ. وقولهم ما أحسن بِرْكَةَ هذه الناقة، وهو اسمٌ للبُروكِ، مثل الرِكْبَةِ والجِلْسَةِ. وابْتَرَكَ الرجل، أي: ألقى بَرْكَهُ. وابْتَرَكْتُهُ: إذا صرعتَه وجعلته تحت بِرْكِكَ. وابْتَرَكَ، أي: أسرعَ في العَدْوِ وجَدَّ. والبَراكاءُ: الثباتُ في الحرب والجِدُّ، وأصله من البُروكِ.

ويقال في الحرب: بَراكِ بَراكِ! أي: ابْرُكوا. والبَرَكَةُ: النماءُ والزيادةُ. والتَبْريكُ: الدعاءُ بالبَرَكَةِ. وطعامٌ بَريكٌ: كأنه مبارَكٌ. ويقال: بارَكَ الله لك وفيك وعليك، وبارَكَكَ. وقال تعالى: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [النَّمل: 8]. وتَبارَكَ الله، أي: بارَكَ، مثل قاتَلَ وتَقاتَلَ، إلاَّ أن فاعَلَ يتعدّى وتفاعل لا يتعدّى.

وتَبَرَّكْتُ به، أي: تَيَمَّنْتُ به. والبُرْكَةُ بالضم: طائرٌ من طير الماء أبيضُ، والجمع بُرَكٌ.

والبُراكِيَّةُ: ضربٌ من السفن. والبَرْنَكانُ: ضربٌ من الأكسية. والبَروكُ من النساء: التي تتزوَّج ولها ابنٌ بالِغٌ كبيرٌ.

قال الراغب(2): أصل البَرْكُ صدر البعير وإن استعمل في غيره، ويقال له: بَرْكَةٌ، وبَرَكَ البعير: ألقى بَرْكَه، واعتبر منه معنى اللزوم، فقيل: ابْتَركوا في الحرب، أي: ثبتوا ولازموا موضع الحرب، وبَرَاكَاء الحرب وبُرُوكَاؤُها للمكان الذي يلزمه الأبطال، وابْتَرَكَتْ الدابة: وقفت وقوفاً كالبُرُوكِ، وسمي محبس الماء بِرْكَةٌ، والبَرَكَةُ: ثبوت الخير الإلٰهي في الشيء.

---

(1) الصحاح في اللغة.
(2) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96].

والمُبَارَكُ: ما فيه ذلك الخير، على ذلك: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: 50] تنبيهاً على ما يفيض عليه من الخيرات الإلٰهية، وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: 155]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا﴾ [مريم: 31] أي: موضع الخيرات الإلٰيهة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: 3]، ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ [المؤمنون: 29] أي: حيث يوجد الخير الإلٰهي، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ [ق: 9] فَبَرَكَةُ ماء السماء هي ما نبه عليه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ [الزمر: 21]، وبقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: 18]، ولما كان الخير الإلٰهي يصدر من حيث لا يحس، وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة: هو مُبَارَكٌ، وفيه بركة، وإلى هذه الزيادة أشير بما روي أنه: (**لا ينقص مال من صدقة**) (الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، وروايته فيه: (**ما نقصت صدقة من مال**)، لا إلى النقصان المحسوس حسب ما قال بعض الخاسرين حيث قيل له ذلك، فقال: بيني وبينك الميزان.

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفُرقان: 61] فتنبيه على ما يفيضه علينا من نعمه بواسطة هذه البروج والنيرات المذكورة في هذه الآية، وكل موضع ذكر فيه لفظ (تبارك) فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر (تبارك). وقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الفُرقان: 1]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ﴾ [الفُرقان: 10]، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: 64]، ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [المُلك: 1]. كل ذلك تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر (تبَارَكَ).

● **قال تعالى:** ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ [مريَم: 31].

قال الألوسي[1]: ﴿مُبَارَكًا﴾ قال مجاهد: نفاعاً، ومن نفعه إبراء الأكمه والأبرص. وقال سفيان: معلم الخير آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. وعن الضحاك: قاضياً للحوائج، والأول أولى لعمومه، والتعبير بلفظ الماضي في الأفعال الثلاثة إما باعتبار ما في القضاء المحتوم أو بجعل ما في شرف الوقوع لا محالة كالذي وقع. وقيل: أكمله الله تعالى عقلاً واستنبأه طفلاً وروي ذلك عن الحسن. وأخرج ابن أبي حاتم عن أنس أن عيسى عليه السلام درس الإنجيل وأحكمه في بطن أمه.

● **وقوله:** ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ [الدّخَان: 3].

قال أبو السعود[2]: ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ هيَ ليلةُ القدرِ، وقيلَ ليلةُ البراءةِ ابتدىءَ فيها إنزالُه، وأُنزلَ فيها جُملةً إلى السماءِ الدُّنيا من اللوحِ وأملاهُ جبريلُ عليهِ السَّلامُ على السَّفرَةِ ثم كانَ ينزله على النبيِّ ﷺ نحوَ ما في ثلاثٍ وعشرينَ سنةً كما مرَّ في سورةِ الفاتحةِ. ووصفُها بالبركةِ لَما أنَّ نزولَ القُرآنِ مستتبعٌ للمنافعِ الدينيةِ والدنيويةِ بأجمعِها أو لِما فيها من تنزلِ الملائكةِ والرحمةِ وإجابةِ الدعوةِ وقسمِ النعمةِ وفصلِ الأقضيةِ وفضيلةِ العبادةِ وإعطاءِ تمامِ الشفاعةِ لرسولِ الله ﷺ، وقيلَ: يزيدُ في هذهِ الليلةِ ماءُ زمزمَ زيادةً ظاهرةً.

---

(1) روح المعاني.

(2) إرشاد العقل السليم.

برم

(برم - أحكم - أتقن - رصّ - ثقف)

- **الإبْرَامُ:** قوة التكوين من الداخل فلا يفسد ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ [الزّخرُف: 79].
- **الإحْكَامُ:** قوة المقاومة من الخارج فلا يخترق ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ [الحَجّ: 52].
- **الإتْقَانُ:** يجعل الشيء المتقن كاملاً لا يعاب ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النَّمل: 88].
- **الرَّصُّ:** تساند الأشياء حتى تبدو شيئاً واحداً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصَّف: 4].
- **الثِّقْفُ:** الحذق المتميز في إدراك الشيء وفعله، ومنه المثاقفة، أي: الملاعبة بالسلاح ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: 57].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والراء والميم، يدل على أربعة أصول: إحكام الشيء، والفرض به، واختلاف اللونين، وجنس من النبات.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

والإبرام: إحكام الشيء، وأبْرَمْتُ الأمر، أي: أَحْكَمته.

والبَرِيمُ: خيط ينظم فيه خرز، فتشده المرأة عن حقويها.

والبَرِيمُ: كل ذي لونين

البَرَمَةُ: الزهرة التي تخرج فيها الحبلة.

قال أبو هلال[1]: الفرق بين إحكام الشيء وإبرامه: أن إبرامه: تقويته: وأصله في تقوية الحبل وهو في غيره مستعار. الفرق بين الإبرام والتأريب: أن التأريب شدة في العقد، يقال: أرب العقد. إذا جعل عقداً فوق عقده، وهو خلاف النشط يقال: نشطه، إذا عقده بأنشوطة، وهو عقد ضعيف. وآربه: إذا أحكم عقده، وأنشطه: إذا حل الأنشوطة. الذي لا يَدْخُل مع القوم في المَيْسِر، والجمع أَبْرامٌ ؛ والإبرام: إحكام الأمر.

قال الجوهري[2]: والبَرَمُ أيضاً: ثمر العِضاه، الواحدة بَرَمَةٌ. وبرَمَةُ كلِّ العِضاهِ صفراء إلاّ العُرفُط فإنَّ بَرَمَتَهُ بيضاء. وبَرَمَةُ السَلَمِ أطيبُ البَرَمِ ريحاً.

وأَبْرَمْتُ الشيء، أي: أحكمْتُه. والمُبْرَمُ والبَريمُ: الحبل الذي جُمع بين مفتولين ففُتلا حبلاً واحداً. قال أبو عبيد: البَريمُ: الحبلُ المفتول يكون فيه لونانِ، وربَّما شدَّته المرأةُ على وسَطها وعَضُدِها.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ﴾ [الزّخرُف: 79].

قال الفخر الرازي[3]: والمعنى: أم أبرموا أي: مشركو مكة أمراً من كيدهم

(1) الفروق.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) التفسير الكبير.

ومكرهم برسول الله، فإنا مبرمون كيدنا كما أبرموا كيدهم كقوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ [الطُّور: 42].

قال مقاتل: نزلت في تدبيرهم المكر بالنبيّ ﷺ في دار الندوة، حين استقر أمرهم على ما أشار به أبو جهل عليهم أن يبرز من كل قبيلة رجل ليشتركوا في قتله فتضعف المطالبة بدمه؛ فنزلت هذه الآية، وقتل الله جميعهم ببدر. «أَبْرَمُوا»: أحكموا. والإِبْرَام: الإحكام. أبرمت الشيء: أحكمته. وأبرم الفتال وإذا أحكم الفتل، وهو الفتل الثاني، والأول سَحِيل.

فالمعنى: أم أحكموا كيداً فإنا محكمون لهم كَيْداً؛ قاله ابن زيد ومجاهد. قتادة: أم أجمعوا على التكذيب فإنا مجمعون على الجزاء بالبعث. الكلبي: أم قضَوْا أمراً فإنا قاضون عليهم بالعذاب. وأم بمعنى بل. وقيل: «أَمْ أَبْرَمُوا» عطف على قوله: ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: 45]. وقيل: أي ولقد جئناكم بالحق فلم تسمعوا، أم سمعوا فأعرضوا لأنهم في أنفسهم أَبْرَموا أمراً آمنوا به العقاب. أم أَبْرَم هؤلاء المشركون من قريش أمراً فأحكموه، يكيدون به الحقّ الذي جئناهم به، فإنا محكمون لهم ما يخزيهم، ويذلهم من النكال.

وقال أبو السعود[1]: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا﴾ كلامٌ مبتدأٌ ناعٍ على المشركينَ ما فعلُوا من الكيدِ برسولِ الله ﷺ. وأمْ منقطعةٌ وما فيها من مَعنًى بلْ للانتقالِ من توبيخِ أهلِ النَّارِ إلى حكايةِ جنايةِ هؤلاءِ، والهمزةُ للإنكارِ، فإنْ أُريدَ بالإبرامِ الإحكامُ حقيقةً فهيَ لإنكارِ الوقوعِ واستبعادِه، وإنْ أُريدَ الإحكامُ صورةً فهيَ لإنكارِ الواقعِ واستقباحِه أيْ: أأبرمَ مشركُو مكّة أمراً من كيدِهم ومكرِهم برسولِ الله ﷺ. ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ كيدنَا بهم حقيقةً كما أبرمُوا كيدَهُم صورةً كقولِه تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ [الطُّور: 42] وكانُوا يتناجَون في أنديتِهم ويتشاورُون في أمورِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

(1) إرشاد العقل السليم.

قال ابن كثير[1]: قال مجاهد: أرادوا كيد شر، فكدناهم. وهذا الذي قاله مجاهد كما قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النَّمل: 50] وذلك لأن المشركين كانوا يتحيلون في رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه، فكادهم الله تعالى، ورد وبال ذلك عليهم، ولهذا قال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [الزّخرُف: 80] أي: سرهم وعلانيتهم ﴿بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزّخرُف: 80] أي: نحن نعلم ما هم عليه، والملائكة أيضاً يكتبون أعمالهم صغيرها وكبيرها.

(1) تفسير ابن كثير.

برهان

(برهان - آية - دليل - علامة - سمة - حجة)

■ **البُرْهَانُ:** الدليل القاطع المفيدُ للعلم ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [النِّساء: 174]. . فمعجزات موسى أدلة قطعية على صدقه في النبوة.

■ **الآيَةُ:** الدليل الخارق ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: 50].

■ **الدَّلِيلُ:** الهادي إلى الطريق المطلوب ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفُرقان: 45].

■ **العَلامَةُ:** كل ما يعرف به الشيء ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النّحل: 16].

■ **السِّمَةُ:** ما يتميز بها وجه عن غيره ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القَلَم: 16].

■ **الحُجَّةُ:** دليل على الخطأ أو الخصومة ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النِّساء: 165]

* * *

النصوص اللغوية:

البُرْهَانُ: دليل قاطع على دعوى مثيرة، وهو فعلان مثل: الرجحان والثنيان، وقال بعضهم: هو مصدر بَرِه يَبْرَهُ: إذا ابيض، ورجل أَبْرَهٌ وامرأة بَرْهَاءٌ.

قال ابن الأثير: قال الخطابي قد أَكثرتُ السؤال عنها فلم أَجد فيها قولاً يقطع بصحَّته، ثم اختار أنها السكين.

قال ابن الأَعرابي: بَرِهَ الرجل: إذا ثابَ جسمُه بعد تغيُّر من علَّة.

البُرْهَة والبَرْهَة جميعاً: الحِينُ الطويل من الدهر، وقيل: الزمانُ. يقال: أَقمت عنده بُرْهَةً من الدهر كقولك: أَقمت عنده سنة من الدهر.

قال ابن السكيت: أَقمت عنده بُرْهَةً بَرْهَةً أَي: مدَّة طويلة من الزمان. والبَرَهُ: التَّرارةُ(1).

والبُرهة مدّة من الزمان، فالبُّرهَانُ أوكد الأدلة وهو الذي يقتضي الصدق أبداً لا محالة، وذلك أن الأدلة خمسة أضرب:

دلالة تقتضي الصدق أبداً. دلالة تقتضي الكذب أبداً.

دلالة إلى الصدق أقرب. دلالة إلى الكذب أقرب.

ودلالة هي إليهما سواء(2).

المعنى المشترك لكلمة (ب ر ه ن)

وقد وردت كلمة (برهان) في القرآن الكريم على وجهين:

الوجه الأول: البرهان: يعني الحجة ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [الأنبياء: 24].

الوجه الثاني: البرهان: بمعنى الآية ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القَصَص: 32].

في القرآن الكريم:

- قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البَقَرَة: 111].

(1) اللسان. (2) مفردات الراغب.

والبرهان: الدليل الذي يوقع اليقين، وجمعه براهين؛ مثل: قُرْبان وقرابين، وسلطان وسلاطين.

قال الطبري(1): طلب الدليل هنا يقضي إثبات النظر ويردّ على من ينفيه.

قال الفخر الرازي(2): ففيه مسائل:

المسألة الأولى: هات: صوت بمنزلة هاء في معنى أحضر.

المسألة الثانية: دلت الآية على أن المدعي سواء ادعى نفياً، أو إثباتاً، فلا بد له من الدليل والبرهان، وذلك من أصدق الدلائل على بطلان القول بالتقليد قال الشاعر:

من ادعى شيئاً بلا شاهد　　لا بد أن تبطل دعواه

وقال أبو السعود(3): ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البَقَرَة: 111] فإنهما ليسا مما يُطلب له البرهانُ ولا مما يَحتملُ الصِّدق والكذِبَ قيل: (هاتوا) أصلُه آتوا قُلبت الهمزةُ هاءً أي: أَحضروا حُجتَكم على اختصاصكم بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم. هذا ما يقتضيه المقامَ بحسب النظرِ الجليلِ والذي يستدعيه إعجازُ التنزيل أن يُحمل الأمرُ التبكيتيُّ على طلب البرهان على أصل الدخولِ الذي يتضمنه دعوى الاختصاص به.

● **وقال تعالى**: ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [النِّساء: 174].

قال الطبري(4): قد جاءكم حجة من الله تبرهن لكم بطول ما أنتم عليه مقيمون في أديانكم ومللكم، وهو محمد ﷺ، الذي جعله الله عليكم حجة، قطع بها عذركم، وأبلغ إليكم في المعذرة بإرساله إليكم، مع تعريفه إياكم صحة نبوته، وتحقيق رسالته.

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) جامع البيان.

قال الزمخشري[1]: البرهان والنور المبين: القرآن، وأراد بالبرهان: دين الحق أو رسول الله ﷺ، وبالنور المبين: ما يبيّنه ويصدقه من الكتاب المعجز. .

قال الفخر الرازي[2]: البرهان هو محمد ﷺ، وإنما سماه برهاناً، لأن حرفته إقامة البرهان على تحقيق الحق وإبطال الباطل. والنور المبين: هو القرآن وسماه نوراً لأنه سبب لوقوع نور الإيمان في القلب. .

● **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يُوسُف: 24].

قال الطبري[3]: نودي يا يوسف أتزني؟ فتكون كالطير وقع ريشه فذهب يطير، فلا ريش له. . البرهان الذي رآه: أنه رأى صورة يعقوب عاضًّا أنامله.

قال سعيد ابن جبير: رأى صورة فيها وجه يعقوب عاضًّا على أصابعه، فدفع في صورة، فخرجت شهوته من أنامله، فكل والد يعقوب ولد له اثنا عشر رجلاً إلا يوسف إنه نقص بتلك الشهور ولم يولد له غير أحد عشر. .

أما البرهان الذي رآه يوسف: فترك من أجله مواقعة الخطيئة، فإن أهل العلم مختلفون فيه، فقال بعضهم: نودي بالنهي عن مواقعة الخطيئة.

وقال آخرون: البرهان الذي رأى يوسف، فكف عن مواقعة الخطيئة من أجله: صورة يعقوب عليه السلام يتوعده.

وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: أن الله جل ثناؤه أخبر عن هَمِّ يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه، لولا أن رأى يوسف برهان ربه، وذلك آية من آيات الله، زجرته عن ركوب ما هَمَّ به يوسف من الفاحشة.

وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب، وجائز أن تكون صورة الملك، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنى.

---

(1) الكشاف.

(2) التفسير الكبير.

(3) جامع البيان.

والصواب أن يقال في ذلك، ما قاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلى عماله.

● قال تعالى: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾ [القَصَص: 32]..

قال الطبري[1]: فهذان اللذان أريتكهما يا موسى من تحول العصا حية، ويدك وهي سمراء - بيضاء تلمع من غير برص، برهانان، يقول: آيتان وحجتان.

وأصل البرهان: البيان، يقال للرجل - يقول إذا سئل الحجة عليه -: هات برهانك على ما تقول، أي: هات تبيان ذلك ومصداقه.

قال الزمخشري: إن قلت: لم سميت الحجة برهاناً؟ قلتُ: لبياضها وإنارتها من قولهم للمرأة البيضاء. برهرهة، بتكرير العين واللام معاً. والدليل على زيادة (النون) قولهم: أَبْرَهَ الرجل، إذا جاء بالبرهان، ونظيره تسميتهم إياها سلطاناً من (السليط) وهو الزيت لإنارتها.

قال ابن عطية: برهانان: حجتان ومعجزتان[2].

قال مقاتل[3]: تفسير (برهان) على وجهين:

فوجه منها: برهان يعني حجة، فذلك قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [الأنبياء: 24]، يعني: حجتكم بأن معه آلهة.

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [النمل: 64].. يعني: حجتكم بأن مع الله آلهة.

والوجه الثاني: برهان يعني آية، فذلك قوله: ﴿بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القَصَص: 32]، يعني آيتين من ربك، وقال: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهِۦ﴾ [يُوسُف: 24]، يعني آية من ربه.

---

(1) جامع البيان.
(2) المحرر الوجيز.
(3) الأشباه والنظائر.

الأول: بمعنى: المعجزة والولاية ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القَصَص: 32].

الثاني: بمعنى: الدليل، والحجة ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [البَقَرَة: 111]، ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ [المؤمنون: 117].

الثالث: بمعنى القرآن، والنبوة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [النِّساء: 174]، أي: كتاب ورسول[1]...

(1) بصائر ذوي التمييز - الفيروز آبادي.

بث

(بث - بذر - نثر - نشر - نفش - فرّق)

- **البَثُّ:** تفريق النظائر الكثيرة إلى أنحاء مختلفة ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القَارِعَة: 4].
- **النَّثْرُ:** تفريق النظائر في مكان واحد ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفِطار: 2].
- **البَذْرُ:** تفريق حب المزروع أو المال بدون نظام كماً وكيفاً ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسرَاء: 26].
- **النَّشْرُ:** توسيع مساحة وجود الشيء المنكمش ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عَبَس: 22].
- **النَّفْشُ:** تحول الكتلة إلى مجموعة أجزاء أو أفراد ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ [الأنبيَاء: 78].
- **التَّفْرِيقُ:** المباينة بين مجتمعين اثنين فأكثر ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 102].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والثاء أصلٌ واحد، وهو تفريق الشيء وإظهاره؛ يقال: بثُّوا الخيلَ في الغارة. وبثّ الصيّاد كلابَه على الصّيد.

(1) معجم مقاييس اللغة.

ويقال: هو التفريق وإثارة الشيء كبَثِّ الريح للتراب، وبَثِّ النفس ما انطوت عليه من الغم والسر. يقال: بَثثْته فانْبَثَّ.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقِعَة: 6] «مُنْبَثاً»: متفرقاً. قرئ بالتاء أي: مقطعاً. وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: 164] إشارة إلى إيجاده تعالى ما لم يكن موجوداً وإظهاره إياه. وقوله تعالى: ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: 4]، المفرق بدون نظام(1): يقال: بَثَّه: إذا فرقه، وفي آية أخرى الفراش المبثوث: الجراد المنتشر بدون نظام.

وأما وجه التشبيه بالجراد فهو في الكثرة والفوضى. قال الفداء: كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضاً، وبالجملة فالله سبحانه وتعالى شبه الناس في وقت البعث بالجراد المنتشر، وبالفراش المبثوث لأنهم لما بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد والفراش(2).

قال الجوهري(3): بَثَّ الخبرَ وأَبَثَّهُ بمعنىً، أي: نشره. يقال: أَبْثَثْتُكَ سِرِّي، أي: أظهرته لك. وبَثَّثَ الخبرَ، شُدِّدَ للمبالغة، فانْبَثَّ أي: انتشر.

قال الأصمعي(4): تَمْرٌ بَثٌّ: إذا كان منثوراً متفرِّقاً بعضه من بعض. والبَثُّ: الحالُ والحُزْنُ. يقال: أَبْثَثْتُكَ، أي: أظهرتُ لك بثِّي. وبَثْبَثْتُ الخبرَ بَثْبَثَةً: نَشَرْتُهُ، وكذلك الغبارَ، إذا هَيَّجْتَهُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ﴾ [يُوسُف: 86].

(1) المشوف المعلم.
(2) تهذيب اللغة – للأزهري.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) الأضداد.

أي: غمي الذي أبثه عن كتمان فهو مصدر في تقدير مفعول، أو بمعنى: غمي الذي بث فكري، نحو توزعني الفكر، فيكون في معنى الفاعل. والبث أشد الحزن لشيوعه بين الناس.

الإنسان إذا بث شكواه إلى الله تعالى كان في زمرة المحققين كما قال عليه الصلاة والسلام: «**أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من غضبك وأعوذ بك منك**» والبَثُّ: هو التفريق. فقوله تعالى: ﴿أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ﴾.. أي: لا أذكر الحزن العظيم ولا الحزن القليل إلا مع الله.

قال ابن فارس: يقال: أَبَثَّ فلان شقوره وفقوره إلى فلان يُبُثُّ إِبْثَاثاً[1].

والإِبْثَاثُ: أن يشكو إليه فقره وضيعته.

وحقيقة البَثُّ في اللغة - كما يقول القرطبي[2]: «يرد على الإنسان من الأشياء المهلكة التي لا يتهيأ له أن يخفيها، وهو من بَثَثْتُه: أي فرقته، فسميت المصيبة بثًّا مجازاً» لأنه يتحدث بها كثير لأناس كثيرين بلا حدود.

وبَثَّ: فعل يتعدى إلى مفعول واحد، ويتخطى من يعديه إلى مفعوليه وذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ [النِّساء: 1].

● **قال تعالى**: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ﴾ [البقرة: 164].

﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ عطف على (أَنزَلَ) بجامع أن كلًّا منهما آية مستقلة على وحدانية الله تعالى: ﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٖ﴾ من كل نوع من الدواب.

ومعنى (بث) تكثيرها بالتوالد. وعلى هذا جاء قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ﴾ [الشّورى: 29].

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الجامع لأحكام القرآن.

● قال تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ [النِّساء: 1]. .

منهما: يعني آدم وحواء.

وقال الفخر الرازي(1): الذين يقولون، أن جميع الأشخاص البشرية كانوا كالذر وكانوا مجتمعين في صلب آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، حملوا قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ على ظاهره.

والذين أنكروا ذلك قالوا، بث منهما أولادهما، ومن أولادهما جمعاً آخرين.

● قال تعالى: ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [الجَاثيَة: 4].

﴿وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: في غير جنسكم وهو معطوف على ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ﴾.

● قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ [القَارعَة: 4].

قال الشعراوي(2): المفرق في الجهات. أو المهج بعد سكونه وخفائه. أي: المُتَفَرِّق... وعند إعادتهم يركب بعضهم بعضاً.

● قال تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ﴾ [الغَاشِيَة: 16].

قال القشيري(3): قيل: بعضها فوق بعض أو مبسوطة أو مفرقة في المجالس وفيه إشارة إلى انبساط ارواحهم وانشراح صدورهم وانفتاح قلوبهم في بساط القدس، مبثوثة تحتهم.

● قال تعالى: ﴿فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا﴾...

أي: تراباً منتشراً.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) لطائف الإشارات.

وقال الشربيني: منتشر متفرق بنفسه من غير حاجة إلى هواء يفرقه، فهو كالذي يرى في شعاع الشمس ومثله، المراغي قال: فصارت كالهباء المنبث الذي ذرته الريح وفرقته.

برأ

(برأ - خلق - أنشأ)

■ **بَرَأ:** خلق على غير مثال سابق، وجعل لكل مخلوق هيأته الخاصة ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحَديد: 22].

■ **خَلَقَ:** أوجد على مثال سابق ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البَقَرَة: 29].

■ **أَنشَأَ:** إيجاد الشيء وتربيته ورعايته بقوانينه ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزّخرُف: 18].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: فأما الباء والراء والهمزة فأصلان، إليهما ترجع فروع الباب:

أحدهما: الخلق، يقال برأ الله الخلق يبرؤهم برءاً، والبارئ: الله جل ثناؤه، قال الله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: 54].

والأصل الآخر[2]: التباعد من الشيء ومزايلته، من ذلك البرء وهو السلامة من السقم، يقال: بَرِئْتَ وَبَرَأْتُ.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) المحيط في اللغة.

الصاحب: البَرْء - مهموز - الخلق، برأ الله الخلق يبدؤهم بَرْءاً، وهو البَارِئُ والبَرِيئَةُ: الخلق - يهمز ويلين.

وأهل العالية يقولون[1]: بَرَأْتَ أَبْرَأُ بَرْءاً، ومن ذلك قولهم: بَرِئْتُ إليك من حقك.

وأهل الحجاز يقولون: أنا بَرَاءٌ منك، وغيرهم يقول: أنا بَرِيءٌ منك، قال الله تعالى في لغة أهل الحجاز: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزّخرُف: 26]، وفي غير موضع من القرآن الكريم ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ﴾ [الأنعَام: 78].

الفرق بين الناس والبَرِّية: أن قولنا: بَرِيَّةٌ، يقتضي تميز الصورة، وقولنا: الناس، لا يقتضي ذلك، لأن البرية (فصيلة) من برأ الله الخلق، أي: ميّز صورهم، وترك همزه لكثرة الاستعمال، كما تقال: هم الخابية والذرية، وهي من ذرأ الخلق.

والبَارِئُ: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ ، وفي التنزيل ﴿ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: 24] وفيه ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البَقَرَة: 54].

والبَرِّية: الخلق، قيل أصله الهمز، فترك، وقيل ذلك من قولهم: بريت العود.

سميت بَرِّية لكونها مَبْرِّية عن البَرِيّ، أي: التراب، بدلالة قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [غافر: 67]، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البَيّنَة: 7].
وقال ﴿شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البَيّنَة: 6].

قال الزمخشري[2]: اللهم أَبْرَأُ إليك من الحول والقوة، وهو بَرِيءُ الساحة مما قذف به، وأنا الخلاء والبراء منه، وقد بَارَأْتُ شريكي: فاصلته، وتَبَارَأْنَا.

---

(1) معجم الفروق - أبو هلال العسكري.

(2) الكشاف، أساس البلاغة، تهذيب اللغة للأزهري، المحيط في اللغة.

﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعَام: 78]، أي: نزيه ومتباعد من هذه العقيدة.

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبَة: 1]، أي: تباعد من معاهدتهم.

﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾ [آل عمران: 49]، أي: أزيل هذا العيب والمرض.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحَديد: 22]، أي: قبل أن نوجد ونكرث المصيبة، قد كتبت وثبتت عند الله المتعال وفي علمه وقدرت قبل تحققها..

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحَديد: 22].

قال القرطبي(1): في الدين والدنيا إلا في كتاب من قبل أن نخلقها.

من قبل أن يخلق المصيبة.

سعيد بن جبير: «من قبل أن يخلق الأرض والنفس»..

قال الطبري(2): من قبل أن نبرأ الأنفس، يعني: من قبل أن نخلقها.

يقال: قد بَرَأَ الله هذا الشيء، بمعنى خلقه فهو بَارِئُه.

قال الفخر الرازي(3): قد اختلفوا فيه، فقال بعضهم: من قبل أن تخلق هذه المصائب: وقال بعضهم: بل المراد الأنفس، وقال آخرون: بل المراد نفس الأرض.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.

والكل محتمل، لأن ذكر الكل قد تقدم، وإن كان الأقرب نفس المصيبة لأنها هي المقصود.

وقال آخرون: المراد من قبل أن نبرأ المخلوقات، والمخلوقات وإن لم يتقدم ذكرها، إلا أنها لظهورها يجوز عود الضمير إليها، كما في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [يُوسُف: 2].

● قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: 24].

قال الطبري[1]: هو المعبود الخالق، الذي لا معبود غيره، ولا خالق سواه، (البارئ) الذي يبدأ الخلق فأوجدهم بقدرته..

قال الزمخشري[2]: المميز بعضه من بعض بالأشكال المتخالفة.

قال الفخر الرازي[3]: هو بمنزلة قولنا صانع وموجود، إلا أنه يفيد اختراع الأجسام، ولذلك يقال في الخلق: بَرِّية، ولا يقال في الأعراض التي هي كاللون والطعم..

● قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البَقَرَة: 54].

قال الطبري[4]: هو من بَرَأ الله الخلق يَبْرَؤُه فهو بَارِئٌ. والبَرِّية: الخلق، وهي (فعلية) بمعنى (مفعولة) غير أنها لا تهمز كما لا يهمز (ملك) وهو من (لأك) لكنه جرى بترك الهمزة. وقد قيل: أن (البرية) إنما لم تهمز، لأنها (فعلية) من البَرَى، والبَرَى: التراب، فكان تأويله على قول من تأوله: كذلك إنه مخلوق من التراب.

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.
(3) التفسير الكبير.
(4) جامع البيان.

وقال بعضهم: إنما أخذت (البرية) من قولك: بريت العود، فذلك لم تهمز.

وتلك الهمزة من (بارئكم) جائز، والإبدال منها جائز، فإذا كان ذلك جائزاً في (بارئكم) فغير مستنكر أن تكون (البرية) من بَرَى الله الخلق، بترك الهمزة..

قال الزمخشري(1): إن قلت: من أين اختص هذا الموضع بذكر البارئ؟

قلت: البارئ هو الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [المُلك: 3]، ومتميزاً بعضه من بعض بالأشكال المختلفة والصور المتباينة، فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم، الذي بَرَأَهُمْ بلطف حكمته، عن الأشكال المختلفة، أبرياء من التفاوت، والتناضر إلى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة.

● **قال تعالى:** ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: 54].

قال أبو حيان(2): كرر (البارئ) باللفظ الظاهر توكيداً، ولأنها جملة مستقلة، فناسب الإظهار، وللتنبيه على أن هذا الفعل هو راجح عندي الذي أنشأكم، فكما رأى أن أنشأكم راجح رأى أن إعدامكم بهذه الطريقة من القتل راجح، فينبغي التسليم له في كل حال، وتلقي ما يرد قبله بالقبول والامتثال.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البَيِّنَة: 6].

قال الطبري(3): ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البَيِّنَة: 6] يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، هم شر من بَرَاهُ الله وَخَلَقَهُ. والعرب لا

(1) الكشاف.
(2) البحر المحيط.
(3) جامع البيان.

تهمز (البرية) وبترك الهمزة فيها قرأتها قراءة الأمصار. غير شيء يذكر عن نافع بن أبي نعيم، فإنه حكى بعضهم عنه: أنه كان يهمز، وذهب بها إلى قول الله تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [الحديد: 22]، وإنها (فعلية) من ذلك.

قال الفخر الرازي[1]: ما الفائدة في قوله تعالى: ﴿هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾؟

الجواب: أنه يفيد النفي والإثبات، أي: هم دون غيرهم.

واعلم أن (شر البرية) جملة يطول تفصيلها، شرّ من السراق، لأنهم سرقوا من كتاب الله صفة محمد ﷺ، وشر من قطاع الطريق، لأنهم قطعوا طريق الحق على الخلق، وشر من الجهال الأجلاف، لأن الكبر مع العلم يكون كفر وعناد، فيكون أقبح.

أصبح بعضهم بهذه الآية في تفضيل (البشر) على (الملك) قالوا: روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: «**أتعجبون من منزلة الملائكة من الله تعالى؟! والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من ذلك إن شئتم** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البيّنة: 7]».

(1) التفسير الكبير.

بريء

(بريء - سلم - شفي - نجا)

■ **البُرْءُ:** الخلاص مما يكره من مرض أو عيب أو شخص سيىء ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ [التوبة: 3].

■ **السَّلامَةُ:** الخلاص من الخطر المحتمل ﴿وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ﴾ [الأنفال: 43].

السَّلامَةُ: من الآفات الظاهرة كالعمى والجروح ونحو ذلك ﴿مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ [البَقَرَة: 71].. فالشية عيب ظاهر في الجسم.

■ **الشِّفَاءُ:** تخلص من الآفات الخفية كالحمى والصداع والكآبة ومرض معين وصار على شفا العافية ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشُّعَرَاء: 80]، ﴿فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ﴾ [النحل: 69].

■ **النَّجاةُ:** الخلاص من الخطر الواقع فعلاً ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [البَقَرَة: 49].

* * *

النصوص اللغوية:

والبُرْءُ: السلامة من السقم، تقول: بَرَأَ يَبْرَأُ ويَبْرُؤَ بُرْءاً، وبَرِىءَ يَبْرَأُ، بمعناه.

والبَرَاءُ من العين والمكروه، ولا يقال إلا بَرِىءَ يَبْرَأُ، وفاعله بَرِيىء، كما ترى، وبَرَاءٌ. وامرأة بَرَاءٌ ونسوة بَرَاءٌ، في كل ذلك سواء.

والاستبراء: إنقاء الذكر بعد البول.

قال الفراء[1]: العرب تقول: نحن منك البراء والخلاء، والواحد والاثنان، والجميع، من المؤنث والمذكر يقال فيه: براء لأنه مصدر.

ولو قال: بريء لقيل في الاثنين: بريئان، وفي القوم: بريؤون وبُرَآءُ.

قال الأزهري[2]: وأما قولهم: بَرِئْتُ من الدين إبْرَاء بَرَاءة، وكذلك: بَرِئْتُ الليل من فلان أَبْرَأُ بَرَاءَةً، فليس فيها غير هذه اللغة. . .

أهل الحجاز يقولون: أنَا منك بَرَاءٌ. وفي التنزيل: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ [الزّخرُف: 26]، ولغة تميم وغيرهم من العرب: أنا بَرِيءٌ، وفي غير موضع من القرآن ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ﴾ [الأنعَام: 78]. . .

قال ابن دريد[3]: برأت من المرض أَبْرَأُ بُرْءاً، وبَرِئْتُ بُرْءاً، وبرئت من الدين براءةً، وبَارَأْتُ الكرسي مُبَارَأَةً، وبَارَيْتُ الرجل، إذا فعلت مثله فعله، غير مهموز.

وأَبْرَأَكَ منه، وَبَرَّأَكَ. وفي التنزيل: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ﴾ [الأحزَاب: 69].

وفي التنزيل ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ [الزّخرُف: 26].

وليلة البَرَاءُ: ليلة يَتَبَرَّأُ القمر من الشمس، وهو أول ليلة من الشهر.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [النِّساء: 112].

قال الطبري[4]: واختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله «بَرِيئاً».

---

(1) معاني القرآن.
(2) تهذيب اللغة.
(3) الجمهرة.
(4) جامع البيان.

فقال بعضهم: عنى الله عَزَّوَجَلَّ بالبريء رجلاً من المسلمين، يقال له: لبيد بن سهل.

وقال آخرون: بل عنى رجلاً من اليهود، يقال له: زيد بن السمين.

وقيل: ﴿يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ بمعنى ثم يرم بالإثم، الذي أتى هذا الخائن من هو بريء مما رماه به.

فالهاء في قوله «به» عائدة على «الإثم»، ولو جعلت كناية من ذكر الإثم والخطيئة كان جائزاً، لأن الانفعال وإن اختلفت العبارات عنها، فراجعة إلى معنى واحد، بأنها فعل..

● **قال تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزّخرُف: 26].

قال الفراء(1): هي قراءة عبد الله ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ ولو قرأها قارئ كان صواباً موافقاً لقراءتنا، لأن العرب تكتب: يستهزئ يستهزأ، فيجعلون الهمزة مكتوبة بالألف في كل حالاتها، يكتبون: شيء شيئاً، ومثله كثير في مصاحف عبد الله، وفي مصحفنا.

قال الزمخشري(2): قرئ (براء) بفتح الباء وضمها استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة، والمذكر والمؤنث، يقال: نحن البراء منك والخلاء منك..

● **قال تعالى:** ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التّوبَة: 1].

قال الطبري(3): هذه براءة من الله ورسوله، فـ (براءة) مرفوعة بمحذوف، وهو (هذه) كما في قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ [النُّور: 1]، مرفوعة بمحذوف هو (هذه).

---

(1) معاني القرآن.
(2) أساس البلاغة.
(3) جامع البيان.

قال الزمخشري[1]: (سورة التوبة) لها عدة أسماء: براءة، التوبة، المقشقشة، المشردة، المخزية الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدمرة، سورة العذاب، لأن فيها التوبة على المؤمنين، وهي تقشيش من النفاق، أي: تبرئ منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين، تبحث عنها وتثيرها، وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمر عليهم. وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنكم تسمونها سورة التوبة وإنما هي سورة العذاب، والله ما تركت أحداً إلا نالت منه.

فإن قلت: هلا صدرت بأية تسمية كما في سائر السور؟

قلت: سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: إن رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه السورة أو الآية قال: اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا، وتوفي رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أين نضعها، وكانت قصتها شبيهاً بقصة سورة الأنفال، فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين.

وعن أبي ابن كعب: إنما توهموا ذلك لأن في الأنفال ذكر اليهود وفي براءة نبذ اليهود.

وسئل ابن عيينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال اسم الله سلام وأمان، فلا يكتب في النبذ والمحاربة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النِّساء: 94].

● **قال تعالى**: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: 53].

قال الطبري[2]: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يُوسُف: 52]، فقال له جبريل: ولا يوم هممت بما هممت؟

فقال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾..

(1) الكشاف. (2) جامع البيان.

الحسن: لما قال يوسف عليه السلام: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ [يوسف: 52]، كره نبي الله أن يكون قد زكى نفسه، فقال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ لأن تزكية النفس مذمومة، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النّجم: 32]..

قال الزمخشري[1]: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾، من الزلل، وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكيها. ولا يخلو إما أن يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس، عن طريق الشهوة البشرية، لا عن طريق القصد والعزم، وإما أن يريد عموم الأحوال.

وقيل: هو من كلام امرأة العزيز، أي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف إني لم أخنه، ولم أكذب عليه في حال الغيبة، وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه. وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة، فإني قد خنته حيث كذبت، وقلت: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: 25].

(1) الكشاف.

بزغ

(بزغ - شرق - طلع - ظهر)

■ **البُزُوغ:** أول الطلوع ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ [الأنعام: 78].

■ **الشُّرُوق:** ما يعقب البزوغ حين يرتفع الضوء أي: أول ما وقعت عليه عينه من السماء ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزُّمَر: 69].

■ **الطُّلُوعُ:** انتشار الضوء. ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت﴾ [الكهف: 17].

■ **الظُّهُورُ:** استمرار الانتشار أمام البصر أو البصيرة ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: 26].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والزاي والغين أصلٌ واحد، وهو طُلوع الشّيءِ وظُهُوره. يقال: بَزَغَتِ الشمسُ، وبَزَغ نابُ البَعيرِ: إذا طلع.

بَزَغَتِ الشمسُ تَبْزُغُ بَزْغاً وبُزُوغاً: بدا منها طُلوعٌ أَو طَلَعَت وشَرَقَتْ، وقال الزجاج: ابتدأَت في الطُّلوع.

وبَزَّغَ الحاجِمُ والبَيْطارُ أَي: شَرَّط.

وفي الحديث: «**إِن كان في شيء شِفاءٌ ففي بَزْغَةِ الحَجَّام**»؛ البَزْغُ: الشَّرْطُ. وبَزَغَ دَمَهُ أَي: أَساله.

(1) معجم مقاييس اللغة.

ويقال للحديدة التي يُشْرَطُ بها: مِبْزَغٌ ومِبْضَعٌ. قال أبو عدنان: الوَخْزُ التَّبْزِيغُ، والتبزيغ والتَّغْزِيبُ واحد، غَزَّبَ وبَزَّغَ. يقال بَزَّغَ البَيْطارُ الحافر: إذا عَمَدَ إلى أَشاعِرِهِ بِمبْضع فَوَخَزَه به وَخْزاً خَفِيًّا لا يبلُغ العَصَب فيكون دَواءً له، وأَما فَصْد عروق الدابّةِ وإِخْراجُ الدمِ منه فيقال له: التوديج، يقال: ودِّجْ فَرَسَكَ.

وابْتَزَغَ الربيع: جاء أوله. والتركيب يدل على طلوع الشيء وظهوره.

وبَزَغَ النَّجْمُ والقمَرُ: ابتدأَ طُلُوعُهما، مأُخوذ من البَزْغِ، وهو الشَّقُّ كأَنها تُشَقُّ بنورِه الظلمة شقًّا، ومن هذا يقال: بَزَغَ البَيْطارُ أَشاعِرَ الدابة وبضعها: إذا شَقَّ ذلك المكانَ منها بِمِبْضَعِهِ. ويقال للسِّنِّ: بازِغةٌ وبازِمَةٌ.

وبَزَغَ نابُ البعير: طَلَعَ، وقيل: ابتدأَ في الطُّلوع. وابْتَزَغَ الربيعُ أَي: جاء أَوَّلُه.

والبَزْغُ والتَّبْزِيغُ: التَّشْرِيطُ، وقد بَزَّغَه، واسمٌ لآلة المِبْزَغُ[1].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ [الأنعام: 78].

قال أبو حيان:[2] نصب على الحال؛ لأن هذا من رؤية العين. بَزَغ يَبْزُغ بزوغاً: إذا طلع.

البُزُوغ أول الطُّلوع بَزَغَ يَبْزُغُ. اقتدى به اتبعه وجعله قدوة له أي: متبعاً. الغمرة الشدة المذهلة وأصلها في غمرة الماء وهي ما يغطي الشيء.

قال الألوسي[3]: أي مبتدأ في الطلوع منتشر الضوء، ولعله كما قال الأزهري

(1) اللسان.
(2) البحر المحيط.
(3) روح المعاني.

مأخوذ من البَزَغُ وهو الشق، كأنه بنوره يشق الظلمة شقًّا؛ ويقال: بَزَغَ النَّابُ: إذا ظهر، وبزَغَ البيطار الدابة: إذا أسال دمها. ويقال: بَزَغَ الدم أي: سال، وعلى هذا فيمكن أن يكون بزوغ القمر مشبهاً بما ذكر وكلام الراغب صريح فيه. وظاهر الآية أن هذه الرؤية بعد غروب الكوكب.

وقال الفخر الرازي[1]: يقال: بَزَغَ القمر: إذا ابتدأ في الطلوع، وبَزَغَتِ الشمس: إذا بدأ منها طلوع. ونُجومُ بَوَازِغُ.

قال الأزهري[2]: كأنه مأخوذ في البَزْغِ وهو الشَقُّ كأنه بنوره يشق الظلمة شقاً، ومعنى الآية: أنه اعتبر في القمر مثل ما اعتبر في الكوكب.

أي: طالعاً منتشر الضوء، وبَزَغَ الناب، تشبيهاً به، وأصله من: بَزَغَ البيطار الدابة: أسال دمها فَبَزَغَ هو، أي: سال. وفي الحديث: «**حين بَزَغَت الشمسُ**» أَي: طَلَعَتْ، ونجومٌ بَوازِغُ.

(1) التفسير الكبير.
(2) تهذيب اللغة.

بس

(بس - تلّ - دك - هدم - هد)

■ **البَسُّ:** زحزحة الثابت الصلب عن أسسه ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقِعَة: 5].

■ **التَّلُّ:** الطرح أرضاً، أسقطه على التلّ ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصَّافات: 103].

■ **الدَّكُّ:** مساواة العالي الصلب بالأرض بآلة صلبة ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفَجر: 21].

■ **الهَدْمُ:** إسقاط البناء تدريجياً ابتداءً من الأعلى ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ﴾ [الحَجّ: 40].

■ **الهَدُّ:** سقوط الأعلى كله على الأسفل باستقامة بصوت كسقوط الشيء الصلب ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريَم: 90].

* * *

النصوص اللغوية:

قال أبو زيد[1]: البَسُّ السّوق؛ وقد بَسَسْتُ الإبل أبُسُّها بالضم بَسًّا. وقال أبو

(1) النوادر.

عبيدة: بَسَسْتُ الإبل وأَبْسَسْتُ لغتان: إذا زجرتها وقلت: لها بَسْ بَسْ. وفي الحديث: «**يخرج قوم من المدينة إلى اليمن والشام والعراق يَبُسُّون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون**».

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقِعَة: 5].

قال أبو السعود[1]: فُتِّتتْ حتَّى صارتْ مثلَ السويقِ الملتوتِ، من بسَّ السويقَ: إذا لتَّه أو سِيقتْ وسيرتْ من أماكنِها، من بسَّ الغنَم إذَا ساقَها كقولِه تعالَى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ [النّبَإ: 20]. وقُرِىءَ رُجَّتْ وبُسَّتْ أيْ: ارتجتْ وذهبتْ.

قال القرطبي[2]: أي: فتتت؛ عن ابن عباس: كما يُبَسُّ الدقيق أي: يُلَتّ. والبسيسة: السَّوِيق أو الدقيق يُلَتُّ بالسَّمن أو بالزيت ثم يؤكل ولا يطبخ وقد يتخذ زاداً.

وذكر ابن كثير في تفسيره[3]: قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقِعَة: 5] أي: فُتِّتَتْ فَتًّا، قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم، وقال ابن زيد: صارت الجبال كما قال الله تعالى: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المُزمّل: 14].

وقال الألوسي[4]: أي: فتت كما قال ابن عباس ومجاهد حتى صارت كالسويق الملتوت من بَسَّ السويق: إذا لتّه، وقيل: سيقت وسيرت من أماكنها، من بُسَّ الغنم: إذا ساقها.

وقرأ زيد بن علي (رُجَّتْ) و(بُسَّتْ) بالبناء للفاعل أي: ارتجت وتفتتت، وفي

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) تفسير ابن كثير.
(4) روح المعاني.

كلام هند بنت الخُس تصف ناقة بما يستدل به على حملها: عينها هاج وصلاها راج، وهي تمشي وتفاج.

وذكر ابن عاشور[1]: **البَسُّ**: يطلق بمعنى التفتت وهو تفرّق الأجزاء المجموعة، ومنه البسيسة من أسماء السويق أي: فتّتَتْ الجبال ونسفت فيكون كقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾ [طه: 105-106].

ويطلق البَسُّ أيضاً على السّوق للماشية، يقال: بَسّ الغنم: إذا ساقها. وفي الحديث: «**فيأتي قوم يَبِسُّون بأموالهم وأهليهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون**» فهو في معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ [الكهف: 47]، وقوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ [النّبإ: 20] وتأكيده بقوله: (بسًّا) كالتأكيد في قوله: (رجاً) لإفادة التعظيم بالتنوين.

(بَسَّ) أي: فتتت، من قولهم: بسست الحنطة والسويق بالماء: فتته به، وهي بَسِيسَةٌ، وقيل: معناه: سقت سوقاً سريعاً، من قولهم: انْبَسَّت الحيات: انسابت انسياباً سريعاً، فيكون كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ [الكهف: 47].

وبَسَسْتُ الإبل: زجرتها عند السوق، وأبْسَسْتُ بها عند الحلب، أي: رققت لها كلاماً تسكن إليه، وناقة بَسُوسٌ: لا تدر إلى على الإِبْسَاس، وفي الحديث: (**وجاء أهل اليمن يبسون عيالهم**) الحديث عن سفيان بن أبي زهير أنه قال: سمعت رسول الله يقول: (**يفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون**)[2].

(1) التحرير والتنوير.

(2) الحديث أخرجه البخاري، مفردات الراغب.

بسر

(بسر - عبس - كلح - أسود)

■ **البُسْرُ:** التأثر الشديد بالحدث قبل وقوعه ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة: 24-25]. . تأثر أهل النار بها قبل وصولهم إليها من شدة الخوف مما ينتظرهم قبل حدوثه لذا قال: ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾. . أي: أن تكسر ظهورهم وتقتلع فقراتهم.

■ **العَبَسُ:** قطوب الوجه من ضيق الصدر من خوف أو غضب ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ [المدَّثِّر: 22].

■ **الكُلُوحُ:** التكشير الذي يعقب العبوس لاشتداد الألم. ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: 104].

■ **الأَسْوَدُ:** عكس الأبيض ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عِمرَان: 106]. . وهي المرحلة الأخيرة بعد البسر والعبوس والكلح وشدة المساءة والشعور بالحدث المكروه ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: 58].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والسين والراء أصلان: أحدُهما الطَّراءة وأن يكون

(1) معجم مقاييس اللغة.

الشّيءُ قَبْل إناه. والأصل الآخر وُقوف الشّيءِ وقِلّةُ حَرَكته. فالأوّل قولهم: لِكلِّ شيءٍ غَضٍّ بُسْرٌ؛ ونباتٌ بُسْرٌ: إذا كان طَرِيًّا. وماءٌ بُسْرٌ: قريبُ عَهْدٍ بالسَّحاب.

البُسْرُ: الاستعجال بالشيء قبل أوانه، نحو: بَسَرَ الرجل الحاجة: طلبها في غير أوانها، وبَسَرَ الفحل الناقة: ضربها قبل الضبعة بُسْرٌ. والضبعة: شدة شهوة الفحل للناقة.

وماءٌ بُسْرٌ: متناول من غديره قبل سكونه، وقيل للقرح الذي ينكأ قبل النضج: بُسْرٌ، ومنه قيل لما لم يدرك من التمر: بُسْرٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ [المدَّثِّر: 22].

﴿وَبَسَرَ﴾ أي: أظهر العبوس قبل أوانه وفي غير وقته، فالبُسْرُ الاستعجال بالشيء، نحو بَسَرَ الرجل لحاجة طلبها في غير أوانها وبَسَرَ الفحل الناقة: ضربها قبل أن تطلب. وماء بَسْرٌ متناول من غديره قبل سكونه: وقيل للجبن الذي ينكأ قبل النضج: بَسْرٌ، ومنه قيل لما لم يدرك من الثمر بسر وبهذا فسره الراغب هنا وفسره بعضهم بأشد العبوس من بَسَرَ إذا قبض ما بين عينيه كراهة للشيء واسود وجهه منه، ويستعمل بمعنى العبوس.

قال العكبري[1]: البُسْرُ: طلب الحاجة من غير وجهها. والبُسْرُ: مصدر بسَر أي: كلح.

قال الألوسي[2]: وقول سعد: لمّا أسلمت راغمتني أمي فكانت تلقاني مرة بالبِشْر ومرة بالبِسُر: فحينئذ يكون ذكر (بَسَرَ) كالتأكيد لعبس ولعله مراد من قال

(1) المشوف المعلم. (2) روح المعاني.

اتباع له، وأهل اليمين يقولون بَسَرَ المركب وأَبْسَر: إذا وقف، ولم أر من جَوَّز إرادة ذلك هنا ولو على بعد، وفي النفس من ثبوت ذلك لغة صحيحة توقف.

وقال قوم: «بَسَر»: وَقَف لا يتقدم ولا يتأخر. قالوا: وكذلك يقول أهل اليمن إذا وقف المركب، فلم يجيء ولم يذهب: قد بَسَرَ المركب، وأَبْسَر أي: وقف وقد أَبْسَرْنا. والعرب تقول: وجه بَاسِرٌ بيِّن البُسُور: إذا تغير واسود[1] أي: أظهر العبوس قبل أوانه وفي غير وقته.

● **قال تعالى:** ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [القِيَامَة: 24].

قال الفخر الرازي[2]: **البَاسِرُ**: الشديد العبوس، والبَاسِلُ أشد منه، ولكنه غلب في الشجاع إذا اشتد كلوحه، والمعنى أنها عابسة كالحة قد أظلمت ألوانها وعدمت آثار السرور والنعمة منها، لما أدركها من الشقاء واليأس من رحمة الله، ولما سودها الله حين ميز الله أهل الجنة والنار، وقد تقدم تفسير البُسُور عند قوله: ﴿عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ [المدَّثِّر: 22].

قال ابن كثير[3]: هذه وجوه الفجار، تكون يوم القيامة باسرة، قال قتادة: كالحة، وقال السدي: تغير ألوانها، وقال ابن زيد: (بَاسِرَةٌ) أي: عابسة (تَظُنُّ) أي: تستيقن ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القِيَامَة: 25] قال مجاهد: داهية، وقال قتادة: شر، وقال السدي. تستيقن أنها هالكة، وقال ابن زيد: تظن أن ستدخل النار.

قال أبو السعود[4]: شديدةُ العبوسِ وهيَ وجوهُ الكفرةِ (تَظُنُّ) يتوقعُ أربابُها ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القِيَامَة: 25] داهيةٌ عظيمةٌ تقصمُ فقارَ الظهرِ.

---

(1) القرطبي الجامع لأحكام القرآن.
(2) التفسير الكبير.
(3) تفسير ابن كثير.
(4) إرشاد العقل السليم.

بسط

(بسط - مدّ - فرش - سوّى - اتكأ)

■ **البَسْطُ:** جعل الشيء المكوّر واسعاً. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [نُوح: 19].

■ **المَدُّ:** جعل الشيء المتكمش طويلاً ومتحركاً. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفُرقان: 45].

■ **الفَرْشُ:** جعل الشيء الأجرد وثيراً. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البَقَرَة: 22].

■ **التَّسْوِيَةُ:** جعل الشيء الصعب بالوعورة سهلاً. قال تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البَقَرَة: 29].

■ **المُتَّكَأُ:** المكان الذي يتكأ عليه، والمخدّة المتّكأ عليها ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطُّور: 20].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والسين والطاء أصلٌ واحدٌ، وهو امتِدادُ الشَّيء، في عِرَض أو غير عِرَض. فالبِساط ما يُبْسط. والبَسَاط: الأرض، وهي البسيطة. يقال: مكان بَسِيطٌ وبَساط.

(1) معجم مقاييس اللغة.

بَسْطُ الشيء: نشره وتوسيعه، فتارة يتصور منه الأمران، وتارة يتصور منه أحدهما، ويقال: بسط الثوب: نشره، في أَسماء الله تعالى: الباسطُ، هو الذي يَبْسُطُ الرزق لعباده ويوسّعه عليهم بجُوده ورحمته ويبسُط الأَرواح في الأَجساد عند الحياة.

قال الكجراني(1): والبَسْطُ نقيض القَبْضِ، بسَطَه يبسُطه بَسْطاً فانبسَط وبَسَّطَه فتبَسَّط؛ قال بعض الأَغفال: إِذا الصَّحيحُ غَلَّ كَفًّا غَلاًّ، بَسَّطَ كَفَّيْهِ مَعاً وبَلاّ. وبسَط الشيءَ: نشره، وبالصاد أَيضاً. وبَسْطُ العُذْرِ: قَبوله. وانبسَط الشيءُ على الأَرض، والبَسِيطُ من الأَرض: كالبِساطِ من الثياب، والجمع البُسُطُ. والبِساطُ ما بُسِط.

المعنى المشترك لكلمة (ب س ط)

وقد وردت كلمة (بسط) في القرآن الكريم على ستة أوجه:

الوجه الأول: البسط: يعني الضرب ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: 93].

الوجه الثاني: البسط: بمعنى السعة ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشّورى: 27].

الوجه الثالث: البسط: يعني الفتح ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسرَاء: 29].

الوجه الرابع: البسط: يعني المهد والفراش ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [نُوح: 19].

الوجه الخامس: البسط: يعني الفضل والقوة ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البَقَرَة: 247].

(1) بحار الأنوار.

الوجه السادس: البسط: يعني مد اليد من البعد ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ﴾ [الرّعد: 14].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا﴾ [نُوح: 19].

قال أبو السعود(1): تتقلبونَ عليها تقلبَكُم على بُسُطِكُم في بيوتِكُم، وتوسيطُ لكُم بينَ الجعلِ ومفعوليهِ مع أنَّ حقَّهُ التأخيرُ لما مرَّ مراراً من الاهتمامِ ببيانِ كونِ المجعولِ من منافعِهم والتشويقِ إلى المؤخرِ فإنَّ النفسَ عند تأخيرِ ما حقُّه التقديمُ لا سيَّما عند كونَ المقدمِ ملوِّحاً بكونِهِ من المنافعِ تبقَى مترقبةً لهُ فيتمكنُ عندَ ورودِهِ لها فضلُ تمكنٍ.

قال الألوسي(2): تتقلبون عليها كالبساط، وليس فيه دلالة على أن الأرض مبسوطة غير كروية كما في «البحر» وغيره لأن الكرة العظيمة يرى كل من عليها ما يليه مسطحاً ثم إن اعتقاد الكروية أو عدمها ليس بأمر لازم في الشريعة لكن كريتها كالأمر اليقيني وإن لم تكن حقيقية ووجه توسيط (لَكُمُ) بين الجعل ومفعوله الصريح يعلم مما مر غير مرة.

ذكر ابن عاشور(3): **البساط**: ما يفرش للنوم عليه والجلوس من ثوب أو زربية. فالإخبار عن الأرض ببساط تشبيه بليغ، أي: كالبساط، ووجه الشبه تناسب سطح الأرض في تعادل أجزائه بحيث لا يوجع أرجل الماشين ولا يُقِضُّ جنوب المضطجعين، وليس المراد أن الله جعل حجم الأرض كالبساط لأن حجم الأرض كُرَوي.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) روح المعاني.
(3) التحرير والتنوير.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [البَقَرَة: 245].

قال الفخر الرازي[1]: ففي بيان أن هذا كيف يناسب ما تقدم وجوه أحدها: أن المعنى: أنه تعالى لما كان هو القابض الباسط، فإن كان تقدير هذا الذي أمر بإنفاق المال الفقر فلينفق المال في سبيل الله، فإنه سواء أنفق أو لم ينفق فليس له إلا الفقر، وإن كان تقديره الغنى فلينفق فإنه سواء أنفق أو لم ينفق فليس له إلا الغنى والسعة وبسط اليد، فعلى كلا التقديرين يكون إنفاق المال في سبيل الله أولى، وثانيها: أن الإنسان إذا علم أن القبض والبسط بالله انقطع نظره عن مال الدنيا، وبقي اعتماده على الله، فحينئذٍ يسهل عليه إنفاق المال في سبيل مرضاة الله تعالى، وثالثها: أنه تعالى يوسع عن عباده ويقتر، فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم، لئلا يبدل السعة الحاصلة لكم بالضيق، ورابعها: أنه تعالى لما أمرهم بالصدقة وحثهم عليها أخبر أنه لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه وإعانته، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ يعني: يقبض القلوب حتى لا تقدم على هذه الطاعة، ويبسط بعضها حتى يقدم على هذه الطاعة.

قال الألوسي[2]: أن أسرار العارفين من قبضة الكبرياء وينشرها في مشاهدة ثناء الأبدية، ويقال: القبض سره والبسط كشفه، وقيل: القبض للمريدين والبسط للمرادين أو الأول: للمشتاقين والثاني: للعارفين، والمشهور أن القبض والبسط حالتان بعد ترقي العبد عن حالة الخوف والرجاء، فالقبض للعارف كالخوف للمستأمن، والفرق بينهما أن الخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقبل مكروه أو محبوب، والقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت يغلب على قلب العارف من وارد غيبي وكان الأول: من آثار الجلال والثاني: من آثار الجمال.

وقال القشيري[3]: قوله جلّ ذكره: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البَقَرَة: 245].

---

(1) التفسير الكبير.

(2) روح المعاني الألوسي.

(3) لطائف الإشارات.

يقبض الصدقة من الأغنياء قبض قبوله، ويبسط عليهم بسط خَلَفِه.

ويقال: يقبض الرزق أي: يُضَيق، يبسط الرزق أي: يوسِّع؛ يقبض على الفقراء ليمتحنَهم بالصبر، ويبسط على الأغنياء ليطالبهم بالشكر.

ويقال: يقبض تسلية للفقراء ليطالبهم حتى لا يروا من الأغنياء، ويبسط لئلا يتقلدوا المِنَّةَ من الأغنياء.

ويقال: قال للأغنياء: إذا أنا قبضت الرزق على الفقراء فلا تذروهم، وإذا أنا بسطت عليكم فلا تروا ذلك لفضيلة لكم.

ويقال: قَبَضَ القلوب بإعراضه وبَسَطَها بإقباله.

ويقال: القبض لما غلب القلوب من الخوف، والبسط لما يغلب عليها من الرجاء

ويقال: القبض لقهره والبسط لِبِرِّه. ويقال القبض لِسرِّه والبسط لكشْفِه.

ويقال: يقبضه عنك ثم يبسطك به. ويقال القبض حقه، والبسط حظك.

ويقال: القبض لمن تولّى عن الحق، والبسط لمن تجلى له الحق.

ويقال: يقبض إذا أَشْهَدَكَ فِعْلَكَ، ويبسط إذا أشهدك فضله.

ويقال: يقبض بذكر العذاب ويبسط بذكر الإيجاب.

وفي حديث فاطمة، رِضْي الله عليها: «**يبسُطُني ما يبسُطُها**» أَي: يسُرُّني ما يسُرُّها لأَن الإِنسان إِذا سُرَّ انبسط وجهُه واستَبْشر. وفي الحديث: «**لا تَبْسُطْ ذِراعَيْكَ انْبِساطَ الكلب**» أَي: لا تَفْرُشْهما على الأَرض في الصلاة.

بسق

(بسق - شمخ - طال)

■ **البَاسِقُ:** الذاهب طولاً من جهة الارتفاع باستقامة ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ [قٓ: 10].

■ **الشُّمُوخُ:** الذهاب بالأنف ارتفاعاً للتميز والتعالي ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ﴾ [المُرسَلات: 27].

■ **الطَّوْلُ:** بفتح الطاء المستطيل على غيره بالثراء أو السلطان أو القدرة ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: 86].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الباء والسين والقاف أصلٌ واحد، وهو ارتفاع الشيء وعُلُوُّه.

قال الخليل(2): يقال بَسَقَتِ النّخلةُ بُسُوقاً: إذا طالَتْ وكَمُلَتْ.

قال العكبري(3): بسق: طال، وبسق في العلم: علا.

قال الجوهري(4): البُساقُ: البصاقُ. وقد بَسَقَ بَسْقاً.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) المشوف المعلم.
(4) الصحاح في اللغة.

وبَسَقَ النخلَ بُسوقاً، أي: طال.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ ويقال: بَسَقَ فلانٌ على أصحابه، أي: عَلاهُم.

وأَبْسَقَتِ الناقةُ: إذا وقع في ضرعها اللِبَأُ قبل النِتاج، فهي مُبْسِقٌ، ونوقٌ مَباسيقُ.

قال الأصمعي[1]: إذا أشرق ضَرْع الناقة ووقع فيه اللبن فهي مُضْرِع، فإذا وقع فيه اللبن قبل النتاج فهي مُبسِق.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [قٓ: 10].

قال الفخر الرازي[2]: وقوله تعالى: ﴿بَاسِقَٰتٍ﴾ يؤكد كمال القدرة والاختيار، وذلك من حيث إن الزرع إن قيل فيه إنه يمكن أن يقطف من ثمرته لضعفه وضعف حجمه، فكذلك يحتاج إلى إعادته كل سنة. والجنات لكبرها وقوتها تبقى وتثمر سنة بعد سنة فيقال: أليس النخل الباسقات أكثر وأقوى من الكرم الضعيف. والنخل محتاجة كل سنة إلى عمل عامل والكرم غير محتاج، فالله تعالى هو الذي قدر ذلك لذلك لا للكبر والصغر والطول والقصر.

قال الألوسي[3]: ﴿بَاسِقَٰتٍ﴾ أي: طوالاً أو حوامل من أبسقت الشاة إذا حملت فيكون على هذا من أفعل فهو فاعل، والقياس مفعل فهو من النوادر كالطوائح واللواقح في أخوات لها شاذة ويافع من أيفع وباقل من أبقل. ونصبه

(1) الأضداد.
(2) التفسير الكبير.
(3) روح المعاني.

على أنه حال مقدرة. وروى قطبة بن مالك عن النبي ﷺ أنه قرأ (باصقات) بالصاد وهي لغة لبني العنبر يبدلون من السين صاداً إذا وليتها أو فصل بحرف أو حرفين خاء معجمة أو عين مهملة أو طاء كذلك أو قاف.

قال أبو السعود[1]: ﴿بَاسِقَٰتٍ﴾ أيْ: طوالاً أو حواملَ، منْ أبسقتِ الشاةُ، إذَا حملتْ فيكونُ منْ بابِ أفعلَ فهو فاعلٌ وقرئَ باصقاتٍ لأجلِ القافِ.

قال القشيري[2]: والنخلُ باسقاتٌ: طويلاتٌ، لها طَلْعٌ منضود بعضُه فوق بعض لكثرة الطَّلْع أو لما فيها مِن الثمار. وكيف جعلنا بعض الثمار متفرقة كالتفاح والكمثرى وغيرهما، وكيف جعلنا بعضها مجتمعة كالعنب والرطب وغيرهما.. كلٌّ ذلك جعلناه رزقاً للعباد ولكي ينتفعوا به.

---

(1) إرشاد العقل السليم. (2) لطائف الإشارات.

بسل

(بسل - حرم - حرد - عضل)

■ **الإبسالُ:** الحرمان من الخير عموماً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ﴾ [الأنعَام: 70]. . أي حرموا من كل خير.

■ **الحِرمَانُ:** منع النفس مما هو متيسر عند الغير ﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذّاريَات: 19].

■ **الحَرْدُ:** المنع من شدة الغضب ﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ [القَلَم: 25].

■ **العِضلُ:** المنع بالقهر ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البَقَرَة: 232].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والسين واللام أصلٌ واحد تتقارب فُروعُه، وهو المنْع والحبس، وذلك قولُ العرب للحرام: بَسْلٌ. وكلُّ شيءٍ امتَنَع فهو بَسْلٌ.

البَسْلُ: ضم الشيء ومنعه، ولتضمنه لمعنى الضم استعير لتقطيب الوجه، فقيل: هو بَاسِلٌ ومُبْتَسِلُ الوجه، ولتضمنه لمعنى المنع قيل للمحرم والمرتهن: بَسْلُ، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الأنعَام: 70] أي: تحرم الثواب، والفرق بين الحرام والبَسْلُ أن الحرام عام فيما كان ممنوعاً منه بالحكم أو بالقهر، والبَسِلُ: هو الممنوع منه بالقهر[2].

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) مفردات الراغب.

﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسُۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الأنعام: 70] أي: تُرْتَهن وتُسلم للْهَلَكة؛ عن مجاهد وقتادة والحسن وعِكْرمة والسُّدِّي. والإِبْسَالُ: تسليم المرء للهلاك؛ هذا هو المعروف في اللغة. أبْسَلْتُ ولدي: أرهنته.

قال أبو الهلال[1]: أصل البَسْلُ: الحرام. فكأن البَاسِلْ حرام أن يصاب في الحرب. والبَسَالَةُ تبنى عند الشدة ومنع العدو من الاقتراب منه.

والإِبْسَالُ: التحريم[2].

قال صاحب «الكشاف»[3]: أصل الإِبْسَالُ المنع ومنه: هذا عليك بَسْلٍ أي: حرام محظور، والبَاسِلُ: الشجاع لامتناعه من خصمه، أو لأنه شديد البسور، يقال: بَسَرَ الرجل، إذا اشتد عبوسه، وإذا زاد قالوا: بَسَلَ، والعابس منقبض الوجه. إذا عرفت هذا فنقول: قال ابن عباس: ﴿تُبْسَلَ نَفْسُۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: ترتهن في جهنم بما كسبت في الدنيا. وقال الحسن ومجاهد: تسلم للمهلكة أي: تمنع عن مرادها وتخذل. وقال قتادة: تحبس في جهنم، وعن ابن عباس (تُبْسَلَ) تفضح و(أُبْسِلُواْ) فضحوا، ومعنى الآية وذكرهم بالقرآن، ومقتضى الدين مخافة احتباسهم في نار جهنم بسبب جناياتهم لعلهم يخافون فيتقون.

في القرآن الكريم:

● **وقال تعالى**: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ﴾ [الأنعام: 70].

قال أبو السعود[4]: أي: حرموا الثواب، وفُسِّرَ بالارتهان لقوله: ﴿كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدَّثِّر: 38].

(1) معجم الفروق اللغوية.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن.
(3) الكشاف، التفسير الكبير الرازي.
(4) إرشاد العقل السليم.

والجملةُ مستأنفةٌ سيقت إثرَ تحذيرِهم من الإِبْسالِ المذكور لبيان أنهم المبتَلَوْن بذلك أي: أولئك المتخِذون دينَهم لعباً ولهواً المغترون بالحياة الدنيا هم الذين أُبسِلوا بما كسبوا، وقولُه تعالى: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الأنعَام: 70] استئناف آخَرُ مُبينٌ لكيفية الإِبْسَال المذكور وعاقبتِه، مبنيٌّ على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل: ماذا لهم حين أُبْسِلُوا بما كسبوا؟ فقيل: لهم شرابٌ من ماءٍ مغليَ يتجَرْجَرُ في بطونهم وتتقطَّعُ به أمعاؤهم ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ بنار تشتعل بأبدانهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعَام: 70] أي: بسبب كفرهم المستمر في الدنيا وقد جُوِّز أن يكون (لهم شراب) الخ، حالاً من ضمير (أُبْسِلُوا) وترتيبُ ما ذُكر من العذابَيْن على كفرهم مع أنهم معذبون بسائر معاصيهم أيضاً حسبما ينْطق به قولُه تعالى: ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ لأنه العُمدةُ في إيجاب العذاب والأهمُ في باب التحذير، أو أريد بكفرهم ما هو أعمُّ منه ومن مستتْبِعاته من المعاصي والسيئات هذا، وقد جوِّز أن يكون أولئك إشارةً إلى النفوس المدلولِ عليها (بنفسٍ) محلُه الرفعُ بالابتداء والموصولُ الثاني صفتُه أو بدلٌ منه ولهم شراب الخ خبرُه والجملة مَسوقةٌ لبيان تَبِعةِ الإبسال.

قال الألوسي[1]: ومعنى (تُبْسَلَ) تحبس كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

وفي رواية ابن أبي حاتم عنه: تسلم. وروي ذلك أيضاً عن الحسن ومجاهد والسدي واختاره الجبائي والفراء، وفي رواية ابن جرير وغيره تفضح.

«(تُبْسَلَ) هنا بمعنى تحرَمَ الثواب». وذكر غير واحد/ أن الإِبْسَالُ والبَسْلُ في الأصل المنع، ومنه أَسَدُ بَاسِلٌ لأن فريسته لا تفلت منه أو لأنه متمنع، والبَاسِلُ: الشجاع لامتناعه من قرنه، وجاء البَسْلُ بمعنى الحرام. وفرَّق الراغب بينهما «بأن الحرام عام لما منع منه بحكم أو قهر والبَسْلُ الممنوع [منه] بالقهر»، ويكون بَسَلَ بمعنى: أَجَلَّ ونعم، واسم فعل بمعنى أكفف. وتنكير (نَفْسٌ) للعموم مثله في قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التّكوير: 14].

(1) روح المعاني.

وذكر ابن عبد السلام[1]: (أَن تُبْسَلَ) تُسْلَم، أو تُحبس، أو تُفضح، أو تؤخذ بما كسبت أو تجزى، أو ترتهن، أسد بَاسِلٌ: يرتهن الفريسة بحيث لا تفلت، وأصل الإِبْسَالُ: التحريم، شراب بَسِيلُ: حرام.

قال الشعراوي[2]: والبَسْلُ معناه: المنع، والمنع له صورتان: الأولى منع حركة حياة حي. . أي أن تحبسه في مكان محدد يتحرك فيه، والثانية: منع من أصل الحياة. . أي: أن تهلكه وتزهق روحه، ﴿تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الأنعام: 70] أي: تُمنع نفس بما كسبت والمنع إما بالهلاك أو بالحبس حبساً يديم عليها العذاب. والحبس في أعراف البشر وهو وضع إنسان في مكان لكفِّه عن ظلم غيره،أي أننا نمنع شرور إنسان عن المجتمع بوضعه في الحبس. وعندما جاء الإسلام لم يحبس فرداً إنما حبس المجتمع عن فرد، وهذا عقاب أكبر وأشد؛ فقد ترك الإسلام المجرم حرًّا في المجتمع ولكنه حبس المجتمع عنه؛ فالمجرم يمشي فلا يجد من يكلمه أو يضحك له أو يفرح معه أو يشاركه حزنه.

وحدث ذلك عندما حبس المؤمنون أنفسهم عن ثلاثة تخلفوا عن الغزو مع رسول الله ﷺ حتى أن إنساناً منهم جاء ليقرب امرأته فرفضت. وحاول ثانٍ أن يسلم على ابن عمه فما رد عليه السلام فجلس يبكي. وقاطع كل الناس هؤلاء الثلاثة،وهذه هي عظمة الإسلام، لقد سجن المجتمع عن المجرم فتعذب المجرم بقطيعة المجتمع له.

(1) التفسير العظيم. (2) تفسير الشعراوي.

بسم

(بسم - ضحك)

■ **الابْتِسَامُ:** بداية الشروع في الضحك لظهور الأسنان بدون صوت ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: 19].

■ **الضَّحِكُ:** انبساط الوجه وتكشر الأسنان مع صوت ﴿وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ [هود: 71].

ويكون ذلك لواحد من ثلاثة:

1 - للسرور: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النّجم: 43].

2 - للتعجب: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾.

3 - للسخرية: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: 110].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الباء والسين والميم أصلٌ واحد، وهو إبداء مُقَدَّم الفَم لمسَرّة؛ وهو دون الضَّحِك يقال: بَسَم يَبْسِم وتَبَسَّم وابْتَسَم. بَسَمَ يَبْسِم بَسْماً وابْتَسَمَ وتَبَسَّم: وهو أَقلُّ الضَّحِك وأَحسنُه.

قال الزجاج(2): التَّبَسُّم أكثرُ ضَحِك الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام. وقال

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) معاني القرآن.

الليث: بَسَمَ يَبْسم بَسْماً: إذا فَتح شَفَتَيه كالمُكاشِر، وامرأة بَسَّامةٌ ورجل بَسَّامٌ. وفي صفته ﷺ: أنه كان جلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّم، وابْتَسَمَ السحابُ عن البَرْق: انْكَلَّ عنه.

قال الجوهري[1]: التَبَسُّمُ: دون الضحك. يقال: بَسَمَ بالفتح يبسِمُ بَسْماً فهو باسمٌ، وابْتَسَمَ وتَبَسَّمَ. والمَبْسِمُ: الثغر. ورجلٌ مِبسامٌ وبَسَّامٌ: كثير التبسُّم.

قال الفيروز آبادي[2]: بَسَمَ يَبْسِمُ بَسْماً وابْتَسَمَ وتَبَسَّمَ: وهو أَقَلُّ الضَّحِكِ وأَحْسَنُهُ، فهو باسِمٌ ومِبْسامٌ وبَسَّامٌ. والمَبْسِمُ، كَمَنْزِلٍ: الثَّغْرُ، وكمَقْعَدٍ: التَّبَسُّمُ. وما بَسَمْتُ في الشيء: ما ذُقْتُه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النَّمل: 19].

قال الفخر الرازي[3]: يعني تَبَسَّم شارعاً في الضحك (وآخذاً فيه)، بمعنى أنه قد تجاوز حد التَّبَسُّم إلى الضحك، وإنما ضحك لأمرين: أحدهما: إعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده (وشفقتهم) وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى، وذلك قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: 18] والثاني: سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحداً من سماعه لكلام النملة وإحاطته بمعناه.

وقال القرطبي[4]: أي من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بألاّ يشعروا. وقد قيل: إن تَبَسُّمَ سليمان سرور بهذه الكلمة منها؛ ولذلك أكد التَّبَسُّم بقوله: ﴿ضَاحِكًا﴾ إذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضا،

(1) الصحاح في اللغة.
(2) القاموس المحيط.
(3) التفسير الكبير.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

ألا تراهم يقولون: تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الغضبان وتَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المستهزئين. وتَبَسَّمَ: الضحك إنما هو عن سرور، ولا يُسرّ نبيّ بأمر دنيا؛ وإنما سُرّ بما كان من أمر الآخرة والدّين.

بنفس (تَبَسَّمَ) لأنه في معنى ضحك. ومن قرأ: ﴿ضَاحِكًا﴾ فهو منصوب على الحال من الضمير في (تَبَسَّمَ). والمعنى تَبَسَّم مقدار الضحك؛ لأن الضحك يستغرق التَّبَسُّمَ، والتَّبَسُّم دون الضحك وهو أوّله. يقال: بَسَمَ بالفتح يَبْسِم بَسْماً فهو بَاسِمٌ وابْتَسَمَ وتَبَسَّمَ، والمَبْسِم: الثغر مثل المجلس من جلس يجلس ورجل مِبسَامٌ وبَسَّامٌ كثير التَّبَسُّم، فالتَّبَسُّم ابتداء الضحك. والضحك عبارة عن الابتداء والانتهاء، إلا أن الضحك يقتضي مزيداً على التَّبَسُّم، فإذا زاد ولم يضبط الإنسان نفسه قيل قهقهة.

والتَّبَسُّم ضحك الأنبياء عليهم السلام في غالب أمرهم. وفي الصحيح عن جابر بن سَمُرة وقيل له: أكنت تجالس النبيّ ﷺ؛ قال: نعم كثيراً؛ كان لا يقوم من مصلاّه الذي يصلّي فيه الصبح - أو الغداة - حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدّثون ويأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون وَيَتَبَسَّم. وفيه «عن سعد قال: كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين، فقال له النبيّ ﷺ: «**ارمِ فداك أبي وأميّ**» قال: فنزعت له بسهم ليس فيه نصل فأصبت جنبه فسقط فانكشفت عورته، فضحك رسول الله ﷺ حتى نظرت إلى نواجذه» فكان عليه السلام في أكثر أحواله يتبسم. وكان أيضاً يضحك في أحوال أُخَر ضحكاً أعلى من التَّبَسُّم وأقل من الاستغراق الذي تبدو فيه اللَّهَوات. وكان في النادر عند إفراط تعجبه ربما ضحك حتى بدت نواجذه. وقد كره العلماء منه الكثرة؛ كما قال لقمان لابنه: «يا بنيّ إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب».

وقال ابن عاشور[1]: تَبَسُّمُ سليمان من قولها، تَبَسُّمُ تَعَجُّبٍ. والتَّبَسُّم أضعف

(1) التحرير والتنوير.

حالات الضحك فقوله: (ضاحكاً) حال موكدة لـ (تبسَّم) وضحك الأنبياء التَبَسُّمِ، كما ورد في صفة ضحك رسول الله ﷺ أو ما يقرب من التبسّم مثل بدوّ النواجذ كما ورد في بعض صفات ضحكه. وأما القهقهة فلا تكون للأنبياء، وفي الحديث: «**كثرة الضحك تميت القلب**».

بشر

(بشر - فرح - بهج - حبر - سرّ)

- **البِشَارَةُ:** الفرح بالخير ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزُّمَر: 17].
- **الفَرَحُ:** خفقة في القلب من الحصول على أمنية ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الرُّوم: 4].
- **البَهْجَةُ:** الفرح بما تقع عليه العين ﴿حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النَّمل: 60].
- **الحَبُورُ:** الفرح بالنعمة ورغد العيش ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الرُّوم: 15].
- **السُّرُورُ:** الفرح الخفي بالقلب ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: 9].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والشين والراء أصلٌ واحد: ظهور الشّيء مع حُسْنٍ وجمال. فالبَشَرة ظاهِرُ جِلْد الإنسان، ومنه: باشَرَ الرَّجُلُ المرأةَ، وذلك إفضاؤه ببَشَرتِه إلى بَشَرتها.

البَشَرُ: الخَلْقُ يقع على الأُنثى والذكر والواحد والاثنين والجمع لا يثنى ولا يجمع؛ يقال: هي بَشَرٌ وهو بَشَرٌ وهما بَشَرٌ وهم بَشَرٌ. ابن سيده: البَشَرُ: الإِنسان الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء، وقد يثنى.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الجوهري[1]: البَشَرَةُ والبَشَرُ: ظاهرُ جلدِ الإنسان. وبَشَرَةُ الأرضِ: ما ظهر من نباتها. وقد أَبْشَرَتِ الأرضُ، وما أحسن بَشَرَتَها. والبَشَرُ: الخلقُ. ومُباشَرَةُ المرأةِ: ملامستُها. والحِجْرُ المُباشِرُ: التي تَهُمُّ بالفحلِ. ومُباشَرَةُ الأمورِ: أن تليَها بنفسك. وبَشَرْتُ الأديمَ أَبْشُرُهُ بَشْراً: إذا أخذْت بَشَرَتَهُ. وفلانٌ مُؤْدَمٌ مُبْشَرٌ: إذا كان كاملاً من الرجال، كأنه جَمَعَ لينَ الأَدَمَةِ وخُشونَةَ البَشَرَةِ. وبَشَرَ الجرادُ الأرضَ: أكَلَ ما عليها. والبَشْرُ أيضاً: المُباشَرَةُ. وبَشَرْتُ الرجلَ أَبْشُرُهُ بالضم بَشْراً وبُشوراً، من البُشرى. وكذلك الإِبْشارُ والتَبْشيرُ، ثلاثُ لغاتٍ، والاسمُ البِشارَةُ. والبُشارَةُ، بالضم والكسر. يقال: بَشَرْتُهُ بمولودٍ فأَبْشَرَ إِبْشاراً، أي: سُرَّ. وتقول: أَبْشِرْ بخيرٍ، بقطعِ الألف. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ﴾ [فُصّلَت: 30]. بكذا بالكسر، أَبْشَرُ، أي: اسْتَبْشَرْتُ به.

والبِشارَةُ المطلقة لا تكون إلاّ بالخير، وإنَّما تكون بالشر إذا كانت مقيَّدةً به، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عِمرَان: 21]. وتَباشَرَ القَومُ، أي: بَشَّرَ بعضُهم بعضاً. والتَباشيرُ: البُشْرى. وتَباشيرُ الصبحِ: أوائلُه، وكذلك أوائلُ كلِّ شيء. والبَشيرُ: المُبَشِّرُ. والمُبَشِّراتِ: الرياحُ التي تُبَشِّرُ بالغيث. والبَشيرُ: الجميلُ. وامرأةٌ بشيرةٌ وناقةٌ بَشيرَةٌ، أي: حسنةٌ. والبَشارَةُ، بالفتح: الجَمالُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: 47].

قال أبو السعود[2]: ثَنّى البشرَ لأنّه يُطلقُ على الجمعِ كما في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [مريم: 26] ولم يثنِّ المِثْلَ نظراً إلى كونه في حكمِ

(1) الصحاح في اللغة. (2) إرشاد العقل السليم.

المصدرِ. وهذه القصصُ كما تَرى تدلُّ على أنَّ مدار شُبَه المُنكرين للنُّبوةِ قياسُ حالِ الأنبياءِ على أحوالِهم بناءً على جهلِهم بتفاصيلِ شؤونِ الحقيقةِ البشريَّةِ وتباينِ طبقاتِ أفرادِها في مراقي الكمالِ ومَهَاوي النُّقصانِ بحيثُ يكونُ بعضُها في أعلى عِلِّيِّينَ وهم المختصُّون بالنُّفوس الزكيَّةِ المؤيِّدون بالقُوَّةِ القُدسيَّةِ المتعلِّقون لصفاءِ جواهرِهم بكِلا العالمينِ الروحانيِّ والجسمانيِّ يتلقَّون من جانبٍ ويُلقون من جانبٍ ولا يعوقُهم التَّعلُّقُ بمصالحِ الخلقِ عن التَّبتلِ إلى جنابِ الحقِّ وبعضُها في أسفلِ سافلينَ كأولئك الجَهَلة الذين هم كالأنعامِ بلْ هُم أضلُّ سبيلاً.

قال الألوسي[1]: ثنى البشر لأنه يطلق على الواحد كقوله تعالى: ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريَم: 17] ويطلق على الجمع كما في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [مريَم: 26] ولم يثن (مثل) نظراً إلى كونه في حكم المصدر، ولو أفرد البشر لصح لأنه اسم جنس يطلق على الواحد وغيره، وكذا لو ثنى المثل فإنه جاء مثنى في قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ [آل عِمرَان: 13] ومجموعاً في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محَمَّد: 38] نظراً إلى أنه في تأويل الوصف إلا أن المرجح لتثنية الأول وإفراد الثاني الإشارة بالأول إلى قلتهما وانفرادهما عن قومهما مع كثرة الملأ واجتماعهم وبالثاني إلى شدة تماثلهم حتى كأنهم مع البشرين شيء واحد وهو أدل على ما عنوه.

وهذه القصص كما ترى تدل على أن مدار شبه المنكرين للنبوة قياس حال الأنبياء عليهم السلام على أحوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شؤون الحقيقة البشرية وتباين طبقات أفرادها في مراقي الكمال ومهاوي النقصان بحيث يكون بعضها في أعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين اللطيف والكثيف فيتلقون من جانب ويلقون إلى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل إلى حضرة الحق وبعضها في

(1) روح المعاني.

أسفل سافلين وهم كأولئك الجهلة الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً. ومن العجب أنهم لم يرضوا للنبوة ببشر، وقد رضي أكثرهم للإلٰهية بحجر فقاتلهم الله تعالى ما أجهلهم، والهمزة للإنكار أي لا نؤمن لبشرين مثلنا.

● **قال تعالى:** ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عِمرَان: **170**] ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ [آل عمران: **171**].

قال القرطبي[1]: لم يلحقوا بهم في الفضل، وإن كان لهم فضل. وأصله من البَشرة؛ لأن الإنسان إذا فَرِح ظهر أثر السّرور في وجهه. وقال السّدّي: يؤتى الشهيد بِكتابٍ فيه ذكرُ من يَقْدَمُ عليه من إخوانه، فَيَسْتَبْشِرُ كما يَسْتَبْشِرُ أهل الغائب بقُدومِه في الدنيا. وقال قَتادةُ وابن جُرِيْج والرّبيعُ وغيرُهم: استبشارهم بأنهم يقولون: إخواننا الذين تركنا ما نحن فيه؛ فيسرّون ويفرحون لهم بذلك. وقيل: إن الإشارة بالاستبشار للذين لم يَلحقوا بهم إلى جميع المؤمنين وإن لم يُقتَلوا، ولكنهم لما عاينوا ثواب الله وقع اليقين بأن دِين الإسلام هو الحق الذي يثيب الله عليه؛ فهم فَرِحون لأنفسهم بما آتاهم الله من فضله، مستبشرون للمؤمنين بأن لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون. ذهب إلى هذا المعنى الزجّاج وابن فُورَك.

● **وقال تعالى:** ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الرُّوم: **46**].

قال العز بن عبد السلام[2]: أي: تبشر بالغيث والرحمة.

﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ بالمطر، رياح الرحمة أربعة: المبشرات والذاريات والناشرات والمرسلات، ورياح العذاب أربعة: العقيم والصرصر في البر والعاصف والقاصف في البحر.

وقال ﷺ: «**انقطع الوحي ولم يبق إلا المبشرات، وهي الرؤيا الصالحة، يراها المؤمن أو ترى له**»[3].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.

(2) التفسير العظيم.

(3) اللسان، الحديث أخرجه البخاري ومسلم.

وبُشْرَى اسم رجل لا ينصرف في معرفة ولا نكرة، للتأْنيث ولزوم حرف التأْنيث له، وإِن لم يكن صفة لأَن هذه الأَلف يبنى الاسم لها فصارت كأَنها من نفس الكلمة، وليست كالهاء التي تدخل في الاسم بعد التذكير.

والبِشْرُ اسم ماء لبني تغلب.

ويقال للخبر السار: البشارة والبشرى ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [يونس: 64].

بصر

(بصر - علم - معرفة - فقه)

■ **البَصَر:** اجتماع العلم والمعرفة. قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يُوسُف: 108].

■ **العِلْمُ:** إدراك المعنى الظاهر. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الرُّوم: 7].

■ **المَعْرِفَة:** إدراك ما خفي من الشيء بزيادة طاقة عقلية. قال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محَمَّد: 30].

■ **الفِقْهُ:** حسم الفهم لمسائل العلم ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعَام: 98].

* * *

شرح المعاني:

(بصر – رؤية – نظر)

1 – رأى: هي أول ما يُرى الشيء بعد أن كان غير موجود. ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [مريَم: 26] وقال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [فُصِّلَت: 29].

وأضيف ما ورد في كتاب المفردات في غريب القرآن للأصفهاني عن كلمة رأى: والرؤية إدراك المرئي وهي على عدة أوجه:

بالحاسّة وما يجري مجراها كما في قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ

﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر: 6-7] وكقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: 105] وهنا أُجري مجرى الحاسّة لأن الحاسّة لا تصح على الله تعالى عن ذلك وكقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: 27] والثاني: بالوهم والتخيّل ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: 50] بالتفكّر: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: 48] بالعقل: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النّجم: 11] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النّجم: 13] إذا تعدّى فعل رأى إلى مفعولين دلّ على معنى العلم ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [سَبَإ: 6] ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا﴾ [الكهف: 39].

2 - **البَصَرُ**: هو وقع النظر على شخص أو شيء مُعيّن، ومنها غضّ البصر. والبَصَرُ جمعها أبصار وهو عمل العين ويقال للجارحة: الباصرة ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأحزاب: 10] ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [الأحقاف: 26] ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السَّجدَة: 12]، أما بصيرة فجمعها بصائر وهي عمل القلب ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: 14] ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: 108]. ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [قٓ: 22] يُرفع الغطاء عن البصر في الآخرة فيُبصر الإنسان كل ما كان محجوباً عنه ولم يكن يراها من قبل. ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النّجم: 17] وإنما نظر إلى ما أراده الله أن ينظر إليه ولم يتعداه لأي شيء آخر مع ما كان في رحلة المعراج من مناظر وأحداث مبهرة وهذا من أدب الرسول علية الصلاة والسلام.

3 - **النَّظَرُ**: بحث بين الأشياء ليحدد ما يُريد، كأن ينظر إلى جمعٍ من بعيد ليرى شخصاً ما يعرفه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: 22-23]. وهو تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته. وقد يُراد به التأمل والتفحّص ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: 101] بمعنى تأملوا. ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾ [الغَاشِيَة: 17]، ونظر الله تعالى إلى عباده بمعنى إحسانه إليهم وإفاضة نعمته عليهم ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عِمرَان: 77].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والصاد والراء أصلان: أحدهما العِلْمُ بالشيء؛ يقال: هو بَصِيرٌ به. ومن هذه البَصيرةُ، والقِطعةُ من الدّمِ إذا وقعت بالأرض استدارت.

والبَصيرة: التُّرس فيما يُقال. والبَصيرةُ: البُرْهان. وأصل ذلك كلِّه وُضُوحُ الشيء. ويقال: رَأَيْتُه لَمْحاً باصراً، أي: ناظراً بتحديقٍ شديد. ويقال: بَصُرْتُ بالشيءِ إذا صِرْتَ به بصيراً عالماً، وأبْصَرتُه: إذا رأيته. وأمّا الأصل الآخَر فبُصْر الشَّيْءِ غلَظُه. ومنه البَصْرُ، هو أن يضمَّ أدِيمٌ إلى أديم، يخاطانِ كما تُخاطُ حاشِيَةُ الثّوبِ. والبَصيرةُ: ما بينَ شُقتي البيت، وهو إلى الأصل الأول أقرب. فأمّا البَصْرَةُ فالحجارة الرِّخوة، فإذا سقطت الهاء قلت بِصْر بكسر الباء، وهو من هذا الأصل الثاني.

قال الجوهري[2]: البَصَرُ: حاسَّةُ الرؤيةِ. وأَبْصَرْتُ الشيءَ: رأيته. والبصيرُ: خلافُ الضرير. وباصَرْتُهُ، إذا أَشْرَفْتَ تنظُر إليه من بعيد. والبَصَرُ العِلْمُ. وبَصُرْتُ بالشيء: عَلِمْتُهُ. قال الله تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ [طه: 96]. والبَصيرُ: العالِمُ. وقد بَصُرَ بَصارةً. والتَبَصُّرُ التأمُّلُ والتَعَرُّف. والتَّبْصيرُ: التعريفُ والإيضاحُ. والمُبْصِرَةُ المُضيئَةُ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ﴾ [النَّمل: 13]، قال الأخفش: إنها تُبَصِّرُهُمْ، أي: تجعلهم بُصَراء. والمَبْصَرةُ، بالفتح: الحُجَّةُ. والبَصْرَةُ حجارةٌ رِخوةٌ إلى البياض. وبَصَّرَ القومُ تَبْصيراً، أي: صاروا إلى البَصْرَةِ. أبو عمرو: البَصيرَةُ: ما بين شَقَّتَي البيت، وهي البَصائرُ. والبَصيرَةُ: الحُجَّةُ والاسْتِبصارُ في الشيء.

وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ﴾ [القِيَامَة: 14]، قال الأخفش: جعله

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

هو البَصيرَةَ كما يقول الرجل للرجل: أنت حُجَّةٌ على نفسك. أبو زيد: البَصيرَةُ من الدمِ: ما كان على الأرض.

وقال الأصمعيُّ(1): والبَصيرَةُ شيءٌ من الدمِ يُسْتَدَلُّ به على الرَمِيَّةِ. والبَصْرُ أي: يُضَمَّ أديمٌ إلى أديمٍ فَيُخْرَزانِ كما تُخاط حاشيتا الثوبِ فتوضع إحداهما فوقَ الأخرى، وهو خلافُ خياطةِ الثوبِ قبل أن يُكَفَّ. وقولهم: أَرَيْتُهُ لَمْحاً باصِراً، أي: نَظَراً بتحديقٍ شديدٍ. والبُصْرُ بالضم: الجانبُ والحرفُ من كلِّ شيء.

المعنى المشترك لكلمة (ب ص ر)

وقد وردت كلمة (بصر) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: البصر بالقلب ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس: 43].

الوجه الثاني: البصر بالعين ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2].

الوجه الثالث: البصر يعني الحجة ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طه: 125].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النّحل: 77].

قال السجستاني(2): اللمح: النظر بسرعة وخفة يقال: لمحه ببصره لمحاً ولمحاناً، والمعنى: وما أمر قيام القيامة في السرعة إلا كطرف العين، والمراد منه تقرير كمال القدرة.

(1) الأضداد.

(2) نزهة القلوب.

● **وقوله تعالى:** ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأحزَاب: 10].

قال الفراء[1]: عطف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير أي: حين مالت الأَبْصَارُ عن سننها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة ودهشة. وقال: أي حين مالت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها.

ويقال لقوة القلب المدركة: بَصِيَرةُ وبَصَرٌ نحو قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [قَ: 22].

أي: نافذ لزوال المانع للإبصار، أما على الثاني فظاهر، وأما على الأول فلأن غطاء الجسد كله غطاء للعينين أيضاً فكشفه عنه يستدعي كشفه عنهما. وزعم بعضهم أن الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى كنت في غفلة من هذا الذي ذكرناه من أمر النفخ والبعث ومجيء كل نفس معها سائق وشهيد وغير ذلك فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون. ولعمري إنه زعم ساقط لا يوافق السباق ولا السياق. وفي «البحر» وعن زيد بن أسلم قول في هذه الآية يحرم نقله وهو في «كتاب ابن عطية» انتهى، ولعله أراد به هذا لكن في دعوى حرمة النقل بحث.

قال الفخر الرازي[2]: وقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعَام: 103]؛ قال أبو إسحاق: أَعْلَمَ اللهُ أَنهُ يُدْرِك الأَبصارَ وفي هذا الإِعلام دليل أَن خلقه لا يدركون الأَبصارَ أَي لا يعرفون كيف حقيقة البَصَرَ وما الشيء الذي به صار الإِنسان يُبْصِرُ من عينيه دون أَن يُبْصِرَ من غيرهما من سائر أَعضائه، فَأَعْلَم أَن خَلْقاً من خلقه لا يُدْرِك المخلوقون كُنْهَهُ ولا يُحيطون بعلمه، فكيف به تعالى والأَبصار لا تحيط به وهو اللطيف الخبير. فأَمَّا ما جاء من الأَخبار في الرؤْية، وصح عن رسولُ الله ﷺ، فغير مدفوع وليس في هذه الآية

(1) معاني القرآن. (2) التفسير الكبير.

دليل على دفعها، لأن معنى هذه الآية إدراك الشيء والإحاطة بحقيقته وهذا مذهب أَهل السنَّة والعلم بالحديث.

● **وقوله تعالى:** ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام: 104].

قال الألوسي(1): أي: قد جاءَكم القرآن الذي فيه البيان والبصائرُ، فمن أَبْصَرَ فلنفسه نَفْعُ ذلك، ومن عَمِيَ فَعَلَيْها ضَرَرُ ذلك، لأَن الله عَزَّوَجَلَّ غني عن خلقه. ابن الأَعرابي: أَبْصَرَ الرجلُ إِذا خرج من الكفر إِلى بصيرة الإِيمان؛ وأَنشد: قَحْطَانُ تَضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ مُتَوَّجٍ، وعلى بَصائِرِها، وإِنْ لَمْ تُبْصِر قال: بصائرها إسلامها وإِن لم تبصر في كفرها. ابن سيده: أَراه لَمْحاً باصِراً أَي: نظراً بتحديق شديد، قال: فإِما أَن يكون على طرح الزائد، وإِما أَن يكون على النسب، والآخر مذهب يعقوب.

● **قال تعالى:** ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: 12].

أي: مضيئة للأبصار.

وقال الليث(2): رأى فلان لَمْحاً باصِراً أي: أمراً مفروغاً منه. قال الأَزهري: والقول هو الأَوَّل؛ وقوله عَزَّوَجَلَّ: فلما جاءتهم آياتُنا مُبْصِرَةً؛ قال الزجاج: معناه واضحةً؛ قال: ويجوز مُبْصَرَةً أَي: مُتَبَيِّنَةً تُبْصَرُ وتُرَى. وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: 59].

قال الفراء(3): جعل الفعل لها، ومعنى مُبْصِرَة مضيئة، كما قال عز من قائل: والنهارَ مُبْصِراً؛ أَي: مضيئاً. وقال أَبو إِسحاق: معنى مُبْصِرَة تُبَصِّرُهم أَي: تُبَيِّنُ لهم، ومن قرأَ مُبْصِرَةً فالمعنى بَيِّنَة، ومن قرأَ مُبْصَرَةً فالمعنى متبينة فَظَلَمُوا بها أَي: ظلموا بتكذيبها.

---

(1) روح المعاني.
(2) الليث.
(3) معاني القرآن.

وقال الأخفش: مُبْصَرَة أي: مُبْصَراً بها؛ قال الأزهري: والقول ما قال الفرّاء أَراد آتينا ثمود الناقة آية مُبْصِرَة أَي: مضيئة. الجوهري: المُبْصِرَةُ المضيئة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ [النَّمل: 13]؛ قال الأَخفش: إِنها تُبَصِّرهم أَي: تجعلهم بُصَرةً وفي حديث عليّ كرم الله وجهه: فأرسلت إِليه شاة فرأَى فيها بُصْرَةً من لَبَنٍ؛ يريد أَثراً قليلاً يُبْصِرُه الناظرُ إِليه، ومنه الحديث: كان يصلي بنا صلاةَ البَصَرِ حتى لو أَن إِنساناً رمى بنَبْلَةٍ أَبصرها؛ قيل: هي صلاة المغرب، وقيل: الفجر لأَنهما تؤَدَّيان وقد اختلط الظلام بالضياء. والبَصَر هٰهنا: بمعنى الإِبصار، يقال بَصِرَ به بَصَراً.

والبَصيرةُ: ما بينَ شُقتي البيت، وهو إلى الأصل الأول أقرب. فأمّا البَصْرَةُ فالحجارة الرِّخوة، فإذا سقطت الهاء قلت بِصْر بكسر الباء، وهو من هذا الأصل الثاني.

والبَصِيرَةُ: عَقِيدَةُ القلب. قال الليث: البَصيرة اسم لما اعتقد في القلب من الدين وتحقيق الأمر؛ وقيل: البَصيرة: الفطنة، تقول العرب: أَعمى الله بصائره أَي فِطَنَه؛ عن ابن الأَعرابي: وفي حديث ابن عباس: أَن معاوية لما قال لهم: يا بني هاشم تُصابون في أَبصاركم، قالوا له: وأَنتم يا بني أُمية تصابون في بصائركم. وقد استعملت مادة (ب ص ر) في القرآن الكريم كثيراً ودارت معانيها حول الإدراك بحاسة البصر وهي العين أو الإدراك بالبصيرة وهي القلب أو العقل.

بصل

(بصل - ثوم - بقل)

■ **البَصَل:** واحدة من أكثر الخضروات استعمالاً في كل أنواع الطعام ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: 61].

■ **الثُّومُ، والفوم:** بصل بمذاق مختلف أقل استعمالاً من البصل ﴿مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا﴾ [البقرة: 61]، وفي قراءة ابن مسعود «وثومها» وهي قراءة ابن عباس.

■ **البَقْلُ:** ما لا يثبت أصله وفرعه في الشتاء أو هو ما لا ساق له خلاف الشجر ﴿مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا﴾.

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الباء والصاد واللام أصلٌ واحدٌ.

البَصَل معروف، الواحدة بَصَلة، وتُشَبَّه به بَيْضة الحَدِيد. والبَصَل بَيْضَة الرأْسِ من حَدِيد، وهي المُحَدَّدة الوسط شبهت بالبصل. وقال ابن شميل: البَصَلة إنما هي سَفِيفة واحدة وهي أَكبر من التَّرْك. وقِشْرٌ مُتَبَصِّل: كثير القُشور.

قال ابن منظور(2): التهذيب: البَصَل معروف، الواحدة بَصَلة، وتُشَبَّه به بَيْضة

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) اللسان.

الحَدِيد. والبَصَل بَيْضَة الرأسِ من حَدِيد، وهي المُحَدَّدة الوسط شبهت بالبصل. وقال ابن شميل: البَصَلة إنما هي سَفِيفة واحدة وهي أكبر من التَّرْك. وقِشْرٌ مُتَبَصِّل: كثير القُشور؛ قال لبيد: فَخْمة دَفْراء تُرْتَى بالعُرَى قُرْدُمانِيًّا وتَرْكاً كالبَصَل.

قال الراغب[1]: البصل معروف في قوله عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البَقَرَة: 61]، وبيضة الحديد: بصل، تشبيهاً به لقول الشاعر:

فخمة ذفراء ترتى بالعرى قرد ماشياً وتركاً كالبصر

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البَقَرَة: 61]

البصل نبات من الفصيلة الثومية، ذو رائحة نفاذة مهيجة لاحتوائه على مواد كبريتية طيارة، والبصل مفيد جداً للصحة وعصيره يقتل الميكروبات السبحية، ووجد بأن له تأثير إيجابي لتعويض إنتاج البنكرياس الضعيف من مادة الأنسولين.

من النباتات ثنائية الحول، ويوجد منه نوعان هما البصل الأبيض والبصل الأحمر، ولا فرق بين النوعين من الوجهة الطبية ولكنهما يختلفان في المذاق.

الأدلة تقترح أن يكون البصل فعال ضد البرد وأمراض القلب والسكر وهشاشة العظام وأمراض أخرى. يحتوي البصل على مركبات ضد الالتهاب والكولستيرول والسرطان والأكسدة مثل الكورسيتن Quercetin وهو من الفلافونيدات.

يستخدم البصل في مناطق متعددة في العالم لعلاج البثور والتقرحات وفي الطب البديل يستخدم البصل لعلاج الزكام وحمى القش.

(1) مفردات الراغب.

بضاعة

(بضاعة - تجارة)

- **البِضَاعَةُ:** قطعة وافرة من المال تقتنى للتجارة ﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ [يُوسُف: 88].
- **البِضْعُ:** من ثلاثة إلى التسعة ﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يُوسُف: 42].
- **التِّجَارَة:** التصرف في البضاعة طلباً للربح ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ [البَقَرَة: 282].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الباء والضاد والعين أصولٌ ثلاثة: الأوّل: الطائفة من الشّيء عضواً أو غيره، والثاني: بُقْعة، والثالث: أن يشفى شيء بكلامٍ أو غيره. فأمّا الأول فقال الخليل: بَضَعَ الإنسانُ اللّحْمَ يبْضعُهُ بضْعاً و[بضّعَه] يبضّعُه تبْضيعاً: إذا جَعَلَه قِطَعاً. والبَضْعة: القِطْعة وهي الهَبْرَة. ويقولون: إنّ فلاناً لَشَديدُ البَضِيع والبَضْعة: إذا كانَ ذا جسمٍ ولحمٍ سمينٍ. قال: خَاظي البَضِيع: شَدِيدُ اللّحم: وقال يعقوب: البَضِيع من اللحم جمع بَضْع، كقولك: عَبد وعَبيد. فأمّا الباضِعة فهي القِطعة من الغنَم، يقال: فِرْقٌ بَواضِعُ. قال الأصمعيّ: البَضْعةُ قطعةٌ من اللّحم مجتمعة، وجمعها بِضَع، كما تقول: بَذْرَة وبِذَر، وتجمع على بَضْعٍ أيضاً.

---

(1) معجم مقاييس اللغة، العين للخليل، ابن الأعرابي.

قال الأصمعيّ[1]: أبضَعَ الرّجلُ بِضاعة. قال: ومنه قولهم: «كمُسْتَبضِع التّمر إلى هَجَر» يُضرَب مثلاً لمن يَنْقُل الشيءَ إلى مَن هو أعْرَفُ به وأقدر عليه. وجمع البِضاعة: بضاعات وبضائع.

يقال اتّخَذَ عِرضَه بِضاعةً، أي: جعله كالشيءِ يُشتَرى ويُباع، وقد أفصَحَ الأصمعيُّ بما قُلناه، فإنّ في نصِّ قوله: إنما سمِّيت البضاعةُ بضاعةً لأنها قطعة من المال تُجْعَل في التِّجارة.

قال الفيروز آبادي[2]: البَضْعُ، كالمَنْعِ: القَطْعُ،كالتَّبْضِيعِ، والشَّقُّ، وتَقْطِيعُ اللَّحْمِ، والتَّزَوُّجُ والمُجامَعَةُ،كالمُباضَعَةِ والبِضاعِ، والتَّبيينُ كالإِبْضاعِ، والتَّبَيُّنُ. بَضَعَه الكَلامَ،وأبْضَعَه الكلامَ: بَيَّنَه له،فَبَضَعَ هو بُضوعاً: فَهِمَ. وبضع في الدَّمْعِ: أن يَصيرَ في الشُّفْرِ ولا يَفيضَ، وبالضم: الجِماعُ، أو الفَرْجُ نفْسُه، والمَهْرُ، والطَّلاقُ، وعَقْدُ النِّكاحِ، ضِدٌّ، وبالكسر، ويُفْتَحُ: الطائِفةُ من الليلِ، وما بينَ الثَّلاثِ إلى التِسْعِ أو إلى الخَمْسِ، أو ما بين الواحِدِ إلى الأَرْبَعَةِ، أو مِن أرْبَعٍ إلى تِسْعٍ، أو هو سَبْعٌ، وإذا جاوَزْتَ لَفْظَ العَشْرِ ذَهَبَ البِضْعُ، لا يقالُ: بِضْعٌ وعِشْرونَ، أو يقالُ ذلك. الفَرَّاءُ: لا يُذْكَرُ مَعَ العَشَرَةِ والعِشْرينَ إلى التِّسْعينَ، ولا يقالُ: بِضْعٌ ومِئَةٌ، ولا أَلْفٌ. مَبْرَمَانُ: البِضْعُ: ما بينَ العَقْدَيْنِ، من واحِدٍ إلى عَشَرَةٍ، ومِنْ أحَدَ عَشَرَ إلى عِشْرينَ. ومعَهَا بغيرِ هاءٍ: بِضْعَةٌ وعِشْرُونَ رجُلاً، وبِضْعٌ وعِشْرونَ امرأةً، ولا يُعْكَسُ، أو البِضْعُ: غيرُ مَعْدودٍ، لأَنَّهُ بمعنَى القِطْعَةِ. والبَضْعَةُ، وقد تُكْسَرُ: القِطْعَةُ من اللَّحْمِ، جمعه: بَضْعٌ بالفتح، وكعِنَبٍ وصِحافٍ وتَمَراتٍ. وكمِنْبَرٍ: ما يُبْضَعُ به العِرْقُ. والباضِعَةُ: الشَّجَّةُ التي تَقْطَعُ الجِلْدَ وتَشُقُّ اللحمَ شَقًّا خَفِيفاً وتَدْمى إلا أنَّها لا تُسِيلُ، والفِرْقُ مِنَ الغَنَمِ، أو القِطْعَةُ التي انْقَطَعَتْ عَنِ الغَنَمِ.

(1) الأضداد. (2) القاموس المحيط.

المعنى المشترك لكلمة (ب ض ع)

وقد وردت كلمة (بضع) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: البضاعة: يعني الدرهم ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ﴾ [يُوسُف: 65].

الوجه الثاني: البضاعة: متاع وهو الجبن والسمن ﴿وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ﴾ [يُوسُف: 88].

الوجه الثالث: البضاعة: المال المنتفع به ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ﴾ [يُوسُف: 19].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ﴾ [يُوسُف: 88].

قال أبو السعود[1]: مدفوعةٍ يدفعها كلُّ تاجر رغبةً عنها واحتقاراً لها، من: أزجَيتُه: إذا دفعتُه وطردتُه، والريحُ تزجي السحابَ. قيل: كانت بضاعتُهم من متاع الأعراب صوفاً وسمناً، وقيل: الصنوبرَ وحبةَ الخضراء.

وقيل: سُويقُ المُقْل والأقِط، وقيل: دراهمَ زيوفاً لا تؤخذ إلا بوضيعة وإنما قدّموا ذلك ليكون ذريعةً إلى إسعاف مرامهم ببعث الشفقةِ وهو العطفُ والرأفة وتحريكُ سلسلة المرحمة.

● **قال تعالى**: ﴿بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الرُّوم: 4]

قال الفخر الرازي[2]: قيل هي ما بين الثلاثة والعشرة، أبهم الوقت مع أن المعجزة في تعيين الوقت أتم، فنقول السنة والشهر واليوم والساعة كلها معلومة

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) التفسير الكبير.

عند الله تعالى وبينها لنبيه وما أذن له في إظهارها لأن الكفار كانوا معاندين، والأمور التي تقع في البلاد النائية تكون معلومة الوقوع بحيث لا يمكن إنكارها لكن وقتها يمكن الاختلاف فيه. فالمعاند كان يتمكن من أن يرجف بوقوع الواقعة قبل الوقوع ليحصل الخلف في كلامه. ولما وردت الآية ذكر أبو بكر ﷺ أن الروم ستغلب وأنكره أبي بن خلف وغيره، وناحبوا أبا بكر أي: خاطروه على عشرة قلائص إلى ثلاث سنين فقال عليه السلام لأبي بكر: **البضع ما بين الثلاثة والعشرة**، فزايده في الإبل وماده في الأجل فجعلا القلائص مائة والأجل سبعاً، وهذا يدل على علم النبي عليه السلام بوقت الغلبة.

وحديث خَدِيجةَ، رضي الله عنها: لما تزوجها النبي ﷺ، دخل عليها عمرو ابن أُسيد، فلما رآه قال: هذا البُضع لا يُقرَعُ أَنفه؛ يريد هذا الكُفْءُ الذي لا يُرَدّ نِكاحه ولا يُرْغَب عنه، وأَصل ذلك في الإِبل أَنَّ الفَحل الهَجين إِذا أَراد أَن يضرب كرائم الإِبل قَرَعُوا أَنفه بعصاً أَو غيرها ليَرْتَدّ عنها ويتركها. والبِضاعةُ: القِطْعة من المال، وقيل: اليسير منه.

بطر

(بطر - أشر - سفه)

■ **البَطَرُ:** الطغيان عند النعمة يؤدي إلى سوء استعمالها ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال: 47].

■ **الأَشَرُ:** شدة البطر بالترفع عن الناس والعلو عليهم بما ادعاه من كذب ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ [القمر: 26].

■ **السَّفَهُ:** الاستهانة المرذولة بالمال والنعمة ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النِّساء: 5]

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الباء والطاء والراء أصلٌ واحد وهو الشَّقُّ. وسُمّي البيطار لذلك. ويقال له أيضاً: المُبَيْطِر.

وأما قولهم: ذهب دَمُه بِطْراً، فقد يجوز أن يكون شاذًّا عن الأصل، ويمكن أن يقال إنّه شقَّ مَجْراه شقًّا فذهب، وذلك إذا أُهْدِر.

قال الجوهري(2): البَطَرُ: الأَشَرُ، وهو شدَّة المرح. وقد بَطِرَ بالكسر يَبْطَرُ. وأَبْطَرَهُ المالُ. يقال: بَطِرْتَ عيشتَك، كما قالوا: رَشِدْتَ أَمْرَكَ. والبَطَرُ أيضاً: الحَيْرَةُ والدَهَشُ. وأَبْطَرَهُ، أي: أدهشه. وأَبْطَرْتُ فلاناً ذَرْعَهُ: إذا كلّفتَه أكثَرَ من

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

طوقه. وبَطَرْتُ الشيءَ أبطُرُهُ بَطْراً: شققْته؛ ومنه سُمِّيَ البَيْطارُ، وهو المُبَيْطِرُ. وربما قالوا بَيْطرٌ.

ومعالجته البَيْطرةُ. وذهب دمُه بِطْراً بالكسر، أي: هَدَراً.

قال الراغب[1]: البَطَرُ: دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها، وصرفها إلى غير وجهها.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَطَرًا وَرِئَاءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال: 47]، وقال: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القَصَص: 58] أصله: بَطُرَتْ معيشته، فصرف عنه الفعل ونصب، ويقارب البَطَرُ الطرب، وهو خطة أكثر ما تعتري من الفرح، وقد يقال ذلك في الترح، والبَيْطَرة: معالجة الدابة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القَصَص: 58].

قال الزمخشري[2]: بَطِرَتْ معيشته، فصرف عنه الفعل ونصب، ويقارب البَطَرُ الطرب، وهو خطة أكثر ما تعتري من الفرح وقد يقال ذلك في الترح، والبيطرة: معالجة الدابة.

البَطَرُ سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله تعالى فيه وانتصبت معيشتها إما بحذف الجار واتصال الفعل كقوله:

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: 155] أو بتقدير حذف الزمان المضاف وأصله بَطِرَتْ أيام معيشتها، وإما تضمين بَطِرَتْ معنى كفرت.

(1) مفردات الراغب.
(2) الكشاف.

قال الفخر الرازي[1]: بَطِرْتَ عَيْشَك ليس على التعدي ولكن على قولهم: أَلِمْتَ بَطْنَك ورَشِدْتَ أَمْرَكَ وسَفِهْتَ نَفْسَك ونحوها مما لفظه لفظ الفاعل ومعناه معنى المفعول. قال الكسائي: وأَوقعت العرب هذه الأَفعال على هذه المعارف التي خرجت مفسرة لتحويل الفعل عنها وهو لها، وإِنما المعنى بَطِرَتْ مَعِيشَتُها وكذلك أَخواتها، ويقال: لا يُبْطِرَنَّ جهلُ فلان حلْمَكَ أَي لا يُدْهِشْكَ عنه. وذهب دَمُه بِطْراً أَي: هَدَراً؛ وقال أَبو سعيد: أَصله أَن يكون طُلاَّبُه حُرَّاصاً باقتدار وبَطَر فيحرموا إِدراك الثَّأْر. الجوهري: وذهب دمه بِطْراً، بالكسر، أَي: هَدَراً. وبَطَرَ الشيءَ يَبْطُرُه ويَبْطِرُه بَطْراً، فهو مبطور وبطير: شقه. وفي حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ، أَنَّه قال: «**الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ وغَمْط النَّاس**»؛ وبَطَرُ الحقِّ أَن لا يراه حقاً ويتكبر عن قبوله، وهو من قولك: بَطِرَ فلانٌ هِدْيَةَ أَمْرِه إِذا لم يهتد له وجهله ولم يقبله؛ الكسائي: يقال ذهب دمه بِطْراً وبِطْلاً وفِرْغاً إِذا بَطَلَ، فكان معنى قوله بَطْرُ الحقِّ أَن يراه باطلاً، ومن جعله من قولك بَطِرَ: إِذا تحير ودَهِشَ، أَراد أَنه تحير في الحق فلا يراه حقًّا.

وقال القرطبي[2]: (بَطِرَتْ): جهلت؛ فالمعنى: جهلت شكر معيشتها. ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [القَصَص: 58] أي: لم تسكن بعد إهلاك أهلها إلا قليلاً من المساكن وأكثرها خراب.

● **قال تعالى**: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفَال: 47].

قال الألوسي[3]: بعد أن أمروا بما أمروا من أحاسن الأعمال ونهوا عما يقابلها، والمراد بهم أهل مكة أبو جهل وأصحابه حين خرجوا لحماية العير (بَطَراً) أي فخراً وأشراً (وَرِئَاءَ النَّاسِ) ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة. روي عن

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) روح المعاني.

ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لما رأى أبو سفيان أنه أحرز عيره أرسل إلى قريش أن ارجعوا فقد سلمت العير فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدراً ونشرب الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب؛ فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا بدل الخمور وناحت عليهم النوائح بدل القينات، وكانت أموالهم غنائم بدلاً عن بذلها، ونصب المصدرين على التعليل، ويجوز أن يكونا في موضع الحال، أي بَطِرِينَ مُرَائين، وعلى التقديرين المقصود نهى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم في البَطَرِ والرياء وأمرهم بأن يكونوا أهل تقوى وإخلاص إذا قلنا: إن النهي عن الشيء أمر بضده.

وقال الشعراوي[1]: والذين خرجوا من ديارهم بَطَراً هم الكفار عندما علموا أن أبا سفيان قد نجا بالقافلة ولم يتمكن المسلمون من الاستيلاء عليها، وهم قد خرجوا من مكة ليخلصوا القافلة من أيدي المسلمين، فلما قيل لهم إنَّ القافلة نجت بقيادة أبي سفيان فارجعوا. قالوا: لا يكفينا هذا، بل لا بد أن نخرج ونقاتل محمداً ومن معه، وننتصر عليهم وندق الطبول ونذبح الذبائح ليعلم أهل الجزيرة بخبر هزيمة محمد ومن معه فلا يجرؤ أحد أن يتعرض لقافلة من قوافلنا. إذن فهم لم يكتفوا بأن أموالهم قد رجعت إليهم، بل أرادوا أكثر مما يقتضي الموقف، أرادوا أن يخرجوا في مظاهرة ضلالية للمفاخرة والتكبر تُثبت أن لهم قوة. وكان يكفيهم نجاة القافلة وينتهي الأمر. وكان عليهم أن يرجعوا، ولكنهم أرادوا أن يقوموا بمظاهرة لا لزوم لها.

إذن فالمسألة شماتة، وهذا لون من البَطَرِ؛ أن تكون عندك نعمة فلا تقدرها حق قدرها، وتحب أن تعلو عليها. ويقال فلان بَطْرَانٌ إذا أحضروا له الإفطار من الفول مثلاً ويقول: إنه يريد المربى والزبد وعسل النحل. وهكذا فعل كفار قريش، فلم يكتفوا بنجاة القافلة، بل استخفوا هذه النعمة فلم يكتفوا بها وطلبوا المزيد.

---

(1) تفسير الشعراوي.

بطش

(بطش - دمر)

■ **البَطْشُ:** قهر العدو بصولة تذهب القدرة على الحركة ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: 130].

■ **التَّدْمِيرُ:** إبطال وظيفة الشيء ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ﴾ [الأعراف: 137].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الباء والطاء والشين أصلٌ واحد، وهو أخذ الشيء بقَهْر وغَلبةٍ وقُوّة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البُرُوج: 12]. ويَدٌ باطشة.

قال الخليل(2): البَطْش: التناول بشدة عند الصَّوْلة والأَخذُ الشديدُ في كل شيء بطشٌ؛ بَطَشَ يَبْطُش ويَبْطِش بَطْشاً. وفي الحديث: «**فإذا موسى باطِشٌ بجانب العرش**» أي: متعلق به بقوّة. والبَطْشُ: الأَخذ القويّ الشديد.

وقال ابن دريد(3): بَطَشَ يَبْطِشُ بَطْشاً: وهو الأخذ الشديد.

قال الجوهري(4): البَطْشَة: السَّطوةُ والأخْذُ بالعنف: وقد بَطَشَ به يَبْطِشُ ويَبْطُشُ بَطْشاً. وباطَشَهُ مُبَاطِشَةً.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الجمهرة.
(4) الصحاح في اللغة.

قال الراغب[1]: البَطْشُ: تناول الشيء بصولة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 130]، ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [الدّخَان: 16]، ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾ [القَمَر: 36]، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البُرُوج: 12]. يقال: يَدٌ بَاطِشَةٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 130].

قال الألوسي[2]: بيّن أنهم مع ذلك السرف والحرص فإن معاملتهم مع غيرهم معاملة الجبارين، وقد بيّنا في غير هذا الموضع أن هذا الوصف في العباد ذم وإن كان في وصف الله تعالى مدحاً فكأن من يقدم على الغير لا على طريق الحق ولكن على طريق الاستعلاء يوصف بأن بطشه بطش جبار، وحاصل الأمر في هذه الأمور الثلاثة أن اتخاذ الأبنية العالية، يدل على حب العلو، واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء، والجبارية تدل على حب التفرد بالعلو، فيرجع الحاصل إلى أنهم أحبوا العلو وبقاء العلو والتفرد بالعلو وهذه صفات الإلٰهية، وهي ممتنعة الحصول للعبد، فدل ذلك على أن حب الدنيا قد استولى عليهم بحيث استغرقوا فيه وخرجوا عن حد العبودية وحاموا حول ادعاء الربوبية، وكل ذلك ينبه على أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وعنوان كل كفر ومعصية.

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ أي: أردتم البطش بسوط أو سيف ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ مسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ولا نظر في العاقبة. وأول الشرط بما ذكر ليصح التسبب وتقييد الجزاء بالحال لا يصححه لأن المطلق ليس سبباً للمقيد، وقيل: لا

(1) مفردات الراغب.
(2) روح المعاني.

يضر الاتحاد لقصد المبالغة، وقيل: الجزائية باعتبار الإعلام والإخبار وهو كما ترى. ودل توبيخه عليه السلام إياهم بما ذكر على استيلاء حب الدنيا والكبر على قلوبهم حتى أخرجهم ذلك عن حد العبودية.

قال الشعراوي(1): والبَطْش: الأخْذُ بشدة وبعنف، يقول تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البُرُوج: 12] ويقول: ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القَمَر: 42]. لأن الأَخْذ يأخذ صُوراً متعددة: تأخذه بلين وبعطف وشفقة، أو تأخذه بعنف.

ثم يزيدهم صفة أخرى تؤكد بَطْشهم ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 130].

لأنك قد تأخذ عدوك بعنف، لكن بعد ذلك يرقُّ له قلبك، فترحم ذِلَّته لك، فتُهوِّن عليه وترحمه، لكن هؤلاء جبارون لا ترقّ قلوبهم. وهذه الصفات الثلاثة السابقة لقوم هود: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۝١٢٩ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝١٣٠﴾ [الشعراء: 128-130]. هذه الصفات تخدم صفة التعالي، وتسعى إلى الوصول إليه وكأنهم يريدون صفة العُلُو التي تُقرِّبهم من الألوهية؛ لأنه لا أحدَ أعلى من الحق سبحانه، ثم يريدون أيضاً استدامة هذه الصفة واستبقاء الألوهية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: 129]. وفي صفة البَطش الشديد والجبارية يريدون التفرُّد على الغير، والقرآن يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القَصَص: 83]. فإنْ كنتَ تريد أداء الخدمة المنوطة بك في الحياة، فعليك أنْ تؤديها، لا للتّعالي؛ لأن حينئذ ستأخذ حظك من العُلُو والغَلَبة في دار الدنيا وتنتهي المسألة، أمّا إنْ فعلتَ وفي بالك ربُّك، وفي بالك أنْ تُيسِّر للناس مصالح الحياة، فإنك تُرقِّي عملك وتُثمِّره، ويظل لك أجره، طالما وجد العمل ينتفع الناس به إلى أنْ تقوم الساعة، وهذا أعظم تصعيد لعمل الإنسان. ولم يفعل قوم عاد شيئاً من هذا، إنما طلبوا العُلُو في الأرض، وبطشوا فيها جبارين، لكن أيتركهم ربهم عز وجل يستمرون على هذه الحال؟.

(1) تفسير الشعراوي.

● **قال تعالى:** ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدّخان: 16].

قال أبو السعود[1]: يومَ القيامةِ وقيل: يومَ بدرٍ وهو ظرفٌ لما دلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ لا لمنتقمون لأن إنَّ مانعةٌ من ذلكَ أي يومئذٍ ننتقمُ إنَّا منتقمون وقيلَ: هو بدلٌ من بدلٍ منْ يومَ تأتِي الخ، وقُرِىءَ نُبطش أي: نحملُ الملائكةَ على أن يبطشُوا بهم البطشةَ الكُبرى وهو التناولُ بعنفٍ وصَولةٍ أو نجعل البطشةَ الكُبرى باطشةً بهم وقُرِىءَ نبطُش بضمِّ الطاءِ وهي لغةٌ.

قال الطبري[2]: يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون إن كشفت عنكم العذاب النازل بكم، والضرّ الحالّ بكم، ثم عدتم في كفركم، ونقضتم عهدكم الذي عاهدتم ربكم، انتقمت منكم يوم أبطش بكم بطشتي الكبرى في عاجل الدنيا، فأهلككم، وكشف الله عنهم، فعادوا، فبطش بهم جلّ ثناؤه بطشته الكبرى في الدنيا، فأهلكهم قتلاً بالسيف. وقد اختلف أهل التأويل في البطشة الكبرى، فقال بعضهم: هي بطشة الله بمشركي قريش يوم بدر. ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن المثنى، قال: ثني ابن عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر، عن ابن مسعود، أنه قال: البطشة الكبرى: يوم بدر. عن مسلم، عن مسروق قال: قال يوم بدر، البطشة الكبرى.

● **وقال تعالى:** ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البُرُوج: 12].

قال ابن كثير[3]: يقال: يدٌ باطشة. أي: إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله، وخالفوا أمره، لشديد عظيم قوي، فإنه تعالى ذو القوة المتين، الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر، أو هو أقرب.

وقال أبو السعود[4]: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ استئنافٌ خُوطبَ بهِ النبيُّ ﷺ

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) جامع البيان.
(3) تفسير ابن كثير.
(4) إرشاد العقل السليم.

إيذاناً بأنَّ لكفارِ قومِهِ نصيباً موفُوراً منْ مضمونِه كما ينبىءُ عنْهُ التعرضُ لعنوانِ الربوبيةِ معَ الإضافةِ إلى ضميرِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ والبطشُ الأخذُ بعُنْفٍ وحيثُ وصفَ بالشدةِ فقدْ تضاعفَ وتفاقمَ وهو بطشُه بالجبابرةِ والظلمةَ وَأخذُه إيَّاهُم بالعذابِ والانتقامِ.

وقال الفخر الرازي[1]: اعلم أنه تعالى لما ذكر وعيد الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات أولاً وذكر وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثانياً أردف ذلك الوعد والوعيد بالتأكيد فقال لتأكيد الوعيد: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البُرُوج: 12] والبطش هو الأخذ بالعنف فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم ونظيره ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هُود: 102].

ثم إن هذا القادر لا يكون إمهاله لأجل الإهمال، لكن لأجل أنه حكيم إما بحكم المشيئة أو بحكم المصلحة، وتأخير هذا الأمر إلى يوم القيامة.

(1) التفسير الكبير.

بطل

(بطل - فسد)

■ **البَاطِلُ:** الذي لا ثبات له عند الفحص ولا يمكن إصلاحه ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 118].

■ **الفَاسِدُ:** الذي خرج عن الاعتدال قليلاً أو كثيراً ويمكن إصلاحه ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الرُّوم: 41].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والطاء واللام أصلٌ واحد، وهو ذَهاب الشيء وقِلَّة مُكثه ولُبْثه. يقال: بَطَلَ الشيءُ يبطُلُ بُطْلاً وبُطُولاً. وسُمِّي الشيطانُ: الباطلَ لأنه لا حقيقةَ لأفعاله، وكلُّ شيءٍ منه فلا مَرْجُوعَ له ولا مُعَوَّلَ عليه. والبَطَل: الشُّجاع. قال صاحب هذا القياس سُمّي بذلك لأنه يُعرِّض نَفْسَه للمتالف.

الباطِلُ: ضدّ الحق، والجمع أَباطيلُ على غير قياس، كأنهم جمعوا إبْطيلاً.

وقد بَطَلَ الشيءُ يَبْطُلُ بُطْلاً وَبُطولاً وبُطْلاناً، وأَبْطَلَهُ غيره.

ويقال: ذهب دمه بُطْلاً، أي: هَدراً.

قال الجوهري[2]: الباطِلُ: ضدّ الحق، والجمع: أَباطيلُ على غير قياس،

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

كأنهم جمعوا إِبْطيلاً. وقد بَطَلَ الشيءُ يَبْطُلُ بُطْلاً وَبُطولاً وبُطْلاناً، وأَبْطَلَهُ غيره. ويقال: ذهب دمه بُطْلاً، أي: هَدراً. والبَطَلُ: الشجاعُ، والمرأة بَطَلَةٌ. وقد بَطُلَ الرجل بالضم يَبْطُلُ بُطولَةً وبَطَالةً، أي: صار شجاعاً. وبَطَلَ الأجيرُ بالفتح بَطالةً، أي: تَعَطَّلَ فهو بَطَّالٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحَجّ: 62].

قال الألوسي[1]: (هُوَ الْبَاطِلُ) أي: المعدوم في حد ذاته أو الباطل الإلاهية، والحصر يحتمل أن يكون غير مراد وإنما جيء به للمشاكلة ويحتمل أن يكون مراداً على معنى أن جميع ما يدعون من دونه هو الباطل لا بعضه دون بعض. وقيل هو باعتبار كمال بطلانه وزيادة (هُوَ) هنا دون ما في سورة لقمان [30] من نظير هذه الآية لأن ما هنا وقع بين عشر آيات كل آية مؤكدة مرة أو مرتين ولهذا أيضاً زيدت اللام في قوله تعالى الآتي: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحج: 64]. دون نظيره في تلك السورة [لقمان: 26]، ويمكن أن يقال تقدم في هذه السورة ذكر الشيطان فلهذا ذكرت هذه المؤكدات بخلاف سورة لقمان فإنه لم يتقدم ذكر الشيطان هناك بنحو ما ذكر هاهنا قاله النيسابوري، ويجوز أن يكون زيادة (هُوَ) في هذا الموضع لأن المعلل فيه أزيد منه في ذلك الموضع فتأمل.

وقد يقال ذلك في الاعتبار إلى المقال والفعال، يقال: بَطَلَ بُطُولاً وبُطْلاً وبُطْلَاناً، وأبْطَلَه غيره.

(1) روح المعاني.

● **قال تعالى**: ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 118].

أي ظهر بُطْلَانُ ما كانوا مستمرِّين على عمله. وبَطُلَ دمه: إذا قُتِل ولم يحصل له ثأر ولا دية، وقيل للشجاع المُتَعَرِّض للموت: بَطَلٌ، تَصَوَّراً، وقد بَطَلَ الرجل بُطُولَةً، صار بَطَلاً، وبَطّالاً: نُسِبَ إلى البَطَالَةِ، ويقال: ذهب دمه بُطْلاً أي: هَدَراً، والإِبْطَالُ يقال في إفساد الشيء وإزالته، حقًّا كان ذلك الشيء أو بَاطِلاً.

● **قال تعالى**: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الأنفال: 8].

قال الفخر الرازي[1]: ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الأنفال: 8] (والذي هو الشرك، ولك في مقابلة (الْحَقّ) الذي هو الدين والإيمان. الحق حَقٌّ لذاته، والبَاطِلُ بَاطِلٌ لذاته، وما ثبت للشيء لذاته فإنه يمتنع تحصيله بجعل جاعل وفعل فاعل. فما المراد من تحقيق الحق وإبطال الباطل؟ والجواب: المراد من تحقيق الحق وإبطال الباطل، بإظهار كون ذلك الحق حقًّا، وإظهار كون ذلك البَاطِل باطِلاً، وذلك تارة يكون بإظهار الدلائل والبينات، وتارة بتقوية رؤساء الحق وقهر رؤوساء البَاطِل.

قال الألوسي[2]: جملة مستأنفة سيقت لبيان الحكمة الداعية اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع إرادتهم لغيرها، واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها، أي لهذه الحكمة الباهرة فعل ما فعل لا لشيء آخر، وليس فيه مع ما تقدم تكرار إذ الأول لبيان تفاوت ما بين الإرادتين وهذا لبيان الحكمة الداعية إلى ما ذكر. وأشار الزمخشري إلى أن هذا نظير قولك: أردت أن تفعل البَاطِلَ وأردت أن أفعل الحق ففعلت ما أردته لكذا لا لمقتضى إرادتك وليس نظير قولك: أردت أن أكرم زيداً لإكرامه ليكون فيه ما يكون، ومعنى إبطال الباطل على طرز ما أشرنا إليه في إحقاق الحق ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: 8] ذلك أعني إحقاق الحق وإبطال الباطل، والمراد بهم المشركون لا من كره الذهاب إلى النفير لأنه جرم منهم كما قيل.

(1) التفسير الكبير.
(2) روح المعاني.

وقد يقال فيمن يقول شيئاً لا حقيقة له، نحو: ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ [الروم: 58] ليقولنّ الذين جحدوا رسالتك وأنكروا نبوّتك: إن أنتم أيها المصدّقون محمداً فيما أتاكم به إلَّا مبطلون فيما تَجيئوننا به من هذه الأمور[1].

● **قال تعالى: ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾** [سبأ: 49].

قال: الباطل هنا إبليس أَراد ذا الباطل أَو صاحب الباطل، وهو إبليس. وفي حديث الأَسود بن سَرِيع: كنت أُنشد النبي ﷺ، فلما دخل عمر قال: «**اسكت إِن عمر لا يحبُّ البَاطِلَ**»؛ قال ابن الأَثير: أَراد بالباطل صِناعَة الشعر واتخاذَه كَسْباً بالمدح والذم، فأَما ما كان يُنْشِدُه النبيَّ ﷺ، فليس من ذلك ولكنه خاف أَن لا يفرق الأَسود بينه وبين سائره فأَعلمه ذلك[2].

● **قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾** [البَقَرَة: 188].

قال الشعراوي[3]: وما دامت أموالي فلماذا لا آكلها؟ إن الأمر هنا للجميع، والأموال مضافة للجميع، فالمال ساعة يكون ملكاً لي، فهو في الوقت نفسه يكون مالاً ينتفع به الغير. إذن، فهو أمر شائع عند الجميع، لكن ما الذي يحكم حركة تداوله؟ إن الذي يحكم حركة تداوله هو الحق الثابت الذي لا يتغير، ولا يحكمه الباطل. وما معنى الباطل، والحق؟ إن الباطل هو الزائل، وهو الذي لا يدوم، وهو الذاهب. والحق هو الثابت الذي لا يتغير فلا تأكل بالباطل، أي لا تأكل مما يملكه غيرك إلا بحق أثبته الله بحكم: فلا تسرق، ولا تغتصب، ولا تخطف، ولا ترتَشِ، ولا تكن خائناً في الأمانة التي أنت موكل بها، فكل ذلك إن حدث تكن قد أكلت المال بالباطل.

وحين تأكل بالباطل فلن تستطيع أنت شخصياً أن تعفي غيرك مما أبحته

(1) جامع البيان للطبري.
(2) اللسان.
(3) تفسير الشعراوي.

لنفسك، وسيأكل غيرك بالباطل أيضاً. ومادمت تأكل بالباطل وغيرك يأكل بالباطل، هنا يصير الناس جميعاً نهباً للناس جميعاً. لكن حين يُحكَم الإنسان بقضية الحق، فأنت لا تأخذ إلا بالحق، ويجب على الغير ألا يعطيك إلا بالحق، وبذلك تخضع حركة الحياة كلها لقانون ينظم الحق الثابت الذي لا يتغير، لماذا؟ لأن الباطل قد يكون له علو، لكن ليس له استقرار، فالحق سبحانه وتعالى يقول:

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [الرعد: 17]. وساعة ترى مطراً ينزل في مسيلٍ ووادٍ، فأنت تجد هذا المطر قد كنس كل القش والقاذورات وجرفها فطفت فوق الماء ولها رغوة، وكذلك، فأنت عندما تدخل الحديد في النار تجده يسيل ويخرج منه الخبث، ويطفو الخبث فوق السطح، وهكذا نجد أن طفو الشيء وعلوه على السطح لا يعني أنه حق، إنه سبحانه يعطينا من الأمور المُحسة ما نستطيع أن نميز من خلاله الأمور المعنوية، وهكذا ترى أن الباطل قد يطفو ويعلو إلا أنه لا يدوم، بل ينتهي، والمثل العامي يقول: «يفور ويغور».

بطن

(بطُن - أخفى - ستر -
أسرّ - كتم - حجب - أكنّ)

■ **بَطُنَ:** قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾ [الأنعام: 151].

■ **البطن:** لما يخفى عن الحاسة والظاهر لما يخفى عنها.

■ **أخفى:** قال تعالى: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه: 7].

■ **ستر:** قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [فُصّلت: 22].

■ **حَجبَ:** المنع من الوصول قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطفّفين: 15].

قال تعالى: ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ [الأعراف: 46].

■ **أَسَرَّ:** قال تعالى: ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرّعد: 10].

■ **كَتَمَ:** أي عدم الإعلان، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ﴾ [البَقَرَة: 140]. .

■ **أكنّ:** حفظ الشيء في مكان آمن، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ [النّمل: 74].

شرح المعاني:

بطن: بطن وظهر هما شيء واحد وكل شيء له وجهان وجه ظاهر يعرف به، ووجه غامض، فالغامض من كل شيء باطن قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

يعزب: العازب هو الخفي لشدة بعده عن العين، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: 61].

الظاهر ما نعرفه أما الباطن فهو الوجه الآخر، وهكذا كل شيء له ظاهر وباطن، فعندنا ظاهر الإثم وباطن الإثم، والفواحش فيها ظاهر وفيها باطن.

خفي: قال تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: 7].

الخفي: هو كل شيء لا يصل إليه فلكك العقلي فمثلاً: أنت تريد أن تغتالني فهذا يخفى على عقلي، فالخفي إذاً يكون على العقل بينما الستر يكون على الحواس فرب العالمين يقول: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فُصّلَت: 22]، أي: تستترون عن الناس والناس يرونكم بالحواس فتقتلون وتزنون.

الحجاب: الستر والحجاب كلاهما امتناع عن الحواس، والفرق الدقيق بينهما أنك إن كنت مستوراً لا تمنع من الدخول عليك لا تمنع من يتعرف عليك أما أن تكون محجوباً فهنالك حاجب يمنع ظهورك كأن يكون على بابك حاجباً يمنع الناس من الدخول عليك. قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطفّفِين: 15].

مثلاً: لو قلنا أن هذه المرأة مستورة أي: هي شريفة وكريمة، ولكن لا يمنع ذلك من أن يراها الناس، أما عندما نقول عنها أنها محجبة فذلك يعني أنه لا يراها أحد إلا الله ومحارمها.

ونجد أن الآيات القرآنية التي تتعلق بالخفاء عن العقل تنتهي بقوله تعالى: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127] أما الآيات التي تتعلق بالخفاء عن الحواس فهي تنتهي بقوله تعالى: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1]. ولهذا فإن الكلمات التي تنتهي بها الآيات هي التي تبين معناها وهنا الإعجاز، فنهايات الآيات هي التي تقود إلى معناها.

ورد أن أعرابياً قرأ أمامه أحدهم هذه الآيات: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: 38]. وقد انتهت بقوله (غفور حكيم) بدلاً من (عزيز حكيم)، فقال الأعرابي: هذا ليس بقول الله سبحانه لأن الذي يغفر لا يحكم وإنما عز فقدر فحكم.

أسر: أي الكلام لا يسمعه غيره أو يسمع به واحد بشكل خاص قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرّعد: 10] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: 283].

أكنّ: قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النّحل: 81] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [النَّمل: 74].

الكن: الإكنان هو الشيء النفيس الخاص بك والذي يملؤك سعادة عظيمة وتخفيه على الناس، كما يقال الدر المكنون، لشدة نفاستها أنت تمنعها عن أن يراها الناس.

بطن

(بطن - جوف)

■ **البَطْنُ:** الجارحة التي تتوسط الجسم من تحت القفص الصدري. ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [النّجم: 32].

■ **الجَوْفُ:** أعلا الصدر من فوق القفص الصدري ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: 4].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والطاء والنون أصلٌ واحدٌ لا يكاد يُخْلِف، وهو إنْسِيُّ الشيءِ والمقْبَلِ مِنه. فالبَطْنُ خِلافُ الظهر.

والبَطْنُ أسفل الضلوع[2].

البَطْنُ من الإنسان وسائِر الحيوان: معروفٌ خلاف الظَّهْر، مذكَّر، وحكى أَبو عبيدة أَنَّ تَأْنيثه لغةٌ؛ قال ابن بري: شاهدُ التذكير فيه قولُ ميّةَ بنتِ ضِرار: يَطْوي، إذا ما الشُّحُّ أَبْهَمَ قُفْلَه، بَطْناً، من الزادِ الخبيثِ، خَميصاً وقد ذَكَرْنا في ترجمة ظهر في حرف الراء وجهَ الرفع والنصب فيما حكاه سيبويه من قولِ العرب: ضُرِبَ عبدُ الله بَطْنُه وظهرُه، وضُرِبَ زيدٌ البطنُ والظهرُ. وجمعُ البَطْنِ أَبْطُنٌ وبُطُونٌ وبُطْنانٌ؛ التهذيب: وهي ثلاثةُ أَبْطُنٍ إلى العَشْرِ، وبُطونٌ كثيرة لِما فوْقَ العَشْرِ، وتصغيرُ

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) المشوف المعلم - العكبري.

البَطْنِ بُطَيْنٌ. والبِطْنةُ امتلاءُ البَطْنِ من الطعام، وهي الأَشَرُ من كَثْرةِ المال أَيضاً. بَطِنَ يَبْطَنُ بَطَناً وبِطْنةً وبَطُنَ وهو بَطينٌ، وذلك إذا عَظُمَ بطْنُه. ويقال: ثَقُلَتْ عليه البِطْنةُ: وهي الكِظَّة، وهي أَن يَمْتلِئَ من الطعام امتلاءً شديداً.

قال الخليل[1]: البَطْنُ خلاف الظهر كبَطْنِ الأرض وظهرها، وكالباطن والظاهر، وكالبطانة والظهارة، يعني باطن الثوب وظاهره.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [النّجم: 32].

قال الألوسي[2]: ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ على أطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه سبحانه حال من أحوالكم وعمل من أعمالكم التي من جملتها اللمم الذي لولا المغفرة الواسعة لأصابكم وباله، فالجملة استئناف مقرر لما قبلها وذكر ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ مع أن الجنين ما كان في البطن للإشارة إلى الأطوار كما أشرنا إليه، وقيل: لتأكيد شأن العلم لما أن بطن الأم في غاية الظلمة.

● **وقال** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: 118].

قال ابن عاشور[3]: أي مختصاً بكم يستبطن أموركم، وروي عنه ﷺ أنه قال: (ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحثه عليه).

والبِطَانَةُ بكسر الباء في الأصل داخل الثَّوب، وجمعها بَطَائِن، وفي القرآن:

(1) العين.
(2) روح المعاني.
(3) التحرير والتنوير.

﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ﴾ [الرحمٰن: 54] وظاهر الثوب يسمّى الظِهارة بكسر الظاء. والبطانة أيضاً الثوب الذي يجعل تحت ثوب آخر، ويسمّى الشِعار، وما فوقه الدثار، وفي الحديث: «**الأنصارُ شعار والنَّاس دِثار**» ثمّ أطلقت البطانة على صديق الرجل وخصّيصه الذي يطّلع على شؤونه، تشبيهاً ببطانة الثياب في شدة القرب من صاحبها. ومعنى اتخاذهم بطانة أنهم كانوا يحالفونهم ويودّونهم من قبل الإسلام فلمَّا أسلم من أسلم من الأنصار بقيت المودة بينهم وبين من كانوا أحلافهم من اليهود، ثُمّ كان من اليهود من أظهروا الإسلام، ومنهم من بَقي على دينه. وقوله: (من دونكم) يجوز أن تكون (من) فيه زائدة و(دون) اسم مكان بمعنى حولكم، وهو الاحتمال الأظهر كقوله تعالى في نظيره: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةًۚ﴾ [التوبَة: 16] ويجوز أن تكون (من) للتبعيض و(دون) بمعنى غير كقوله تعالى: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ [الجنّ: 11] من غير أهل ملّتكم، وقد علم السامعون أنّ المنهي عن اتِّخاذهم بطانة هم الذين كانوا يموّهون على المؤمنين بأنَّهم منهم، ودخائلهم تقتضي التَّحذير من استبطانهم.

● **قال تعالى:** ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ﴾ [لقمان: 20].

قال أبو السعود[1]: وقيل: الظاهرة بالنبوة الباطنة بالعقل، وقيل: الظاهرة: المحسوسات، والباطنة: المعقولات، وقيل: الظاهرة: النصرة على الأعداء بالناس، والباطنة: النصرة بالملائكة.

تكلموا فيه فأكثروا. فالظاهرةُ وجودُ النعمة، والباطنةُ شهودُ المنعِم. والظاهرةُ الدنيويةُ، والباطنةُ الدينية. والظاهرة حُسْنُ الخَلْق، والباطنة حُسْنُ الخُلُق. الظاهرةُ نَفْس بلا زَلّة، والباطنةُ قلبٌ بلا غفلة. الظاهرةُ العطاء، والباطنة الرضاء. الظاهرة في الأموال ونمائها، والباطنة في الأحوال وصفائها. الظاهرةُ النعمةُ، والباطنةُ العصمةُ. الظاهرةُ توفيقُ الطاعات، والباطنةُ قبولُها. الظاهرة

(1) إرشاد العقل السليم.

تسوية الخَلْقِ، والباطنة تصفية الخُلُق. الظاهرة صحبة الصالحين، والباطنة حِفْظُ حُرْمَتِهم. الظاهرةُ الزهدُ في الدنيا، والباطنةُ الاكتفاء بالمولى من الدنيا والعقبى. الظاهرة الزهد، والباطنةُ الوَجْدُ. الظاهرة توفيق المجاهدة والباطنة تحقيقْ المشاهدة. الظاهرة وظائف النَّفْس، والباطنة لطائف القلب. الظاهرةُ اشتغالُكَ بنَفْسِك عن الخَلْق، والباطنةُ اشتغالُك بربِّك عن نَفْسِك. الظاهرة طَلَبُهُ، الباطنةُ وجوده. الظاهرةُ أَنْ تَصِل إليه، الباطنة أن تبقى معه[1].

قال الشعراوي: فمعنى ﴿ظَٰهِرَةً﴾ أي: التي ظهرتْ لنا: ﴿وَبَاطِنَةً...﴾ لم نصل إليها بعد، ومن نِعَم الله علينا ما ندركه، ومنها ما لا ندركه.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: 151].

قال الفخر الرازي[2]: كانوا يكرهون الزنا علانية، ويفعلون ذلك سراً، فنهاهم الله عن الزنا علانية وسراً، والأولى أن لا يخصص هذا النهي بنوع معين، بل يجري على عمومه في جميع الفواحش ظاهرها وباطنها لأن اللفظ عام والمعنى الموجب لهذا النهي وهو كونه فاحشة عام أيضاً ومع عموم اللفظ والمعنى يكون التخصيص على خلاف الدليل.

وفي قوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ﴾ دقيقة، وهي: أن الإنسان إذا احترز عن المعصية في الظاهر ولم يحترز عنها في الباطن دل ذلك على أن احترازه عنها ليس لأجل عبودية الله وطاعته، ولكن لأجل الخوف من مذمة الناس، وذلك باطل، لأن من كان مذمة الناس عنده أعظم وقعاً من عقاب الله ونحوه فإنه يخشى عليه من الكفر، ومن ترك المعصية ظاهراً وباطناً، دل ذلك على أنه إنما تركها تعظيماً لأمر الله تعالى وخوفاً من عذابه ورغبة في عبوديته.

---

(1) كشف الخفاء.

(2) التفسير الكبير.

بطؤ

(بطؤ - تأخر - تعوق)

■ **البطْء:** تأخر الانبعاث في السير، والتبطيء أن يستبطئ غيره ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النِّساء: 72] أي يستبطئ غيره.

■ **التأخر:** ما يأتي بعد الآخر ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفَتْح: 2].

■ **التعويق:** صرف الإنسان عما يريد أن يفعله ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [الأحزَاب: 18].. أي: الصارفين عن طريق الخير.

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال الأزهري[1]: البُطْءُ والإِبْطاءُ: نَقِيضُ الإِسْراع. تقول منه: بَطُؤَ مَجِيئُك وبَطُؤَ في مَشْيِه يَبْطُؤُ بُطْأً وبِطاءً، وأَبْطَأَ، وتَباطأَ، وهو بَطِيءٌ، ولا تقل: أَبْطَيْتُ، والجمع بِطاءٌ.

وقد اسْتَبْطَأَ وأَبْطَأَ الرجُلُ: إذا كانت دَوابُّه بطاءً، وكذلك أَبْطأَ القومُ: إذا كانت دوابهم بِطاءً. وفي الحديث: «**مَنْ بَطَّأَ به عملُه لم يَنْفَعْه نَسَبُه**» أي: مَنْ أَخَّرَه عملُه السَّيِّءُ أَو تَفْرِيطُه في العمل الصالحِ لم يَنْفَعْه في الآخرةِ شَرَفُ النَّسبِ.

وأَبْطأَ عليه الأَمْرُ: تَأَخَّرَ. وبَطَّأَ عليه بالأَمْرِ وأَبْطَأَ به، كِلاهما: أَخَّرَهُ.

(1) تهذيب اللغة.

وبَطَّأَ فلان بفلان: إذا ثَبَّطه عن أمرٍ عَزَمَ عليه.

قال الجوهري[1]: البُطْءُ: نقيض السرعة. تقول منه: بطُؤَ مجيئك، وأَبْطَأْتَ فأنتِ بطيءٌ، ولا تقل: أَبْطَيْتَ. وقد اسْتَبْطَأْتُكَ، ويقال: ما أَبْطَأَ بك، وما بطَّأَ بك، بمعنى. وتَبَاطَأَ الرجل في مسيره. ويقال: بُطْآن ذا خروجاً، وبَطآن ذا خروجاً، أي بَطُؤَ ذا خروجاً. أبو زيد: أَبْطَأَ القوم، إذا كانت دوابهم بِطَاءً.

قال الفيروز آبادي[2]: بَطُؤَ، كَكَرُمَ، بُطْئاً، بالضم، وبِطاءً، ككتابٍ، وأَبْطَأَ: ضِدُّ أَسْرَعَ. والبَطِيءُ، كَأَمِيرٍ: لَقَبُ أحْمَدَ بنِ الحُسَيْن العَاقُولِيّ المُحَدِّثِ. وأَبْطَؤُوا: إذا كانَتْ دَوابُّهُمْ بِطَاءً. ولم أَفْعَلْهُ بُطْءَ يا هذا، وكَبُشْرى، أي الدَّهْرَ. وبُطآنَ ذَا خُرُوجاً، ويُفْتَحُ: أي: بَطُؤَ. وبَطَّأَ عليه بالأمْرِ تَبْطِيئاً، وأبْطَأَ به: أخَّرَهُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النّساء: 72].

قال أبو السعود[3]: أي: يثبط غيره. وقيل: يكثر هو التثبط في نفسه، والمقصد من ذلك أن منكم من يتأخر ويؤخر غيره.

أي: ليتثاقَلَنّ وليتَخَلَّفَنَّ عن الجهاد من بطّأ بمعنى أبطأ كعتّم بمعنى أعتم، والخطابُ لعسكر رسولِ الله ﷺ كلِّهم المؤمنين منهم والمنافقين، والمُبَطِّئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلّفوا عن الجهاد، أو ليبطِّئن غيرَه ويُثَبِّطَنه، مِنْ بطَّأ منقولاً من بطُؤ كثقّل من ثقُل كما بطّأ ابنُ أُبيَ ناساً يوم أُحُد. والأولُ أنسبُ لما بعده واللامُ الأولى للابتداء دخلت على اسم إنّ للفصل بالخبر، والثانيةُ جوابُ

(1) الصحاح في اللغة.
(2) القاموس المحيط.
(3) إرشاد العقل السليم.

قسمٍ محذوفٍ والقسمُ بجوابه صلةُ مَنْ والراجعُ إليه ما استكنّ في ليبطِّئنَّ، والتقديرُ وإنَّ منكم لمَنْ أُقسم بالله ليبطِّئن.

قال الألوسي[1]: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ أي ليتثاقلنّ وليتأخرنّ عن الجهاد من بطأ بمعنى: أبطأ كعتم بمعنى: أعتم إذا أبطأ، والخطاب لعسكر رسول الله ﷺ مؤمنيهم ومنافقيهم والمبطئون هم المنافقون منهم، وجوز أن يكون منقولاً لفظاً ومعنى من بَطُؤَ نحو ثَقُلَ من ثقل، فيراد ليَبَطِئَنَّ غيره وليَثَبِّطَّنَه عن الجهاد كما ثَبَّط ابن أبي ناساً يوم أحد، (والأول أنسب بما بعده)، واللام الأولى: لام التأكيد التي تدخل على خبر إن أو اسمها إذا تأخر، والثانية: جواب قسم، وقيل: زائدة، وجملة القسم وجوابه صلة الموصول وهما كشيء واحد فلا يرد أنه لا رابطة في جملة القسم كما لا يرد أنها إنشائية فلا تقع صلة لأن المقصود الجواب، وهو خبري فيه عائد، ولا يحتاج إلى تقدير أقسم على صيغة الماضي ليعود ضميره إلى المبطىء بل هو خلاف الظاهر. وجوز في. (مَنْ). أن تكون موصوفة، والكلام في الصفة كالكلام في الصلة، وهذه الجملة قيل: عطف على ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النِّساء: 71] عطف القصة على القصة؛ وقيل: إنها معترضة إلى قوله سبحانه: ﴿فَلْيُقَـٰتِلْ﴾ [النِّساء: 74].

---

(1) روح المعاني.

بعث

(بعث - أرسل)

■ **البَعْثُ:** العهد إلى مبعوث مهم لمبعوث إليه في غاية الأهمية ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٣٦ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۝٣٧﴾ [الشعراء: 36-37].

■ **الإرسَالُ:** العهد إلى مرسل بأمر عام لكل الناس برفق وأناة ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝١١١ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۝١١٢﴾ [الأعراف: 111-112].

فالأول: يشير إلى أهمية المبعوث إليهم.

والثاني: يشير إلى أهمية المرسل.

وهذه هي دعوة سيدنا إبراهيم لأهم إنسان أن يبعث لأهم أمة بأهم شأن.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129].

* * *

شرح المعاني:

1 - بعث: أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه، والبعث نوعان: بشريّ: كبعث البعير وبعث الإنسان في حاجة، وآخر إلٰهي: وهذا أيضاً له نوعان: وهو الذي يختص به الله تعالى من بعث الأجناس والأنواع وإيجادها ولا يقدر عليه

أحد، والثاني هو إحياء الموتى وهذا المعنى لا يدخل في هذه المنظومة وإنما يأتي مع منظومة الإحياء. وكلمة بعث دليل على أهمية الشخص المبعوث (بعثنا فيهم رسولاً) وهي منّة من الله تعالى بالرسول ﷺ.

2 - **أرسل**: أصل الإرسال الانبعاث على التؤدة وتقال للناقة إذا كانت سهلة السير. والإرسال يقال في الإنسان وفي الأشياء المحبوبة والمكروهة وقد يكون ذلك بإرسال الرياح والمطر ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ [الأنعام: 6] ومنها إرسال الرسل ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: 61] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [المزمّل: 15] سورة الجنّ. والإرسال دلالة على أهمية الرسالة نفسها (أرسلنا رسولاً) منّة على العباد بإرسال الرسالة. أما البعث فيدل على أهمية المبعوث إليهم، والإرسال يقابل الإمساك ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ [فاطر: 2].

والرسول عليه الصلاة والسلام هو المبعوث رحمة للعالمين وهذا إشارة إلى مكانته عليه الصلاة والسلام وهو الرسول الذي أرسله الله تعالى بالرسالة وهذا دليل على أهمية الرسالة فجمع بين الأمرين ﷺ. ولعل الفرق يبدو واضحاً بين الكلمتين في مشهدين من قصة موسى عليه السلام مع فرعون: ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الشعراء: 36-37]، و﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ [الأعراف: 111-112]، فوردت كلمة (سحّار) مع كلمة ابعث في الأولى وكلمة (ساحر) مع كلمة أرسل في الثانية وفي هذا إشارة إلى أن البعث أهمّ.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والعين والثاء أصلٌ واحد، وهو الإثارة.

قال الخليل[2]: البَعْثُ: الإرسال كبعث الله من في القبور، وبعثته من نومه فانبعث، أي: نبهته.

قال الراغب[3]: أصل البعث: إثارة الشيء وتوجيهه، يقال: بعثته فانبعث، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علق به، فبعثت البعير: أثرته وسيرته، وقوله عز وجل: ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: 36]، أي: يخرجهم ويسيرهم إلى القيامة، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [المجادلة: 6]، ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: 7]، ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: 28].

في القرآن الكريم:

- **وقوله** عز وجل: ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: 36].

قال الفخر الرازي[4]: ففيه قولان: الأول: أنه مثل لقدرته على إلجائهم إلى الاستجابة والمراد: أنه تعالى هو القادر على أن يبعث الموتى من القبور يوم القيامة ثم إليه يرجعون للجزاء، فكذلك هٰهنا أنه تعالى هو القادر على إحياء قلوب هؤلاء الكفار بحياة الإيمان وأنت لا تقدر عليه.

والقول الثاني: أن المعنى: وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم إليه يرجعون، فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى استماعهم.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) مفردات الراغب.
(4) التفسير الكبير.

قال الطبري[1]: والكفار يبعثهم الله مع الموتى، فجعلهم تعالى ذكره في عداد الموتى الذين لا يسمعون صوتاً ولا يعقلون دعاء ولا يفقهون قولاً، إذ كانوا لا يتدبرون حجج الله ولا يعتبرون آياته ولا يتذكرون فينزجروا عما هم عليه من تكذيب رسل الله وخلافهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

● **قال تعالى**: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التّغَابُن: 7].

قال أبو السعود[2]: الزعمُ ادعاءُ العلمِ يتعدى إلى مفعولينِ وقد قام مقامَهُما أن المخففةُ معَ مَا في حيزِهَا، والمرادُ بالموصولِ كفارُ مكةَ أي زعمُوا أنَّ الشأنَ لن يبعثُوا بعد موتِهِم أبداً (قُلْ) رداً عليهِم وإبطالاً لزعمِهِم بإثباتِ ما نَفوه (بَلَى) أي: تُبعثونَ وقوله: ﴿وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ﴾ [التغابن: 7] أي: لتُحاسبُنَّ ولتُجزَوُنَّ بأعمالِكُم، جملةٌ مستقلةٌ داخلةٌ تحتَ الأمرِ واردةٌ لتأكيدِ ما أفادَهُ كلمةُ بَلَى من إثباتِ البعثِ وبيانِ تحقيقِ أمرٍ آخرَ متفرعٍ عليهِ منوطٍ به، ففيهِ تأكيدٌ لتحقيقِ البعثِ بوجهينِ (وَذَلِكَ) أي ما ذُكِرَ من البعثِ والجزاءِ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحَجّ: 70] لتحققِ القدرةِ التامةِ وقبولِ المادةِ.

قال الطبري[3]: يقول تعالى ذكره: زعم الذين كفروا بالله أن لن يبعثهم الله إليه من قبورهم بعد مماتهم. وكان ابن عمر يقول: زعم كنية الكذب.

حدثني بذلك محمد بن نافع البصريّ، قال: ثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، عن سفيان، عن بعض أصحابه عن ابن عمر. وقوله: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد: بلى وربي لتبعثن من قبوركم.

● **وقوله تعالى**: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البَقَرَة: 213].

قال الفخر الرازي[4]: تقتضي أن يكون بعثهم بعد الاختلاف ولو كانوا قبل

(1) جامع البيان.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) جامع البيان.
(4) التفسير الكبير.

ذلك أمة واحدة في الكفر، لكانت بعثة الرسل قبل هذا الاختلاف أولى، لأنهم لما بعثوا عندما كان بعضهم محقاً وبعضهم مبطلاً، فلأن يبعثوا حينما كانوا كلهم مبطلين مصرين على الكفر كان أولى، وهذا الوجه الذي ذكره القفال رحمه الله حسن في هذا الموضوع.

● **قال تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا﴾ [الجُمُعَة: 2].

قال ابن كثير(1): وذلك أن العرب كانوا قديماً متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام، فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركاً، وباليقين شكاً، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله، وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأوّلوها، فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم، كامل شامل لجميع الخلق، فيه هدايتهم، والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم، والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضا الله عنهم، والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى، حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الأصول والفروع، وجمع له تعالى، وله الحمد والمنة، جميع المحاسن ممن كان قبله، وأعطاه ما لم يعط أحداً من الأولين، ولا يعطيه أحداً من الآخرين، فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

● **وقوله تعالى:** ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُـزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفُرقان: 41].

قال الزمخشري(2): (أَهَـٰذَا) محكى بعد القول المضمر. وهذا استصغار، و﴿بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ وإخراجه في معرض التسليم والإقرار، وهم على غاية الجحود والإنكار سخرية واستهزاء، ولو لم يستهزؤوا لقالوا: أهذا الذي زعم أو ادّعى أنه مبعوث من عند الله رسولاً.

---

(1) تفسير ابن كثير. (2) الكشاف.

● **قال تعالى:** ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ [يسٓ: 52].

قال أبو السعود[1]: وقُرِىء مَن (أهبّنا) من هبَّ من نومه إذا انتبه. وقُرِىء من هَبّنا بمعنى أهبنا. وقيل: أصلُه هبَّ بنا فحُذف الجارُّ وأُوصل الفعلُ إلى الضَّميرِ، قيل فيه ترشيحٌ ورمزٌ وإشعارٌ بأنَّهم لاختلاطِ عقولِهم يظنُّون أنَّهم كانوا نياماً. وعن مجاهدٍ أنَّ للكفَّار هجعةً يجدون فيها طعمَ النَّومِ فإذا صِيح بأهل القُبور يقولون ذلك. وعن ابن عبَّاسٍ وأُبيٍّ بنِ كعبٍ وقَتَادةَ رحمهم الله تعالى: أنَّ الله تعالى يرفعُ عنهم العذابَ بينَ النَّفختينِ فيرقدُون، فإذا بُعثوا بالنَّفخةِ الثَّانيةِ وشاهدُوا من أهوال القيامةِ ما شاهدُوا دَعَوا بالويلِ، وقالوا ذلك. وقيل: إذا عاينُوا جهنَّم وما فيها من أنواع العذابِ يصير عذابُ القبر في جنبِها مثلَ النَّومِ فيقولون ذلك، وقُرىء (مِن بَعْثنا) ومِن هَبّنا بمن الجارَّةِ والمصدرِ.

---

(1) إرشاد العقل السليم.

بعثر

(بعثر - نثر - نشر)

- **البَعْثَرة:** قلب أسفل الشيء إلى أعلاه وباطنه ظاهره بلا نظام ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: 4].
- **النَّثْر:** تفريق الأحجار الثمينة بين يدي الآخر وفوق رأسه ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: 2].
- **النَّشْر:** فتح المنكمش إلى كل اتجاه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الشّورى: 28].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الفرّاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾؛ قال: خرج ما في بطنها من الذهب والفضة وخروج الموتى بعد ذلك؛ قال: وهو من أشراط الساعة أن تُخرج الأَرض أَفْلاَذَ كَبِدِها. قال: وبُعْثِرَتْ وبُحْثِرَتْ لغتان. وقال الزجاج: بُعْثِرَتْ أَي: قلب ترابها وبعث الموتى الذين فيها. وقال: بَعْثَرُوا متاعهم وبَحْثَرُوه: إذا قَلَبُوه وفَرَّقُوه وبَدَّدُوه وقلبوا بعضه فوق بعض. وفي حديث أَبي هريرة: إني إذا لم أَرك تَبَعْثَرَتْ نَفْسي أَي: جاشت وانقلبت وغَثَتْ. وبَعْثَرَ الشيءَ: فرَّقه. وبَعْثَر التراب والمتاع: قلبه. قال ابن سيده: وزعم يعقوب أَن عينها بدل من غين بغثر أَو غين بغثر بدل منها. وبَعْثَرَ الخبر: بَحَثَهُ، ويقال: بَعْثَرْتُ الشيءَ وبَحْثَرْتهُ: إذا استخرجته وكشفته.

وقال أَبو عبيدة[1] في قوله تعالى: ﴿إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [العاديات: 9]: أُثِيرَ وأُخْرِجَ، قال: وتقول بَعْثَرْتُ حَوْضي أي: هدمته وجعلت أَسفله أَعلاه.

وقال الخليل[2]: بعثره بعثرة: إذا قلب التراب عنه.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾ [الانفطار: 4].

قال الفخر الرازي[3]: بعثر وبحثر بمعنى واحد، ومركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة إليهما، والمعنى أثيرت وقلب أسفلها أعلاها وباطنها ظاهرها، ثم هاهنا وجهان أحدهما: أن القبور تبعثر بأن يخرج ما فيها من الموتى أحياء، كما قال تعالى: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾ [الزلزلة: 2].

والثاني: أنها تبعثر لإخراج ما في بطنها من الذهب والفضة، وذلك لأن من أشراط الساعة أن تخرج الأرض أفلاذ كبدها من ذهبها وفضتها، ثم يكون بعد ذلك خروج الموتى، والأول أقرب، لأن دلالة القبور على الأول أتم.

قال العزّ بن عبد السلام[4]: (بعثرت) بحثت وأثيرت فاستخرج من فيها من الأموات أحياء للبعث.

قال ابن كثير[5]: أي قُلِبت وأخرج ما فيها من أهلها أحياء؛ يقال: بعثرت المتاع: قلبته ظهراً لبطن، وبعثرت الحوض وبحثرته: إذا هدمته وجعلت أسفله أعلاه. وقال قوم منهم الفرّاء: «بعثِرت»: أخرجت ما في بطنها من الذهب والفضة. وذلك من أشراط الساعة: أن تخرج الأرض ذهبها وفضتها.

(1) إعجاز القرآن، اللسان – ابن منظور.
(2) العين.
(3) التفسير الكبير.
(4) التفسير العظيم.
(5) تفسير ابن كثير.

● **وقوله:** ﴿إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [العَاديَات: 9].

قال الفخر الرازي[1]: قال: ﴿بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ ولم يقل: بعثر من في القبور؟ ثم إنه لما قال: ﴿مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾، فلم قال: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ﴾ ولم يقل: إن ربها بها يومئذ لخبير؟ الجواب عن السؤال الأول: هو أن ما في الأرض من غير المكلفين أكثر فأخرج الكلام على الأغلب، أو يقال: إنهم حال ما يبعثون لا يكونون أحياء عقلاء بل بعد البعث يصيرون كذلك، فلا جرم كان الضمير الأول ضمير غير العقلاء، والضمير الثاني ضمير العقلاء.

قال القرطبي[2]: (إِذَا بُعْثِرَ) أي: أثير وقُلِب وبُحِث، فأُخرج ما فيها. قال أبو عبيدة: بَعْثَرْتُ المتاع: جعلت أسفلهُ أعلاه. وعن محمد بن كعب قال: ذلك حين يُبْعَثون. الفرّاء: سمعت بعض أعراب بني أسد يقرأ: «بُحْثِر» بالحاء مكان العين؛ وحكاه الماورديّ عن ابن مسعود.

قال الخازن[3]: ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ﴾ [العَاديَات: 9] يعني هذا الإنسان ﴿إِذَا بُعۡثِرَ﴾ أي: أثير وأخرج ﴿مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ يعني من الموتى.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) لباب التأويل.

بعد

(بعد - نأى - شط - هجر - سحق)

■ **البُعْدُ:** تجاوز مساحة القرب نسبياً ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: 95].

■ **النَّأْيُ:** البعد تكبراً وبراءة ﴿أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء: 83].

■ **الشَّطَطُ:** الإفراط في البعد ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: 14].

■ **الهَجْرُ:** البعد قلباً وقالباً ﴿إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: 30].

■ **السُّحْقُ:** البُعد الذليل المهلك ومنه قوله تعالى: ﴿فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحجّ: 31].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

البعد: هي البعد عن الشيء فما من مصيبة أعظم من البعد في الدنيا والآخرة إلا في حالة واحدة هي البعد عن النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: 101]. و ما عدا هذا فالبعد سلبي.

فالبعد في القرآن له منظومة محكمة، فقد استعملها القرآن استعمالاً ليبين لنا وجهاً من أوجه الإعجاز من حيث أن الله سبحانه وتعالى اختار الكلمة المناسبة في هذه المنظومة لكي يعطيك معنىً إضافياً يتجاوز المعنى اللفظي للكلمة ولكل نوع من أنواع البعد؛ كلمة ترسم زاوية دقيقة من زوايا صورة البعد والبعد صورٌ متعددة

وإلا فالبعد هو ضد القرب وليس للبعد والقرب حدّ أدنى ولا أعلى ولكن إذا أطلق فهو يعني شيئاً عظيماً قال تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾ [هُود: 95].

وقال تعالى: ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: 41].

ولذلك فإن هذا البعد وباختلاف بسيط في نوعه وشكله يأخذ كلمة أخرى.

أَعْرَضَ: ابتعد عن شيء معين مع رفض، والإعراض: أن تعلن بعدك ورفضك. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ [النساء: 63] والإعراض: جهر بالرفض واستنكار.

نَأَى: بَعُدَ مع استقباح وتنزيه عما ابتعدت عنه.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى﴾ [الإسرَاء: 83].

فهنا نزه نفسه عن ذلك، أي: أنه ليس المسؤول عن ذلك ولا يجب الاقتراب منه؛ يقال: فلان نأى بنفسه عن المجرم، ليس كل بعدٍ نأي وكل نأي بعد.

شَطَّ: هو البعد عن الصواب بالذات، كل شيء صواب إذا ابتعدت عنه يسمى شططاً. ﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ [صَ: 22].

ولهذا سمي الشَطُّ شطًّا لبعد حافتيه عن الماء.

ومعروف أهمية المياه وأنها مصدر للحياة وكذلك حافتا النهر تبعدان عن الماء فكل بعد عن شيء قيم هو شطط.

قال تعالى: ﴿لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: 14] أي: قولا بعيداً عن الصواب.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجنّ: 4].

وَلَّى: بَعُدَ بسرعة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [النَّمل: 10].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عِمرَان: 111].

طَرَدَ: ابتعاد مستمر لا ينقطع، يقال: كلام مطّرد أي: مستمر.

هَرَبَ: ابتعد قبل بداية المعركة، قال تعالى: ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [الجنّ: **12**].

انهزم أو هزم: هرب بعد أن بدأت المعركة، قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: **251**].

جفا: هو بعد مع كراهية وعدم اكتراث. ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ [الرّعد: **17**].

قال ﷺ: «**من بدا جفا**» [الجامع الصغير: **8557**]. معنى الحديث: أي من سكن البادية غلظ طبعه لقلة مخالطة الناس.

قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السَّجدَة: **16**].

تعودت جنوبهم على عدم المنام مع كراهيتهم للفراش، فقد أنِسوا بالله.

قال تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عِمرَان: **187**] وهنا إهانة وإذلال.

قال تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ [الحَشر: **14**]. وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ [المؤمنون: **7**] كل ما عدا ذلك من الزواج وملك اليمين كله مريب.

الإمام الغزالي أشار إلى البعد والقرب فذكر البعد الأعظم وهو بعد إبليس، فيقول: لما أمر الله تعالى إبليس بالسجود فامتنع فأعقبه الله تعالى بالبعد إشارة إلى أن السجود علامة من علامات القرب، والامتناع عنه علامة من علامات البعد. قال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: **19**].

قال رسول الله ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**» [سنن أبي داود: 873].

ومن كرم الله تعالى على عباده أن جعل أعظم الثواب بأيسر الأعمال قال ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً - تصديقاً بأنه فرض - واحتساباً - أي طلباً للثواب - غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**» [سنن النسائي: كتاب الصيام].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والعين والدال أصلان: خِلاَفُ القُرْبِ، ومُقابِلُ قَبْل. قالوا: البُعْد خلاف القُرْب، والبُعْد والبَعَد الهلاك. والأباعد خلاف الأقارب.

وتقول: تَنَحَّ غير باعِدٍ، أي: غيرَ صاغر. وتَنَحَّ غير بَعيدٍ، أي: كُن قريباً. وأمّا الآخرُ فقولك جاء مِنْ بَعْدُ، كما تقولُ في خلافِهِ: مِن قَبْلُ.

قال الخليل[2]: بَعْدُ خلاف شيء، وضد قَبْلُ.

قال الجوهري[3]: البُعْدُ: ضد القرب. وقد بَعُدَ بالضم فهو بعيد، أي: تَباعَدَ.

وأَبْعَدَهُ غيره، وباعَدَهُ، وبَعَّدَهُ تَبعيداً. والبَعَدُ بالتحريك: جمع باعِدٍ. قال النابغة:

فَضْلاً على الناسِ في الأَدْنينَ والبَعَدِ فتِلْكَ تُبْلِغَنِي النعْمانَ إنَّ لَهُ.

والبَعَدُ أيضاً: الهلاك. تقول منه: بَعِدَ فهو باعِدٌ. واسْتَبْعَدَ، أي: تَباعَدَ. واسْتَبْعَدَهُ عَدَّهُ بعيداً. وتقول: تَنَحَّ غيرَ باعِدٍ وغيرَ بَعَدٍ أيضاً، أي غير صاغرٍ. وتَنَحَّ غير بَعِيدٍ، أي: كُنْ قريباً. وما أنتم بِبَعيدٍ، وما أنت مِنَّا ببَعيدٍ، يستوي فيه الواحد والجمع. وكذلك ما أنت ببعيد وما أنتم منا بِبَعَدٍ. وبيننا بُعْدَةٌ، من الأرض والقَرابةِ.

قال الراغب[4]: البُعْدُ: ضد القرب، وليس لهما حد محدود، وإنما ذلك بحسب اعتبار المكان بغيره، يقال ذلك في المحسوس، وهو الأكثر، وفي المعقول نحو قوله تعالى: ﴿ضَلُّواْ ضَلَلًا بَعِيدًا﴾ [النِّساء: 167]، بعدوا منه بعداً عظيماً شاسعاً.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ [فُصّلَت: 44].

قال ابن كثير(1): يعني: بعيد من قلوبهم. قال ابن جرير: معناه: كأن من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد، لا يفهمون ما يقول، وقلت: وهذا كقوله تعالى:

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 171] وقال الضحاك: ينادون يوم القيامة بأشنع أسمائهم. وقال السدي: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالساً عند رجل من المسلمين يقضي، إذ قال: يا لبيكاه فقال له عمر رضي الله عنه: لم تلبي؟ هل رأيت أحداً، أو دعاك أحد؟ فقال: دعاني داع من وراء البحر، فقال عمر رضي الله عنه: أولئك ينادون من مكان بعيد. رواه ابن أبي حاتم. وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ﴾ [هود: 110] أي: كذب وأوذي.

● **وقوله تعالى:** ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هُود: 83].

قال الفخر الرازي(2): يعني به كفار مكة، والمقصود أنه تعالى يرميهم بها. عن أنس أنه قال: سأل رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام عن هذا فقال: يعني عن ظالمي أمتك، ما من ظالم منهم إلا وهو بمعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة. وقيل: الضمير في قوله: ﴿وَمَا هِىَ﴾ للقرى. أي وما تلك القرى التي وقعت فيها هذه الواقعة من كفار مكة ببعيد، وذلك لأن القرى كانت في الشأم، وهي قريب من مكة.

قال القرطبي(3): ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ يعني: قوم لوط؛ أي: لم تكن تخطئهم. وقال مجاهد: يُرهِب قريشاً؛ المعنى: ما الحجارة من ظالمي قومك يا

---

(1) تفسير ابن كثير.
(2) التفسير الكبير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

محمد ببعيد. وقال قتادة وعِكرمة: يعني ظالمي هذه الأمة؛ والله ما أجار الله منها ظالماً بعد. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**سيكون في آخر أمّتي قوم يكتفي رجالهم بالرجال ونساؤهم بالنساء فإذا كان ذلك فارتقبوا عذاب قوم لوط أن يرسل الله عليهم حجارة من سجيل** ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ وفي رواية عنه عليه السلام: «**لا تذهب الليالي والأيام حتى تستحلّ هذه الأمة أدبار الرجال كما استحلوا أدبار النساء فتصيب طوائف من هذه الأمة حجارة من ربك**». وقيل: المعنى ما هذه القرى من الظالمين ببعيد؛ وهي بين الشام والمدينة. وجاء «بِبَعِيدٍ» مذكراً على معنى بمكان بعيد. وفي الحجارة التي أمطرت قولان: أحدهما: أنها أمطرت على المدن حين رفعها جبريل. الثاني: أنها أمطرت على من لم يكن في المدن من أهلها وكان خارجاً عنها.

وبعد: مات، والبعد أكثر ما يقال في الهلاك، نحو: ﴿بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هُود: 95].

● **قال تعالى: ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾** [المؤمنون: 41]

قال الفخر الرازي(1): ففيه مسألتان:

المسألة الأولى: قوله: (بُعْداً) وسحقاً ودمراً ونحوها مصادر موضوعة مواضع أفعالها، وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بأفعال لا يستعمل إظهارها ومعنى بُعْداً بَعِدوا، أي: هلكوا يقال: بعد بُعْداً وبَعَداً بفتح العين نحو رشد رَشْداً ورَشَداً بفتح الشين، والله أعلم.

المسألة الثانية: قوله: (بُعْداً) بمنزلة اللعن الذي هو التبعيد من الخير، والله تعالى ذكر ذلك على وجه الاستخفاف والإهانة لهم، وقد نزل بهم العذاب دالاً بذلك على أن الذي ينزل بهم في الآخرة من البعد من النعيم والثواب أعظم مما حل بهم حالاً ليكون ذلك عبرة لمن يجيء بعدهم.

---

(1) التفسير الكبير.

● وقال تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ [سَبَإ: 8].

أي: الضلال الذي يصعب الرجوع منه إلى الهدى تشبيهاً بمن ضل عن محجة الطريق بعداً متناهياً، فلا يكاد يرجى له العود إليها(1).

ووصف الضلال بالبعيد الذي هو وصف الضال للمبالغة لأن ضلالهم إذا كان بعيداً في نفسه فكيف بهم أنفسهم(2).

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [هُود: 89] أي: تقاربونهم في الضلال، فلا يبعد أن يأتيكم ما أتاهم من العذاب(3).

يعني أنهم أهلكوا في عهد قريب من عهدكم، فهم أقرب الهالكين منكم. أو لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك. فإن قلت: ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه أو معناه؟ قلت: إما أن يراد: وما إهلاكهم ببعيد، أو ما هم بشيء بعيد أو بزمان أو مكان بعيد. ويجوز أن يُسَوَّى في قريب وبعيد، وقليل وكثير، بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما(4).

وقيل في الزمان فهم أقرب الهالكين منكم، أو في المكان فمنازلهم قريبة منكم أو فيما يستحق به الهلاك وهو الكفر والمساوىء. وسُوِّي في قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما(5).

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن الكريم. الأصفهاني.
(2) روح المعاني - الألوسي.
(3) مفردات ألفاظ القرآن الكريم. الأصفهاني.
(4) الكشاف - الزمخشري.
(5) مدارك التنزيل - النسفي.

بعر

(بعر)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والعين والراء أصلان: الجمال.

قال الخليل[2]: البَعْرُ للإبل ولكل ذي ظلف إلا للبقر الأهلي، فإنه يخثي، والوحشي يبعر.

ابن دريد[3]: البَعْرُ والبَعَّرُ لغتان معروفتان للظلف والخفّ.

قال الجوهري[4]: البَعيرُ من الإبل بمنزلة الإنسان من الناس، يقال للجمل بعيرٌ وللناقة بعيرٌ والجمع أَبْعِرَةٌ، وأَباعِرُ وبِعْرانٌ. والبَعْرَةُ واحدة البَعْرِ والأَبْعارِ.

وقد بَعَرَ البَعيرُ والشاةُ يَبْعَرُ بَعْراً.

البَعيرُ: الجَمَل البازِلُ، وقيل: الجَذَعُ، وقد يكون للأُنثى، حكي عن بعض العرب: شربت من لبن بَعيري وصَرَعَتْني بَعيري أَي: ناقتي، والجمع أَبْعِرَةٌ في الجمع الأَقل، وأَباعِرُ وأَباعيرُ وبُعْرانٌ وبِعْرانٌ. قال ابن بري: أَباعِرُ جمع أَبْعِرةٍ، وأَبْعِرَةٌ جمع بَعير، وأَباعِرُ جمع الجمع.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الجمهرة.
(4) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٍ﴾ [يُوسُف: 72].

قال الطبري[1]: ولمن جاء بالصواع حمل بعير من الطعام. عن قتادة، قوله: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٍ﴾ [يُوسُف: 72] يقول: وِقْر بعير.

وعن مجاهد، في قول الله تعالى: ﴿حِمۡلُ بَعِيرٍ﴾ قال: حمل طعام وهي لغة.

وقال: حمل حمار.

قال القرطبي[2]: البعير هٰهنا يحمل عدة أوجه:

الأولى: البعير هنا الجمل في قول أكثر المفسرين. وقيل: إنه الحمار، وهي لغة لبعض العرب؛ قاله مجاهد واختاره. وقال مجاهد: الزعيم هو المؤذن الذي قال: «أَيَّتُهَا الْعِيرُ». والزعيم والكَفيل والحَمِيل والضّمين والقَبِيل سواء والزعيم الرئيس.

الثانية: إن قيل: كيف ضمن حمل البعير وهو مجهول، وضمان المجهول لا يصح؟ قيل له: حمل البعير كان معيناً معلوماً عندهم كالوَسْق؛ فصح ضمانه، غير أنه (كان) بدل مالٍ للسارق، ولا يحل للسارق ذلك، فلعله كان يصحّ في شرعهم أو كان هذا جعالة، وبذل مال لمن (كان) يفتّش ويطلب.

الثالثة: قال بعض العلماء: في هذه الآية دليلان: أحدهما - جواز الجُعْل وقد أجيز للضرورة؛ فإنه يجوز فيه من الجهالة ما لا يجوز في غيره؛ فإذا قال الرجل: من فعل كذا فله كذا صح. وشأن الجُعْل أن يكون أحد الطرفين معلوماً والآخر مجهولاً للضرورة إليه؛ بخلاف الإجارة؛ فإنه يتقدّر فيها العوض والمعوض من الجهتين؛ وهو من العقود الجائزة التي يجوز لأحدهما فسخه؛ إلا

(1) جامع البيان.
(2) الجامع لأحكام القرآن.

أن المجعول له يجوز أن يفسخه قبل الشروع وبعده، إذا رضِي بإسقاط حقه، وليس للجاعل أن يفسخه إذا شرع المجعول له في العمل. ولا يشترط في عقد الجُعْل حضور المتعاقدين، كسائر العقود؛ لقوله: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ﴾ [يُوسُف: 72] وبهذا كله قال الشافعي.

بعض

(بعض - جزء - نصيب - قسم)

■ **البَعْضُ:** ما دون الكل غير محدد ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: 129].

■ **الجُزْءُ:** ما لا يستقل بنفسه عن الكل كأجزاء السفينة وأجزاء البيت ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف: 15].

■ **النَّصِيبُ:** الجزء المعدّ لمالكه تحديداً ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [النِّساء: 53].

■ **القِسْمُ:** الجزء المفروز عن الكل من النصيب ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحِجر: 44].

* * *

شرح المعاني:

1 - **بعض:** هو الطائفة من الشيء الذي إذا ذهب لا يذهب الشيء كله. يقال مثلاً: شعب الإمارات بعض الأمة العربية. ولا يلزم منه انعدام الشيء. وقد يكون أقلّ من النصف ولكنه ليس محدداً ولا معروفاً. ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البَقَرة: 36] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ [الأنعام: 129] ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العَنكبوت: 25] ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزّخرُف: 63] ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزخرف: 32] تأتي في مقابلة الآخر. ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي

يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: 28] ومن حِلم الله تعالى أنه يأبى أن يُعاقب الناس جميعاً عقاباً مطلقاً وإنما يعاقب كل إنسان بما عمله. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: 251] وجود قوتين متصارعتين حماية للأرض، إن القوة الوحيدة تهدد الأرض أما أن يكون معها قوة متصارعة فهذا يخفف من سيطرة القوة الواحدة الكلّية على الأرض. ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: 19] ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ [آل عمران: 155] ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النِّساء: 21] ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعَام: 65] كلا الطرفين ظالم ولو كان الصراع بين الحق والباطل لزهق الباطل. ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعَام: 112] الإيحاء هو الخفية والإنسان مخيّر لذلك يفعل هذا ولو لم يكن مخيّراً لما فعلوه. ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعَام: 158] مثل الأعاصير والطوفان التي تأتي بدون سابق إنذار عقوبة من الله تعالى. ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عِمرَان: 34] دليل على تماسك الأسرة. ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: 34] تكامل الأسرة والمجتمع. ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البقرة: 85] ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المَائدة: 51] دلالة على وحدة الهدف. ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [التّوبَة: 127] تحريض. ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ [النّحل: 71] تنافس اقتصادي. ﴿بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفُرقان: 20] اختبارات.

2 - **جزء**: جزء الشيء هو ما يتقوّم به جُملته كأجزاء البيت وأجزاء الساعة، فالدقيقة جزء الساعة لأنها متوقف وجودها على كل دقيقة. كل ما يتوقف عليه بقاء الآخر يُسمّى جزءاً. ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة: 260] ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: 44] ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف: 15].

3 - **قسم**: هو إفراز النصيب والقِسمة كقسمة الميراث والغنيمة بمعنى تفريقهما على أربابهما. ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: 44] ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ [القمر: 28].

4 – **النصيب**: مكافأة أو نتيجة القسمة (يقال لما هو محبوب) وهو الحظ المنصوب أي المُعيّن ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [النِّساء: 53] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عِمرَان: 23].

5 – **الحظ**: النصيب الطيّب المحبوب وهو النصيب المقدّر. مال المرأة يُعدّ حظًّا والحظّ هو النصيب للمؤمنين. ﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المَائدة: 14] ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: 11].

6 – **الكِفل**: النصيب المساوي ومنها المِثل. وهو النصيب غير المحبوب أو الرديء، والكِفل بمعنى النعمة أو الرحمة، والكفل هي من الكلمات المشتركة (يكون لها أكثر من معنى واستعمال). ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النِّساء: 85] ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحَديد: 28].

7 – **قِسط**: هو النصيب بالعدل كالنَّصف والنِّصَفة ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ [يُونس: 4] ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الرَّحمٰن: 9] والقِسط هو أن يأخذ قسط غيره وذلك جور، والإقساط هو أن يعطي غيره وذلك إنصاف.

8 – **قِطّ**: هو النصيب المفروز. ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: 16].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والعين والضاد أصلٌ واحدٌ، وهو تجزئة للشيءِ. وكلّ طائفةٍ منه بعض.

قال الخليل[2]: بعضُ كلِّ شيءٍ طائفةٌ منه. تقول: جاريةٌ يُشْبِهُ بعضُها بعْضاً.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.

وبَعْضٌ مذكَّر. تقول هذه الدّارُ متَّصِلٌ بعضُها ببعْض. وبعّضْتُ الشيءَ تبعيضاً إذا: فَرّقْتَه أجزاءً.

بَعْضُ الشيء: طائفة منه، والجمع أَبعاض؛ قال ابن سيده: حكاه ابن جني فلا أَدري أَهو تسمُّح أَم هو شيء رواه، واستعمل الزجاجي بعضاً بالألف واللام فقال: وإِنما قلنا البَعْض والكل مجازاً، وعلى استعمال الجماعة لهُ مُسامحة، وهو في الحقيقة غير جائر يعني أَن هذا الاسم لا ينفصل من الإضافة. قال أَبو حاتم: قلت للأصمعي رأَيت في كتاب ابن المقفع: العِلْمُ كثيرٌ ولكن أَخْذُ البعضِ خيرٌ مِنْ تَرْكِ الكل، فأَنكره أَشدَّ الإنكار وقال: الأَلف واللام لا يدخلان في بعض وكل لأَنهما معرفة بغير أَلف ولام[1].

قال الجوهري[2]: بَعْضُ الشيءِ: واحدُ أَبْعاضِهِ. وقد بَعَّضْتُهُ تَبْعِيضاً، أي: جزَّأْتُه، فَتَبَعَّضَ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ [البَقَرَة: 36].

قال الزمخشري[3]: ومعنى (بعضكم لبعض) ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض.

قال الفخر الرازي[4]: ما عليه الناس من التعادي والتباغض وتضليل بعضهم لبعض، واعلم أن هذا القول ضعيف لأن الذرية ما كانوا موجودين في ذلك الوقت فكيف يتناولهم الخطاب؟ أما من زعم أن أقل الجمع اثنان فالسؤال زائل على قوله.

---

(1) اللسان - ابن منظور.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) الكشاف.
(4) التفسير الكبير.

قال القرطبي[1]: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ «بعضكم» مبتدأ، «عدوّ» خبره، والجملة في موضع نصب على الحال؛ والتقدير وهذه حالكم. وحذفت الواو من و«بعضكم» لأن في الكلام عائداً؛ كما يقال: رأيتك السماء تمطر عليك. والعدوّ: خلاف الصديق؛ وهو من عدا إذا ظلم. وذئب عَدَوان: يَعْدُو على الناس. والعُدْوان: الظلم الصُّراح. وقيل: هو مأخوذ من المجاوزة؛ من قولك: لا يَعْدُوك هذا الأمر؛ أي لا يتجاوزك. وعداه إذا جاوزه؛ فسمّي عدوًّا لمجاوزة الحد في مكروه صاحبه؛ ومنه العَدْوُ بالقَدَم لمجاوزة الشيء، والمعنيان متقاربان؛ فإن من ظلم فقد تجاوز. وقد حمل بعض العلماء قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ على الإنسان نفسه، وفيه بُعْدٌ وإن كان صحيحاً معنىً.

يدلّ عليه قوله عليه السلام: «**إن العبد إذا أصبح تقول جوارحه للسانه اتق الله فينا فإنك إذا استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا**» فإن قيل: كيف قال «عدوّ» ولم يقل أعداء؛ ففيه جوابان. أحدهما: أن بَعْضاً وكُلاًّ يُخبر عنهما بالواحد على اللفظ وعلى المعنى، وذلك في القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريَم: 95].

● **وقال** عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ [الأنعَام: 129].

قال ابن كثير[2]: إنما يولي الله الناس بأعمالهم، فالمؤمن وليُّ المؤمن أين كان وحيث كان، والكافر وليُّ الكافر أينما كان وحيثما كان، وليس الإيمان بالتمني، ولا بالتحلي، واختاره ابن جرير، وقال معمر عن قتادة في تفسير الآية: يولي الله بعض الظالمين بعضاً في النار، يتبع بعضهم بعضاً. وقال مالك بن دينار: قرأت في الزبور: إني أنتقم من المنافقين بالمنافقين، ثم أنتقم من المنافقين جميعاً، وذلك في كتاب الله قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ قال:

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) تفسير ابن كثير.

ظالمي الجن وظالمي الإنس، وقرأ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: 36] قال: ونسلط ظلمة الجن على ظلمة الإنس، وقد روى الحافظ ابن عساكر مرفوعاً: «**من أعان ظالماً، سلطه الله عليه**» وهذا حديث غريب، وقال بعض الشعراء:

وما منْ يدٍ إلا يد الله فوقها ولا ظالمٍ إلا سيبلى بظالم

ومعنى الآية الكريمة: كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة التي أغوتهم من الجن، كذلك نفعل بالظالمين، نسلط بعضهم على بعض، ونهلك بعضهم ببعض، وننتقم من بعضهم ببعض؛ جزاء على ظلمهم وبغيهم.

قال الشعراوي[1]: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ [الأنعام: 129] أي: كما صنعنا مع الجن والإنس، باستكثار الجن من الإنس واستمتاع بعضهم ببعض إضلالاً وإغواء، وطاعة وانقياداً، نجعل من بينهم ولاية ظالم على ظالم، ولا نولى عليهم واحداً من أهل الخير؛ لأن أهل الخير قلوبهم مملوءة بالرحمة، لا يقوون على أن يؤدبوا الظالم؛ فهم قد ورثوا النبوة المحمدية في قوله يوم فتح مكة: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»، ولذلك إذا أراد الله أن يؤدب ظالماً لا يأتي له بواحد من أهل الخير ليؤدبه، إنه - سبحانه - بتكريمه لأهل الخير لم يجعل منهم من يكون في مقام من يؤدب الظالم. إنه - سبحانه - يجعل أهل الخير في موقف المتفرج على تأديب الظالمين بعضهم بعضاً. والتاريخ أرانا ذلك. فقد صنع الظالمون بعضهم في بعض الكثير، بينما لو تمكن منهم أعداؤهم الحقيقيون لرحموهم؛ لأن قلوبهم مملوءة بالرحمة. ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ هم اعتقدوا أنهم أخذوا شيئاً من وراء الله وخلصوا به. نقول: لا، فربك سيحاسبك ثواباً أو عقاباً وذلك بما قدمت يداك من سيئات أو حسنات.

---

(1) تفسير الشعراوي.

● **وقوله:** ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العَنكبوت: 25].

قال الفخر الرازي[1]: يعني يوم يزول عمى القلوب وتتبين الأمور للبيب والغفول يكفر بعضكم ببعض ويعلم فساد ما كان عليه فيقول العابد ما هذا معبودي، ويقول المعبود ما هؤلاء عبدتي ويلعن بعضكم بعضاً، ويقول هذا لذاك: أنت أوقعتني في العذاب حيث عبدتني، ويقول ذاك لهذا: أنت أوقعتني فيه حيث أضللتني بعبادتك، ويريد كل واحد أن يبعد صاحبه باللعن ولا يتباعدون، بل هم مجتمعون في النار كما كانوا مجتمعين في هذه الدار.

وقال ابن كثير[2]: أي: ومصيركم ومرجعكم بعد عرصات القيامة إلى النار، وما لكم من ناصر ينصركم، ولا منقذ ينقذكم من عذاب الله، وهذا حال الكافرين، وأما المؤمنون، فبخلاف ذلك. قال ابن أبي حاتم: عن أم هانىء أخت علي بن أبي طالب قالت: قال لي النبي ﷺ: «**أخبرك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد، فمن يدري أين الطرفان؟** قالت: الله ورسوله أعلم، **ثم ينادي مناد من تحت العرش: يا أهل التوحيد فيشرئبون** قال أبو عاصم: يرفعون رؤوسهم **ثم ينادي: يا أهل التوحيد، ثم ينادي الثالثة: يا أهل التوحيد، إن الله قد عفا عنكم قال فيقوم الناس قد تعلق بعضهم ببعض في ظلامات الدنيا** يعني: المظالم **ثم ينادي: يا أهل التوحيد، ليعف بعضكم عن بعض، وعلى الله الثواب**».

● **قال تعالى:** ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الزخرف: 63].

قال الألوسي[3]: وهو أمر الديانات وما يتعلق بالتكليف دون الأمور التي لم

---
(1) التفسير الكبير.
(2) تفسير ابن كثير.
(3) روح المعاني.

يتعبدوا بمعرفتها ككيفية نضد الأفلاك وأسباب اختلاف تشكلات القمر مثلاً، فإن الأنبياء عليهم السلام لم يبعثوا لبيان ما يختلف فيه من ذلك ومثلها ما يتعلق بأمر الدنيا ككيفية الزراعة وما يصلح الزرع وما يفسده مثلاً، فإن الأنبياء عليهم السلام لم يبعثوا لبيانه أيضاً كما يشير إليه قوله ﷺ في قصة تأبير النخل «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**» وجوز أن يراد بهذا البعض بعض أمور الدين المكلف بها وأريد بالبيان البيان على سبيل التفصيل وهي لا يمكن بيان جميعها تفصيلاً وبعضها مفوض للاجتهاد. وقال أبو عبيدة: المراد بعض الذي حرم عليهم وقد أحل عليه السلام لهم لحوم الإبل والشحم من كل حيوان وصيد السمك يوم السبت، وقال مجاهد: بعض الذي يختلفون فيه من تبديل التوراة، وقال قتادة: لأبين لكم اختلاف الذين تحزبوا في أمره عليه السلام.

بعل

(بعل - زوج - صاحب)

■ **البَعْلُ:** باعتبار سلطة الزوج ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هُود: 72].

■ **الزَّوْجُ:** باعتبار شرعية العلاقة بالعقد الصحيح ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البَقَرَة: 35].

■ **الصَّاحِبُ:** باعتبار العشرة والمحبة ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عَبَسَ: 36].

* * *

شرح المعاني:

بعل: يُطلق على الذكر في العلاقة الزوجية، تُطلق عندما يُشار إلى خاصيّة الفحولة الجنسية للرجل (مرتبطة بالعملية الجنسية الحلال بين الرجل والمرأة) والبعولة آنيّة، والغيرة تتعلق بالبعولة. ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: 72] ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [البقرة: 228] والبَعْلُ هو المكان المرتفع العالي الذي لا يناله السيل، وأُخذ من استعلاء الرجل على المرأة فهو سائسها والقائم عليها. وهو النخل الذي لا يُسقى بالماء ولكنه يمتصّ الماء بعروقه، والبَعْلُ هو الأُجرة التي يدفعها صاحب الزرع لمن يسقيه وهو الشديد الوطأة على غيره.

2 - **سَيِّد**: عندما يصبح الأمر والنهي والملك هو المحكّم بين الزوجين. وسمّي الزوج سيداً لسياسة زوجته ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف: 25]. كل امرأة كفؤ لأيّ رجل وليس كل رجل كفؤاً لأيّ امرأة. يقال: سيّد القوم الذي يتولّى الجماعة، وتطلق على كل من كان فاضلاً في نفسه.

3 - **زَوْجُ**: يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في كل المخلوقات ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: 39] ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: 49]. قانون الموجودات في الكون كلّه. الزوجية تقتضي فنًّا في حسن السلوك اليومي فيما بين الزوجين وتجاوز عن الأخطاء ليبقى التواؤم في الحياة الزوجية. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب: 28] توحي الحقوق والمودّة وهي أرقى الدرجات في العلاقة الزوجية وهي الصحبة والزوجية، ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: 35].

4 - **صاحب**: الصاحب هو رفيق الطريق وهو الملازم والمصاحبة قد تكون بالبدن أو بالعناية والهِمّة والمصاحبة تقتضي طول اللبث (وصاحبته وبنيه). والاصطحاب أوسع من الاجتماع فكل اصطحاب اجتماع وليس كل اجتماع اصطحاب. الاصطحاب يلزم أُنساً ومواساة وائتمان وثقة وأمن.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والعين واللام أصولٌ ثلاثةٌ: فالأوّل الصاحب، يقال للزّوج: بَعْل، وكانُوا يُسَمُّون بعضَ الأصنام بَعْلاً. ومن ذلك البِعالُ، وهو مُلاعَبَة الرّجلِ أهْلَه. البَعْلُ: الأَرض المرتفعة التي لا يصيبها مطر إلا مرّة واحدة في السنة.

وقال الجوهري[2]: هي أرض مرتفعة لا يصيبها سَيْح ولا سَيْل.

وقيل: البَعْل كل شجر أَو زرع لا يُسْقى، وقيل: البَعْل والعَذْيُ واحد، وهو ما سقَتْه السماء، وقد اسْتَبْعَل الموضع.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.

فسر الشافعي البَعْل في باب القسم فقال: البَعْل ما رَسَخ عُروقه في الماء فاسْتَغْنَى عن أَن يُسْقَى.

قال الأزهري[1]: وقد رأيت بناحية البَيْضاء من بلاد جَذِيمَة عبد القَيْس نَخْلاً كثيراً عروقها راسخة في الماء، وهي مستغنية عن السَّقْي وعن ماء السماء تُسَمَّى بَعْلاً. واستبعل الموضع والنخل: صار بَعْلاً راسخ العروق في الماء مستغنياً عن السَّقْي وعن إِجراء الماء في نَهر أَو عاثور إِليه. وفي الحديث: «**العَجْوة شِفاء من السُّمِّ ونزل بَعْلُها من الجنة**» أي أَصلها.

أَراد بِبَعْلِها قَسْبَها الراسخة عُروقُه في الماء لا يُسْقَى بنَضْح ولا غيره ويجيء تَمْره يابساً له صوت.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هُود: 72]

قال أبو السعود[2]: (بَعْلِي) أي: زوجي، وأصلُ البعلِ القائمُ بالأمر، وجمعه بعولة.

قال الزجاج: نصب شيخاً على الحال، قال: والحال هٰهنا نصبها من غامض النحو، وذلك إِذا قلت: هذا زيد قائماً، فإِن كنت تقصد أَن تخبر من لم يَعْرِف زيداً أَنه زيد لم يَجُز أَن تقول: هذا زيد قائماً، لأَنه يكون زيداً ما دام قائماً، فإِذا زال عن القيام فليس بزيد، وإِنما تقول: للذي يعرف زيداً هذا زيد قائماً فيعمل في الحال التنبيه؛ المعنى: انْتَبِه لزيد في حال قيامه أَو أُشيرُ إِلى زيد في حال قيامه، لأَن هذا إِشارة إِلى من حضر، والنصب الوجه كما ذكرنا؛ ومن قرأَ: هذا بَعْلي

(1) تهذيب اللغة.
(2) إرشاد العقل السليم.

شيخٌ، ففيه وجوه: أَحدها التكرير كأَنك قلت هذا بعلي هذا شيخ، ويجوز أَن يجعل شيخ مُبيناً عن هذا، ويجوز أَن يجعل بعلي وشيخ جميعاً خبرين عن هذا فترفعهما جميعاً بهذا كما تقول هذا حُلْوٌ حامض، وجمع البَعْل الزوجِ بِعال وبُعُول وبُعُولة[1].

● **قال تعالى**: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [البَقَرَة: 228].

قال الزمخشري[2]: ولما تصور من الرجل الاستعلاء على المرأة فجعل سائسها والقائم عليها كما قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النِّساء: 34].

سُمِّي باسمه كل مستعل على غيره، فسمى العرب معبودهم الذين يتقربون به إلى الله بعلاً؛ لاعتقادهم ذلك فيه في نحو قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الصَّافات: 125].

والبُعْولة: جمع بَعْل، والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة. ويجوز أن يراد بالبعولة المصدر من قولك: بَعْلٌ حسن البعولة، يعني: وأهل بعولتهن ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ برجعتهن.

والبعولة جمع بعل: وهو الزوج للمرأة.

وقد يجمع البَعْلُ البُعُولَة والبُعُول، كما يجمع الفَحْلُ الفُحُول والفُحُولة، والذَّكر الذُّكُور والذُّكُورة. وكذلك ما كان على مثال «فعول» من الجمع، فإن العرب كثيراً ما تدخل فيه الهاء، فأما ما كان منها على مثال «فِعال» فقليل في كلامهم دخول الهاء فيه، وقد حكي عنهم العظام والعظامة.

وقد قيل: الحجارة والحجار، والمهارة والمهار، والذكارة والذكار، للذكور[3].

---

(1) اللسان - ابن منظور.

(2) الكشاف - أساس البلاغة.

(3) جامع البيان - الطبري.

ويقال: أتانا بَعْلُ هذه الدابة، أي: المستعلي عليها، وقيل للأرض المستعلية على غيرها بَعْل، ولفحل النخل بَعْل تشبيهاً بالبعل من الرجال، ولما عظم حتى يشرب بعروقه بعل لاستعلائه، قال ﷺ: «**فيما سقي بعلاً العشر**» أخرجه ابن ماجه في سننه.

ويروى عنه ﷺ أنه قال: «**فيما سقت السماء والعيون أو كان عثرياً العشر، وما سقي بالنضح نضف العشر**». وهذا متفق عليه. راجع: شرح السنة. ولما كانت وطأة العالي على المستولى عليه مستثقلة في النفس قيل: أصبح فلان بعلاً على أهله، أي: ثقيلاً لعلوه عليهم، وبني من لفظ البعل المباعلة والبعال كناية عن الجماع، وبعل الرجل[1].

● **وقوله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الصَّافات: 125].

قيل: معناه أَتدعون ربًّا، وقيل: هو صنم؛ يقال: أَنا بَعْل هذا الشيء أَي: رَبُّه ومالكه، كأَنه قال: أَتدعون رَبًّا سوى الله. وروي عن ابن عباس: أَن ضالَّة أُنْشِدَت فجاء صاحبها فقال: أَنا بَعْلُها، يريد ربها، فقال ابن عباس: هو من قوله أَتدعون بعلاً أَي: رَبًّا. وورد أَن ابن عباس مَرَّ برجلين يختصمان في ناقة وأَحدهما يقول: أَنا والله بَعْلُها أَي: مالكها ورَبُّها. وقولهم: مَنْ بَعْلُ هذه الناقة؟ أَي: مَنْ رَبُّها وصاحبها.

(1) كتاب الأفعال.

بغت

(بَغَت)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والغين والتاء أصلٌ واحدٌ لا يُقاس عليه، منه البغْت، وهو أَنْ يفجَأَ الشيءُ.

ابن دريد[2]: البَغْتُ: المفاجأة، وبَاغَتَهُ الأمر مُبَاغَتَةً وبَغْتَة: إذا فاجأه.

قال الجوهري[3]: البَغْتُ: أن يَفجأَكَ الشيء.

تقول: بَغَتَهُ، أي: فاجأهُ. ولقيته بَغْتَةً: أي فجأة. والمُباغَتَةُ: المفاجأة. ويقال: لستُ آمَنُ بَغَتاتِ العدو: أي فَجآتِه.

والبَغْتَةُ تمنع الاستعداد والتأهُّب، وتمنع المحافظة على النفس. ومن ذلك ما كانوا يفعلونه أوقات الحروب من صافرات الإنذار التي تُنبّه الناس إلى حدوث غارة مثلاً، فيأخذ الناس استعدادهم، ويلجؤون إلى المخابىء، أمَّا إن داهمهم العدو فجأة فلن يتمكنوا من ذلك، ولن يجدوا فرصة للنجاة من الخطر.

والباغُوتُ: اسم موضع؛ قال النابغة: لَيْسَتْ تَرَى حَوْلَها شَخْصاً، وراكِبُها نَشْوانُ، في جُوَّةِ الباغُوتِ، مَخْمُورُ[4].

❋ ❋ ❋

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الجمهرة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) اللسان - ابن منظور.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾** [الأعراف: 187].

قال الطبري[1]: لا تجيء الساعة إلاَّ فجأة، لا تشعرون بمجيئها.

حدثني محمد بن الحسين، عن السديّ: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ يقول: يبغتهم قيامها، تأتيهم على غفلة.

ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ قضى الله أنها لا تأتيكم إلَّا بغتة. قال: وذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «**إنَّ السَّاعَةَ تَهِيجُ بالنَّاسِ والرَّجُلُ يُصْلِحُ حَوْضهُ والرَّجُلُ يُسْقِي ماشِيَتَهُ والرَّجُلُ يُقِيمُ سِلْعَتَهُ في السُّوقِ وَالرَّجُلُ يَخْفِضُ مِيزَانَهُ وَيَرْفَعُهُ**».

قال الفخر الرازي[2]: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ وهذا أيضاً تأكيد لما تقدم وتقرير لكونها بحيث لا تجيء إلا بغتة فجأة على حين غفلة من الخلق. وعن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الساعة تفجأ الناس، فالرجل يصلح موضعه، والرجل يسقي ماشيته، والرجل يقوم بسلعته في سوقه. والرجل يخفض ميزانه ويرفعه**» وروى الحسن عن النبي ﷺ أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده لتقومن الساعة وإن الرجل ليرفع اللقمة إلى فيه حتى تحول الساعة بينه وبين ذلك**».

● **وقوله تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾** [الأنبياء: 40].

قال القشيري[3]: العقوبة إذا أتت فجأةً كانت أنكى وأشد، وسُنَّةُ الله في الانتقام أن يُثِيرَ ريحَ البغتةِ في حال الانغماس في النِّعْمة والمِنَّة.

قال ابن عطية[4]: وقوله: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ استدراك مقدر قبله نفي تقديره أن

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) لطائف الإشارات.
(4) المحرر الوجيز.

الآيات لا تأتي بحسب اقتراحهم ﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةً﴾، والضمير للساعة التي تصيرهم إلى العذاب ويحتمل أن يكون لـ ﴿ٱلنَّارَ﴾ [الأنبياء: 39]، وقرأت فرقة «يأتيهم» بالياء على أن الضمير للوعد «فيبهتهم» بالياء أيضاً، والبغتة الفجأة من غير مقدمة، و﴿يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء: 40] معناه يؤخرون ثم آنس تعالى محمداً ﷺ بما جرى على سائر الأنبياء من استهزاء قومهم بهم وحلول العذاب بالمستهزئين، و«حاق» معناه نزل وحل وهي مستعملة في العذاب والمكاره، وقوله: ﴿مَّا كَانُواْ﴾ [الأنبياء: 41] فيه محذوف تقديره جزاء ما كانوا أو نحوه ومع هذا التأنيس الذي لمحمد ﷺ وعيد للكفرة وضرب مثل لهم بمن سلف من الأمم.

● **وقوله** ﷻ: ﴿تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً﴾ [يُوسُف: 107].

قال الشعراوي(1): أن الموت مُعلَّق على رقاب الجميع، ولا أحد يعلم ميعاد موته.

فالرسول ﷺ يقول: «**من مات قامت قيامته**».

فما الذي يُبطئهم عن الإيمان بالله والإخلاص التوحيدي لله، بدون أنْ يمسَّهم شرك؛ قبل أن تقوم قيامتهم بغتةً؛ أي: بدون جرس تمهيدي.

ونعلم أن مَنْ سبقونا إلى الموت لا يطول عليهم الإحساس بالزمن إلى أن تقومَ قيامة كُلِّ الخَلْق؛ لأن الزمن لا يطول إلا على مُتتبع أحداثه.

والنائم مثلاً لا يعرف كَمْ ساعةً قد نام؛ لأن وَعْيَه مفقود فلا يعرف الزمن، والذي يوضح لنا أن الذين سبقونا لا يشعرون بمرور الزمن هو قوله الحق: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: 46].

---

(1) تفسير الشعراوي.

بغض

(بغض - كره - مقت - ضغن - قلا - نفر - اشمأز)

■ **البُغْضُ:** نفار النفس عن إكرام أو اقتناء الشيء الذي تبغضه وليس عن ذاته ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المَائدة: 64].

■ **الكُرْهُ:** نفار النفس من ذات الشيء ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ﴾ [البَقَرَة: 216].

■ **المَقْتُ:** نفار النفس مع الاحتقار أو التقزز من فعل معين ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النِّساء: 22].

■ **الضّغن:** الكره المستحكم الدائم وليس طارئاً ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ [محَمَّد: 29].

■ **القَلَى:** الكره مع الهجر ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضّحى: 3].

■ **النُّفُور:** الكره المفاجئ السريع ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فَاطِر: 42].

■ **اشمأز:** نفور النفس مما تكره ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الزُّمَر: 45].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والغين والضاد أصلٌ واحد، وهو يدلُّ على خلاف الحبّ. يقال أبغَضْتُه أُبْغِضُه.

ابن دريد[2]: البُغْضُ: ضدُّ الحبِّ، أَبْغَضْتُهُ أُبْغِضُهُ إِبْغَاضاً وبِغْضَةً.

قال الجوهري[3]: البُغْضُ: ضدُّ الحبِّ. وقد بَغُضَ الرجلُ بالضم بَغاضَةً، أي: صار بَغيضاً. وبَغَّضَهُ الله إلى الناس تَبْغِيضاً، فأَبْغَضوهُ أي: مقتوه، فهو مُبْغَضٌ. والبَغْضاءُ شدَّة البُغْضِ، وكذلك البِغْضَةُ بالكسر. وقولهم: ما أَبْغَضَهُ إليَّ، شاذٌّ لا يقاس عليه. والتَباغُضُ: ضدُّ التَحَابِّ.

- **البُغْضُ**: نفار النفس عن الشيء الذي ترغب عنه، وهو ضد الحب، فإن الحب انجذاب النفس إلى الشيء، الذي ترغب فيه. يقال: بَغُضَ الشيء بَغْضاً وبَغَضْتُه بَغْضَاء.

قال ابن سيده: فسّره السُّكَّري فقال: بِبغضةٍ بقوم يبغضونك، فهو على هذا جمع كغِلْمة وصِبْية، ولولا أَن، المعهود من العرب أَن لا تتشكّى من محبوب بِغْضةً في أَشعارها لقلنا: إن البِغْضة هنا الإِبْغاض، والدليل على ذلك أَنه قد عطف عليها المصدرَ وهو قوله: وتَقاذُفٍ منها، وما هو في نية المصدر وهو قوله: وأَنك تَرْقُب. وبَغُضَ الرجلُ، بالضم، بَغاضةً أَي: صارَ بَغِيضاً. وبَغَّضَه اللهُ إِلى الناس تَبْغِيضاً فأَبْغَضُوه أَي: مَقَتُوه. والبَغْضاءُ والبَغاضةُ جميعاً: شدة البغْضِ، وكذلك البِغْضة، بالكسر[4].

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الجمهرة.
(3) الصحاح في اللغة.
(4) اللسان - ابن منظور، المتخصص.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [المَائدة: 64].

قال أبو السعود[1]: فلا يكاد تتوافق قلوبُهم ولا تتطابق أقوالهم، والجملة مبتدأةٌ مَسوقة لإزاحة ما عسى يُتوهَّمُ من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على أمرٍ يؤدِّي إلى الإضرار بالمسلمين، قيل: العداوة أخصُّ من البغضاء، لأن كل عدوَ مبغضٌ بلا عكسٍ كليَ.

وروي ذلك عن الحسن ومجاهد. ﴿ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ فلا تكاد تتوافق قلوبهم ولا تتحد كلمتهم، فمن اليهود جبرية ومنهم قدرية ومنهم مرجئة ومنهم مشبهة، والعداوة والبغضاء بين فرقة وفرقة قائمتان على ساق، وكذا من النصارى الملكانية واليعقوبية والنسطورية، وحالهم حالهم في ذلك، وحال اليهود مع النصارى أظهر من أن تخفى، ورجح عود الضمير إلى اليهود بأن الكلام فيهم، وفائدة هذا الإخبار هنا إزاحة ما عسى أن يتوهم من ذكر طغيانهن وكفرهم من الاجتماع على أمر يؤدي إلى الإضرار بالمسلمين، وقال أبو حيان [في «البحر» 3/ 525] بعد أن أرجع الضمير للطائفتين: «إن المعنى لا يزال اليهود والنصارى متباغضين متعادين قلما توافق إحدى الطائفتين الأخرى، ولا تجتمعان على قتالك وحربك، وفي ذلك إخبار بالغيب فإنه لم يجتمع لحرب المسلمين جيش يهود ونصارى منذ سل سيف الإسلام».

وفرق السمين بين العداوة والبغضاء بأن العداوة أخص من البغضاء لأن كل عدو مبغض وقد يبغض من ليس بعدو ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ متعلق. بألقينا.

قال الألوسي[2]: وجوز أن يتعلق بالبغضاء: أي إن التباغض بينهم مستمر ما

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) روح المعاني.

داموا، وليست حقيقة الغاية مرادة، ولم يجوز أن يتعلق بالعداوة. لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي.

● **وقال تعالى: ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾** [المَائدة: 14].

قال الفخر الرازي[1]: والمراد أن سبيل النصارى مثل سبيل اليهود في نقض المواثيق من عند الله، وإنما قال: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ﴾ [المَائدة: 14] ولم يقل: ومن النصارى، وذلك لأنهم إنما سموا أنفسهم بهذا الاسم ادعاء لنصرة الله تعالى، وهم الذين قالوا لعيسى ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: 52].

فكان هذا الاسم في الحقيقة اسم مدح، فبيّن الله تعالى أنهم يدعون هذه الصفة ولكنهم ليسوا موصوفين بها عند الله تعالى.

وقوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ﴾ [المَائدة: 14] أي مكتوب في الإنجيل أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وتنكير (الحظ) في الآية يدل على أن المراد به حظ واحد، وهو الذي ذكرناه من الإيمان بمحمد ﷺ، وإنما خص هذا الواحد بالذكر مع أنهم تركوا الكثير مما أمرهم الله تعالى به لأن هذا هو المعظم والمهم، وقوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [المَائدة: 14] أي: ألصقنا العداوة والبغضاء بهم، يقال: أغرى/ فلان بفلان إذا ولع به كأنه ألصق به، ويقال لما التصق به الشيء: الغراء، وفي قوله: ﴿بَيْنَهُمُ﴾ وجهان: أحدهما: بين اليهود والنصارى.

والثاني: بين فرق النصارى، فإن بعضهم يكفر بعضاً إلى يوم القيامة، ونظيره قوله: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعَام: 65].

وقوله ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المَائدة: 14] وعيد لهم.

وفي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 168]، أَي: الباغِضِين، فدل هذا على أن بَغَضَ عنده لغة. قال: ولولا أَنها لغة عنده لقال من المُبْغِضِين.

---

(1) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [المَائدة: 91].

قال القرطبي(1): كل لهوٍ دعا قليله إلى كثير، وأوقع العداوة والبغضاء بين العاكفين عليه، وصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة فهو كشرب الخمر والميسر، وأوجب أن يكون حراماً مثله. فإن قيل: إنّ شرب الخمر يورث السكر فلا يقدر معه على الصلاة وليس في اللعب قد جمع الله تعالى بين الخمر والميسر في التحريم، ووصفهما جميعاً بأنهما يوقعان العداوة والبغضاء بين الناس، ويصدّان عن ذكر الله وعن الصلاة؛ ومعلوم أن الخمر إن أسكرت فالميسر لا يسكر، ثم لم يكن عند الله افتراقهما في ذلك يمنع من التسوية بينهما في التحريم لأجل ما اشتركا فيه من المعاني. وأيضاً فإن قليل الخمر لا يسكر كما أن اللعب بالنَّرد والشِّطْرَنج لا يسكر ثم كان حراماً مثل الكثير، فلا ينكر أن يكون اللعب بالنَّرد والشِّطْرَنج حراماً مثل الخمر وإن كان لا يسكر. وأيضاً فإن ابتداء اللعب يورث الغَفْلة، فتقوم تلك الغَفْلة المستولية على القلب مكان السكر؛ فإن كانت الخمر إنما حرّمت لأنها تسكر فتصدّ بالإسكار عن الصلاة، فليحرم اللعب بالنَّرد والشِّطْرَنْج لأنه يُغفِل ويُلهي فيصدّ بذلك عن الصلاة. والله أعلم.

● قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: 118].

قال الشعراوي(2): وما دامت البغضاء قد بدت من أفواههم فكيف نتخذهم بطانة؟ إنك حين تصنع لنفسك جماعة من غير المؤمنين، فإنها تضم بعضاً من المنافقين غير المنسجمين مع أنفسهم. والمنافق له لسان يظهر خلاف ما يبطن. وعندما يذهب المنافق إلى غير المؤمنين فإن لسان المنافق ينقل بالسخرية كلام

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) تفسير الشعراوي.

المؤمن. هكذا تظهر البغضاء من أفواه المنافقين المذبذبين بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، إنهم لا ينتمون إلى الإيمان ولا ينتمون إلى الكفر، والذي يصل المؤمنين من بغضاء هؤلاء قليل، لأن ما تخفي صدورهم أكبر. وحين تبدوا البغضاء من أفواههم، فإما أن يقولوها أمام منافقين، وإما أن يقولها بعضهم لبعض، فيتبادلوا الاستهزاء والسخرية بالمؤمن، والله أعلم بمن قيل فيه هذا الكلام، ولذلك فعندما يتحدث الكافرون بكلام فيما بينهم فالله يكشفهم ويفضحهم لنا نحن المؤمنين.

● **وقوله** ﷻ : ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ﴾ [المُمتحَنة: 4].

﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [المُمتحَنة: 4] أي: بدينكم وطريقكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ﴾ يعني: وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، مادمتم على كفركم، فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [المُمتحَنة: 4] أي: إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد.

إذاً فالمشكلة بين المسلمين وأهل الكتاب هي مسألة توحيد الله الذي لا إله إلا هو، فليس على وجه الأرض اليوم من يوحد الله ﷻ إلا أمة محمد عليه الصلاة والسلام الذي قال: «**لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدي. .**»[1].

(1) تفسير المراغي - ابن كثير - أبو السعود.

بغل

(بغل - إبل - حمار - الخيل)

■ **البَغْلُ:** المتولد من بين الحمار والفرس. ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 8].

■ **الإِبِلُ:** اسم جمع واحده بعير وبعير يقع للناقة والجمل.

■ **الخَيْلُ:** اسم جمع واحده فرس.

■ **الحِمَارُ:** الحيوان المعروف، جمعه أحمير، وحمر، وأحمرة، ويضرب به المثل للجهل والصبر. قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجُمُعَة: 5].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والغين واللام يدلُّ على قُوَّةٍ في الجِسم. من ذلك البَغْل، قال قومٌ: سُمِّيَ بذلك لقُوَّةِ خَلْقِه. وقد قالوا: سُمّيَ بَغْلاً من التّبْغيل، وهو ضربٌ من السَّيْرِ. والذي نَذْهَبُ إليه أنَّ التَّبغيلَ مشتقٌّ من سَيْر البَغْل.

قال الجوهري[2]: البَغَّالُ: صاحب البَغْلِ. والمَبْغولاءُ جماعة البغالِ. والتَبْغيلُ: مشيٌ فيه اختلافٌ بين العَنَقِ والهَمْلَجَة.

البغل: المتولد من بين الحمار والفرس، وتَبَغَّلَ البعير: تشبه به في سعة مشيه، وتصور منه عرامته وخبثه، فقيل في صفة النذل: هو بَغْلٌ.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

والبَغْلُ: هذا الحيوان السَّحّاج الذي يُرْكَب، والأُنثى بَغْلة، والجمع بِغَال، ومَبْغُولاء اسم للجمع. والبَغّال: صاحب البِغَال؛ حكاها سيبويه وعُمارة بن عقيل؛ وأَما قول جرير: من كل آلِفَةِ المواخر تَتَّقِي بِمُجَرَّدٍ، كَمُجَرَّدِ البَغّال فهو البَغْل نفسه. ونَكَح فيهم فبَغَلهم وبَغَّلَهم: هَجَّن أَولادهم. وتزوَّج فلان فلانة فَبَغَّل أَولادَها إِذا كان فيهم هُجْنة، وهو من البَغْل لأَن البَغْلَ يَعْجَز عن شَأْوِ الفَرس. والتَّبْغيل من مَشْي الإِبلِ: مَشْيٌ فيه سَعَة، وقيل: هو مشيء فيه اختلاف واختلاط بين الهَمْلَجَة والعَنَق[1].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ﴾ [النّحل: 8].

قال ابن كثير[2]: هذا صنف آخر مما خلق تبارك وتعالى لعباده يمتن به عليهم، وهو الخيل والبغال والحمير، التي جعلها للركوب والزينة بها، وذلك أكبر المقاصد منها، ولما فصلها من الأنعام، وأفردها بالذكر، استدل من استدل من العلماء ممن ذهب إلى تحريم لحوم الخيل بذلك على ما ذهب إليه فيها، كالإمام أبي حنيفة رحمه الله ومن وافقه من الفقهاء بأنه تعالى قرنها بالبغال والحمير وهي حرام، كما ثبتت به السنة النبوية، وذهب إليه أكثر العلماء. عن ابن عباس: أنه كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير، وكان يقول: قال الله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: 5] فهذه للأكل، ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ [النّحل: 8] فهذه للركوب، وكذا روي من طريق سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس بمثله، وقال مثل ذلك الحكم بن

(1) مفردات الراغب – الجمهرة. (2) تفسير ابن كثير.

عتيبة أيضاً رضي الله عنه ، واستأنسوا بحديث رواه الإمام أحمد في مسنده: عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: «**نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير**».

وقال الشعراوي[1]: وبعد أن ذكر لنا الحق سبحانه الأنعام التي نأخذ منها المأكولات، يذكر لنا في هذه الآية الأنعام التي نستخدمها للتنقّل أو للزينة؛ ولا نأكل لحومها وهي الخَيْل والبِغَال والحمير؛ ويُذكِّرنا بأنها للركوب والمنفعة مع الزينة؛ ذلك أن الناس تتزيَّن بما تَرْكب؛ تماماً كما يفخر أبناءُ عصرِنا بالتزيُّن بالسيارات الفارهة. ونَسَقُ الآية يدلُّ على تفاوت الناس في المراتب؛ فكلُّ مرتبة من الناس لها ما يناسبها لِتركبه؛ فالخَيْل للسادة والفِرْسان والأغنياء؛ ومَنْ هم أقلُّ يركبون البغال، ومَنْ لا يملك ما يكفي لشراء الحصان أو البَغْل؛ فيمكنه أنْ يشتريَ لنفسه حماراً. وقد يملك إنسانٌ الثلاثة ركائب، وقد يملك آخرُ اثنتين منها؛ وقد يملك ثالثٌ رُكوبة واحدة، وهناك مَنْ لا يملك من المال ما يُمكِنه أنْ يستأجرَ ولو رُكوبة من أيّ نوع. وشاء الحق سبحانه أن يقسم للناس أرزاق كل واحد منهم قِلَّةً أو كثرةً، وإلا لو تساوى الناس في الرزق، فمَنِ الذي يقوم بالأعمال التي نُسمِّيها نحن - بالخطأ - أعمالاً دُونية، مَنْ يكنس الشوارع، ومَنْ يحمل الطُّوب للبناء، ومَنْ يقف بالشَّحْم وسط ورش إصلاح السيارات؟

وكما نرى فكلُّ تلك الأعمال ضرورية، ولولا رغبةُ الناس في الرزق لَمَا حَلَتْ مثل تلك الأعمال، وراقتْ في عُيون مَنْ يُمارِسونها، ذلك أنها تَقِيهم شَرَّ السُّؤال. ولولا أن مَنْ يعمل في تلك الأعمال له بطنٌ تريد أنْ تمتلىءَ بالطعام، وأولاد يريدون أنْ يأكلوا؛ لَمَا ذهب إلى مشقَّات تلك الأعمال.

ولو نظرتَ إلى أفقر إنسان في الكون لوجدتَ في حياته فترة حقَّق فيها بعضاً من أحلامه. وقد نجد إنساناً يكِدُّ عَشْرة سنين؛ ويرتاح بقية عمره؛ ونجد مَنْ يكِدّ عشرين عاماً فيُرِيح نفسه وأولاده من بعده، وهناك مَنْ يتعب ثلاثين عاماً، فيُريح

(1) تفسير الشعراوي.

أولاده وأحفاده من بعده. والمهم هو قيمة ما يُتقِنه، وأن يرضَى بقدر الله فيه، فيعطيه الله ما دام قد قَبِل قدره فيه. وأنت إنْ نظرتَ إلى مَنْ فاء الله عليهم بالغِنَى والتَّرف ستجدهم في بداية حياتهم قد كَدُّوا وتَعِبوا ورَضُوا بقدر الله فيهم، ولم يحقدوا على أحد، نجده سبحانه يهديهم طمأنينةَ وراحةَ بالٍ.

وشاء سبحانه أنْ يُنوِّع في مُسْتويات حياة البشر كَيْلا يستنكفَ أحدٌ من خدمة أحد ما دام يحتاج خدماته. ونجد النصّ التعبيري في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها هو خَيْل وبِغَال وحمير؛ وقد جعل الحق سبحانه البغال في الوسط؛ لأنها ليست جنساً بل تأتي من جنسين مختلفين. ويُنبِّهنا الحق سبحانه في آخر الآية إلى أن ذلك ليس نهاية المَطَاف؛ بل هناك ما هو أكثر، فقال:

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النّحل: 8]. وجعل الحق سبحانه البُراق خادماً لسيدنا رسول الله ﷺ، وجعل بساط الريح خادماً لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإذا كانت مثل تلك المُعْجزات قد حدثتْ لأنبياء؛ فقد هدى البشر إلى أنْ يبتكروا من وسائل المواصلات الكثير من عربات تجرُّها الجِيَاد إلى سيارات وقطارات وطائرات.

بغي

(بغي - جور - جنف
حيف - ظلم - طغيان - عدوان - هضم)

- **البَغْيُ:** صولة القوي على الضعيف بلا وجه حق ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحُجرَات: 9].
- **الجُورُ:** الخروج عن حدود الاستقامة في الحكم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [النحل: 9].
- **الجَنَفُ:** الظلم في القسمة ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ [البَقَرَة: 182].
- **الحَيْفُ:** الميل لصالح أحد المتخاصمين ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النُّور: 50].
- **الظُّلْمُ:** نقصان الحق ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [صٓ: 24].
- **الطُّغْيَانُ:** مجاوزة الحد الأعلى في كل شيء ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 11].
- **العُدْوَانُ:** الاعتداء المستمر على حرمات الآخر ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [البَقَرَة: 85].
- **الهَضْمُ:** نقصان الثمن أو الأجر ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: 112].

* * *

شرح المعاني:

1 - **البَغْيُ**: هو تجاوز الحدّ في طلب الحق ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾ [البقرة: 173]. وهناك بغي بحقّ (كقطع يد سارق سرق ربع دينار مثلاً) وهي تعني الزيادة في الحق وهي مشروعة (المحصن إذا زنى يُرجم بالحجارة حتى يموت لأنه اعتدى على نظام الحياة العام). وهناك بغي بغير حقّ ﴿وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الشورى: 42].

2 - **العُدْوَانُ**: (عاد) الذي يعدو البديل أو تجاوز البديل. مثال: شخص قتل شخصاً فيحكم الشرع بالبدائل كان عنده عدة بدائل فلم يأخذ واحداً منها. و(عادٍ) أن لا يكون له بديل ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾ [البقرة: 173]، ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ [الأنعام: 108] أي: يسبّوا الله تعالى مباشرة أي تجاوزوا البديل.

3 - **الطغيان**: عندما تتجاوز الحدّ في عدم الطاعة. إنسان يُؤمر فلا يُطيع مثل فرعون الذي جاوز الحدّ في العصيان. والطغيان هو عصيان الأمر حتى يُصبح ديدنه.

4 - **الظُّلم**: هو عكس الطغيان. وهو نقصان في إعطاء الحقّ أو الحرمان من الحقّ كليًّا.

5 - **الجور**: محصور في مخالفة النصّ الشرعي. كل من خرج بالحكم عن النصوص كالإمام الجائر الذي يحكم خارج النصّ الشرعي.

الجور والطغيان والظلم قد يكون لطرف واحد.

6 - **حَيف**: إذا مال الحاكم بين اثنين إلى أحد الطرفين.

جَنَف: هو الظلم الناتج عن شهوة أو عن حُبّ ﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا﴾ [البقرة: 182]. كأن يوصي الشخص بكل ماله لشخص واحد ويحرم الآخرين محبة بهذا الشخص.

7 - **قِسط والإقساط**: هو أن يأخذ قِسط غيره وذلك جور ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: 15].

الظلم عن كُره يُسمى إثماً (يُحرم الشخص من حقه من شدة كره غيره له) كأن يحرم الموصي شخصاً من إرثه لشدة كرهه له ويُسمى إثماً.

والظلم ثلاثة أنواع:

ظلم بين الإنسان والله تعالى وهو الشرك وهو أعظم أنواع الظلم ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]. ظلم بين الناس: وينقسم إلى نوعين: ظلم الأعلى للأدنى أي المسؤول لموظّفيه مثلاً، وظلم الندّ عن قصد (الظلم بين الشركات والشركاء) أو بغير قصد (ظلم الأقران) ظلم النفس: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: 32] ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: 148].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والغين والياء أصلان: أحدهما طَلَب الشيء، والثاني جنسٌ من الفَساد. فمن الأوّل بَغَيْتُ الشيء أبْغِيه: إذا طلبتَه. الفراء: البغاء الزنى.

قال الخليل[2]: بغى بغاء، أي: فجر، وهو يبغى. والبغية: نقيض الرشدة، في الولد.

البغي: طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى، تجاوزه أم لم يتجاوزه، فتارة يعتبر في القدر الذي هو الكمية، وتارة يعتبر في الوصف الذي هو الكيفية، يقال: بغيت الشيء: إذا طلبت أكثر ما يجب، وابتغيت كذلك.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الجوهري(1): البَغْيُ: التعدِّي. وبَغى الرجل على الرجل: استطال. وبَغَتِ السماءُ: اشتدَّ مطرها. وبَغى الجُرْحُ: وَرِمَ وترامى إلى فساد. وبَغى الوالي: ظَلَمَ. وبَرِئَ جرحه على بَغْيٍ، وهو أن يَبْرَأَ وفيه شيءٌ من نَغَلٍ. والبُغْيَةُ: الحاجةُ. والبِغْيَةُ: الحال التي تبغيها. وبَغى ضالَّته، وكذلك كلّ طِلبَةٍ بُغاءُ بالضم والمدّ، وبُغايَةً أيضاً. يقال: فَرِّقُوا لهذه الإبل بُغْياناً يَضِبُّونَ لها، أي يتفرَّقون في طلبها. وبَغَتِ المرأة بِغاءً، أي: زَنَت، فهي بَغِيٌّ، والجمع بَغايا.

المعنى المشترك لكلمة (ب غ ي)

وقد وردت كلمة (بغي) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: البغي: يعني الظلم ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: 33].

الوجه الثاني: البغي: يعني المعصية ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: 23].

الوجه الثالث: البغي: يعني الحسد ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [البقرة: 90].

الوجه الرابع: البغاء: يعني الزنا ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ [النور: 33].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: 48].

قال الطبري(2): يقول تعالى ذكره: لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لأصحابك يا محمد، التمسوا صدّهم عن دينهم، وحرصوا على ردّهم إلى الكفر

(1) الصحاح في اللغة. (2) جامع البيان.

بالتخذيل عنه، كفعل عبد الله بن أبيّ بك وبأصحابك يوم أُحد حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه، وذلك كان ابتغاءهم ما كانوا ابتغوا لأصحاب رسول الله ﷺ من الفتنة من قبل.

وقال القرطبي[1]: قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ [التّوبَة: 48] أي لقد طلبوا الإفساد والخبال من قبل أن يظهر أمرهم، وينزل الوَحْيُ بما أسّروه وبما سيفعلونه. وقال ابن جريج: أراد اثني عشر رجلاً من المنافقين، وقفوا على ثَنِية الوداع ليلة العقبة ليفتِكوا بالنبيّ ﷺ.

قال الفخر الرازي[2]: اعلم أن المذكور في هذه الآية نوع آخر من مكر المنافقين وخبث باطنهم فقال: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل واقعة تبوك. قال ابن جريج: هو أن اثني عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبي ﷺ، وقيل المراد ما فعله عبد الله بن أبي يوم أحد حين انصرف عن النبي ﷺ مع أصحابه، وقيل: طلبوا صد أصحابك عن الدين وردهم إلى الكفر وتخذيل الناس عنك، ومعنى الفتنة هو الاختلاف الموجب للفرقة بعد الألفة، وهو الذي طلبه المنافقون للمسلمين وسلمهم الله منه.

● **وقوله تعالى**: ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [التّوبَة: 47].

قال القرطبي[3]: مفعول ثانٍ. والمعنى يطلبون لكم الفتنة؛ أي الإفساد والتحريض. ويقال: أَبْغَيْته كذا أعنته على طلبه. وبَغَيته كذا: طلبته له. وقيل: الفتنة هنا الشرك. ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التّوبَة: 47] أي عيون لهم ينقلون إليهم الأخبار منكم. قتادة: وفيكم من يقبل منهم قولهم ويطيعهم. النحاس: القول الأوّل أولى؛ لأنه الأغلب من معنييه أن معنى سَمّاع يسمع الكلام: ومثله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المَائدة: 41].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) التفسير الكبير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

والقول الثاني: لا يكاد يقال فيه إلا سامع؛ مثل قائل.

قال أبو السعود[1]: ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: 47] يحاولون أن يفتنوكم بإيقاع الخلافِ فيما بينكم وإلقاءِ الرعبِ في قلوبكم وإفسادِ نياتِكم، والجملةُ حالٌ من ضمير أوضعوا أو استئنافٌ.

والبغي على ضربين. أحدهما محمود، وهو تجاوز العدل إلى الإحسان، والفرض إلى التطوع.

والثاني مذموم، وهو تجاوز الحق إلى الباطل، أو تجاوزه إلى الشبه، كما قال عليه الصلاة والسلام: (**الحق بَيّن والباطل بَيّن، وبين ذلك أمور مشتبهات، ومن رتع حول الحمى أوشك أن يقع فيه**) (الحديث يروى عن النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**الحلال بين الحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه**) وهذه الرواية الصحيحة، والحديث أخرجه البخاري في الإيمان[2].

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشّورى: 42].

قال العز بن عبد السلام[3]: ﴿وَيَبْغُونَ﴾ [الشّورى: 42] يعملون المعاصي، أو في النفوس والأموال، أو ما ترجوه قريش من أن يكون بمكة غير الإسلام ديناً.

قال أبو حيان[4]: ﴿وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشّورى: 42]: أي يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون. وقيل: ويظلمون الناس: أي يضعون الأشياء غير مواضعها من القتل وأخذ المال والأذى باليد واللسان. والبغي بغير الحق، فهو نوع من أنواع الظلم، خصه بالذكر تنبيهاً على شدته وسوء حال صاحبه. انتهى.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) مفردات الراغب.
(3) التفسير العظيم.
(4) البحر المحيط.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: 33].

كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أمة، أرسلها تزني، وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت، فلماء جاء الإسلام، نهى الله المؤمنين عن ذلك، وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة، فيما ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف، في شأن عبد الله بن أبيّ ابن سلول، فإنه كان له إماء، فكان يكرههن على البغاء طلباً لخراجهن، ورغبة في أولادهن، ورياسة منه فيما يزعم. ذكر الآثار الواردة في ذلك، قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار رحمه الله في مسنده: حدثنا أحمد بن داود الواسطي، حدثنا أبو عمرو اللخمي، يعني: محمد بن الحجاج، حدثنا محمد بن إسحاق عن الزهري قال: كانت جارية لعبد الله بن أبيّ ابن سلول، يقال لها: معاذة، يكرهها على الزنا، فلما جاء الإسلام، نزلت: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ الآية، وقال الأعمش عن أبي سفيان عن جابر في هذه الآية، قال: نزلت في أمة لعبد الله بن أبيّ ابن سلول يقال لها: مسيكة، كان يكرهها على الفجور، وكانت لا بأس بها، فتأبى، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ - إلى قوله -: وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النُّور: 33] وروى النسائي من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر نحوه.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: كان لعبد الله بن أبيّ ابن سلول، جارية يقال لها: مسيكة، وكان يكرهها على البغاء، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ - إلى قوله -: وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النُّور: 33].

وروى أبو داود الطيالسي عن سليمان بن معاذ عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس: أن جارية لعبد الله بن أبي كانت تزني في الجاهلية، فولدت أولاداً من الزنا، فقال لها: ما لك لا تزنين؟ قالت: والله لا أزني، فضربها فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾.

● **قال تعالى:** ﴿وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الشورى: 42] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ [يونس: 23].

قال الفخر الرازي[1]: والمراد من قوله: ﴿بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ بغي بعضكم على بعض كما في قوله: ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [البَقَرَة: 54] ومعنى الكلام أن بغي بعضكم عن بعض منفعة الحياة الدنيا ولا بقاء لها. والثاني: أن قوله: ﴿بَغۡيُكُمۡ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ خبره، وقوله: ﴿مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [آل عِمرَان: 14] خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: هو متاع الحياة الدنيا. وأما القراءة بالنصب فوجهها أن نقول: إن قوله: ﴿بَغۡيُكُمۡ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ خبره، وقوله: ﴿مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ في موضع المصدر المؤكد، والتقدير: تتمتعون متاع الحياة الدنيا.

البغي من منكرات المعاصي. قال عليه الصلاة والسلام: «**أسرع الخير ثواباً صلة الرحم، وأعجل الشر عقاباً البغي واليمين الفاجرة**» وروى «**ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين**» وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لو بغى جبل على جبل لاندك الباغي.

وعن محمد بن كعب القرظي: ثلاث من كن فيه كن عليه، البغي والنكث والمكر، حاصل الكلام في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ [يُونس: 23] أي لا يتهيأ لكم بغي بعضكم على بعض إلا أياماً قليلة، وهي مدة حياتكم مع قصرها وسرعة انقضائها.

● **قال تعالى:** ﴿غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾ [البَقَرَة: 173].

أي: غير طالب ما ليس له طلبه ولا متجاوز لما رسم له. قال الحسن: غير متناول للذة ولا متجاوز سد الجوعة[2].

---

(1) التفسير الكبير. (2) الدر المنثور.

قال الطبري[1]: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ فإن أهل التأويل في تأويله مختلفون، فقال بعضهم: يعني بقوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ غير خارج على الأئمة بسيفه باغياً عليهم بغير جور، ولا عادياً عليهم بحرب وعدوان فمفسد عليهم السبيل. عن مجاهد: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قال: غير قاطع سبيل، ولا مفارق جماعة، ولا خارج في معصية الله، فله الرخصة.

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قال: هو الذي يقطع الطريق، فليس له رخصة إذا جاع أن يأكل الميتة وإذا عطش أن يشرب الخمر.

قال الألوسي[2]: وقال مجاهد رحمه الله: غير باغ على إمام ولا عاد في المعصية طريق الحق. أخرجه هذا عن مجاهد البيهقي في المعرفة والسنن وابن أبي شيبة وابن المنذر وغيرهم.

● **قال تعالى**: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: 20].

قال أبو السعود[3]: نزلتْ في حقِّ أبِي بكرٍ الصديقِ ﷺ حينَ اشترَى بلالاً في جماعةٍ كان يؤذيهم المشركونَ فأعتقُهم ولذلكَ قالُوا: المرادُ بالأَشْقى أبُو جهلٍ أو أميةُ بنُ خلفٍ وقد رَوَى عطاءٌ والضحاكُ عن ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهُمَا أنه «عذَّبَ المشركونَ بلالاً، وبلالٌ يقولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ، فمرَّ به النبيُّ عليه الصلاةُ والسلامُ فقالَ: «**أَحَدٌ يعني الله تعالَى ينجيكَ**» ثم قالَ لأبي بكرٍ ﷺ: «**إنَّ بلالاً يعذبُ في الله**» فعرفَ مرادَهُ عليه الصلاةُ والسلامُ فانصرفَ إلى منزلِه فأخذ رطلاً من ذهبٍ ومَضَى به إلى أميّةَ بنِ خلفٍ فقالَ له: أتبيعُنِي بلالاً؟ قالَ: نعَم، فاشتراهُ فأعتقَهُ فقالَ المشركونَ: ما أعتقَهُ أبُو بكرٍ إلا ليدٍ كانتْ له عندَهُ.

(1) جامع البيان.
(2) روح المعاني.
(3) إرشاد العقل السليم.

● **قال تعالى:** ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾ [يس: 69].

قال الألوسي[1]: اعتراض لتقرير ما أدمج أي لا يليق ولا يصلح له ﷺ الشعر لأنه يدعو إلى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن ولأن أحسنه المبالغة والمجازفة والإغراق في الوصف وأكثره تحسين ما ليس بحسن وتقبيح ما ليس بقبيح وكل ذلك يستدعي الكذب أو يحاكيه الكذب وجل جناب الشارع عن ذلك كذا قيل. وقال ابن الحاجب: أي لا يستقيم عقلاً أن يقول ﷺ الشعر لأنه لو كان ممن يقوله لتطرقت التهمة عند كثير من الناس في أن ما جاء به من قبل نفسه وأنه من تلك القوة الشعرية ولذا عقب هذا بقوله تعالى: ﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: 70] لأنه إذا انتفت الريبة لم يبق إلا المعاندة فيحق القول عليهم. وتعقب بأن الإيجاز يرفع التهمة وإلا فكونه عليه الصلاة والسلام في المرتبة العليا من الفصاحة والبلاغة في النثر ليس بأضعف من قول الشعر في كونه مظنة تطرق التهمة بل ربما يتخيل أنه أعظم من قول الشعر في ذلك فلو كانت علة منعه عليه الصلاة والسلام من الشعر ما ذكر لزم أن يمنع من الكلام الفصيح البليغ سداً لباب الريبة ودحضاً للشبهة وإعظاماً للحجة فحيث لم يكن ذلك اكتفاءً بالإعجاز وأن التهمة والريب معه مما لا ينبغي أن يصدر من عاقل ولذا نفى الريب مع أنه وقع علم أن العلة في أنه عليه الصلاة والسلام لا ينبغي له الشعر شيء آخر، واختار هذا ابن عطية وجعل العلة ما في قول الشعر من التخييل والتزويق للقول وهو قريب مما سمعت أولاً، وهو الذي ينبغي أن يعول عليه.

● **وقوله تعالى:** ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ [ص: 35].

قال الشعراوي[2]: قال: يا رب، لقد ابتليتني بالملك والنبوة، وهذه مسألة لم تحدث لأحد من قبلي فاغتررت بها، فهَبْ لي مُلْكاً أعظم منه لا ينبغي

(1) روح المعاني.
(2) تفسير الشعراوي.

لأحد من بعدي وسوف أوفي هذه المرة ولن أغتر، وكأنه يقول لربه: يا ربّ جربني وأعطني فرصة أخرى، فلما دعا سليمان هذا الدعاء أجابه ربه وأعطاه ما طلب.

بقر
(بَقَرَ)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والقاف والراء أصلانِ، وربما جمع ناسٌ بينهما وزعموا أنه أصلٌ واحد، وذلك البقر. والأصلُ الثاني التوسُّع في الشيء وفَتْح الشيء. فأمّا البقر فجماعة البقَرة، وجمعُها أيضاً البَقير والباقر، كقولك حَمِير وضَئِين.

قال الجوهري[2]: البَقَرُ: اسم جنسٍ. والبَقَرَةُ تقع على الذكَر والأنثى، وإنما دخَلته الهاء على أنَّه واحدٌ من جنس. والجمع البَقَراتُ. والباقِرُ جماعة البَقَرِ مع رعاتِها. والبَيْقورُ: البَقَرُ. وأهل اليَمَن يسمُّون البقرة باقورةً. وبَقَرْتُ الشيءَ بَقْراً: فَتَحْتَهُ ووسّعْتَه. ومنه قولهم: ابْقُرْها عن جَنِينِها، أي: شُقَّ بطنها عن ولدها. والتَبَقُّرُ: التَوَسُّعُ في العِلم والمال.

قال ابن سيده: البَقَرَةُ من الأهلي والوحشي يكون للمذكر والمؤنث، ويقع على الذكر والأُنثى.

الليث: البقار: تراب يجمعونه بأيدهم ثم يجعلونه قمزاً قمزاً.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البَقَرَة: 70].

قال القرطبي(1): وذكر البقر لأنه بمعنى الجمع، ولذلك قال: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ فذكّره للفظ تذكير البقر. قال قُطْرُب: جمع البقرة باقر وباقور وبقر. وقال الأصمعي: الباقر جمع باقرة، قال: ويجمع بقر على باقورة؛ حكاه النحاس. وقال الزجاج: المعنى إن جنس البقر. وقرأ الحسن فيما ذكر النحاس، والأعرج فيما ذكر الثعلبي.

قال أبو السعود(2): ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ يعنُون أن الأوصافَ المعدودةَ يشترك فيها كثير من البقر ولا نهتدي بها إلى تشخيص ما هو المأمورُ بها ولذلك لم يقولوا إن البقرَ تشابهت إيذاناً بأن النعوتَ المعدودةَ ليست بمُشخّصة للمأمور بها، بل صادقةً على سائر أفرادِ الجنس، وقرىء إنَّ الباقِرَ وهو اسمٌ لجماعة البَقر والأباقر والبواقر، ويتشابه بالياء والتاء وَيشّابه بطرح التاء والإدغام على التذكير والتأنيث وتَشَابهت مخففاً ومشدداً وتَشَبَّهُ بمعنى تتشبه ويشبّه بالتذكير.

● **وقوله تعالى:** ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ [البَقَرَة: 68].

قال ابن كثير(3): أي: لا كبيرة هرمة، ولا صغيرة لم يلحقها الفحل، كما قاله أبو العالية والسدي ومجاهد وعكرمة وعطية العوفي وعطاء الخراساني ووهب بن منبه والضحاك والحسن وقتادة، وقاله ابن عباس أيضاً، وقال الضحاك عن ابن عباس: عوان بين ذلك، يقول: نصف بين الكبيرة والصغيرة، وهي أقوى ما يكون من الدواب والبقر، وأحسن ما تكون.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) تفسير ابن كثير.

وروي عن عكرمة ومجاهد وأبي العالية والربيع بن أنس وعطاء الخراساني والضحاك نحو ذلك، وقال السدي: العوان: النصف التي بين ذلك، التي قد ولدت وولد ولدها، وقال هشيم، عن جويبر، عن كثير بن زياد، عن الحسن في البقرة: كانت بقرة وحشية، وقال ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس: من لبس نعلاً صفراء لم يزل في سرور ما دام لابسها.

● **وقوله** عَزَّوَجَلَّ : ﴿إِنَّهَا بَقَـرَةٌ صَفْـرَآءُ﴾ [البَقَرَة: 69].

قال أبو حيان[1]: قوله: ﴿بَقَـرَةٌ صَفْـرَآءُ﴾ جمهور المفسرين أنها صفراء اللون، من الصُّفرة المعروفة. قال مكيّ عن بعضهم: حتى القَرْن والظِّلْف. وقال الحسن وابن جُبير: كانت صفراء القرن والظِّلْف فقط. وعن الحسن أيضاً: «صفراء» معناه سوداء.

قلت: والأوّل أصح لأنه الظاهر؛ وهذا شاذّ لا يُستعمل مجازاً إلا في الإبل؛ قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المُرسَلات: 33] وذلك أن السُّود من الإبل سوادها صُفرة. ولو أراد السواد لما أكّده بالفُقُوع، وذلك نَعْتٌ مختصّ بالصّفرة، وليس بوصف السواد بذلك؛ تقول العرب: أسودُ حالِكٌ وحَلَكُوك وحُلْكُوك، ودَجُوجِيّ وغِرْبيب، وأحمرُ قانىء، وأبيضُ ناصعٌ، ولَهِقٌ ولِهَاق ويَقِق، وأخضرُ ناضرٌ، وأصفرُ فاقِعٌ؛ هكذا نصَّ نَقَلة اللغة عن العرب. قال الكسائي: يقال فَقَع لَوْنُهَا يَفْقَع فُقوعاً إذا خَلَصت صُفْرته.

---

(1) البحر المحيط.

بقل

(بقل - بصل - ثوم)

■ **البَقْلُ:** ما لا يثبت أصله وفرعه في الشتاء أو هو ما لا ساق له خلاف الشجر ﴿مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا﴾ [البقرة: 61].

■ **البَصَلُ:** واحدة من أكثر الخضروات استعمالاً في كل أنواع الطعام ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ﴾ [البقرة: 61].

■ **الثُّومُ، والفوم:** بصل بمذاق مختلف أقل استعمالاً من البصل ﴿مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا﴾ [البقرة: 61]، وفي قراءة ابن مسعود «وثومها» وهي قراءة ابن عباس.

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والقاف واللام أصلٌ واحد، وهو مِن النّباتِ.

بَقَلَ الشيءُ: ظهَر. والبَقْل معروف.

قال الخليل[2]: البَقْل من النّبات ما ليس بشَجرٍ دِقٍّ ولا جِلٍّ. أَبقَلَتِ الأرضُ وبَقَلت: إذا أنبتت البَقْل، فهي مُبْقِلة. والمَبْقَلَةُ والبَقَّالة ذاتُ البَقْل.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

قال الجوهري(1): البَقْلُ معروف، الواحدة بَقْلَةٌ. والبَقْلَةُ أيضاً: الرِجْلَةُ، وهي البَقْلَةُ الحمقاء. والمَبْقَلَةُ موضع البَقْلِ. ويقال كلُّ نبات اخضرّت له الأرضُ فهو بَقْلٌ. وبَقَلَ وجهُ الغلام يَبْقُلُ بُقولاً: خرجتْ لحيته. ولا تقل بَقَّلَ بالتشديد. قال ابن السكيت: بَقَلَ نابُ البعير، أي: طلع. وأَبْقَلَ الرِمْثُ: وذلك إذا أَدْبى وظهرت خُضْرَةُ ورقِه، فهو باقِلٌ. وأَبْقَلَتِ الأرض: خرج بَقْلُها. وابْتَقَلَ الحمارُ، أي: رعى البَقْلَ. وَتَبَقَّلَ مثلُه. والباقِلاَّ: إذا شدّدت اللام قصرْتَ، وإذا خففت مددتَ؛ الواحدة باقِلاَّةٌ على ذلك.

قال السمين(2): البَقْلُ: ما لا يثبت أصله وفرعه في الشتاء أو هو ما لا ساق له خلاف الشجر.

قال الفَرّاء: أرضٌ بَقِلَةٌ وبَقِيلةٌ، أي: كثيرة البَقْل. قال الشيباني: بَقَلَ الحِمارُ إذا أكل البَقْل يَبْقُل. قال بعضهم: أبقَلَ المكانُ ذو الرِّمْث. ثم يقولون باقِلٌ، ولا نعلمهم [يقولون] بَقَل المكانُ، يُجرُونَها مُجْرَى أَعْشَبَ البلدُ فهو عاشِب، وأَوْرَسَ الرِّمْثُ فهو وَارِس. قال أبو زياد: البَقْل اسمٌ لكلِّ ما ينبت أوّلاً.

ومنه قيل لوجه الغُلام أَوّلَ ما ينبُت: قد بَقَل يَبْقُل بُقُولاً وبَقْلاً.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا﴾ [البقرة: 61].

قال أبو السعود(3): بيانية واقعةٌ موقعَ الحال أي: كائناً من بقلها الخ، وقيل: بدلٌ بإعادة الجارِّ، والبقلُ ما تنبتُ الأرضُ من الخُضَر والمراد به أطايبُه التي تؤكلُ كالنَّعناع والكُرفُس والكُرَّاث وأشباهِها.

(1) الصحاح في اللغة.
(2) عمدة الحفاظ.
(3) إرشاد العقل السليم.

قال الألوسي[1]: والبقل: جنس يندرج فيه النبات الرطب مما يأكله الناس والأنعام، والمراد به هنا أطايب البقول التي يأكلها الناس.

وقال الشعراوي[2]: البقل ليس مقصوداً به البقول فحسب، ولكنه كل نبات لا ساق له مثل: الخس والفجل والكرات والجرجير..

(1) روح المعاني.
(2) تفسير الشعراوي.

بقي

(بقي - ظلّ - دام - خلد)

- **البَقاءُ:** ثبات الشيء على حاله الأولى، وهو ضد الفناء. ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الكهف: 46].
- **الظَّلُّ:** - بالفتح - ثبات على فعل في النهار. ﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ [الرُّوم: 51].
- **الدَّوامُ:** الثبات على حالة السكون لفعل. ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام: 8] ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ﴾ [آل عمران: 75].
- **الخَلْدُ:** الثبات على حاله الأولى من غير اعتراض الفساد. ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 176].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

1 - **البقاء:** ثبات الشيء عند تخلّف الآخر أو ابتعاده. لا يكون البقاء صفة إلا إذا كان مقابله فناء أو ابتعاد أو طرد ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصَّافات: 77] ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: 26-27] لأن الله تعالى هو الباقي بنفسه. ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ [النّجم: 51] ما بقي منهم واحد حياً ولم ينج منهم أحد. ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ [الكهف: 46] كل شيء سيذهب إلا نفائس الأعمال هي التي تبقى بعد أن يفنى كل عمل آخر. وهذه النفائس تغني عن الكثير

ومن هذه دمعة واحدة تخرج من العين عندما يذكر الإنسان ربّه خالياً، ومن نفائس الأعمال: الذكر، حب الرسول ﷺ، الصلاة في الليل، قضاء الحوائج، تربية اليتيم، وتسمّى نفائس الأعمال (بقيّة) كما في قوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [هود: 86] فالبقية تنفع المؤمنين وبركة شيء قليل جداً تقوم مقام شيء كبير جداً، والبركة تكون في الزمان والمكان.

2 - **الدوام**: حضور الشيء أو الشخص في موقع وظيفته أو عمله الدوري بغضّ النظر عما يفعله بين ذلك. كدوام الموظفين أو الطلاب. والمداوم حاضر، والدوام ضده الانقطاع ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [هود: 107]﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: 22-23] خاصّة بأهل المساجد المداومين على الصلاة في المساجد في وقتها، بمعنى دوام جغرافي. ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: 35] الدوام ليس تطوراً في الجنّة فالأكل دائم ثابت لا تطوّر فيه لأنه خلق الله خلقه بيده منذ أول يوم. أما النوافل فتطور وقد تختلف عدد ركعاتها فمنها صلاة الكسوف والتراويح والضحى والوتر والحاجة. ويقول الرسول ﷺ في الحديث: «**أحبّ العمل إلى الله أدومه وإن قلّ**».

3 - **استمرار**: مستمر في صلاته بمعنى ضد قطعها. ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: 19] أي استمرارية على وتيرة واحدة بدون انقطاع.

4 - **الخلود**: يمكث الشيء على حاله مدة طويلة بدون أن يفسد أو يتغيّر أو يتلف سواء كان الخلود مطلقاً أو نسبياً. ويقال خَلَد الدماغ لأنه آخر عضو يتلف في الإنسان فهو أطول الأعضاء خلوداً ومكوثاً. والخلود في الجنّة بقاء الأشياء على حالها من غير اعتراض الفساد عليها، ومنها قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقِعَة: 17] أي: مبقون على حالتهم لا يعتريهم استحالة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البَقَرَة: 82] خلود نسبي، أما ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النِّساء: 57] خلود أبدي. والخلود لأهل الجنّة مطلق ولا يخلد في النار مع قول لا إله إلا الله أحد.

وأضيف هذه المفردات وقد تدخل في منظومة البقاء وهي والله أعلم: مكث وثوى وحلّ أو أحلّ.

5 - **المكث**: هو الثبات مع الانتظار. ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [النَّمل: 22]، ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزّخرُف: 77]، ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ [طه: 10].

6 - **الثواء**: هو الإقامة مع الاستقرار. ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [القَصَص: 45]، ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُّمَر: 60]، ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محَمَّد: 12] ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ [الأنعَام: 128].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس: الباء والقاف والياء أصلٌ واحد، وهو الدّوام.

البَقاء: ضدّ الفَناء، بَقِيَ الشيءُ يَبْقَى بَقاءً وبَقَى بَقْياً، الأَخيرةُ لغة بلحرث بن كعب، وأَبقاه وبَقَّاه وتَبَقَّاه واسْتَبْقاه، والاسم البَقْيَا والبُقْيَا. قال ابن سيده: وأَرى ثعلباً قد حكى البُقْوَى، بالواو وضم الباء[1].

والبقاء: ثبات الشيء على حاله الأولى، وهو يضاد الفناء، وقد بقي بقاء، وقيل: بقى (وهي لغة بلحرث بن كعب) في الماضي يضاد الفناء، وقد بقي، وفي الحديث: عن معاذ بن جبل قال: بقينا رسول الله ﷺ في صلاة العتمة فتأخر، حتى ظن الظان أنه ليس بخارج والقائل منا يقول: صلى، فإنا لكذلك حتى خرج النبي ﷺ فقالوا له كما قالوا، فقال: «**أعتموا هذه الصلاة، فإنكم قد فضلتم بها على سائر الأمم، ولم تصلها أمة قبلكم**»[2].

أي: انتظرناه وترصدنا له مدة كثيرة، والباقي ضربان: باقٍ بنفسه لا إلى مدة

(1) معجم مقاييس اللغة، اللسان.
(2) (أخرجه أبو داود في باب وقت العشاء الآخرة. راجع معالم السنن).

وهو الباري تعالى، ولا يصح عليه الفناء، وباقٍ بغيره وهو ما عداه ويصح عليه الفناء[1].

في أَسماء الله الحسنى الباقي: هو الذي لا ينتهي تقدير وجوده في الاستقبال إلى آخر ينتهي إليه، ويعبر عنه بأنه أَبديّ الوجود.

والباقي بالله ضربان:

باقٍ بشخصه إلى أن يشاء الله أن يفنيه، كبقاء الأجرام السماوية.

وباقٍ بنوعه وجنسه دون شخصه وجزئه، كالإنسان والحيوان.

وكذا في الآخرة باقٍ بشخصه كأهل الجنة، فإنهم يبقون على التأبيد لا إلى مدة، كما قال عَزَّوَجَلَّ : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [البَقَرَة: 162].

والآخر بنوعه وجنسه، كما روي عن النبي ﷺ: «**أن ثمار أهل الجنة يقطفها أهلها ويأكلونها ثم تخلف مكانها مثلها**» الحديث عن ثوبان أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«**لا ينزع رجل من أهل الجنة من ثمره إلا أعيد في مكانها مثلاها**»[2].

ولكون ما في الآخرة دائماً.

المعنى المشترك لكلمة (ب ق ي)

وقد وردت كلمة (بقي) في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

الوجه الأول: البقية بمعنى الثواب ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [هُود: 86].

الوجه الثاني: البقية: يعني الصلوات الخمس ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ﴾ [الكهف: 46].

الوجه الثالث: البقية: يعني الباقي من الذهب ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ﴾ [البَقَرَة: 248].

---

(1) مفردات الراغب.

(2) (أخرجه البزار والطبراني، راجع: الدر المنثور).

الوجه الرابع: البقاء: يعني الدوام ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النّحل: 96].

الوجه الخامس: البقية: بمعنى القلة ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ﴾ [هود: 116].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: 60].

قال الفخر الرازي(1): وأما أنها أبقى فلأنها دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا منقطعة ومتى قوبل المتناهي بغير المتناهي كان عدماً فكيف ونصيب كل أحد بالقياس إلى منافع الدنيا كلها كالذرة بالقياس إلى البحر، فظهر من هذا أن منافع الدنيا لا نسبة لها إلى منافع الآخرة ألبتة فكان من الجهل العظيم ترك منافع الآخرة لاستبقاء منافع الدنيا، ولما نبه سبحانه على ذلك قال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القَصَص: 60].

قال الشعراوي(2): ﴿وَأَبْقَىٰٓ...﴾ لأنه دائم لا ينقطع، فلو قارن العاقل بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة لاختار الآخرة. لذلك، فإن الصحابي الذي حدَّثه رسول الله ﷺ عن أجر الشهيد، وتيقَّن أنه ليس بينه وبين الجنة إلا أنْ يُقتل في سبيل الله، وكان في يده تمرات يأكلها فألقاها، ورأى أن مدة شغله بمضغها طويلة؛ لأنها تحول بينه وبين هذه الغاية، ألقاها وأسرع إلى الجهاد لينال الشهادة. لماذا؟ لأنه أجرى مقارنة بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة.

---

(1) التفسير الكبير. (2) تفسير الشعراوي.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46].

أي: ما يبقى ثوابه للإنسان من الأعمال، وقد فسر بأنها الصلوات الخمس، وقيل: سبحان الله والحمد الله. والصحيح أنها كل عبادة يقصد بها وجه الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ [الكهف: 46] أي ما يأتي به سلْمان وصُهيب وفقراء المسلمين من الطاعات ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ [الكهف: 46] أي أفضل ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46] أي أفضل أملاً من ذي المال والبنين دون عمل صالح، وليس في زينة الدنيا خير، ولكنه خرج مخرج قوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفُرقان: 24]. وقيل: خير في التحقيق مما يظنّه الجهال أنه خير في ظنّهم.

واختلف العلماء في «الباقيات الصالحات»؛ فقال ابن عباس وابن جُبير وأبو مَيْسرة وعمرو بن شُرَحْبِيل: هي الصلوات الخمس. وعن ابن عباس أيضاً: أنها كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة. وقاله ابن زيد ورجّحه الطبري. وهو الصحيح إن شاء الله؛ لأن كل ما بقي ثوابه جاز أن يقال له هذا. وقال عليّ رضي الله عنه: (الحرث حرثان فحرث الدنيا المال والبنون؛ وحرث الآخرة الباقيات الصالحات، وقد يجمعهن الله تعالى لأقوام). وقال الجمهور: هي الكلمات المأثور فضلها: سبحانَ الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. خرّجه مالك في موطئه عن عمارة بن صياد عن سعيد بن المسيِّب أنه سمعه يقول في الباقيات الصالحات: إنها قول العبد: الله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله. أسنده النَّسائيّ عن أبي سعيد الخُدْريّ أن رسول الله ﷺ قال: «**استكثروا من الباقيات الصالحات**» قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «**المسئلة**»: ، وقيل: ما هي يا رسول الله؟ قال:

«**التكبير والتهليل والتسبيح والحمدلله ولا حول ولا قوّة إلا بالله**» صححه أبو محمد عبد الحق رحمه الله[1].

قال أبو السعود[2]: هي أعمالُ الخير، وقيل: هي الصلواتُ الخمسُ، وقيل: سبحان الله والحمدُ لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبرُ، وقيل: كلُّ ما أريد به وجهُ الله تعالى، وعلى كل تقدير يدخُل فيها أعمالُ فقراءِ المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهَه دخولاً أولياً، أما صلاحُها فظاهرٌ وأما بقاءُ عوائدِها عند فناءِ كلِّ ما تطمح إليه النفسُ من حظوظ الدنيا.

● **قال تعالى**: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقَّة: 8].

قال الألوسي[3]: أي بقية، على أن الباقية اسم كالبقية لا وصف، والتاء للنقل إلى الاسمية، أو نفس باقية على أن الموصوف مقدر والتاء للتأنيث، وقال ابن الأنباري: أي باق والهاء للمبالغة، وجوز أن يكون مصدراً كالطاغية والكاذبة أي: بقاء والتاء للوحدة.

وقال ابن عاشور[4]: تفريع عَلى مجموع قصتي ثمود وعاد، فهو فذلكة لما فصل من حال إهلاكهما، وذلك من قبيل الجمع بعد التفريق، فيكون في أول الآية جمع ثم تفريق ثم جمع وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١﴾ [النجم: 50-51] أي فما أبقاهما. والخطاب لغير معين. والباقية: إما اسم فاعل على بابه، والهاء: إما للتأنيث بتأويل نفس، أي: فما ترى منهم نفس باقية أو بتأويل فرقة، أي ما ترى فرقة منهم باقية. ويجوز أن تكون (باقية) مصدراً على وزن فَاعلة مثل ما تقدم في الحاقة، أي فما ترى لهم بقاء، أي هلكوا عن بكرة أبيهم.

(1) التفسير الكبير.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) روح المعاني.
(4) التحرير والتنوير.

وقال الفخر الرازي[1]: ذهب قوم إلى أن المراد أنه لم يبق من نسل أولئك القوم أحد، واستدل بهذه الآية على قوله قال ابن جريج: كانوا سبع ليال وثمانية أيام أحياء في عقاب الله من الريح، فلما أمسوا في اليوم الثامن ماتوا، فاحتملتهم الريح فألقتهم في البحر، فذاك هو قوله: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحَاقَّة: 8] وقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: 25].

● **قال تعالى**: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [هُود: 86].

قال الزجاج: معناه الحالُ التي تبقى لكم من الخير خير لكم، وقيل: طاعة الله خير لكم.

وقال الفراء[2]: يا قوم ما أُبقي لكم من الحلال خير لكم، قال: ويقال مراقبة الله خير لكم.

وقال الليث: والباقي حاصل الخَراج ونحوه، ولغة طيء بَقَى يَبْقى، وكذلك لغتهم في كل ياء انكسر ما قبلها، يجعلونها أَلفاً نحو بَقَى ورَضَى وفَنَى.

(1) التفسير الكبير.
(2) معاني القرآن.

بك

(بك)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والكاف في المضاعف أصلٌ يجمع التزاحُمَ والمغالبة.

قال الخليل[2]: البَكّ: دقُّ العُنق. ويقال سمِّيت بكّة لأنّها كانت تَبُكُّ أعناق الجبابرة إذا أَلحَدْوا فيها بظُلْم لم يُنْظَروا. ويقال: بل سُمّيتْ بكّةَ لأنّ النّاسَ بعضُهم يبكُّ بعضاً في الطَّواف، أي: يدفع.

قال الجوهري[3]: بكَّ فلان يَبُكُّ بَكَّةً، أي: زَحَمَ. وتَباكَّ القومُ، أي: ازدحموا.

وبَكَّ عنقَه، أي: دَقَّها.

وقال الحسن: أي يتباكُّون فيها من كُلّ وجهٍ.

وقيل أيضاً: بَكَّةُ فَعْلَة من بكَكْتُ الرّجلَ إذا ردَدْتَه ووضعتَ منه.

قال ابنُ الأعرابيّ: تبَاكَّت الإبل، إذا ازدحمتْ على الماء فشربَتْ ورجل أبَكُّ شديدٌ غَلاَّب، وجمعه بُكٌّ، ويقال بكّهُ إذا غلبَه.

قال الفرّاء: يقال للرِّشاء الغليظ الأبكّ. والأبكّ في قول الأصمعي: الشّجَر المجتمع.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

بكة هي مكة عن مجاهد، وجعله نحو: سبد رأسه وسمده، وضربة لازب ولازم في كون الباء بدلاً من الميم.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عِمرَان: 96].

قال القرطبي[1]: خبر «إن» واللام توكيد. و«بكة» موضع البيت، ومكة سائر البلد؛ عن مالك بن أنس. وقال محمد بن شهاب: بَكّة المسجد، ومكة الحرم كله، تدخل فيه البيوت. قال مجاهد: بكة هي مكة. فالميم على هذا مُبْدَلَة من الباء؛ كما قالوا: طين لازِبٌ ولازم. وقاله الضحاك والمؤرّج. ثم قيل: بكة مشتقة من البَكّ وهو الازدحام.

تَبَاكّ القوم: ازدحموا. وسميت بكة لازدحام الناس في موضع طوافهم. والبَكُّ: دَقّ العنق. وقيل: سميت بذلك لأنها كانت تدق رقاب الجبابرة إذا ألْحَدوا فيها بظلم. قال عبد الله بن الزبير: لم يقصِدها جبار قَطُّ بسوء إلا وَقَصَه الله عَزَّوَجَلَّ. وأما مكة فقيل: إنها سميت بذلك [لقلة مائها وقيل: سميت بذلك لأنها تمُكّ المخّ من العظم مما ينال قاصدها من المشقة؛ من قولهم: مَكَكْت العظم إذا أخرجت ما فيه]. ومَكّ الفِصيلُ ضرع أمّه وامْتَكّه: إذا امْتَصّ كل ما فيه من اللبن وشربه.

وقيل: سميت بذلك لأنها تَمُكّ من ظَلَم فيها، أي: تهلكه وتنقصه. وقيل: سميت بذلك لأن الناس كانوا يُمكّون ويضحكون فيها؛ من قوله: ﴿وَمَا كَانَ

(1) الجامع لأحكام القرآن.

صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: 35] أي: تَصْفِيقاً وتَصْفِيراً. وهذا لا يوجبه التصريف؛ لأن «مكة» ثنائيّ مضاعف و«مُكَاءً» ثلاثيّ معتلّ.

وقال أبو السعود[1]: ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ خبرٌ لإن وإنما أُخبر بالمعرفة مع كونِ اسمِها نكرةً لتخصُّصها بسببين: الإضافةِ والوصفِ بالجملة بعدها، أي لَلْبيتُ الذي ببكةَ أي فيها، وفي ترك الموصوفِ من التفخيم ما لا يخفى، وبكةُ لغةٌ في مكةَ، فإن العربَ تعاقِبُ بين الباء والميم كما في قولهم: ضربةُ لازبٍ ولازم، والنميطُ والنبيط في اسم موضعٍ بالدَّهناء، وقولِهم أمرٌ راتبٌ وراتمٌ وسبّد رأسَه وسمّدها وأغبطت الحِمى وأغمطت. وهي عَلَم للبلد الحرام من بكّة إذا زحَمه لازدحام الناس فيه.

وعن قتادة: يُبكُّ الناسُ بعضُهم بعضاً، أو لأنها تُبكُّ أعناقَ الجبابرة أي تدُقُّها، لم يقصِدْها جبارٌ إلا قصمَه الله عز وجل، وقيل: بكةُ اسمٌ لبطن مكةَ، وقيل: لموضع البيتِ، وقيل: للمسجد نفسِه، ومكةُ اسمٌ للبلد كلِّه وأيَّد هذا بأن التَّباكَّ وهو الازدحامُ إنما يقع عند الطوافِ، وقيل: مكةُ اسمٌ للمسجد والمطاف، وبكةٌ اسمٌ للبلد لقوله تعالى: ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾. روي أنه عليه السلام سُئل عن أول بيتٍ وضع للناس فقال: «**المسجدُ الحرام ثم بيتُ المقدس**» وسئل: كم بينهما؟ فقال: «**أربعون سنة**» وقيل: أولُ من بناه إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام وقيل: آدمُ عليه السلام، وقد استوفينا ما فيه من الأقاويل في سورة البقرة، وقيل: أولُ بيتٍ وضعَ بالشرف لا بالزمان.

---

(1) إرشاد العقل السليم.

بكرة

(بكرة - أصيل - غداة - عشاء)

- **البُكْرَة:** اسم لوقت يقع فيه الفعل قبل الشروق. قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: 25].
- **الأَصِيلُ:** اسم لوقت يقع فيه الفعل قبل الغروب. قال تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: 42].
- **الغَدَاة:** اسم لوقت يقع فيه الفعل بعد الشروق. قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ [الكهف: 28].
- **العَشِيُّ:** وهو ما بعد مرحلة الغروب. قال تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ [ص: 31].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والكاف والراء أصلٌ واحدٌ يرجع إليه فرعان هما منه. فالأوّل أوّلُ الشيء وبَدْؤُه. والثاني مشتقٌّ منه، والثالث تشبيه. فالأول البُكرة وهي الغَداة، والجمع البُكَر.

البُكْرَةُ: الغُدْوَةُ. قال سيبويه: من العرب من يقول أَتيتك بُكْرَةً؛ نَكِرَةٌ مُنَوَّنٌ، وهو يريد في يومه أَو غده. والبُكُور والتَّبْكيرُ: الخروج في ذلك الوقت.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

والإبْكارُ: الدخول في ذلك الوقت.

وقال سيبويه: لا يُستعمل إلا ظرفاً. والإبْكارُ: اسم البُكْرَةِ الإصباح، هذا قول أَهل اللغة، وعندي أَنه مصدر أَبْكَرَ. وبَكَرَ على الشي وإِليه يَبْكُرُ بُكُوراً وبكَّرَ تَبْكِيراً وابْتَكَرَ وأَبْكَرَ وباكَرَهُ: أَتاهُ بُكْرةً، كله بمعنى.

وفي حديث الجمعة: «**من بَكَّرَ يوم الجمعة وابْتَكَرَ فله كذا وكذا**»؛ قالوا: بَكَّرَ: أَسرع وخرج إِلى المسجد باكراً وأَتى الصلاة في أَوّل وقتها؛ وكل من أَسرع إِلى شيء، فقد بَكَّرَ إِليه. وابْتَكَرَ: أَدرك الخُطْبَةَ من أَوَّلها، وهو من الباكورة.

وأَوَّلُ كُلِّ شيء: باكُورَتُه.

والبِكْرُ أَوَّل ولد الرجل، غلاماً كان أَو جارية. وهذا بِكْرُ أَبويه أَي: أَول ولد يولد لهما، وكذلك الجارية بغير هاء؛ وجمعهما جميعاً أَبكار. وكِبْرَةُ ولد أَبويه: أَكبرهم. وفي الحديث: لا تُعَلِّمُوا أَبْكارَ أَولادكم كُتُبَ النصارى؛ يعني أَحداثكم.

وبِكْرُ الرجل بالكسر: أَوّل ولده، والبِكْرُ: الجارية التي لم تُفْتَضَّ، وجمعها أَبْكارٌ. والبِكْرُ من النساء: التي لم يقربها رجل، ومن الرجال: الذي لم يقرب امرأَة بعد؛ والجمع أَبْكارٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ [البقرة: 68].

قال الفخر الرازي[1]: البِكْرُ أنها الشابة وهي من النساء التي لم توطأ ومن الإبل التي وضعت بطناً واحداً. قال القفال: البِكْرُ يدل على الأول ومنه الباكورة لأول الثمر ومنه بكرة النهار ويقال: بَكُرْت عليهما البارحة إذا جاء في أول الليل،

(1) التفسير الكبير.

وكأن الأظهر أنها هي التي لم تلد لأن المعروف من اسم البِكْرُ من الإناث في بني آدم ما لم ينز عليها الفحل، وقال بعضهم: العوان التي ولدت بطناً بعد بطن. وحرب عوان: إذا كانت حرباً قد قوتل فيها مرة بعد مرة، وحاجة عوان: إذا كانت قد قضيت مرة بعد مرة.

وذكر الألوسي(1): البكر اسم للصغيرة، وزاد بعضهم التي لم تلد من الصغر

وقال ابن قتيبة: هي التي ولدت ولداً واحداً، والبكر من النساء التي لم يمسها الرجال، وقيل: هي التي لم تحمل، والبكر من الأولاد الأول، ومن الحاجات الأولى والبَكْرَ بفتح الباء الفتيّ من الإبل، والأنثى بَكْرَةَ وأصله من التقدم في الزمان، ومنه البَكْرَة والبَاكُورْة والاسمان صفة بقرة ولم يؤت.

● **وقوله تعالى**: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾ [الواقعة: 35-36].

قال القرطبي(2): ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ أي: خلقناهنّ خلقاً وأبدعناهنّ إبداعاً. والعرب تسمي المرأة فِراشاً ولبِاساً وإزاراً؛ وقد قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ [البَقَرَة: 187]. ثم قيل: على هذا هنّ الحور العين؛ أي خلقناهنّ من غير ولادة. وقيل: المراد نساء بني آدم؛ أي خلقناهنّ خلقاً جديداً وهو الإعادة؛ أي أعدناهنّ إلى حال الشباب وكمال الجمال. والمعنى أنشأنا العجوز والصَّبِية إنشاءً واحداً، وأضمرن ولم يتقدّم ذكرهنّ؛ لأنهنّ قد دخلن في أصحاب اليمين؛ ولأن الفُرُش كناية عن النساء كما تقدّم. وروي عن النبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ قال: «**منهنّ البِكْر والثَّيِّب**». وقالت أم سلمة رضي الله تعالى عنها: سألت النبيّ ﷺ عن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾ فقال: «**يا أمّ سلمة هنّ اللواتي قُبِضن في الدنيا عجائز شُمْطاً عُمْشاً رُمْصاً جعلهنّ الله بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء**».

(1) روح المعاني.
(2) الجامع لأحكام القرآن.

أسنده النحاس عن أنس قال: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ قال: «**هنّ العجائز العُمْش الرُّمْص كُنّ في الدنيا عُمْشاً رُمْصاً**» وقال المسيِّب بن شريك: «قال النبيّ ﷺ في قوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ الآية قال: «**هنّ عجائز الدنيا أنشأهنّ الله خلقاً جديداً كلما أتاهنّ أزواجهنّ وجدوهنّ أبكاراً**» فلما سمعت عائشة ذلك قالت: واوجعاها فقال لها النبيّ ﷺ: «**ليس هناك وجع**».

بكم

(بكم - سكت - أنصت)

■ **الأَبْكَمُ:** ترك الكلام عوقاً ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: 18].

■ **السُّكُوتُ:** ترك الكلام ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ [الأعرَاف: 154].

■ **الإنْصَاتُ:** ترك الكلام لأهمية ما يقوله الآخر ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُوٓاْ﴾ [الأحقاف: 29].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الباء والكاف والميم أصلٌ واحدٌ قليل، وهو الخَرَس.

البَكَمُ: الخرَسُ مع عِيٍّ وبَلَهٍ، وقيل: هو الخرَس ما كان، وقال: البَكَمُ أَنْ يُولَدَ الإنسانُ لا يَنْطِق ولا يَسْمَع ولا يُبْصِر، بَكِمَ بَكَماً وبَكامةً، وهو أَبْكَمُ وبَكِيمٌ أَي أَخْرَس بَيِّن الخَرَس.

قال الخليل(2): الأبكَمُ: الأخرس لا يتكلَّم، وإذا امتَنَعَ مِن الكلامِ جَهْلاً أو تعمّداً يُقال بَكِمَ عن الكلام.

ابن دريد(3): البَكَمُ: الخرس، رجل أبكم من قوم، والأنثى: بكماء.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الجمهرة.

قال الجوهري[1]: رجل أبكَمُ وبَكيمٌ، أي: أخرسُ بيِّن الخرس.

قال ابن الأثير: البُكْم جمع الأَبْكَم وهو الذي خُلِقَ أَخْرَس، وأَراد بهم الرَّعاعَ والجُهَّالَ لأَنهم لا ينتفعون بالسَّمْع ولا بالنُّطْق كبيرَ منْفعةٍ فكأَنهم قد سُلِبُوهُما.

ابن الأعرابي: الأَبْكَمُ الذي لا يَعْقِل الجَواب، وجمع الأَبْكَم بُكْمٌ وبُكْمان، وجمع الأَصَمِّ صُمٌّ وصُمَّانٌ.

وقال الليث: ويقال للرجل إذا امتنَع من الكلام جَهْلاً أو تَعمُّداً: بَكُمَ عن الكلام[2].

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ﴾ [البَقَرَة: 18].

قال الفخر الرازي[3]: اعلم أنه لما كان المعلوم من حالهم أنهم كانوا يسمعون وينطقون ويبصرون امتنع حمل ذلك على الحقيقة فلم يبق إلا تشبيه حالهم لشدة تمسكهم بالعناد وإعراضهم عما يطرق سمعهم من القرآن، وما يظهره الرسول من الأدلة والآيات بمن هو أصم في الحقيقة فلا يسمع، وإذا لم يسمع لم يتمكن من الجواب، فلذلك جعله بمنزلة الأبكم، وإذا لم ينتفع بالأدلة ولم يبصر طريق الرشد فهو بمنزلة الأعمى.

وقال القرطبي[4]: والأبكم: الذي لا ينطق ولا يفهم، فإذا فهم فهو الأخرس. وقيل: الأخرس والأبكم واحد. ويقال: رجل أبكم وبَكِيم؛ أي أخرس بَيِّنُ الخرس والبُكْم.

(1) الصحاح في اللغة.
(2) اللسان - ابن منظور.
(3) التفسير الكبير.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

وقيل: والبُكْمُ الخرس وزناً ومعنى، وهو داء في اللسان يمنع من الكلام وقيل: الأبكم هو الذي يولد أخرس، وقيل: الذي لا يفهم شيئاً ولا يهتدي إلى الصواب فيكون إذ ذاك داء في الفؤاد لا في اللسان.

والأَبْكَم الذي للسانه نُطْقٌ وهو لا يعْقِل الجوابَ ولا يُحْسِن وَجْه الكلام.

وفي حديث الإيمان: «**الصُّمّ البُكْمُ**».

ومن الحديث: «**سَتكونُ فِتنةٌ صَمَّاءُ بَكْماءُ عَمْياءُ**»؛ أَراد أَنها لا تَسْمَع ولا تُبْصِر ولا تَنْطِق فهي لذهاب حَواسِّها لا تُدْرِك شيئاً ولا تُقلِع ولا تَرْتَفِع، وقيل: شَبَّهَهَا لاختِلاطِها وقَتْل البريء فيها والسَّقِيم بالأَصَمّ الأَخْرس الأَعمى الذي لا يَهْتَدِي إلى شيء، فهو يَخْبِطُ خَبْطَ عَشْواء. التهذيب في قوله تعالى في صِفَة الكُفَّار ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾؛ وكانوا يَسْمَعون ويَنْطِقُون ويُبْصرون ولكنهم لا يعُون ما أَنزل الله ولا يتكلَّمون بما أُمروا به، فهم بمنزِلة الصُّمِّ البُكْمِ العُمْي.

● **وقال تعالى**: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [النّحل: 76].

قال ابن كثير[1]: قال مجاهد: وهذا أيضاً المراد به الوثن والحق تعالى، يعني: أن الوثن أبكم لا يتكلم ولا ينطق بخير ولا بشيء ولا يقدر على شيء بالكلية، فلا مقال ولا فعال، وهو مع هذا كَلّ، أي: عيال وكلفة على مولاه ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ أي: يبعثه ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ ولا ينجح مسعاه ﴿هَلْ يَسْتَوِى﴾ من هذه صفاته ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي: بالقسط، فمقاله حق، وفعاله مستقيمة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النّحل: 76] وقيل: الأبكم مولى لعثمان، وبهذا قال السدي وقتادة وعطاء الخراساني، واختار هذا القول ابن جرير.

وقال العوفي عن ابن عباس: هو مثل للكافر والمؤمن أيضاً كما تقدم، وقال

(1) تفسير ابن كثير.

ابن جرير: نزلت في رجل من قريش وعبده، يعني: قوله: ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ [النّحل: 75] الآية، وفي قوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 76] قال: هو عثمان بن عفان: قال: والأبكم الذي أينما يوجهه لا يأت بخير، قال: هو مولى لعثمان بن عفان، كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المؤونة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه، وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما.

بكى

(بكى - صرخ)

■ **بَكَى:** سالت دموعه تأثراً من فرح أو حزن ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58].

■ **صَرَخَ:** ارتفاع الصوت بالبكاء ألماً ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر: 37].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء والكاف والواو والهمزة أصلان: أحدهما البُكاء، والآخر نقصانُ الشيء وقِلّتُه. فالأوّل بَكى يَبْكي [بُكاءً].

قال الخليل[2]: البُكَاءُ ممدود ومقصور، بَكَى يَبْكِي وبَاكَيْتُهُ فَبَكَيْتُهُ، أي كنت أبكى منه.

وقال أيضاً: من قصره ذهب به إلى معنى الحزن، ومن مدّه ذهب به إلى معنى الصوت، فلم يبالِ الخليلُ اختلافَ الحركة التي بين باء البكا وبين حاء الحزن، لأَن ذلك الخَطَر يسير.

قال الجوهري[3]: البُكا يُمَدُّ ويُقْصَرُ، فإذا مددت أردت الصوتَ الذي يكون مع البكاء، وإذا قَصَرْتَ أردت الدموعَ وخروجها. وبَكَيْتُهُ وبَكَيْتُ عليه بمعنىً.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

قال الأصمعي[1]: بَكيْتُ الرجل وبَكَّيْتُهُ بالتشديد، كلاهما إذا بكيتَ عليه. وأَبْكَيْتُهُ: إذا صنعتَ به ما يُبْكيهِ. وباكَيْتُه فبَكَيْتُهُ، إذا كنتَ أَبْكي منه.

واسْتَبْكَيْتُهُ وأَبْكَيْتُهُ بمعنىً. وتَباكى: تكلّف البُكاءَ.

والبَكيُّ: الكثير البُكاء، على فَعيلٍ. والبُكيُّ على فُعولٍ: جمع باكٍ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريَم: 58].

قال الفخر الرازي[2]: في بكياً: جمع باكٍ مثل شاهد وشهود وقاعد وقعود ثم قال الإنسان في حال خروره لا يكون ساجداً فالمراد خَرّوا مقدرين للسجود ومن قال في بُكيًّا إنه مصدر فقد أخطأ لأن سُجَّداً جمع ساجد وبُكِيًّا معطوف عليه وعن رسول الله ﷺ: «**اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا**».

وقال الألوسي[3]: أن المراد من السجود معناه الشرعي، والمراد من الآيات ما تضمنته الكتب السماوية سواء كان مشتملاً على ذكر السجود أم لا وسواء كان متضمناً لذكر العذاب المنزل بالكفار أم لا، ومن هنا استدل بالآية على استحباب السجود والبكاء عند تلاوة القرآن. وقد أخرج ابن ماجه وإسحاق بن راهويه والبزار في «مسنديهما» من حديث سعيد بن أبي وقاص مرفوعاً: «**اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا**»، وقيل: المراد من السجود سجود التلاوة حسبما تعبدنا به عند سماع بعض الآيات القرآنية فالمراد بآيات الرحمٰن آيات مخصوصة متضمنة لذكر السجود، وقيل: المراد منه الصلاة وهو قول ساقط جداً، وقيل:

(1) الأضداد.
(2) التفسير الكبير.
(3) روح المعاني.

المراد منه الخشوع والخضوع، والمراد من الآيات ما تضمن العذاب المنزل بالكفار وهذا قريب من سابقه، ونقل الجلال السيوطي عن الرازي أنه استدل بالآية على وجوب سجود التلاوة وهو كما قال الكيا: بعيد، وذكروا أنه ينبغي أن يدعو الساجد في سجدته بما يليق بآيتها فهاهنا يقول: اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك، وفي آية الإسراء اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك، وفي آية تنزيل السجدة اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك ورحمتك وأعوذ بك من أن أكون من المستكبرين عن أمرك.

● **وقوله** عز وجل: ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ [التّوبَة: 82].

وقال ابن عاشور[1]: والضحك هنا كناية عن الفرح أو أريد ضحكهم فرحاً لاعتقادهم ترويج حيلتهم على النبي ﷺ إذْ أذن لهم بالتّخلّف.

والبكاء: كناية عن حزنهم في الآخرة، فالأمر بالضحك وبالبكاء مستعمل في الإخبار بحصولهما قطعاً إذ جعلا من أمر الله أو هو أمر تكوين مثل قوله: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ [البَقَرَة: 243] والمعنى أنّ فرحهم زائل وأنّ بكاءهم دائم.

والضحك: كيفية في الفم تتمدّد منها الشفتان وربّما أسفرتا عن الأسنان وهي كيفية تعرض عند السرور والتعجّب من الحُسن.

والبكاءُ: كيفية في الوجه والعينين تنقبض بها الوجنتان والأسارير والأنف. ويسيل الدمع من العينين، وذلك يعرض عند الحزن والعجز عن مقاومة الغلب.

● **وقال تعالى**: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدّخَان: 29].

وقد قيل: إن ذلك على الحقيقة، وذلك قول من يجعل لهما حياة وعلماً، وقيل: ذلك على المجاز، وتقديره: فما بكت عليهم أهل السماء[2].

---

(1) التحرير والتنوير. (2) مفردات الراغب.

وقال الألوسي[1]: مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم. وهو استعارة تمثيلية تخييلية شبه حال موتهم لشدته وعظمته بحال من تبكي عليه السماء والأجرام العظام وأثبت له ذلك والنفي تابع للإثبات في التجوز كما حقق في موضعه، وقيل: هي استعارة مكنية تخييلية بأن شبه السماء والأرض بالإنسان وأسند إليهما البكاء أو تمثيلية بأن شبه حالهما في عدم تغير حالهما وبقائهما على ما كانا عليه بحال من لم يبك، وليس بشيء كما لا يخفى على من راجع كلامهم. وقد كثر في التعظيم لمهلك الشخص بكت عليه السماء والأرض وبكته الريح ونحو ذلك.

وقال الطبري[2]: عن سعيد بن جبير قال: أتى ابن عباس رضي الله عنهما رجل فقال: يا أبا العباس أرأيت قول الله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: 29] فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال ﷺ: نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا وله باب في السماء، منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن، فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه، ففقده، بكى عليه، وإذا فقده مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها، ويذكر الله عز وجل فيها، بكت عليه، وإن قوم فرعون لم تكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى الله عز وجل منهم خير، فلم تبك عليهم السماء والأرض.

قال ابن كثير[3]: كان يقال: تبكي الأرض على المؤمن أربعين صباحاً، وقال مجاهد أيضاً: ما مات مؤمن، إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، قال: فقلت له: أتبكي الأرض؟ فقال: أتعجب؟ وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل؟ وقال قتادة: كانوا أهون على الله عز وجل من أن تبكي عليهم السماء والأرض.

(1) روح المعاني.
(2) جامع البيان.
(3) تفسير ابن كثير.

بلد

(بلد - مدينة - قرية - مصر)

■ **البَلَدُ:** المكان المحيط الممدود المتأثر باجتماع ساكنيه. قال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البَلَد: 1].

والبلدة مؤنث البلد عندما يكون يحيه أهله، قال تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سَبَإ: 15].

■ **القَرْيَةُ:** البلد المزدحم بالزوار. قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محَمَّد: 13].

■ **المَدِينَةُ:** العاصمة في كل وطن. قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ﴾ [القَصَص: 15].

■ **المِصْرُ:** كل مدينة مسورة بسور، ولهذا سميت مِصْرٌ مِصْراً لأنها المدينة الوحيدة المسورة. قال تعالى: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البَقَرَة: 61].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء واللام والدال أصلٌ واحد يتقارب فُروعُه عند النَّظر في قياسه، والأصل الصدْر. ويقال: وضَعَت النّاقةُ بَلْدَتَها بالأرض: إذا بَرَكت.

(1) معجم مقاييس اللغة.

البَلْدَةُ والبَلَدُ: كل موضع أَو قطعة مستحيزة، عامرة كانت أَو غير عامرة.

قال الخليل[1]: البَلَدُ: كلّ موضع مستحيز من الأرض عامر أو غير عامر، والبَلَدُ: المقبرة، وهو نفس القبر، وربما عني بالبَلَدْ: التراب.

قال الجوهري[2]: بَلَدَ بالمكان: أقام به؛ فهو بالِدٌ. والبَلْدَةُ والبَلَدُ: واحد البلادِ، والبُلْدانِ. والبَلادَةُ ضدُّ الذكاء. وقد بَلُدَ بالضم فهو بَليدٌ. وتَبَلَّدَ تكلَّف البَلادَةَ. وتَبَلَّدَ، أي: تردَّد متحيِّراً. وبَلَّدَ تَبْليداً: ضرب بنفسه الأرضَ. وأَبْلَدَ: لصق بالأرض.

البلد: المكان المحيط المحدود المتأثر باجتماع قطانه وإقامتهم فيه، وجمعه: بلاد وبلدان.

المعنى المشترك لكلمة (ب ل د)

وقد وردت كلمة (بلد) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: البلد: يعني مكة ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البَلَد: 2].

الوجه الثاني: البلد: يعني سبأ ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سَبَإ: 15].

الوجه الثالث: البلد: يعني البقعة النامية ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعرَاف: 58].

الوجه الرابع: البلد: يعني مكان سبخ لا نبات فيه ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [فَاطِر: 9].

(1) العين. (2) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البَلَد: 1].

قال القرطبي(1): «البَلَدُ»: هي مكة، أجمعوا عليه. أي أُقسِم بالبلد الحرام الذي أنت فيه، لكرامتك عليّ وحبي لك. وقال الواسطيّ: أي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيًّا، وبركتك ميتاً؛ يعني المدينة. والأوّل أصح؛ لأن السورة نزلت بمكة باتفاق.

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ [سَبَإ: 15] وقوله تعالى: ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [الزّخرُف: 11] (بلدة ميتاً): ذكر على معنى القطر، وبلدة اسم جنس.

● **وقال تعالى:** ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البَقَرَة: 126].

قال أبو السعود(2): ذا أمنٍ كعيشةٍ راضيةٍ أو آمناً أهلُهُ كليلةِ نائم أي: اجعل هذا الواديَ من البلادِ الآمنة وكان ذلك أول ما قَدِمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مكة كما رَوى سعيدُ بنُ جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم أنه عليه الصلاة والسلام لما أسكنَ إسمٰعيلَ وهاجَر هناك وعادَ متوجهاً إلى الشام تَبعتْه هاجرُ فجعلتْ تقول: إلى من تَكِلُنا في هذا البلقَعِ؟ وهو لا يَرُدُّ عليها جواباً حتى قالت: آلله أمرك بهذا؟ فقال: نعمْ قالت: إذنْ لا يُضيِّعُنا فرضِيَتْ ومضى حتى إذا استوى على ثَنِيّةِ كَداءٍ أقبل على الوادي فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ . . . أَسْكَنتُ﴾ [إبراهيم: 37].

وتعريفُ البلدِ مع جعلِه صفة لهذا في سورة إبراهيم إن حمل على تعدد السؤال لما أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ سأَلَ أولاً كلا الأمرين البلديةِ والأمنِ فاسْتُجيبَ له في أحدِهما وتأَخَّرَ الآخرُ إلى وقته المقدر له لما تقتضيه الحكمةُ الباهِرَةُ.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) إرشاد العقل السليم.

قال الخازن[1]: ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ أي: ذا أمن يأمن فيه أهله، وإنما دعا إبراهيم له بالأمن لأنه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فإذا لم يكن آمناً، لم يجلب إليه شيء من النواحي فيتعذر المقام به. فأجاب الله تعالى دعاء إبراهيم وجعله بلداً آمناً، فما قصده جبار إلا قصمه الله تعالى كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة. واختلفوا هل كانت مكة محرمة قبل دعوة إبراهيم عليه السلام أو حرمت بدعوته على قولين: أحدهما: أنها كانت محرمة قبل دعوته بدليل قوله ﷺ: «**إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض**» وقول إبراهيم عليه السلام: «**إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم**» فهذا يقتضي أن مكة كانت محرمة قبل دعوة إبراهيم.

القول الثاني: أنها إنما حرمت بدعوة إبراهيم بدليل قوله ﷺ: «**إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة**» وهذا يقتضي أن مكة كانت قبل دعوة إبراهيم حلالاً كغيرها من البلاد، وإنما حرمت بدعوة إبراهيم، ووجه الجمع بين القولين وهو الصواب أن الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما أخبر النبي ﷺ في قوله: «**إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض**» ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان أحد من أنبيائه ورسله، وإنما كان تعالى يمنعها ممن أرادها بسوء، ويدفع عنها وعن أهلها الآفات والعقوبات فلم يزل ذلك من أمرها حتى بوأها الله تعالى إبراهيم وأسكن بها أهله فحينئذ سأل إبراهيم ربه عز وجل أن يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه فأجاب الله تعالى دعوته، وألزم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراماً بدعوة إبراهيم، وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب.

● **وقال تعالى**: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾ [الأعراف: 58].

(1) لباب التأويل.

قال ابن عاشور[1]: والبلد الطّيب الأرضُ الموصوفة بالطِّيبِ، وطيبها زكاء تربتها وملاءمتها لإخراج النّبات الصّالح وللزّرع والغرس النّافع وهي الأرض النّقيّة. والذي خبث ضدّ الطَّيب. وقوله: ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ﴾ في موضع الحال من ﴿نَبَاتُهُۥ﴾ والإذن: الأمر، والمراد به أمر العناية به كقوله: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [صٓ: 75] ليدلّ على تشريف ذلك النّبات، فهو في معنى الوصف بالزّكاء، والمعنى: البلد الطَّيب يخرج نباته طيّباً زكياً مثلَه، وقد أشار إلى طيب نباته بأنّ خروجه بإذن ربّه، فأريد بهذا الإذن إذنٌ خاص هو إذن عناية وتكريم، وليس المراد إذن التّقدير والتّكوين فإنّ ذلك إذن معروف لا يتعلّق الغرض ببَيانه في مثل هذا المقام. ﴿وَٱلَّذِي خَبُثَ﴾ [الأعرَاف: 58] حملهُ جميع المفسّرين على أنّه وصف للبلد، أي البلد الذي خبث وهو مقابل البلد الطّيب، وفسّروه بالأرض التي لا تنبت إلاّ نباتاً لا ينفع، ولا يسرع إنباتها، مثل السّباخ، وحملوا ضمير يَخْرج على أنّه عائد للنّبات، وجعلوا تقدير الكلام: والذي خبث لا (يخرج) نباتُه إلاّ نَكِداً، فحُذف المضاف في التّقدير، وهو نبات، وأقيم المضاف إليه مقامه، وهو ضمير البلد الذي خبث، المستترُ في فعل يخرج.

---

(1) التحر والتنوير.

بلس

(بلس - قنط - يئس)

■ **الإبلاس:** أشد اليأس الذي يؤدي إلى السكوت المطلق. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الرُّوم: 12].

■ **القنوط:** اليأس السلبي من خير يرجوه. ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزُّمَر: 53].

■ **اليأس:** انتفاء الطمع في الشيء. ﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [المُمتَحنَة: 13].

بلس - إبليس

(إبليس - شيطان - جنّ - عفريت)

■ **إبْلِيسُ:** القانط من رحمة الله. ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ﴾ [صٓ: 75].

■ **الشَّيْطَانُ:** ساعة ما يهجم بقوة وقسوة. ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ [الصَّافات: 7].

■ **الجِنُّ:** المخلوق العاقل المستتر عن الأنظار. ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجنّ: 1].

■ **العِفْرِيتُ:** الشرس القوي الذي يبرز بغتة. ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ﴾ [النَّمل: 39].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الباء واللام والسين أصلٌ واحد، وما بَعْدَه فلا معوَّلَ عليه. فالأصلُ اليَأْسُ، يقال: أبْلَسَ إذا يَئِسَ.

أَبْلَسَ الرجلُ: قُطِعَ به.

وأَبْلَس: سكت. وأَبْلَسَ من رحمة الله أي: يَئِسَ ونَدِمَ، ومنه سمي إبليس وكان اسمه عزازيلَ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الجوهري[1]: أَبْلَسَ من رحمة الله، أي يَئِسَ. ومنه سمِّي إبْليسُ، وكان اسمه عَزازِيلُ. والإِبْلاسُ أيضاً: الانكسار والحزن. يقال: أَبْلَسَ فلانٌ، إذا سكتَ غمًّا. وأَبْلَسَتِ الناقة، إذا لم تَرْغُ من شدّة الضَبَعَةِ، فهي مِبْلاسٌ. والبَلَسُ بالتحريك: شيء يشبِه التين يكثر باليمن. وأهلُ المدينة يسمون المِسْحَ بَلاساً، وهو فارسيّ معرّب. ومن دعائهم: أرانيك الله على البُلُسِ بالضم، وهي غرائر كبارٌ من مسوحٍ يُجعل فيها التين، ويُشَهَّرُ عليها مَنْ يُنَكَّلُ به وينادى عليه.

الإِبْلَاسُ: الحزن المعترض من شدة البأس، يقال: أَبْلَسَ، ومنه اشتق إبليس فيما قيل. قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الرُّوم: 12].

قال الزمخشري[2]: الإِبْلَاسُ: أي يبقى بائساً ساكناً متحيراً. يقال: ناظرته فأبْلَسَ. إذا لم ينبس وبئس من أن يحتجّ. ومنه الناقة المِبْلَاسُ: التي لا ترغو. وقريء «يُبْلَسُ» بفتح اللام، من أبلسه إذا أسكته.

في القرآن الكريم:

- **قال** عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الرُّوم: 12].

وقال الفخر الرازي[3]: والإِبْلَاسُ يأس مع حيرة، يعني يوم تقوم الساعة يكون للمجرم يأس محير لا يأس هو إحدى الراحتين، وهذا لأن الطمع إذا انقطع باليأس فإذا كان المرجو أمراً غير ضروري يستريح الطامع من الانتظار وإن كان ضرورياً بالإبقاء له بوونه ينفطر فؤاده أشد انفطار، ومثل هذا اليأس هو الإبلاس ولنبين حال المجرم وإبلاسه بمثال، وهو أن نقول مثله مثل من يكون في بستان وحواليه الملاعب والملاهي، ولديه ما يفتخر به ويباهي، فيخبره صادق بمجيء

(1) الصحاح في اللغة.
(2) أساس البلاغة.
(3) التفسير الكبير.

عدو لا يرده راد، ولا يصده صاد، إذا جاءه لا يبلعه ريقاً، ولا يترك له إلى الخلاص طريقاً، فيتحتم عليه الاشتغال بسلوك طريق الخلاص فيقول له طفل أو مجنون إن هذه الشجرة التي أنت تحتها لها من الخواص دفع الأعادي عمن يكون تحتها، فيقبل ذلك الغافل على استيفائه ملاذه معتمداً على الشجرة بقول ذلك الصبي فيجيئه العدو ويحيط به، فأول ما يريه من الأهوال قلع تلك الشجرة فيبقى متحيراً آيساً، مفتقراً، فكذلك المجرم في دار الدنيا أقبل على استيفاء اللذات وأخبره النبي الصادق بأن الله يجزيه، ويأتيه عذاب يخزيه، فقال له الشيطان والنفس الأمارة بالسوء إن هذه الأخشاب التي هي الأوثان دافعة عنك كل بأس، وشافعة لك عند خمود الحواس، فاشتغل بما هو فيه واستمر على غيه حتى إذا جاءته الطامة الكبرى فأول ما أرته إلقاء الأصنام في النار فلا يجد إلى الخلاص من طريق، ويحق عليه عذاب الحريق، فييأس حينئذٍ أي إياس ويبلس أشد إبلاس.

● **وقوله تعالى**: ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44].

قال أبو السعود[1]: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ متحسِّرون غاية الحسرة آيسون من كل خير، واجمون، وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة.

وقال الألوسي[2]: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ أي آيسون من النجاة والرحمة كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. وقال البلخي: أذلة خاضعون، وعن السدي الإبلاس: تغير الوجه، ومنه سمي إبليس لأن الله تعالى نكس وجهه وغيره، وعن مجاهد هو بمعنى الاكتئاب. وفي «الحواشي الشهابية» للإبلاس ثلاثة معان في اللغة: الحزن والحسرة واليأس وهي معان متقاربة. وقال الراغب: هو الحزن المعترض من شدة اليأس، ولما كان المبلس كثيراً ما يلزم السكوت وينسى ما يعنيه قيل: أبلس فلان: إذا سكت وإذا انقطعت حجته.

(1) إرشاد العقل السليم. (2) روح المعاني.

● **وقال تعالى**: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الرُّوم: 49].

قال الشعراوي[1]: آيسين من نزول المطر، فإنْ جاءهم المطر بعد هذا اليأس كانت فرحتهم به مزودجة ومضاعفة.

● **وقال تعالى**: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: 34].

أصدر الله تعالى أمره للملائكة ليسجدوا لآدم. وهذه القضية أخذت جدلاً طويلاً. قال بعض الناس: كيف يسجد الملائكة لغير الله؟ والسجود لا يكون إلاَّ لله وحده. وقال آخرون: هل معنى سجود الملائكة لآدم أنهم عبدوه؟ وقالت فئة أخرى: السجود لغير الله لا يجوز تحت أي ظرف من الظروف. نقول لهؤلاء: إنكم لم تدركوا المعنى، فالله سبحانه وتعالى بعد أن مَيَّزَ آدم على الملائكة بعلم الأسماء، طلب منهم أن يسجدوا لآدم، وهنا لابد أن نعرف أن السجود لآدم هو إطاعة لأمر الله، وليست عبادة لآدم. فالله سبحانه وتعالى هو الذي أمر الملائكة بالسجود. ولم يأمرهم بذلك آدم. ولا يحق له أن يأمرهم، فالأمر بالسجود هنا من الله سبحانه وتعالى، مَنْ أطاعه كان عابداً. ومَنْ لم يطعه كان عاصياً. ومَنْ رَدَّ الأمر على الآمر كان كافراً. ولكي نفهم معنى العبادة نقول: إن العبادة هي طاعة أوامر الله، واجتناب نواهيه. فما قال لي الله: افعل. فإني أفعل. وما قال: لا تفعل. فإنني لا أفعل.. لأن العبادة هي طاعة مخلوق لخالقه في أوامره ونواهيه؛ ولذلك عندما نذهب إلى الحج فإننا نُقبِّل الحجر الأسود في الكعبة، ونرجم الحجر الذي يمثل إبليس في مِنَى. نقبل حجراً ونرجم حجراً.

هذا هو معنى عبادة الله واتباع منهجه. كما أمرنا نفعل. لا شيء مقدس عندنا

---

(1) تفسير الشعراوي.

إلا أمر الله ومنهجه. الملائكة هنا لم يسجدوا لآدم، ولكنهم سجدوا لأوامر الله بالسجود لآدم. وفرق كبير بين السجود لشيء، وبين السجود لأمر الله. السجود لأمر الله سبحانه وتعالى لا يعتبر خروجاً على المنهج، لأن الأساس هو طاعة الله. وهل سجد كل الملائكة لآدم؟ لا. وإنما سجد لآدم الملائكة الذين لهم مهمة معه، وتلك المهمة قد بيَّنَها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: 10-12]. وقوله سبحانه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18]. وقوله سبحانه: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النَّازعَات: 5]. إذن: هناك مِن الملائكة مَنْ سيسجل على الإنسان أعماله، وكل قول يقوله وكل فعل يفعله. بل ويكتبون هذه الأفعال. ومنهم مَنْ يحفظه من الشياطين، ومنهم مَنْ ينفذ أقدار الله في الأرض. هؤلاء جميعاً لهم مهمة مع الإنسان، ولكن الأمر بالسجود لم يشمل أولئك الملائكة العالين من حملة العرش وحراس السماء وغيرهم ممن ليست لهم مهمة مع الإنسان. ولذلك عندما رفض إبليس السجود، قال له الله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [صٓ: 75]. قوله تعالى: ﴿كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أي: أنك كنت من الملائكة العالين. . الذين لم يشملهم أمر السجود. إذن: فأمر السجود لآدم كأمر الله لنا بالسجود إلى القبلة في الصلاة، فنحن لا نسجد للقبلة ذاتها. . ولكننا نسجد لأمر الله بالسجود إلى القبلة. . سجد الملائكة الذين شملهم أمر السجود لأمر الله سبحانه وتعالى. .

ولكن إبليس رفض أن يسجد، وعصى أمر الله.

بعض الناس يقولون: إن إبليس لم يكن من الذين أمرهم الله تعالى بالسجود. لأن الأمر شمل الملائكة وحدهم. . وإبليس ليس ملكاً. ولكنه من الجن. كما يروي لنا القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: 50]. . . ونقول: إن كون إبليس من الجن هو الذي جعله يعصي أمر الله بالسجود، فلو أن إبليس كان من الملائكة - وهم مقهورون على الطاعة -

كان لابد أن يطيع أمر الله ويسجد، ولكن كونه من الجن الذين لهم اختيار في أن يطيعوا وأن يعصوا؛ فذلك الذي مَكَّنه أن يعصي أمر السجود؛ ولذلك فإن الذين يأخذون من الآية الكريمة أن إبليس كان من الجن، بأنه لم يشمله أمر السجود، نقول لهم: إن الحق سبحانه وتعالى قد أخبرنا عن جنس إبليس حتى نفهم من أي باب إلى المعصية دخل. . ذلك أنه دخل من باب الاختيار الممنوح للإنس والجن في الحياة الدنيا وحدها، ولو أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون إبليس مقهوراً على الطاعة ما كان يستطيع أن يعصي، ولكن معصيته جاءت من أنه خُلِق مختاراً. . والاختيار هو الباب الذي دخل منه إلى المعصية. هذه حقيقة يجب أن نفهمها؛ ولذلك يرد الحق سبحانه وتعالى على كل مَنْ سيخطر بباله أن أمر السجود لم يشمل إبليس لكونه من الجن، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: 12]. . . وكان كفر إبليس وخلوده في النار أنه ردَّ الأمر على الآمر، وقال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: 61].

وقد كان وجود إبليس مع الأعلى منه، وهم الملائكة، مبرراً أكبر للسجود؛ فما دام قد صدر الأمر إلى الأعلى بالسجود، فإنه ينطبق على الأدنى.

وقد كان إبليس كما جاء في الأثر يُسمَّى طاووس الملائكة. . وكان يزهو بخيلاء بينهم. . وهذه الخيلاء أو الكِبْر هو الذي جعله يقع في المعصية، ولأن إبليس خُلِق مختاراً، فقد كان مزهواً باختياره لطاعة الله. . قبل أن يقوده غروره إلى الكفر والمعصية، ولذلك لم يكد يصدر الأمر من الله بالسجود لآدم، حتى امتنع إبليس تكبراً منه. . ولم يجاهد نفسه على طاعة الله. . فمعصية إبليس هي معصية في القمة؛ لأنه ردَّ الأمر على الآمر، وظن أنه خير من آدم. . ولم يلتزم بطاعة الله، ومضى غروره يقوده من معصية إلى أخرى؛ فطرده الله من رحمته وجعله رجيماً. ولما عرف إبليس أنه طُرِد من رحمة الله طلب من الله سبحانه وتعالى أن يُبقيه إلى يوم الدين، وأقسم إبليس بعزة الله أن يُغري بني آدم[1].

---

(1) تفسير الشعراوي.

● وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سَبَإ: 20].

قال أبو السعود[1]: أي حقَّق عليهم ظنَّه أو وجده صادقاً. وقُرىء بالتَّخفيف أي صدَق في ظنِّه أو صدَقَ بظنَ ظنُّه ويجوز تعدية الفعل إليه بنفسه لأنَّه نوع من القول وقُرىء بنصب إبليسَ ورفعِ الظَّنِّ مع التَّشديدِ بمعنى وجدَه ظنُّه صادقاً ومع التَّخفيف بمعنى قال له الصِّدقُ حين خيَّل له إغواءَهم وبرفعهما والتحفيف على الإبدال.

وذلك إما ظنّه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشَّهواتِ أو ببني آدَمَ حين شاهدَ آدمَ عليه السلام قد أصغى إلى وسوسته قال إنَّ ذُريَّتَه أضعفُ منه عزماً وقيل: ظنَّ ذلك عند إخبار الله تعالى الملائكةَ أنَّه يجعلُ فيها مَن يفسد فيها ويسفكُ الدِّماءَ وقال: لأضلنَّهم ولأغوينَّهم ﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾ أي: أهلُ سبأٍ أو النَّاسُ ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إلا فريقاً هم المؤمنون لم يتَّبعوه على أنَّ مِن بيانيةٌ. وتقليلُهم بالإضافة إلى الكُفَّارِ أو إلا فريقاً من فِرقِ المؤمنين لم يتَّبعوه وهم المُخلَصون.

(1) إرشاد العقل السليم.

بلع

(بلع - أكل - طعم - ذاق - تجرع - اقتات)

- **البَلْعُ:** مرور الشيء من الحلق ليسقط في الجوف بدون مضغ. ﴿يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ [هُود: 44].
- **الأَكْلُ:** مرور الشي من الحلق ليسقط في الجوف بعد مضغه. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ [محمَّد: 12].
- **الطَّعِم:** أكل خبز القمح (الطعام)، ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾ [الأحزاب: 53]
- **الذَّوْقُ:** أكل ما يقلُّ تناوله ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ [فُصّلَت: 50].
- **الجرع:** أكل ما لا يؤكل بتكلف ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: 17].
- **الاقتيات:** أكل ما يمسك الرمق من القوت ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فُصّلَت: 10].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء واللام والعين أصلٌ واحد، وهو ازدراد الشيء. تقول: بلِعْتُ الشيءَ أبْلَعُه. والبالوع من هذا لأنه يَبْلَعُ الماء.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: بَلِعَ الماء يَبْلِعُ بِلْعاً، أي: شرب، وابْتَلَعَ الطعام أي: لم يمضغه، والمَبْلَعُ: موضع الابتلاع من الحلق.

ورجل بَلْعٌ: كأنه يَبْتَلِعُ الكلام.

قال الجوهري[2]: بَلِعْتُ الشيءَ بالكسر وابْتَلَعْتُهُ بمعنى، وأَبْلَعْتُهُ غيري. وسَعْدُ بُلَعَ من منازل القَمَر. والبُلَعُ أيضاً: الثَقْبُ في قائمة البَكَرَةِ. وبَلَّعَ الشيبُ في رأسه تَبْليعاً أوَّلَ ما يظهر. والبالوعَةُ: ثَقْبٌ في وسط الدار. وكذلك البَلُّوعَةُ؛ والجمع البَلاليعُ.

والبُلْعةُ من الشراب: كالجُرْعةِ.

وبَلِعَ الطعامَ وابْتَلَعَه: لم يَمْضَغْه، وأَبْلَعَه غيره. والبُلْعُومُ، كلُّه: مَجْرى الطعامِ وموضع الابْتِلاعِ من الحَلْق، وإِن شئت قلت: إن البُلْعُم والبُلْعُومَ رباعي. ورجل بُلَعٌ ومِبْلَعٌ وبُلَعةٌ إذا كان كثير الأَكل.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ [هُود: 44].

قال أبو السعود[3]: ﴿ٱبۡلَعِي﴾ أي: انشَفي، استُعير له من ازدراد الحيوان ما يأكلُه للدِلالة على أن ذلك ليس كالنشف المعتادِ التدريجيّ.

قال الألوسي[4]: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي﴾ أي: انشفي، استعير من ازدراد الحيوان ما يأكله للدلالة على أن ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجي، وتخصيص البَلْعُ بما يؤكل هو المشهور عن اللغويين، وقال الليث: يقال: بَلِعَ الماء إذا شربه وهو ظاهر في أنه غير خاص بالمأكول، وذكر السيد أن ذلك مجاز، وأخرج ابن

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) روح المعاني.

المنذر وغيره عن وهب بن منبه أن البلع بمعنى الازدراد لغة حبشية، وأخرج أبو الشيخ عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه بمعنى الشرب لغة هندية (مَآءَكِ) أي ما على وجهك من ماء الطوفان وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف بأمر الله تعالى لأن المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل.

قال الشعراوي[(1)]: والبَلْعُ هو مرور الشيء من الحَلْق ليسقط في الجوف، وساعة أن يأتي في القرآن أمر من الله تعالى مثل: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ. .﴾ [هود: 44]. .

فافهم أن القائل هو من تَنْصَاع له الأرض.

ولم يَقُل الله سبحانه: «قال الله يا أرض ابلعي ماءك»؛ لأن هناك أصلاً متعيّناً وإنْ لم يقُله، والحق سبحانه يريد أن ينمِّي فينا غريزة وفطنة الإيمان؛ لأن أحداً غير الله تعالى ليس بقادر على أن يأمر الأرض بأن تبلع الماء.

قال العزّ بن عبد السلام[(2)]: (ابلعي) اشربي وانشقّي (ماءك) الذي عليك. وقيل: ميزّ الله ماءها فبلعه، وصار ماء السماء بحاراً.

---

(1) تفسير الشعراوي.

(2) التفسير العظيم.

بلغ

(بلغ - وصل - أدرك - انتهى)

- **البَلاغ:** الوصول إلى أقصى المقصد البعيد أو الصعب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: 15].
- **الوُصُولُ:** انتهى إلى ما سعى إليه بصعوبة حتى اتحد معه اتحاداً ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [النِّساء: 90].
- **إدْرَاك:** الوصول إلى ملهوف يستغيث ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾ [يُونس: 90].
- **انْتَهَى:** الوصول إلى النهاية ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ [البَقَرَة: 275].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء واللام والغين أصلٌ واحد وهو الوُصول إلى الشيء. تقول بَلَغْتُ المكانَ: إذا وَصَلْتَ إليه. وقد تُسَمّى المُشارَفَةُ بُلوغاً بحقّ المقاربة.

قال الجوهري[2]: بَلَغْتَ المكان بُلوغاً: وصلت إليه، وكذلك إذا شارفتَ عليه.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [البَقَرَة: 234] أي: قارَبْنَهُ. وبَلَغَ الغلامُ:

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

أدرك. والإِبْلاغُ: الإيصالُ، وكذلك التَبْليغ، والاسمُ منه البَلاغُ. والبَلاغُ أيضاً: الكفايةُ.

وبَلَّغْتُ الرسالةَ. وبَلَّغَ الفارسُ: إذا مَدَّ يدَه بعنان فرسه ليزيد في جَرْيه. وشيءٌ بالِغٌ، أي: جيِّدٌ. وقد بَلَغَ في الجودة مَبْلَغاً. ويقال أمرُ اللهِ بَلْغٌ بالفتح، أي: بالِغٌ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطَّلَاق: 3]. وقولهم: أَحْمَقُ بِلْغٌ بالكسر، أي: هو مع حماقته يَبْلُغُ ما يريد. والبَلاغَةُ: الفصاحةُ. وبَلُغَ الرجلُ بالضم، أي: صار بَلِيغاً. والبَلاغاتُ، كالوشاياتِ. والبِلَغينُ الداهية. وفي حديث الاسْتِسْقاء: «**واجْعَلْ ما أَنزلتَ لنا قُوّةً وبلاغاً إلى حين**»؛ البَلاغُ: ما يُتَبَلَّغُ به ويُتَوَصَّلُ إلى الشيء المطلوب.

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: 15].

أي: اكتملَ واستحكمَ قوتُه وعقلُه.

- **قال تعالى**: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البَقَرَة: 232].

قال الزمخشري(1): أي: آخر عدتهن وشارفن منتهاها. والأجل يقع على المدّة كلها، وعلى آخرها، يقال لعمر الإنسان: أجل، وللموت الذي ينتهي به: أجل، وكذلك الغاية والأمد، يقول النحويون «من» لابتداء الغاية، و«إلى» لانتهاء الغاية.

ويتسع في البلوغ أيضاً فيقال: بَلَغَ البلد: إذا شارفه وداناه. ويقال: قد

(1) الكشاف.

وصلت، ولم يصل وإنما شارف، ولأنه قد علم أنّ الإمساك بعد تقضّي الأجل لا وجه له، لأنها بعد تقضيه غير زوجة له [و] في غير عدّة منه، فلا سبيل له عليها.

● **وقال تعالى:** ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ﴾ [الصَّافات: 102].

والبُلُوغُ: الوصول وكذلك التَّبْلِيغُ، والاسم منه البَلاغُ، وبَلَّغْتُ الرِّسالَة. التهذيب: يقال بَلَّغْتُ القومَ بلاغاً: اسم يقوم مقام التبْلِيغِ.

● **قال تعالى:** ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: 52]. وقوله: ﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾ [يسٓ: 17].

قال الألوسي[1]: إلا بتبليغ رسالته تعالى تبليغاً ظاهراً بيّناً بحيث لا يخفى على سامعه ولا يقبل التأويل والحمل على خلاف المراد أصلاً، وقد خرجنا من عهدته فلا مؤاخذة علينا من جهة ربنا كذا قيل، والأولى أن يفسر التبليغ المبين بما قرن بالآيات الشاهدة على الصحة وهم قد بلغوا كذلك بناء على ما روي من أنهم أبرؤوا الأكمه وأحيوا الميت أو أنهم فعلوا خارقاً غير ما ذكر ولم ينقل لنا ولم يلتزم في الكتاب الجليل ولا في الآثار ذكر خارق كل رسول كما لا يخفى، ثم إن ذلك إما معجزة لهم على القول بأنهم رسل الله تعالى بدون واسطة أو كرامة لهم معجزة لمرسلهم عيسى عليه السلام على القول بأنهم رسله عليه السلام، والمعنى ما علينا من جهة ربنا إلا التبليغ البين بالآيات وقد فعلنا فلا مؤاخذة علينا أو ما علينا شيء نطالب به من جهتكم إلا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد بلغنا كذلك فأي شيء تطلبون منا حتى تصدقونا بدعوانا ولكون تبليغهم كان بينا بهذا المعنى حسن منهم الاستشهاد بالعلم فلا تغفل، وجاء كلام الرسل ثانياً في غاية التأكيد لمبالغة الكفرة في الإنكار جداً حيث أتوا بثلاث جمل وكل منها دال على شدة الإنكار كما لا يخفى على من له أدنى تأمل.

---

(1) روح المعاني.

والبلاغُ: الكفاية، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبيَاء: 106]، أي: كفايةٌ أو سببَ بلوغٍ إلى البُغية[1].

● **وقال تعالى:** ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المَائدة: 67].

قال الفخر الرازي[2]: معناه فإن لم تبلغ رسالته فما بلغت رسالته، فأي فائدة في هذا الكلام؟

أجاب جمهور المفسرين بأن المراد: أنك إن لم تبلغ واحداً منها كنت كمن لم يبلغ شيئاً منها، وهذا الجواب عندي ضعيف، لأن من أتى بالبعض وترك البعض لو قيل: إنه ترك الكل لكان كذباً ولو قيل أيضاً: إن مقدار الجرم في ترك البعض مثل مقدار الجرم في ترك الكل فهو أيضاً محال ممتنع، فسقط هذا الجواب.

والأصح عندي أن يقال: إن هذا خرج على قانون قوله:

أنا أبو النجوم وشعري شعري

ومعناه أن شعري قد بلغ في الكمال والفصاحة إلى حيث متى قيل فيه: إنه شعري فقد انتهى مدحه إلى الغاية التي لا يمكن أن يزاد عليها، فهذا الكلام يفيد المبالغة التامة من هذا الوجه، فكذا هٰهنا: فإن لم تبلغ رسالته فما بلغت رسالته ما يعني أنه لا يمكن أن يوصف ترك التبليغ بتهديد أعظم من أنه ترك التبليغ، فكان ذلك تنبيهاً على غاية التهديد والوعيد والله أعلم.

● **وقال تعالى:** ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ [الأعرَاف: 62].

قال ابن كثير[3]: وهذا شأن الرسول أن يكون مبلغاً فصيحاً ناصحاً عالماً بالله، لا يدركهم أحد من خلق الله في هذه الصفات؛ كما جاء في صحيح مسلم:

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) التفسير الكبير.
(3) تفسير ابن كثير.

أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم عرفة، وهم أوفر ما كانوا وأكثر جمعاً: «**أيها الناس إنكم مسؤولون عني، فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها عليهم، ويقول: «**اللهم اشهد، اللهم اشهد**».

وقال القشيري[1]: إني أعلم أنِّي وإنْ بالغت في تبليغ الرسالة فمَنْ سبقت له القسمة بالشقاوة لا ينفعه نصحي، ولا يُؤَثِّرُ فيه قولي، فمَنْ أسقطته القسمةُ لم تنعشه النصيحة.

● **وقال تعالى**: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: 10].

قال أبو السعود[2]: وانحرفتْ عن مُستوى نظرِها حيرةً وشُخوصاً وقيل: عدلتْ عن كلِّ شيءٍ فلم تلتفتْ إلاَّ إلى عدوِّها لشدَّةِ الرَّوعِ ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ لأنَّ الرئةَ تنتفخ من شدَّةِ الفزعِ فيرتفعُ القلبُ بارتفاعِها إلى رأسِ الحنجرةِ وهي مُنتهى الحُلقوم وقيل: هو مثلٌ في اضطرابِ القلوب ووجيبِها وإنْ لم تبلغْ الحناجرَ حقيقة والخطابُ في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ لمن يُظهر الإيمانَ على الإطلاقِ أي تظنُّون بالله تعالى أنواعَ الظُّنونِ المختلفةِ حيثُ ظنَّ المُخلصون الثُّبتُ القلوبِ أنَّ الله تعالى يُنجز وعدَهُ في إعلاءِ دينِه كما يُعرب عنه ما سيُحكى عنهم من قولِهم: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب: 22] الآيةَ أو يمتحنهم فخافُوا الزَّللَ وضعفَ الاحتمالِ. والضِّعافُ القلوبِ والمنافقون ما حُكي عنهم ممَّا لا خيرَ فيهِ والجملُة معطوفةٌ على زاغتِ وصيغةُ المضارعِ لاستحضارِ الصُّورةِ والدّلالة على الاستمرارِ.

● **قال تعالى**: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ﴾ [الصَّافات: 102].

(1) لطائف الإشارات.
(2) إرشاد العقل السليم.

قال الشعراوي[1]: هنا لم يتعرض السياق لحمل السيدة هاجر ولا ولادتها لإسماعيل، إنما انتقل مباشرة من البشارة به إلى مرحلة بلوغه السَّعْيَ مع أبيه، فقال سبحانه بعدها: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ ذلك لأن الحق سبحانه هو الذي يتكلَّم، وهو الذي يحكي. ومن البلاغة أنْ نترك ما يُعلم من السياق، وهذه سمة من سمات الأسلوب القرآني.

كذلك هنا: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [الصافات: 101-102] فبلوغه السَّعْي دلَّ على أن البشارة تحققتْ، ووُلِد الغلام، وبلغ مع أبيه السعي، وفَرْق بين (بلغ السعي) عموماً، وبلغ مع أبيه السعي؛ لأن الغلام لا يُكلَّف بالعمل إلا على قَدْر طاقته في الحركة، وعلى قَدْر عافيته وتحمُّله، وإسماعيل في هذا الوقت بلغ السعي مع أبيه فحسب؛ لأنه لن يُكلِّفه أبوه الحنون إلا بما يقدر عليه من المصالح، والأمور الحياتية، فيفعل الغلامُ ما يقدر عليه، ويترك ما لا يقدر عليه لأبيه، ولو كان مع شخص آخر فربما كلَّفه بما لا يستطيع. فلما بلغ الغلامُ هذا المبلغَ ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ والمعنى: أرى في المنام أنه مطلوب مني أنْ أذبحَكَ، لا أنَّ الذبح تَمَّ في المنام، وانتهت المسألة بدليل رَدِّ إسماعيل ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

قال العزّ بن عبد السلام[2]: ﴿ٱلسَّعْىَ﴾ مشى معه، أو العمل، أو العبادة، أو العمل الذي تقوم به الحجة وكان ابن ثلاث عشرة سنة ﴿أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ﴾ قال الرسول ﷺ: «**رؤيا الأنبياء وحي**» ﴿مَاذَا تَرَىٰ ۚ﴾ من صبرك وجزعك، أو قاله امتحاناً لصبره على أمر الله - تعالى - ولم يقل ذلك استشارة.

قال القشيري[3]: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ إشارة إلى وقت توطين القلب عَلَى الوَلد، رأى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه يُؤمرُ بذبح ابنه إسماعيل ليلةَ التروية، وسميت كذلك لأنه كان يُروِّي في ذلك طولَ يومه. هَلْ هُو حقٌّ أم لا؟ ثم إنه رأى في الليلة التالية مثل ذلك فَعرف أن رؤياه حق، فسمي يوم عرفة.

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) التفسير العظيم.
(3) لطائف الإشارات.

بلو

(بلو - فتن - محن)

- **البَلاء:** الاختبار المتكرر بما يؤلم لفضيلة الصبر ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: 155].
- **الفِتْنَة:** اختبار فضيلة الشكر بشيء واحد متميز من ملك أو ثروة ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ﴾ [طه: 131].
- **الامْتِحان:** اختبار فضيلة العلم بمسألة أو موقف ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ﴾ [المُمتَحنَة: 10]، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحُجرَات: 3].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الباء واللام والواو والياء، أصلان: أحدهما إخلاق الشيء، والثاني نوعٌ من الاختبار، ويحمل عليه الإخبار أيضاً.

قال الخليل[2]: بَلِيَ الشيء يَبْلَى فهو بالٍ. والبَلَاءُ لغة في البَلَى.

والبَلِيَّةُ: الدابة التي كانت تشد في الجاهلية على قبر صاحبها.

وناقة بَلْوُ سفر، من مثل نضْو، وقد أَبْلَاها السفر. وبَلَى الإنسان وابْتُلِيَ. إذا امتحن. والبَلَاءُ في الخير والشر، والله يَبْلِي العبد بَلاءً حسناً وبلاءً سيئاً.

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

وقال الأصمعي[1]: البلاء يكون نعمة ومنحة ويكون نقمة ومحنة.

وذكر الأنباري: (البلاء) هو أن يقول: لا أبالي ما صنعت مُبالاةً وبلاءً، وليس هو من يُبلي الثوب.

وقال ابن دُريد[2]: رجل بَلْوُ سفر، وكذلك البعير، والجمع أبلاء.

ذكر الراغب[3]: يقال: بَلِيَ الثوب بَلًى وبَلاءً أي: خَلَق، ومنه لمن قيل: سافر بَلَاه سفر أي أَبْلَاهُ السفر. وبَلَوْتُه: أَخْتَبَرْتُه، كأني أخلقْتُهُ من كثرة اختباري له. وإذا قيل: ابْتَلَى فلان كذا وأَبْلَاهُ، فذلك يتضمن أمرين:

أحدهما: تَعَرُّف حاله، والوقوف على ما يُجْهَل من أمره. والثاني: ظهور جَوْدَتِه ورَدَاءَتِه، وربما قُصد به الأمران، وربما يقصد به أحدهما.

المعنى المشترك لكلمة (ب ل و)

وقد وردت كلمة (بلو) في القرآن الكريم على وجهين:

الوجه الأول: البَلَاءُ: بمعنى النعمة ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البَقَرَة: 49].

الوجه الثاني: البَلَاءُ: بمعنى الاختبار ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ [البَقَرَة: 124].

في القرآن الكريم:

● **قال الله تعالى**: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [القَلَم: 17].

(1) الأضداد.
(2) الجمهرة.
(3) مفردات الراغب.

قال الطبري[1]: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾: أي بلونا مشركي قريش، يقول: امتحناهم فاختبرناهم، ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ يقول: كما امتحنا أصحاب البستان.

قال الفخر الرازي[2]: أي كلفنا هؤلاء أن يشكروا على النعم، كما كلفنا أصحاب الجنة ذات الثمار، أن يشكروا ويعطوا الفقراء حقوقهم.

قال القرطبي[3]: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ يريد أهل مكة. والابتلاء الاختبار. والمعنى: أعطيناهم أموالاً ليشكروا لا لَيَبْطروا؛ فلما بَطِرُوا وعادَوْا محمداً ﷺ ابتليناهم بالجوع والقَحْط كما بلونا أهل الجنة المعروف خبرها عندهم.

● **وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍۗ﴾** [محَمَّد: 4].

قال ابن كثير[4]: أي ولكن شرع لكم الجهاد وقتال الأعداء ليختبركم، ويبلو أخباركم؛ كما ذكر حكمته في شرعية الجهاد في سورتي آل عمران وبراءة في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: 142].

قال الفخر الرازي[5]: والمُبْتَلى بالشيء له على كل وجه من وجوه الأثر الظاهر بالابتلاء حال من الأحوال، فإن السيف الممتحن تزيد قيمته على تقدير أن يقطع وتنقص على تقدير أن لا يقطع، فحال المبتلين ماذا ؟ فقال إن قتل فله أن لا يضل عمله ويهدى ويكرم ويدخل الجنة، وأما إن قتل فلا يخفى (أمره) عاجلاً وآجلاً، وترك بيانه على تقدير كونه قاتلاً لظهوره وبين حاله على تقدير كونه مقتولاً وثالثها: هو أنه تعالى لما قال: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ [المَائدة: 48] ولا يبتلي الشيء النفيس بما يخاف منه هلاكه، فإن السيف المهند العضب الكبير القيمة لا يجرب بالشيء الصلب الذي يخاف عليه منه الانكسار، ولكن الآدمي مكرم كرمه الله وشرفه

---

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) تفسير ابن كثير.
(5) التفسير الكبير.

وعظمه، فلماذا ابتلاه بالقتال وهو يفضي إلى القتل والهلاك إفضاء غير نادر، فكيف يحسن هذا الابتلاء؟ فنقول القتل ليس بإهلاك بالنسبة إلى المؤمن فإنه يورث الحياة الأبدية فإذا ابتلاه بالقتال فهو على تقدير أن يقتل مكرم وعلى تقدير أن لا يقتل مكرم هذا إن قاتل وإن لم يقاتل، فالموت لا بد منه وقد فوت على نفسه الأجر الكبير.

● **وقال تعالى:** ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ [البَقَرَة: 155].

قال أبو السعود[1]: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ لنُصيبنَّكم إصابةَ من يختبرُ أحوالَكم أتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء.

قال الألوسي[2]: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟﴾ الخ عطف المضمون على المضمون، والجامع أن مضمون الأولى طلب الصبر، ومضمون الثانية بيان مواطنه، والمراد لنعاملنكم معاملة المبتلي والمختبر، ففي الكلام استعارة تمثيلية لأن الابتلاء حقيقة لتحصيل العلم، وهو محال من اللطيف الخبير والخطاب عام لسائر المؤمنين - وقيل: للصحابة فقط، وقيل: لأهل مكة فقط.

وسمي التكليف بلاء من أوجه:

- أحدها: أن التكاليف كلها مشاق على الأبدان، فصارت من هذا الوجه بلاء.

- والثاني: أنها اختبارات، ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: 31].

- والثالث: أن اختبار الله تعالى للعباد تارة بالمسار ليشكروا، وتارة بالمضار ليصبروا، فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء، فالمحنة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر[3].

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) روح المعاني.
(3) مفردات الراغب.

● وقال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البَقَرَة: 49].

قال الشعراوي[1]: ما هو البلاء؟ بعض الناس يقول إن البلاء هو الشر. ولكن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبيَاء: 35].

إذن هناك بلاء بالخير وبلاء بالشر. والبلاء كلمة لا تخيف. أما الذي يخيف هو نتيجة هذا البلاء؛ لأن البلاء هو امتحان أو اختبار. إن أديته ونجحت فيه كان خيراً لك. وإن لم تؤده كان وبالاً عليك. والحق سبحانه وتعالى يقول في خليله إبراهيم: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾ [البَقَرَة: 124].. فإبراهيم نجح في الامتحان، والبلاء جاء لبني إسرائيل من جهتين.. بلاء الشر بتعذيبهم وتقتيلهم وذبح أبنائهم، وبلاء الخير بإنجائهم من آل فرعون. ولقد نجح بنو إسرائيل في البلاء الأول. وصبروا على العذاب والقهر وكان بلاءً عظيماً، وفي البلاء الثاني فعلوا أشياء سنتعرض لها في حينها.

---

(1) تفسير الشعراوي.

بلى

(بلى - نعم - إي)

■ **بلى:** تكون جواباً لما كان فيه حرف جحود. قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172].

■ **نعم:** جواب لاستفهام بلا جحود. قال تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ﴾ [الأعراف: 44].

■ **إي:** جواب لتحقق كلام متقدم. قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس: 53].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ [البقرة: 80-81].

قال ابن عاشور[1]: (بلى) استفهام تقريري للإلجاء إلى الاعتراف بأصدق الأمرين وليس إنكاري لوجود المعادل وهو (أم تقولون) لأن الاستفهام الإنكاري لا معادل له.

(1) التحرير والتنوير.

وقال الألوسي[1]: قال: بل تمسكم وغيركم دهراً طويلاً وزماناً مديداً لا كما تزعمون ويكون ثبوت الكلية كالبرهان على إبطال ذلك بجعله كبرى لصغرى سهلة الحصول، فبلى داخلة على ما ذكر بعدها وإيجاز الاختصار أبلغ من إيجاز الحذف، وزعم بعضهم أنها داخلة على محذوف وأن المعنى على تمسكم أياماً معدودة وليس بشيء وهي حرف جواب كجير ونعم إلا أنها لا تقع جواباً إلا لنفي متقدم سواء دخله استفهام أم لا، فتكون إيجاباً له، وهي بسيطة. وقيل: أصلها - بل - فزيدت عليها - الألف.

● **وقال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾** [الأعراف: 172].

قال القرطبي[2]: ومعنى: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي إن ذلك واجب عليهم. فلما اعترف الخلق لله سبحانه بأنه الربّ ثم ذهلوا عنه ذكّرهم بأنبيائه وختم الذِّكر بأفضل أصفيائه لتقوم حجته عليهم فقال له: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ [الغاشية: 21-22]. ثم مكّنه من السيطرة، وأتاه السلطنة، ومكّن له دينه في الأرض. قال الطَّرْطوشي: إن هذا العهد يلزم البشر وإن كانوا لا يذكرونه في هذه الحياة، كما يلزم الطلاقُ من شُهد عليه به وقد نَسِيَه.

(نعم) يقال في الاستفهام المجرد نحو: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف: 44]، ولا يقال هٰهنا: بلى فإذا قيل: ما عندي شيء فقلت: بلى فهو رد لكلامه، وإذا قلت نعم فإقرار منك[3].

● **وقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ﴾** [الزُّمَر: 71].

---

(1) روح المعاني.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) مفردات الراغب.

● **وقوله**: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ﴾ [غافر: 50].

قال الشعراوي[1]: أي: جاءتنا الرسل بالبينات، فأقروا على أنفسهم.

(1) تفسير الشعراوي.

فهرس المحتويات

حرف الباء

ISBN 9953-85-369-X
9 789953 853697